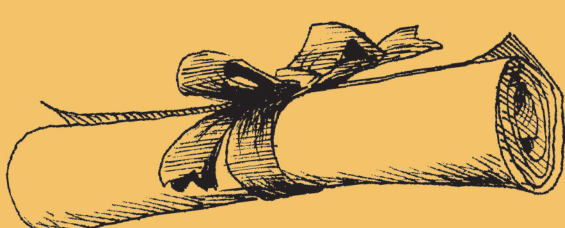
المجلد 36
3 يناير مارس

عالم الفكر

الوثيقة



مجلة دورية محكَّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

2008

مجلة فكرية محكّمة، تهتم بنشر الدراسات والبحوث المتسمة بالأمانة النظرية والإسهام النقدي في مجالات الفكر المختلفة.

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج العربي	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**6** د.ك
للمؤسسات	**12** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**8** د.ك
للمؤسسات	**16** د.ك

الدول العربية

للأفراد	**10** دولارات أمريكية
للمؤسسات	**20** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**20** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**40** دولارا أمريكيا

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: **23996** -الصفاة- الرمز البريدي **13100**

دولة الكويت

تصدر أربع مرات في السنة

عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

عالم الفكر

العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

رئيس التحرير

أ. بدر سيد عبدالوهاب الرفاعي

bdrifai@nccal.org.kw

مستشار التحرير

د. عبدالمالك خلف التميمي

هيئة التحرير

د. علي الطراح

د. رشا حمود الصباح

د. مصطفى معرفي

د. بدر مال الله

مدير التحرير

عبدالعزيز سعود المرزوق

alam_elfikr@yahoo.com

سكرتيرة التحرير

موضي باني المطيري

alam_elfikr@hotmail.com

تم التنضيد والإخراج والتنفيذ

بوحدة الإنتاج في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

الكويت

شارك في هذا العدد

3

د. قاسم عبده قاسم
د. عبدالمالك خلف التميمي
د. مسعود ضاهر
د. عادل سالم العبد الجادر
د. ناصر الدين سعيدوني
د. عيسى صالحية
أ. إدريس هاني
د. محمد أحمد صالح حسين
د. العياشي عنصر

قواعد النشر بالمجلة

ترحب المجلة بمشاركة الكتاب المتخصصين وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المتعمقة وفقا للقواعد التالية:

1 ـ أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره.

2 ـ أن يتبع البحث الأصول العلمية المتعارف عليها وبخاصة فيما يتعلق بالتوثيق والمصادر، مع إلحاق كشف المصادر والمراجع في نهاية البحث وتزويده بالصور والخرائط والرسوم اللازمة.

3 ـ يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢ ألف كلمة و١٦ ألف كلمة.

4 ـ تقبل المواد المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة بالإضافة إلى القرص المرن، ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

5 ـ تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري.

6 ـ البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات إليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

7 ـ تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التي تقبل للنشر، وذلك وفقا لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة.

▪ المواد المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

▪ ترسل البحوث والدراسات باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: **23996** ـ الصفاة ـ الرمز البريدي **13100** دولة الكويت

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

المحتـــــوى

الوثيقة

آفاق معرفية

تقــديم

لا يمكن قراءة التاريخ قراءة مرجعية من دون الرجوع إلى المستندات الموثقة لأحداثه ومساراته ومحطاته، بل لا يمكن تصور تاريخ البشرية من دون مثل هذه «الوثائق».

ولقد تركت لنا العصور المتعاقبة آثارا مكتوبة ومخطوطات مختلفة الأهمية ومتنوعة الشكل، وبالطبع متفاوتة المصداقية، غير أن المهم منها، الذي درج على تسميته بالوثائق، بقي المرجع الأكثر ركونا إليه من قبل المؤرخين والدارسين والباحثين.

وإذا كان البعض يعتبر «الوثيقة» مرآة للتاريخ، والبعض الآخر يرى فيها نبض حركة الجماعة أو الفرد في حقبة غابرة، فإن افتقارنا إلى وثائق كافية عن معظم المراحل التي مرت بها البشرية ضاعف من أهمية الوثائق النادرة المتوافرة، أو التي لا يزال يُعثر عليها بين الحين والآخر. وفي هذا السياق أنشئت المراكز والدواوين المتخصصة، وشُكل كثير من فرق الخبراء للتحقيق والعناية بهذه الكنوز المعرفية... وكان هذا الاهتمام سمة من سمات عصرنا الراهن، ولاسيما بعد ظهور الأمم المتحدة ومنظماتها التابعة المتخصصة، ومنها تحديدا تلك المعنية بمجتمع المعلومات، وبالحفاظ على التراث الإنساني.

واللافت أنه مع تطور تكنولوجيا الاتصال ومع اتساع طفرة وثورة المعلومات، بفضل الشبكة العنكبوتية العالمية، اكتسبت الوثائق التاريخية قيمة جديدة، وبقيت تمثل ما اعتبره «النوع المعلوماتي الأصيل»، مقابل «الكم المعلوماتي المتواتر»، الذي يصعب التحقق منه بسبب سرعة انتشاره (وربما تقبله)، إلى درجة يصبح معها من المسلمات المعرفية أحيانا. أما الوثيقة - الحقيقية طبعا - فتبقى ملكة في هذا المجال، وما يزيد من تألقها أنها محفوظة وغير متاحة للجميع!

لذا، فالوثائق تمثل عالما خاصا تتمتع به - عادة - قلةٌ من الباحثين والمؤرخين والمعنيين بصون التراث الملموس، ماعدا تلك التي تعرض في المتاحف أو في المعارض الموسمية، لكن فوائدها شاملة للإنسانية جمعاء، ويكفي أنها أداة حاسمة وفريدة - غالبا - في العثور على حقائق تُجلي صورة الماضي، وفي قضايا قد تكون محط خلاف ونزاع في الحاضر، وربما في المستقبل.

وفي هذا العدد من «عالم الفكر» نحاول أن نسبر بعض جوانب وخفايا هذا العالم المثير - حقا - وإشكالياته غير السهلة، وذلك من خلال دراسات لنخبة من المتخصصين، فيقدم الدكتور قاسم عبده قاسم دراسة يناقش فيها تزوير التاريخ، ويحلل الدكتور عبدالمالك التميمي الوثائق الرسمية البريطانية الخاصة بمنطقة الخليج العربي، في حين يكتب الدكتور مسعود ضاهر عن منهجية التاريخ الشفهي وكيفية الاستفادة منه عند العرب، ويتناول الدكتور عادل العبد الجادر إشكالية التعامل مع «النسخة الفريدة» من المخطوطات التاريخية، ويسلط الدكتور ناصر سعيدوني الضوء على إشكالية التعامل مع وثائق الوقف، من خلال دراسة الحالة الجزائرية كنموذج، ويعرج الدكتور محمد صالحية على قضية الوثائق الفلسطينية النادرة منذ الحرب العالمية الأولى، وحتى نكبة احتلال فلسطين (١٩١٤ - ١٩٤٨).

إن محتويات هذا العدد ستمكّن القارئ من الوقوف على الجوانب البالغة الأهمية التي لعبها اكتشاف (أو تزوير) بعض الوثائق في عصرنا الراهن، كما ستساعده على اكتشاف الصعوبات التي تعترض المتخصصين في هذا الميدان... لكن أخطر صعوبة في تقديري هي أن نهمل مكانة الوثائق، ونقلل من الدور الذي يمكن أن تؤديه، ليس في كشف الحقائق والتحقق من التاريخ فقط، بل في مجرى الصراعات والنزاعات (الفردية والجماعية)، وفي تحصيل أو ضياع كثير من الحقوق.

رئيس التحرير

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

تزويـر التاريـخ

د. قاسم عبده قاسم (*)

هل يمكن تزوير التاريخ؟

هذا السؤال بحد ذاته يثير العديد من الأسئلة حول المقصود بـ «التاريخ» هنا.

ذلك أن كلمة «التاريخ» لا تحمل معنى اصطلاحيا محددا يتفق عليه المتخصصون وعامة المثقفين، كما أنها لا تحمل معنى لغويا واحدا يمكن أن ينصرف إليه الذهن عند سماعها. فعلى مستوى اللغة قد تعني كلمة «التاريخ» التعريف بالوقت، مثل تاريخ الميلاد، أو تاريخ التخرج أو ما شابه ذلك من المعاني.

وقد تعني عملية مرور الزمن وما حفل به من أحداث. وقد تعني أيضا لحظة فارقة في الزمن بسبب أهميتها، وهو ما يسرف السياسيون كثيرا في استخداماتها عندما يصفون حدثا سياسيا ما، أو حربا، أو حتى خطابا لأحدهم بأنه «حدث تاريخي» أو «معركة تاريخية» أو خطاب تاريخي [١]. ومن ناحية أخرى، لا يتفق المؤرخون على تحديد واحد لمصطلح التاريخ، إذ إن مجال الدراسة التاريخية بات معقدا ومركبا بدرجة تكاد تستعصي معها محاولة الوصول إلى مصطلح يحظى بالموافقة الجماعية، فهناك من يرى أن التاريخ سجل للماضي، ولكن دراسة التاريخ ليست هي دراسة الماضي برمته. وإنما تنصب على دراسة مسيرة الإنسان في هذا الماضي. ويعني هذا اعتبار «التاريخ» سجلا للماضي من حيث ارتباطه بالإنسان [٢].

وإذا نظرنا إلى محاولات تعريف كلمة «التاريخ»، التي ساقها المؤرخون وفلاسفة التاريخ في كل الأزمنة وفي جميع الثقافات، وجدنا اتفاقا على أن تطور مسيرة البشر في الماضي هو موضوع التاريخ. ولكن هذا الاتفاق ذاته يخلق مشكلات أخرى، إذ إن هناك ثلاثة مستويات

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى - جامعة الزقازيق - مصر.

لمعنى مصطلح التاريخ (بصرف النظر عن المستوى اللغوي الذي أشرنا إليه)، وهذه المستويات يمكن تلخيصها على النحو التالي [٣]:

١ - يغلب على استخدام هذا المصطلح معنى الدلالة على مجمل النشاط الإنساني في الماضي برمته، وهذا المستوى لا يدل إلا على عملية التتابع الزمني لوجود الإنسان على سطح هذا الكوكب ونشاطه وأحواله في أثناء ذلك. وهنا يصير كل فعل إنساني تاريخيا بالضرورة. ويعني هذا المستوى أن «التاريخ» يشبه نهرا يتدفق من المنبع إلى المصب حاملا كل التفاصيل.

ومن المؤكد أن التاريخ، عند هذا المستوى من المعنى الاصطلاحي، لا يمكن تزويره بأي حال من الأحوال. ذلك أن الأحداث، كبيرها وصغيرها، قد وقعت بالفعل وصارت تاريخا في ذمة الماضي، بحيث لا يمكن استعادتها والعبث بها .

٢ - أما الاستخدام الثاني لمصطلح «التاريخ»، وهو أكثر شيوعا من الاستخدام الأول، فهو ذلك الذي ينظر إلى «التاريخ» باعتباره سجلا للحوادث في تتابعها الزمني، وليس باعتبار أنه الحوادث نفسها، كما هي الحال في الاستخدام الأول، وهذا المستوى الثاني ينطوي في الواقع على مستويين فرعيين:

أ - التاريخ من حيث هدفه: محاولة معرفة كل ما فعله الإنسان في الماضي، وكل الأفكار التي أنتجها العقل الإنساني حول نشاطه: تبريرا أو تفسيرا، ورصدا أو دراسة.

وهنا أيضا لا يمكن أن تصل يد المزورين، فالرغبة في المعرفة تتناقض تناقضا واضحا وموضوعيا مع الدوافع إلى التزوير.

ب - التاريخ من حيث موضوعه، يمكن اعتباره سجلا للأحداث التي وقعت داخل إطار الوعي الإنساني منذ بداية الوجود الإنساني. واكتسبت بعدا حضاريا بسبب صيغتها الجماعية. وفي هذا الصدد أيضا يبقى التزوير بعيدا عن سجل الحوادث التاريخية .

٣ - وهناك استخدام ثالث لمصطلح «التاريخ» باعتباره علما، ونظاما دراسيا وتعليميا. وهنا يصبح «التاريخ» مصطلحا دالا على حرفة المؤرخ، أي محاولة وصف الماضي وتفسيره من خلال قراءة الأحداث التاريخية، وإعادة قراءتها مرات ومرات لخدمة الحاضر واستشراف المستقبل.

هنا يكمن ما يسميه البعض «تزوير» التاريخ. ومن المهم أن نلاحظ هنا أن «التزوير» لا يكون «تزويرا» للأحداث، وإنما هو قراءة «منحازة» لهذه الأحداث تركز على بعضها وتهمل شأن البعض الآخر. ذلك أن الحوادث التاريخية تقع مرة واحدة، ولكن تتم قراءتها عدة مرات في ما يسميه البعض كتابة «التاريخ» والواقع أنها قراءة وليست كتابة. فإذا كان المقصود تسجيل أحداث التاريخ، فإن ذلك أيضا يحدث مرة واحدة عندما يقع الحدث، أو تحدث الظاهرة التاريخية وتُسجَّل من خلال روايات معاصرة وشهود العيان، أو من الوثائق العامة والخاصة، أو بالاستعانة بالآثار... وما إلى ذلك من المصادر التاريخية. ولكن محاولة استرداد الحدث من

ذمة الماضي تتم من خلال قراءة هذه المصادر، وهو ما يعني في التحليل الأخير إعادة قراءة التاريخ لا كتابته. فالكتابة التاريخية ليست عملية إنشائية إبداعية، وإنما هي في الواقع «قراءة» تتم مرة بعد المرة تلبية لاحتياجات الحاضر. وفي هذه «القراءة» قد يحدث ما يسميه البعض «تزوير» التاريخ.

بيد أنه من المهم أن نشير إلى أن هذه القراءة المنحازة للتاريخ، لا يمكن اعتبارها من أنماط الدراسة التاريخية؛ فالدراسة بطبيعتها بحث عن الحقيقة، والبحث عن الحقيقة يعني البعد عن الانحياز والهوى. ومن ثم فإن جميع عمليات «التزوير» التي عرفها التاريخ كانت ذات أغراض سياسية منحازة. وإذا كانت القراءة الصهيونية المنحازة للتاريخ هي آخر النماذج الواضحة في هذا المجال(٤)، فإنها لم تكن أولى المحاولات لتزوير التاريخ.

لقد كانت القراءة الصهيونية المنحازة إلى التاريخ ذات غرض سياسي منذ بدايتها وطوال عمر الحركة الصهيونية من ناحية، كما كانت تهدف إلى تبرير قيامها على أرض شعب آخر هو الشعب الفلسطيني من ناحية أخرى. إذ إن الحركة الصهيونية ارتبطت منذ بدايتها بالعمل الدعائي، لأن وصية هرتزل - نبي الصهيونية - التي بلورها في إحدى خطبه الباكرة أمام أتباعه من الصهاينة: «... علينا أن نخلق أكبر قسط من الضوضاء حول المشكلة اليهودية...»(٥) وأوصى بأن يتم ذلك من خلال الأدب والفن والتاريخ، لأن الفن يتسرب إلى الوجدان، والتاريخ يحمل مصداقية ذاتية داخله. وهنا تكمن خطورة تزوير التاريخ، من خلال اختلاق الأساطير حول إسرائيل القديمة، وحول فلسطين الحديثة (٦). إن هذا النموذج الواضح في تزوير التاريخ، من خلال القراءة المنحازة لأحداثه، خدمة لأغراض السياسة الصهيونية، يكشف من ناحية عن أنه لا يمكن أن يدخل في نطاق الدراسة التاريخية، وإنما ينضوي تحت لافتة الدعاية السياسية، ومن ناحية أخرى تكشف الدراسات والبحوث التاريخية الحقيقية عن مدى تهافته، وسهولة كشفه وتفنيد دعاواه.

بيد أن النموذج الصهيوني ليس هو النموذج الوحيد، كما ذكرنا من قبل، وإنما كانت هناك سوابق تاريخية كثيرة في استخدام التاريخ، بقصد الدعاية السياسية. فقد روَّج المستعمرون الأوروبيون في القرنين التاسع عشر والعشرين قراءات منحازة وأساطير عن تاريخ الشعوب التي احتلوا أراضيها في آسيا وأفريقيا (٧)، وقد أدى هذا إلى إعادة النظر في تاريخ الاستعمار الأوروبي، أو ما يسمى «التاريخ الإمبراطوري» Imperial History، الذي بدأ يتخذ شكل فرع مستقل من فروع الدراسات التاريخية في أوروبا وفي أمريكا الشمالية على السواء. وهو الأمر الذي يؤكد، مرة ثانية، أن القراءة المنحازة للتاريخ لا تصمد بأي حال من الأحوال أمام الدراسة التاريخية الحقيقية من ناحية، كما أن الاستخدام السياسي للقراءة المنحازة يدخل في نطاق الدعاية والتبرير الإعلامي من ناحية أخرى.

وقد أشاع المستشرقون والمؤرخون الغربيون، بشكل عام، بعض الشائعات التاريخية في قراءتهم لتاريخ العلاقة بين العالم الإسلامي وأوروبا الغربية، تحت وطأة حركة الفتوح الإسلامية، ثم تاريخ الحروب الصليبية، فالصراع بين الدولة العثمانية وأوروبا وانتهاء بحركة الاستعمار الأوروبي. وفي تلك الفترات تراوحت حدة القراءة المنحازة بين فترة وأخرى، فقد شهدت الفترة من القرن السابع الميلادي (حركة الفتوح الإسلامية) حتى القرن الثالث عشر الميلادي (نهاية الوجود الصليبي على الأرض العربية) قدرا هائلا من الانحياز والتشويه ضد المسلمين عامة. وتحمل كتابات تلك الفترة، التي اتسمت بالدعاية النزقة الخرقاء ضد الإسلام والمسلمين، كل خصائص «التزوير» المتعمد للحقائق التاريخية، بحيث يستبعدها المؤرخون الحديثون في أوروبا وأمريكا الآن، باعتبارها غير تاريخية. أما الفترة منذ القرن الرابع عشر (بداية النهضة الأوروبية) وحتى القرن التاسع عشر (حركة الاستعمار الأوروبي) فقد شهدت محاولات جادة لفهم التاريخ الحقيقي والدراسة الواعية لتاريخ المسلمين بعد أن طوَّر الأوروبيون منهج البحث التاريخي وأساليب البحث وطرقه. وقد تمثلت النتيجة في تحقيق عدد كبير من المصادر التاريخية العربية، وصدور عدد كبير من الكتب المهمة عن تاريخ المسلمين وحضارتهم وثقافتهم. وإذا كانت هناك بعض الجوانب التي لم تنل استحسان العرب والمسلمين في بعض هذه الدراسات أو كلها، فإن ذلك لم يكن ناتجا عن انحيازها أو «تزويرها» للحقائق، وإنما لأنها كانت - بالضرورة - تحمل وجهة نظر مؤرخين وباحثين ينتمون إلى ثقافة أخرى.

ومنذ القرن التاسع عشر تصاعدت نغمة الموضوعية في الدراسات التاريخية الغربية بشكل عام، بل إننا يمكن أن نقول، بلا حرج، إن الدراسات التاريخية الحديثة تدين بوجودها ذاته للمؤرخين الغربيين ونظرياتهم ومحاولاتهم لفلسفة التاريخ. وقد أدى هذا إلى موقف بات معه من العسير الترويج لقراءات منحازة للتاريخ، أو «تزوير» التاريخ على حد تعبير البعض. ومن ناحية أخرى، فإن التطور المعرفي المذهل الذي وفرته الوسائط الإلكترونية، وأهمها شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، جعل مسألة تزوير التاريخ مسألة تنتمي إلى الماضي، فقد صار من السهل تماما الحصول على كم من المعلومات والدراسات حول أي موضوع أكبر مما حققه البحث والدراسة التاريخية على مدى الوجود الإنساني ذاته على كوكب الأرض.

بيد أن هذه ليست كل القصة...

وإذا كنا قد حاولنا في الصفحات السابقة أن نثبت أنه من الصعب تزوير «الرواية التاريخية»، أو «القصة التاريخية» أو «السرد التاريخي» ذاته من خلال القراءة المنحازة التي لا تلبث أن تتهاوى أمام الدراسة الجادة، فإن أمامنا عدة مشكلات تتعلق بتزوير التاريخ من خلال الوثائق، ومن خلال الآثار، ومن خلال الأساطير.

وإذا أخذنا في اعتبارنا أن الغالبية العظمى من المؤرخين لا تزال تحترم «الوثيقة» بشكل يكاد يقترب من التقديس، فإن «تزوير» الوثائق يعني تزوير «لب التاريخ» عند هؤلاء المؤرخين. ولأن بعض المؤرخين، من أتباع مدرسة فون رانكه، لا يزالون على الظن بأن الوثائق سوف تساعدهم على إعادة بناء الماضي، «كما حدث بالضبط» فإن مسألة تزوير الوثائق تصبح أشد خطورة على البحث التاريخي الجاد. بيد أننا يجب أن نفرق بين نوعين أساسيين من الوثائق: الوثائق العامة، والوثائق الخاصة.

ويفرقّ المتخصصون في علم الوثائق بين نوعين من الوثائق العامة هما: **الوثيقة القانونية**، «... ويقصد بها كل نص مكتوب أو مدون، يشتمل على تصرف قانوني أو واقعة قانونية ثم تدوينه لحفظ حق من الحقوق، أو لإثبات حالة من الحالات...». والمقصود بالتصرف القانوني «... الفعل الإرادي الذي تترتب عليه آثار قانونية...» (٨). والوثائق القانونية نوعان: عامة وخاصة. والوثائق العامة هي التي تصدر عن جهات الدولة المختلفة، أو تكون إحدى هذه الجهات طرفا فيها، وتتعلق موضوعاتها بأحكام القانون العام. أما الوثائق الخاصة، فهي التي يكون التصرف فيها بأحكام القانون الخاص، وغالبا ما تكون بين أشخاص طبيعيين أو شخصيات اعتبارية خاصة (٩).

أما النوع الثاني فهو «**الوثيقة الإدارية**» التي يقصد بها المكاتبات، والأوامر والتقارير الناتجة عن العمل اليومي لمؤسسات المجتمع، سواء كانت مؤسسات حكومية أو أهلية. «... وبهذا المعني تُعد الوثائق الدبلوماسية مصدرا مهما من مصادر التاريخ، حيث تشكل جزءا من المصادر غير المقصودة للتاريخ، وهي تلك المصادر التي يقصد منشؤها أن تكون شواهد تاريخية، ولكنها مع ذلك قد تكون ذات قيمة أكبر من قيمة المصادر المقصودة» (١٠).

وهناك خطر شديد في الاعتماد على الوثائق وحدها، باعتبارها التاريخ الحقيقي. ذلك أن الوثيقة العامة، عادة، تستهدف تصوير حالة مثلى لا تكون مطابقة للواقع التاريخي في أغلب الأحيان، وربما تكون مناقضة له في بعض الأحيان. فالقوانين الصادرة عن الدولة، مثلا، تنص على ما ينبغي أن تكون عليه الأمور في جانب ما، ولكن الحياة في المجتمع تختلف بدرجة أو أخرى عن الصورة التي ترسمها نصوص القانون. كما أن الأوامر الصادرة عن الحكومة بمنع ممارسات بعينها تعني، بالمفارقة، أن هذه الممارسات تحدث بالفعل وإلاّ لما كانت هناك حاجة إلى إصدار أوامر بمنعها(١١). والوثائق العامة بصفة أساسية ينبغي تناولها بحذر لهذا السبب من ناحية، ولأنها قد تتعرض للتزوير من ناحية أخرى.

وهناك أمثلة تاريخية شهيرة على تزوير الوثائق العامة، لعل من أبرزها تلك الوثيقة التي عرفت باسم «هبة قنسطنطين»، فقد تمت فكرة صياغة السلطة البابوية الكاثوليكية على أوروبا الغربية في أشهر وثائق العصور الوسطى في «هبة قنسطنطين»

Donatus Constantini، التي كانت أشهر عملية تزوير في التاريخ. وهناك قدر من الشك حول كتابة هذه الوثيقة بالشكل الذي وصلتنا به (١٢)، وربما يكون النص الموجود الآن قد نسخ عن نص أسبق كتب في منتصف القرن التاسع الميلادي، ولكن هناك دليلا قويا على أن الوثيقة المزورة الأولى، التي تماثل في جوهرها الوثيقة التي وصلتنا، قد كتبت في المقر البابوي في منتصف القرن الثامن الميلادي، وقدمها البابا شخصيا إلى الملك الفرنجي بيبن القصير، والد الإمبراطور الفرنجي الشهير شارلمان، في باريس سنة ٧٥٤م، وتقبلها الملك الفرنجي على أنها إقرار حقيقي بشرعية السلطة البابوية على الحكام العلمانيين.

فقد أحست البابوية بأنه يجب عليها التعبير عن أيديولوجيتها من خلال وثيقة مزيفة ترتبط بالإمبراطور قنسطنطين الكبير، وذلك بسبب المفاهيم القانونية التي كانت سائدة في العصور الوسطي الباكرة، فقد كان الناس يظنون أن القانون الجيد هو القانون القديم، لأن القانون كان مساويا للعرف والعادة. وكان لابد لكل من يزعم لنفسه حقا، أو مكانة، أو سلطة، أن يستند إلى بعض الأسس التاريخية، أو القواعد المتراتبطة بالعادات والتقاليد، التي يبني عليها مزاعمه، وإذا ما أخذنا في اعتبارنا أيضا ما كان الناس في مجتمع أميٍّ جاهل في أغلبه يكنونه من الاحترام تجاه الوثائق المكتوبة، أصبح من السهل علينا فهم دوافع رجال الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى الباكرة إلى تزوير الوثائق من أجل إيجاد أساس قانوني لمزاعمهم وسلطاتهم. لقد زور رجال البابوية وثيقة «هبة قنسطنطين» (١٣) بالطريقة نفسها التي زورت بها أديرة كثيرة في أوروبا العصور الوسطى الباكرة الوثائق التي تضمن لها السيطرة على الأرضي والأقنان العاملين فيها، في ظل الإقطاع الذي كان نظاما سياسيا وقانونيا في أجزاء كبيرة من أوروبا العصور الوسطى (١٤).

هذه الأمثلة تدل على أن «تزوير» التاريخ ذاته غير ممكن، ولكن تزوير «الوثيقة التاريخية» وارد لخدمة أغراض آنية، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك. لم تكن بابوية العصور الوسطى في صراعها ضد الحكام العلمانيين - أو الرهبان في أديرة أوروبا في ذلك الزمن - هي الفئة الوحيدة التي لجأت إلى تزوير الوثائق التاريخية لتحقيق مصالح سياسية أو مالية أو فرض صياغة معينة للرأي العام، وإنما هناك أمثلة عديدة يمكن إيرادها.

إن تزوير الوثائق يؤدي بالضرورة إلى تزوير «السرد التاريخي». ولكن التاريخ الذي حدث مرة واحدة، وتمت قراءته بشكل منحاز (لمصلحة قوة سياسية مثل البابوية في العصور الوسطى، أو فئة إجتماعية مثل الرهبان الذين كانوا يشكلون الجناح الديني من الطبقة الأرستقراطية في العصور الوسطى أيضا، أو لمصلحة كيان دخيل مثل الكيان الصهيوني في أيامنا هذه)، يمكن أن تتم قراءته مرات أخرى عديدة، بحيث يتم تصحيح السرد التاريخي مرات ومرات. ومن هنا، فإن المؤرخ الفاهم ينبغي ألا يعتمد على الوثائق باعتبارها حاملة

التاريخ الحقيقي، وأنما عليه أن يفحص الوثائق في ضوء مصادره الأخرى. ومن الجدير بالذكر أن الدراسات التاريخية الحديثة كشفت تزوير وثيقة «هبة قنسطنطين» وعشرات من الوثائق المزورة. وهنا لم يكن هدف هذه الوثائق المزورة «تزوير التاريخ» بقدر ما كان تحقيق مصالح بعينها، سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

والوثائق الخاصة، بدورها، يمكن أن تخضع للتزوير، ولكن تزويرها لا يكون تزويرا للسرد التاريخي، وقد لا يؤثر في الرواية التاريخية بأي حال من الأحوال. إذ إن الوثائق الخاصة تحمل تصرفات قانونية للأفراد الطبيعيين والشخصيات الاعتبارية في البيع والشراء، والزواج والطلاق والميراث والرهن، وإبراء الذمة، والتنازل... وما إلى ذلك. وعلى الرغم من أن التزوير يحدث كثيرا في مثل هذه الوثائق، فإن ضرره يظل محصورا داخل نطاق الفردي، ولا ينسحب إلى السرد التاريخي، بأي حال من الأحوال، لأن الوثيقة الخاصة وثيقة فردية في كل الأحوال، ويتضرر من تزويرها أحد أطرافها. ومن ناحية أخرى، فإن الوثيقة الخاصة المزورة يتم تزويرها تقليدا لوثيقة أصلية، ومن ثم فإن المؤرخ الذي يبحث في التاريخ الاجتماعي، مثلا، ويعتمد على الوثائق الخاصة بالزواج، أو الميراث، أو المعاملات بين الأفراد، لا يهمه سوى التعرف على القواعد الخاصة بمثل هذه الأمور، وهو ما سيجده في الوثيقة الأصلية، أو الوثيقة التي تقلدها، على السواء. ولدينا مجموعة من وثائق دير سانت كاترين ووثائق البطريركية العامة للأقباط الأرثوذكس، تقدم مثالا مدهشا على أهمية الوثائق الخاصة فى دراسة الحياة الاجتماعية في بلد ما في عصر من العصور [١٥].

وإذا كنا قد أطلنا الحديث، قليلا، عن تزوير الوثائق العامة وتأثير ذلك في السرد التاريخي، فإن «الحكايات» و«الشائعات» التاريخية الكاذبة قد تسببت في الكثير من اللبس والارتباك، بحيث ظن البعض أنها تزوير للتاريخ. إذ إن هناك حالات يتم فيها «اختلاق» نوع من «الحكاية» والترويج لها على أنها تاريخ حقيقي. وقد برعت الدعاية الصهيونية في هذا النمط. ولا يمكن أن نعتبر هذا «تزويرا للتاريخ» بأي حال، وإنما هو «اختلاق» أو «اصطناع» كامل. ويقوم من يعتمدون هذا النمط بكتابة حكاية ما على يد أحد الكتاب من دون سند تاريخي حقيقي، ثم تتوالى الحكاية في كتابات تالية تتم الإشارة إلى أول من كتبها باعتباره مرجعا، وفي خضم هذا السرد المتتالي، الذي يحيل بعضه إلى بعض، في ما يشبه التأكيد، تختفي حقيقة اختلاق الرواية. لقد كان «بن جوريون» يقول في هذا الصدد: «ليس مهما ما إذا كانت القصة تسجيلا لحدث وقع فعلا أم لا، ولكن المهم هو أن هذا ما يعتقده اليهود عن فترة المعبد الأول...» [١٦]، لقد كان ديفيد بن جوريون أهم زعماء الكيان الصهيوني في فلسطين، وعلى الرغم من أنه أنكر مركزية الدين، كقوة أصلية في القومية اليهودية الحديثة، فإنه كان يعتمد التلاعب بالحقيقة التاريخية لحساب تشكيل الأساطير، لكي تناسب الذرائع السياسية للمشروع الصهيوني. وقد

حاول أحد أتباعه الدفاع عنه، لكنه بدلا من ذلك أثبت التهمة، فقد قال هذا الرجل: «إن الأسطورة ليست أقل من التاريخ من حيث كونها حقيقة، ولكنها حقيقة إضافية، حقيقة مختلفة، حقيقة موجودة بإزاء الحقيقة، حقيقة إنسانية غير موضوعية، بيد أنها حقيقة تشق طريقها صوب الحقيقة التاريخية» (١٧)!

هل هذا تزوير للتاريخ؟ إن الإجابة لابد أن تكوني بالنفي لأن هذا «اختراع» تاريخ، «اختلاق» تاريخ، ولا علاقة له بالتاريخ، على الرغم من هذا اللغو الفارغ الذي يحاول أن يضع الأسطورة مقام التاريخ !

من هذا المنطلق يمكن القول إن اختلاق التاريخ، سواء كان اختلاقا كاملا - مثلما هي الحال في الدعاية الصهيونية - أو اختلاقا جزئيا بالحذف والإضافة - مثلما يحدث في عمليات التلقين الأيديولوجي لتلاميذ المدارس في الدول الاستبدادية التي يحكمها طاغية، أو مثلما هي الحال في القراءات الأيديولوجية الفاشية، والشيوعية، والرأسمالية - نقول إن اختلاق التاريخ يسبب الارتباك لدى بعض الناس بحيث يظنون أنه «تزوير» للتاريخ.

وربما يكون مناسبا أن نكرر القول بأن «التزوير» يقع في ما يمكن تزويره، أي الوثائق وغيرها من مصادر الدراسة التاريخية، ولكنه لا يمكن أن يقع أبدا في التاريخ بمعناه الجوهري، أي الأحداث والوقائع والشخصيات والظواهر التي احتلت محطاتها التاريخية في الزمان. ولا يمكن - بالتالي- استردادها والعبث فيها. فما حدث في التاريخ حدث وانتهى وصار في ذمة الماضي، وكل الدراسات تحاول استرداد «صورة» ما حدث، وليس ما حدث بالفعل. إذ إن اللحظة الزمنية التي تنقضي لا يمكن أن تعود، وتبقى في محطتها الزمنية بكل ما جرى فيها من أحداث تاريخية. ولكن «اختلاق» التاريخ أمر آخر مختلف - إذ يتم هنا «اختراع» أحداث ووقائع، وربما شخصيات، لم يكن لها وجود فعلى أبدا.

هذا «الاختلاق» أحد روافد الأيديولوجية التي تروج لقوة ما، أو حركة ما، أو فكر ما. وقد استخدمت كل من الحركة الصهيونية، والحركة الشيوعية هذا الاختلاق في بناء أيديولوجيتها، كما استخدمته الفاشية والنازية قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن الرأسمالية العالمية استخدمته - ولا تزال تستخدمه - بقدر من الوحشية يفوق كل ما سبق، للترويج لأهدافها في السيطرة على العالم. بدعوى العولمة وإعادة بناء النظام العالمى... وما إلى ذلك. وربما كان ذلك السبب الرئيسي في الطرح الأيديولوجي للظواهر والأحداث التاريخية، الذي كان بمنزلة النغمة الدالة في تسعينيات القرن العشرين. وهو طرح يقترب بدرجة خطيرة من اختلاق التاريخ الذي يظنه البعض تزويرا للتاريخ. وكان أول ما لفت النظر في هذا السياق ما كتبه الأمريكي «فوكو ياما» عن «نهاية التاريخ»، وهو رد فعل واضح إزاء انهيار الاتحاد السوفييتي بعقيدته الماركسية. وعلى الرغم من أن ما كتبه «فوكوياما» أحدث ضجة إعلانية وإعلامية

صاخبة، فإنني أعتقد أن تأثيره في الفكر التاريخي محدود ومؤقت [١٨]، ولا يعدو أن يكون نوعا من «الابتهاج السياسي» لسقوط العدو، أكثر منه تحليلا تاريخيا لحقائق الظروف التاريخية الموضوعية التي أدت إلى هذا الانتصار للرأسمالية والمعسكر الغربي، وهو انتصار ربما يكون مؤقتا على أي حال. فقد كان «فرنسيس فوكوياما» Francis Fokoyama النائب الأسبق لمدير مجموعة تخطيط السياسات في وزارة الخارجية الأمريكية، وعمل مستشارا لإحدى المؤسسات في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وهو ما يعني بالضرورة انحياز قراءته للتاريخ من ناحية، وتوظيف هذه القراءة في خدمة السياسة الأمريكية من ناحية أخرى.

طرح فوكوياما أفكاره للمرة الأولى في مقال بعنوان «هل هي نهاية التاريخ؟»، نشره سنة ١٩٨٩م بمجلة The National Interest، ذهب فيه إلى أن السنوات القليلة السابقة شهدت «إجماعا» حول شرعية الديموقراطية الليبرالية (أي الأمريكية) نظاما للحكم، بعد أن لحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة، مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية. وكان من رأيه أن الديموقراطية الليبرالية ربما تكون بمنزلة «نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية»، وقد تكون «الصورة النهائية لنظام الحكم عند البشر»، ومن ثم فهي تشكل «نهاية التاريخ». هذه القراءة المنحازة، وحالة «اختلاق» مجرى مختلف للأحداث التاريخية، أثارتا عاصفة من الانتقادات (ليس هذا مكانها). وردّ «فوكوياما» بكتاب أصدره سنة ١٩٩٢ م [١٩]، قال إن هدفه هو الإجابة عن سؤال قديم للغاية عما إذا كان من المقبول الكلام عن أن تاريخ البشرية يتجه صوب الديموقراطية الليبرالية. وفي رأي فوكوياما أن الأجابة يجب أن تكون «نعم» لسببين مستقلين أحدهما عن الآخر: أولهما يتصل بالاقتصاد، على حين يتصل الثاني بما أسماه «الصراع من أجل نيل الاحترام والتقدير»، ويؤكد أن هذين السببين كانا من أهم أسباب سقوط النظم المنافسة للديموقراطية الليبرالية، وإقامة هذه الديموقراطية الليبرالية في العالم الرأسمالي باعتبارها نهاية التاريخ [٢٠]. وبعد ذلك يحاول فوكوياما الإجابة عن السؤال المتعلق بمستقبل الإنسانية، وهل ستخلِّف الديموقراطية الليبرالية مجتمعا مستقرا للإنسان، بحيث يكون فى ذلك المجتمع خاتم البشر؟

وهو يطرح في سياق الإجابة عن السؤال، عدة أسئلة أخرى عما إذا كانت الديموقراطية الليبرالية (الرأسمالية) آمنة من خطر أعدائها في الخارج، وعن إمكان استمرار المجتمعات الرأسمالية على حالها إلى الأبد، على الرغم من تناقضاتها الداخلية. يجيب فوكوياما في النهاية، بأن الديموقراطية الليبرالية قادرة على تخطي هذه الصعاب ولن تنهار.

وفي رأيي أن ما كتبه فوكوياما نموذج واضح من نماذج القراءة المنحازة للتاريخ، بدرجة تخلط بين مسار التاريخ الحقيقي، واختلاق مسار آخر ترويجا لفكر سياسي وخدمة لأغراض سياسية آنية، شأنه شأن الاختلاق الصهيوني للتاريخ. وإذا كانت القراءة المنحازة و«الاختلاق»

و«اختراع» التاريخ لا تُعد من قبيل «تزوير التاريخ»، فإنها في رأيي أخطر كثيرا لأنها «تختلق» تاريخا موازيا للتاريخ الحقيقي، و«تصطنع» أساطير جديدة. وإذا كانت الصهيونية قد اعتمدت على الأساطير التي تتعلق بالماضي، كما أوضح بن جوريون ومساعدوه، فإن «فوكوياما» قد ابتكر أساطير للحاضر (وللمستقبل أيضا)، لكي يروج لما سُمّي «النظام العالمي الجديد». وعلى أي حال، فإن الأحداث التاريخية الجارية أثبتت الفشل الصارخ لآراء فوكوياما من ناحية، كما أثبتت أن «تزوير التاريخ» أمر مستحيل من ناحية أخرى.

بيد أن محاولة «فوكوياما» لم تكن القراءة الأيديولوجية الوحيدة للتاريخ المعاصر، إذ إن الأحزاب السياسية، والقوى الحاكمة هنا وهناك في شتى أنحاء العالم، تقوم بهذا النوع من القراءة المنحازة ومحاولات اختلاق تاريخ مواز للتاريخ الحقيقي. بل إن طريقة تدريس التاريخ لتلاميذ المدارس، على طريقة التلقين السياسي، تُعد نوعا فجا من أنواع القراءة المنحازة للتاريخ (هي مسألة تحتاج إلى دراسة خاصة على أي حال).

ولكن أخطر قراءة أيديولوجية منحازة للتاريخ عامة تتم الآن في أوساط عديدة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم على فكرة «صدام الحضارات». ففي فترة ما بعد الحرب الباردة حذر كثير ممن يبحثون عن شياطين جديدة، بدلا من الشيطان السوفييتي الصريع، من التهديد الإسلامي للحضارة الغربية، أو من صدام يوشك أن يقع بين الحضارات. وفي أوروبا وفي أمريكا تعالت أصوات تنذر بالخطر الماحق «المسلمون قادمون... المسلمون قادمون» (٢١)، وهو أمر يتعلق بما تروج له قطاعات بارزة في الغرب على أنه صدام بين الإسلام والغرب (٢٢)، كما أشار المفكر الراحل إدوارد سعيد. ولسنا بصدد مناقشة هذا الموضوع إلا من زاوية القراءة الأيديولوجية المنحازة للتاريخ، خدمة لأغراض السياسة الحالية. ففي هذه القراءة المنحازة تحدث كثير من الساسة والباحثين، ونشرت صحف دولية محترمة سلسلة من المقالات، وزادت الأمور كثافة في فترة إدارة جورج دبليو بوش (الأولى والثانية) عن خطر الإسلام «وغالبا ما كان من الصعب أن تعرف أين تنتهي الحقيقة، وأين تبدأ صناعة الخرافة...»، على حد تعبير جون أسبوزيتو (٢٣) .

كان برنارد لويس هو الذي قدَّم الصورة الصادمة عن الإسلام والمسلمين في كتابه «الأصول الإسلامية»، الذي كان في أصله محاضرة ألقيت سنة ١٩٩٠، ثم نشرت في صورة منقحة تحت عنوان «جذور الهياج الإسلامي» (٢٤)، وفيه يقول برنارد لويس: «إن الصراع بين الإسلام والغرب استمر حتى الآن على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان، وقد تكوَّن من سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة، الجهاد والحملات الصليبية، الغزو والاسترداد. وتسيطر على معظم العالم المسلم اليوم حالة استياء عارمة - وعنيفة - ضد الغرب، وفجأة صارت أمريكا العدو الأكبر، تجسيدا للشر، والخصم الشيطاني لكل ما هو خير، ولاسيما الإسلام والمسلمين، لماذا؟» (٢٥).

هنا يتم تصوير الإسلام والمسلمين في صورة المحرضين على العنف طوال أربعة عشر قرنا من الزمان - فالإسلام عدواني!

هذه قراءة أيديولوجية منحازة للتاريخ، ليست ناجمة عن ندرة المعلومات أو نقص التمييز، وإنما هي نتاج دافع سياسي وقصد أيديولوجي من جانب برنارد لويس وأمثاله. وهذا لا يمكن أن يكون «تزويرا» للتاريخ، بقدر ما هو «اختلاق» لتاريخ لم يوجد قط». إذ إن تاريخ العلاقة بين المسلمين والغرب، لم يكن أبدا، مكونا « ... من سلسة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة، الجهاد والحملات الصليبية، الغزو والاسترداد ...»، كما يزعم برنارد لويس. نعم احتوى التاريخ على هذه الأمور، ولكن لم يتكون منها وحدها، فقد كان هناك التبادل التجاري، والتفاعل الثقافي والاعتماد المتبادل أيضا. ولكنها القراءة الأيديولوجية المنحازة التي تروج لفكرة «صدام الحضارات».

والحقيقة أن التحول الذي حدث في مواقف المسلمين تجاه الغرب، نتيجة الظروف التاريخية الموضوعية وممارسات قوى الاستعمار والرأسمالية الغربية، من الإعجاب والانبهار والتقليد إلى العداوة والرفض، غالبا ما يتم اختزاله إلى مجرد «صدام» بين حضارتين منفصلتين متمايزتين، تكاد كل منهما ترفض الأخرى(٢٦). هنا تختلق القراءة المنحازة للتاريخ تقسيما ثنائيا نمطيا لا يمكن أن ينطبق على الواقع التاريخي في الماضي، أو على الواقع الموضوعي المعيش في عصرنا الحالي.

ولكن ما كتبه لويس كان ضد المسلمين لأسباب سياسية واضحة، والأشد خطورة منه في تكريس نموذج وهمي عن صدام الحضارات ما كتبه صامويل هنتنجتون تحت العنوان المستفز: «صدام الحضارات» (٢٧)، ففي أعقاب نهاية الحرب الباردة أعلن أن « ... الصدام بين الحضارات هو الذي سوف يحكم الشؤون السياسية العالمية. وستكون الخطوط الفارقة بين الحضارات هي خطوط القتال في المستقبل... وستكون الحرب العالمية القادمة، إذا ما نشبت، حربا بين الحضارات» (٢٨). ويرى أن الحضارات، باعتبارها مصادر دائمة للهوية، ستلعب الدور الرئيسي في عالم تسود فيه ظاهرة «العودة إلى الجذور» أكثر من ذي قبل. ويلاحظ هنتنجتون أن هذا كله يحدث في وقت يجيء فيه التحول من عصر ساد فيه الغرب إلى مرحلة تبرز فيها الحضارات غير الغربية لتلعب أدوارا عالمية مهمة « ... إن الحضارات غير الغربية لم تعد موضوعات للتاريخ يستهدفها الاستعمار الغربي، ولكنها تشارك الغرب في تحريك التاريخ وتشكيله...» (٢٩).

ويرى جون أسبوزيتو (٣٠) أن صامويل هنتنجتون يأخذ بمفهوم متحجر عفى عليه الزمن للحضارة، كما يساوي، دون تمحيص، بين الأصوات المعادية للغرب... «ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه المسألة، ولكننا نقدم قراءة أخرى منحازة للتاريخ لخدمة أغراض سياسية آنية.

فقد أغفل هنتنجتون القراءة الصحيحة للتاريخ»، واختلق «سياقا موازيا بحيث يمكنه القول إن بؤرة الصـراع في المستـقبل القـريب»... ستكون بين الغـرب ومـختلف الدول الإسـلامـيـة - الكونفوشيوسيـة... «انطلاقا من قوله بأن هناك ارتباطا إسلاميا - كونفوشيوسيا قد ظهر يتحدى المصالـح، والقيم والقوة الغربيـة [٣١]. وخطورة هذه الرؤية تتمثل في أنها قد تؤدي إلى الانزلاق في المفهوم العنصري للتهديد الثقـافي، الذي يزعم أن الكونفوشيوسيـة والإسـلام يحملانه ضد الغرب. ومن ناحية أخرى، فإنه يصف الإسلام بأنه «العدو القديم» للغرب... فالصراع على امتداد خط الفصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربيـة قد استمر على مدى ١٣٠٠ سنة «وقد وسَّع صامويل هنتنجتون نطاق مقالته، وصحح بعض ما جاء بها في كتابه صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي» [٣٢]. وهنا نجد أن اهتمام هنتنجتون بتاريخ الحضارات مشروط بمنظور يرى التاريخ وسيلة للتأكيد على مصطلحات الصراع والصدام، وليس بمنظور يسعى إلى فهم التاريخ وتفسيره.

وهذا الطرح الأيديولوجي المنحاز للتاريخ إنما هو جزء من محاولة لتبرير استخدام القوة من جانب أمريكا وأوروبا لتحقيق أهداف مطامع الاحتكارات الرأسمالية وفرضها على العالم. ومرة أخرى نتساءل، هل يعد هذا من قبيل «تزوير التاريخ؟».

إن الإجابة، حتما، ستكون بالنفي. لأن خلط الخرافة بالحقيقة نوع من الكتابة الدعائية السياسية، فيه من «الاختلاق»، «واصطناع الأساطير»، والقراءة الانتقائية لأحداث التاريخ، ما يخرجها تماما عن نطاق «الدراسة التاريخية»، ومن ثم، لا يجوز هنا أيضا الحديث عن «تزوير التاريخ». والسبب في ذلك يرجع إلى أن هذا النوع من الكتابة الدعائية «التي ترتدي ثوب التاريخ لا تصمد أمام النقد، وينكشف زيفها المرة بعد المرَّة، أما الوثيقة المزورة فربما لا تنكشف على الإطلاق.

ومادمنا قد تعرضنا لإمكان تزوير الوثيقة باعتبارها من مصادر الدراسة التاريخية، فإننا ننتقل إلى المصادر غير الأدبية، أو غير المكتوبة، من المصادر التاريخية. ومن أهم هذه المصادر الآثار على اختلاف أنماطها. وقد مضى زمن كانت المصادر التاريخية المكتوبة هي وحدها التي يعتمدها الباحثون في دراسة التاريخ، وربما يكون هذا السبب في استخدام البعض للمصطلح المضلل «ما قبل التاريخ Prehistory (والذى يقصد به ما قبل التاريخ المكتوب). وقد صار علم دراسة الآثار الآن علما مستقلا، ولكن نتائجه واكتشافاته وسَّعت مصادر المعرفة التاريخية، ولاسيما في ظل التقدم التكنولوجي الهائل. وتظل الآثار، بشكل عام، من أصدق المصادر التاريخية وأكثرها استعصاء على التزوير». إذ لا يمكن نسبة أثر ما إلى غير عصره أو غير صاحبه، من دون أن ينكشف زيف هذه النسبة في ضوء المصادر التاريخية الأخرى. صحيح أن هناك محاولات كثيرة لتزوير الآثار على مرّ التاريخ (منذ محاولات تشويه آثار الملكة

حتشبسوت المصرية القديمة، مرورا بمحاولة بعض الملوك والحكام نسبة آثار من سبقوهم إلى أنفسهم في العصور القديمة، ثم محاولات الصهيونية تزوير آثار الأفران التي كان الألمان يحرقون فيها ملابس الأسرى للتخلص من القمل، وتصويرها على أنها أفران لحرق اليهود! في العصر الحديث. ثم محاولة أنور السادات وضع صورته المنحوتة على النصب التذكاري للسد العالي)، ولكن هذه المحاولات تتكشف بسهولة شديدة»... فبعد عشرات السنين من الحفريات، واستخدام تفاصيل من الكتاب المقدس للبحث عن بقايا هذه المباني [الإسرائيلية القديمة] هناك اتفاق علمي يظهر ببطء، وعلى استحياء شديد بين علماء الآثار في إسرائيل الحديثة، على أن هذه المباني لم توجد قط أو أن هناك بقايا المباني ولكن لا يمكن إرجاعها إلى زمن سليمان [٣٣]، على حد تعبير الكاتب اليهودي جون روز في حديثه عن محاولات علماء الآثار الإسرائيليين الدؤوب للعثور على أي آثار تؤكد وجود «إسرائيل القديمة». وإزاء هذا الموقف، واجه علم الآثار الإسرائيلي أزمة خانقة اضطرته إلى «... التخلص من الفروق المهمة بين المواقع الكنعانية والمواقع الإسرائيلية. فعند نقطة ما من المحطات الزمنية، بعد الرواية الخيالية الواردة في الكتاب المقدس عن المملكة الوهمية المعروفة بمملكة داود وسليمان المتحدة، وربما بعد قرنين من الزمان، في ما بين سنة ٨٠٠ ق.م. وسنة ٧٠٠ ق.م.تقريبا، ظهرت هوية تاريخية تحمل اسم إسرائيل، على الرغم من أنها كانت فى تجسدها الأول هوية وثنية متمايزة، لها إله وثني هو «يهوه» وربة وثنية هي «عشيراه»» [٣٤]. وفي رأي الأثري الإسرائيلي البروفيسور «رئيف هرتزوج» [٣٥] أن أي محاولة للتساؤل عن إمكان الاعتماد على الأوصاف الوردة في الكتاب المقدس سوف تؤخذ على أنها محاولة لتقويض «حقنا التاريخي في الأرض»، وعلى أنها تحطيم لأسطورة الأمة التي تحدد مملكة إسرائيل القديمة. هذه العناصر الرمزية تشكل مكونا حاسما في بنية الهوية الإسرائيلية من الواضح أنها تمثل تهديدا لا يحتمل، ومن الأنسب أن نغمض عيوننا...».

هنا نحن أمام نموذج فج لمحاولة استغلال الآثار في تزوير التاريخ، وعندما انكشفت هذه المحاولة، لم يتردد أحد كبار الأثريين الإسرائيليين في المطالبة بأن «... نغمض عيوننا»، لأن الحفريات أثبتت أن كل الآثار التي اكتُشفت كنعانية «وليست إسرائيلية، كما أن جهود الأثريين فشلت تماما في شرح أصول الكتاب المقدس[٣٦].

وعلى الرغم من أن هذا النموذج يؤكد صعوبة تزوير الآثار، فإن هناك خطرا آخر يمكن أن ينشأ من الاعتماد على الآثار دون دراستها بشكل نقدي، في ضوء المصادر التاريخية الأخرى. ففي كثير من الأحيان تعطي الآثار انطباعا زائفا عن التاريخ في فترة ما. وربما نجد في مثال الآثار الباقية من فترة عصر سلاطين المماليك خير شاهد على هذا. فالنظر إلى آثار العصر الباقية في رحاب القاهرة التاريخية يجد - بسهولة - أن معظمها من الآثار ذات الوظيفة

الدينية والعلمية والاجتماعية، فالمساجد الكبرى، والمدارس والأسبلة، والزوايا والخوانق (الخانقاوات) والبيمارستان المنصوري (المستشفى الذي بناه السلطان المنصور قلاوون) يمثل النسبة الغالبة بين آثار ذلك العصر. ولا يمكن بطبيعة الحال، أن نغض الطرف عن الآثار التي تخلفت عن المباني العسكرية، والتجارية (مثل الوكالات والخانات والقياسر)، بيد أنه في الوقت الذي تعبِّر الآثار الباقية للمباني ذات الوظيفة العسكرية، أو المؤسسات التجارية الاقتصادية عامة، عن حقائق تاريخية تؤيدها المصادر التاريخية الأخرى، فإن آثار المؤسسات ذات الوظيفة الدينية قد ترسم في أذهاننا صورة تاريخية «زائفة» عن ذلك العصر. وربما يكون الانطباع الأول عن ذلك العصر، من خلال تلك الآثار، صورة مجتمع متدين يحكمه سلاطين متدينون، وهو أمر يخالف حقيقة ذلك النظام السياسي الذي قام على مبدأ «الحكم لمن غلب»، والذي كانت الصراعات الدموية نغمته الأساسية، كما أن فترات كثيرة من تاريخه شهدت نوعا من العلاقة النهبية بين الحكام والمحكومين (٣٧).

هذا المثال يمكن أن ينطبق على أماكن أخرى في عصور تاريخية أخرى، والأمثلة كثيرة على هذا. بيد أن هذا لا يمكن أن يعد نوعا من «تزوير التاريخ»، بل ولا يمكن اعتباره تزييفا لبعض المصادر التاريخية. وإنما يمكن للقراءة المتسرعة للآثار أن تعطي «صورة تاريخية زائفة» عن عصر ما.

فهل يمكن تزوير التاريخ؟

إن الإجابة عندي بالنفي، إذا كان المقصود هو المعنى الأكثر انتشارا لمصطلح التاريخ وفق ما أشرنا في الصفحات السابقة. وليس معنى هذا أن التاريخ سيظل محصنا ضد التزوير والتزييف، ولكن ما نقصده هو أن التاريخ، كما حدث، «سيظل موجودا هناك، حيث يجده من «يبحث» عنه. وربما تكون الميزة الأساسية للتاريخ أنه لا يمكن استهلاكه مرة واحدة أو عدة مرات، وإنما تمكن معاودة «قراءته» بصورة متكررة، لا متناهية، مرات ومرات بحثا عن الرموز الملهمة أو الأصول، أو الأسس، أو غيرها. فإذا حدث التزوير في واحدة من هذه «القراءات»، فإن ذلك لا يعني نهاية البحث التاريخي، كما أنه لا يعني في الوقت ذاته نهاية القراءات المنحازة، أو المزيفة.

وربما يقوم دليلا على ذلك، تلك المراجعات التي تتم بشكل مستمر للرواية الصهيونية عن إسرائيل القديمة، من ناحية، وفشل محاولات تغييب التاريخ الفلسطيني أو إسكاته من ناحية أخرى. بل إن أسطورة «الهولوكوست» قد أصبحت ثوبا متعدد الثقوب، وتهرأ بحيث تحاول الصهيونية واليمين الأمريكي إبقاءها على قيد الحياة، من خلال ذلك المشروع الذي تزمع الولايات المتحدة الأمريكية تقديمه إلى مجلس الأمن الدولي لـ «تجريم» محاولات التشكيك في الهولوكوست أو إنكارها.

أوليس هذا دليلا ساطعا على قوة «التاريخ» الذي يقف مستعصيا على كل محاولات التزوير؟!

إن التاريخ ليس ملكية خاصة يمكن التصرف فيها كما يشاء المالك، والتاريخ ليس سلعة قابلة للغش أو التزوير، أو البيع والشراء. ذلك أن التاريخ «يحدث» مرة واحدة حقيقية، ولا يمكن استرجاع ما حدث وتبديله. فالتاريخ ليس تجربة معملية يمكن إعادتها بنفس معادلاتها، أو بعد تغييرها، إذ إن أحداثه تبقى في محطاتها الزمنية تحمل بصمة الإنسان في مسيرته الحضارية على كوكب الأرض، ولا يمكن تزوير أي من هذه الأحداث فضلا عن تزوير التاريخ كله.

أما ما هو ممكن، ويحدث بالفعل، فهو «الشهادة الزور» حول هذه الأحداث من جانب بعض «المصادر» التاريخية (سواء في كتابات المؤرخين المعاصرين من شهود العيان، أو الآثار والوثائق، أو الدعايات السياسية... وما إلى ذلك). ومن حسن الحظ أن البحث التاريخي لا يعترف بـ «المصدر الثقة»، وإنما يجب إخضاع كل المصادر التاريخية للنقد، والدراسة والتحقيق. ومن ناحية أخرى، فإن «القراءات» المنحازة، والمزيفة (بكسر الياء) للتاريخ تجعل البعض يظنون أن هذا «تزوير للتاريخ» على خلاف الحقيقة. فلو أمكن تزوير التاريخ ذاته لما كانت هناك ضرورة للبحث العلمي في مجال الدراسة التاريخية. وتتمثل المراجعات التي جدت في العقود الأخيرة من القرن العشرين وحتى الآن، في مجال التاريخ العثماني، مثلا، في عشرات البحوث التي عدلت «القراءة الاستشراقية» للتاريخ العثماني، والتي سادت طوال القرن التاسع عشر والقرن العشرين على أقل تقدير. وقد نجحت هذه المراجعات، أو القراءات الجديدة لسبب بسيط هو أن «التاريخ» هناك سيجده من «يبحثون» عنه. فلو كان قد تم تزويره لما أمكن الخروج بقراءات جديدة مختلفة. ومن ثم، فإن إمكان القراءة، وإعادة القراءة، يظلان قائمين لأن التاريخ الحقيقي يظل موجودا ولا يمكن تزويره.

خلاصة القول، إذن، إن تزوير التاريخ مستحيل. أما القراءات المنحازة والمزيفة فهي ليست تاريخا، وإنما هي تزييف للوعي والإدراك، ومن المحزن أن هذه القراءات المنحازة هي التي تنتشر بسهولة بين عامة الناس، لأن القوى السياسية، أو الاقتصادية، التي توظفها تملك أدوات نشرها وفرضها، ولاسيما بين الجماهير التي لا تعرف شيئا عن تاريخها، أو تعرف عنه النزر اليسير بسبب فقر المناهج الدراسية في المدارس، وفي الجامعات. وهذه هي المشكلة التي نرى آثارها واضحة في البلاد العربية عامة. إن معالجة مشكلات تدريس التاريخ في المدارس والجامعات يمكن أن تحول دون تزييف الوعي بالتاريخ، وتزييف الوعي هو الأشد خطورة، لأن البحث التاريخي سيظل وقفا على الباحثين.

الهوامش

1 عن مشكلة معنى التاريخ لغة واصطلاحا انظر: السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة التعليق دكتور أحمد صالح العلي، بغداد ١٩٦٣ م)، ص ١٤ - ص ١٦، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١ (إسطنبول ١٩٤١ م)، ص ٢٧١ وقد اهتم كل منهما بآراء المؤرخين العرب الأوائل حول موضوع أصل كلمة تاريخ. انظر أيضا حول هذا الموضوع:
قاسم عبده قاسم، فكرة التاريخ عند المسلمين - قراءة في التراث التاريخي العربي (دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١ م)، ص ١٣ - ص ٢٢.

2 Gawronski, Donald V. , History, Meaning and Method, (U.S.A. 1969) p.1; Gordon Child, What Happened in History? (Pelican Books 1972), pp. 3-54

3 قاسم عبده قاسم، فكرة التاريخ عند المسلمين، ص٢٣ و٢٤.

4 هناك الكثير من الأمثلة الدالة على هذه المحاولات الصهيونية، انظر عن ذلك:
قاسم عبده قاسم، القراءة الصهيونية للتاريخ - الحروب الصليبية نموذجا، (كتاب الهلال، العدد ٦٤٩، يناير ٢٠٠٥ م)
Leon Poliakov , The History of Antisemitism, (transl . form French by : R. Howard, New York 1974; Alan Davies , Antisemitism and the Christian Mind . New York 1969 ;Olwen Hufton, " What is Religious History Now ?",in David Cannadine (ed.), What is History Now ? (Palgarave Macmillan 2002) , pp 57 -80 .

5 حامد ربيع، دراسات أساسية حول الصهيونية وإسرائيل (سلسلة الثقافة الفلسطينية، دمشق ١٩٧٣ م) ص ١١.

6 هناك كتابات مدهشة قام بها باحثون ومؤرخون يهود لكشف زيف هذه الأساطير وفضح التزوير الصهيوني للتاريخ، انظر:
كيث وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة - إسكات التاريخ الفلسطيني (ترجمة الدكتورة سحر الهنيدي، ومراجعة الدكتور فؤاد زكريا، عالم المعرفة ٢٤٩، ستمبر ١٩٩٩ م).
جون روز، أساطير الصهيونية (ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤ م)

7 Linda Colley, “What is Imperial History Now? In: David Connadine, (ed) What is History Now?, Palgrave, Mc Millan 2002, pp.133 - 147.

8 عماد بدر الدين أبو غازي، «وثائق الحضارة العربية» في: خالد الكركي (محرر)، التاريخ وتحديات المستقبل - تأملات حضارية (الموسم الثقافي لمؤسسة عبد الحميد شومان - عمان الأردن، ٢٠٠٥)، ص١ و٢.

9 نفسه، ص١ و٢.

10 نفسه، ص ٢.

11 انظر على سبيل المثال الأوامر التي كان يصدرها سلاطين المماليك في مصر والشام لمنع أهل الذمة من اليهود والنصارى من ارتداء العمائم البيضاء من دون الإشارات الدالة على ديانتهم.
قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك -دراسة وثائقية، (دارعين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٣ م القاهرة)، ص٧١ - ص ٧٤.

12 نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط: قصة حضارة - البداية والنهاية، (ترجمة قاسم عبده قاسم، دارعين للدراسات والبحوث، الطبعة الخامسة ١٩٩٧ م) ج١، ص , ٢٥٤

13 يعتمد كاتب «هبة قسطنطين على أسطورة القديس سيلفستر St. Sylvester التي أشار إليها جريجوري التوري في كتابه «تاريخ الفرنجة». وتحكي هذه الأسطورة أن البابا عالج الإمبراطور قسطنطين من مرض الجذام، ورد قسطنطين جميله بأن عينه أسقفا على العالم، كما تنازل له عن جميع سلطاته وعن تاجه الإمبراطوري. ورمزا لخضوع الإمبراطور للبابا، قام بمهمة سائس للفرس الذي يركبه البابا. وفي مقابل ذلك التكريم تقول الأسطورة إن البابا أعاد للإمبراطور تاجه. ومغزى هذه القصة ببساطة أن البابا يسمو بسلطته على جميع الملوك والأباطرة في الغرب ومن حقه تعيينهم وعزلهم، انظر:

كانتور، التاريخ الوسيط، ج١، ص٢٥٤ - ٢٥٦.

14 Southerm,R.W.,the Making of the Middle Ages, (London 1973), (1) pp. 96 -97 .

15 قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر، ص١٣ - ١٥، ص١٩٩ - ٢٠٣.

16 جون روز، أساطير الصهيونية (ترجمة قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية القاهرة ٢٠٠٦ م)، ص٢٣ - ص٢٤.

17 نفسه، ص٢٤.

18 قاسم عبده قاسم، في تطور الفكر التاريخي (دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٤م)، ص١٨٩ - ١٩١.

19 فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر (ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٣م).

20 قاسم عبده قاسم، في تطور الفكر التاريخي، ص١٩٠ - ١٩١.

21 عنوان مقال كتبه دانيال بايب في مجلة National Review

" The Muslims are Coming ! The Muslims are Coming" November 19,1990, pp.:231

22 Edward Said , Covering Islam (New yor; : Pantheon 1981) p. 136.

23 جون ل. أسبوزيتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟ (ترجمة قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ٢٠٠٢ م) ص٢٩١ - ٣٩٣، حيث يناقش موضوع صدام الحضارات من وجهة نظر الغرب والإسلام بتفصيل شديد.

24 Bernard Lewis , " The Roots of Muslim Rage " Atlantic Monthly, September 1990.

25 Ibid , pp.2-ff

26 Lewis, " Roots of Muslim Rage, " pp. 56-60.

27 Samuel P.Huntington, " The Clash of Civilizations ", Foreign Affairs 72, no.3 (Summer 1993).

28 Ibid , pp. : 22,39 .

29 Ibid,p.26.

30 أسبوزيتو، التهديد الإسلامي، ص٣١٢ - ٣١٨.

31 Huntington , "Clash of Civilizations " ,pp.45? 48 .

32 Samuel P. Huntington , the Clash of Civilization and the Remaking of World Order (New York : Simon and Schuster,1997), pp.77,p.258 .

انظر الترجمة العربية بعنوان:

صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي (ترجمة: طلعت الشايب، دار سطور، القاهرة ١٩٩٨، الطبعة الثانية)

33 جون روز، أساطير اليهود الصهيونية، ص ٣٩.

34 نفسه، ص ٤٢ .

35 في مقال بعنوان:

Deconstructing the Wall of Jericho " , in Ha'aretz Magazine 29 October, 1999, pp 6-8 "

36 عن هذا الموضوع انظر:

Finkelistein and Silberman, the Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of its Sacred Texts, (2002).

37 لمزيد من التفاصيل عن هذا العصر، انظر: قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي (دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م).

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

الشك في الوثائق الرسمية

الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي نموذجا

د. عبدالمالك خلف التميمي (*)

ينسب عدد من المؤرخين إلى بعض فراعنة مصر القدامى أنهم كانوا يمحوون ما سبق أن حفره أسلافهم، ويعيدون كتابة بعض الأحداث، ناسبين إلى أنفسهم معارك لم يخوضوها وانتصارات لم يحرزوها، وأعمالا لم يقوموا بها سواء كان طمسا لأعمال حكام سابقين عليهم، أو انتحالا لفضل لا حق لهم فيه.

وفي الثلث الأول من القرن العشرين، بعد أن مات لينين قائد الثورة الروسية، دار صراع عنيف على السلطة من بعده بين أبرز رفيقين له، وهما ستالين وتروتسكي، انتهى بانتصار ستالين وطرد تروتسكي، وعرفنا أن ستالين عاد إلى وثائق الثورة بسلطة الدولة، يمحو منها كل عمل مهم قام به تروتسكي للثورة، وظهر من الكتب ودوائر المعارف طبعات جديدة تعيد شرح الأحداث بطريقة أخرى تمحو أثر تروتسكي، أو تشوه دوره، حتى اللوحات الزيتية التي رسمها الرسامون لأحداث الثورة، التي علقت على المتاحف العامة، أعيدت الريشة إليها لتمحو وجه تروتكسي، بل إن عددا من الصور الفوتوغرافية المهمة في الأرشيف أجريت عليها تعديلات في الاتجاه ذاته، لقد أُعيدت كتابة التاريخ بصورة واحدة، وحدث هذا من قبل السلطات، لذلك من الطبيعي أن يشك الناس في كل ما هو تاريخ رسمي» [1].

نحن بصدد البحث في مسألة شائكة هي «الشك في بناء الوثيقة»، في نصها ومضمونها، وأيضا إلى حد ما في تفسيرها وظروف استخدامها. في هذه الورقة محاولة لمعالجة هذا الموضوع منطلقين من دوافع كتابة الوثيقة، والظروف التي أثرت في كتابتها، وكيفية توظيفها، ذلك من الجانب النظري، على أن الأمر يحتاج إلى

(*) أستاذ التاريخ الحديث قسم التايخ - كلية الآداب - جامعة الكويت - دولة الكويت.

جانب تطبيقي، لذا فقد اخترنا له نماذج من بعض الوثائق البريطانية الرسمية عن منطقة الخليج، كتبت في الفترة الاستعمارية لأغراض تطلبتها ظروف السيطرة والمصالح البريطانية.

بعد تعريف الوثيقة يناقش هذا البحث دوافع كتابتها ويتساءل: هل الوثيقة نص مقدس؟ بمعنى أنه هل ينبغي التسليم بمحتواها على أنها نقلت الحقيقة لكونها وثيقة تاريخية؟ وأكد البحث أن ذلك يجب ألا يكون إلا بعد التأكد من هويتها وأصالتها ومدى صدقيتها، وهذا لا يكون إلا بالشك في مضمونها إلى أن يتم التأكد من صحة ما جاء فيها .

وصُنِّفَت دوافع كتابة الوثيقة التاريخية إلى: الدوافع السياسية والأيديولوجية، والمصلحية والاقتصادية، الفردية والاجتماعية، ومن ثم الدوافع العلمية.

وأعطى البحث أهمية للظروف المؤثرة في كتابة الوثيقة، على أن مراكز القوى والسلطة في كل عصر تلعب دورا أساسيا في كتابة الوثائق الرسمية، مدللا على ذلك بما احتوته الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي؛ فالسلطات البريطانية قد كتبت المعاهدات والاتفاقيات الخاصة بالمنطقة، كما احتوى البحث تحليلا لمراسلات المسؤولين البريطانيين عن منطقة الخليج في أثناء استعمار بريطانيا لها، وعن الوقائع التاريخية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من منظور بريطاني رسمي.

والبحث ينقد الوثيقة التاريخية الرسمية البريطانية بمنهج تحليلي يقوم على الشك في ما احتوته الوثائق؛ لأن القوى المسيطرة والمتنفذة قد كتبت تلك الوثائق بما يتلاءم ومصالحها وتوجهاتها، إذ إنها تحتوي على كثير من الحقائق، لكن من المؤكد أن تلك القوى لا تكتب ما يتعارض مع مصالحها، وذلك يعني أن هناك ما يمكن تسميته المسكوت عنه في التاريخ . وتوقف البحث عند محتوى بعض الوثائق حيث كانت المبالغة فيها عن بعض الأحداث لغرض توظيفها سياسيا، على سبيل المثال ما يتعلق بمنع تجارة الرقيق في المنطقة، أومنع تجارة السلاح وغيرهما. كما ركز على الانحياز في الموقف البريطاني من سير بعض الأحداث والقوى المحلية المؤثرة فيها، حيث توقف الأمر على مدى قرب تلك القوى أو بعدها من القرار والسياسة البريطانية، خصوصا في موضوع النزاع حول الحدود في المنطقة، على سبيل المثال، إضافة إلى ذلك أكد البحث على مسألة عدم التكافؤ بين القوى التي وقعت على تلك الوثائق في الفترة الاستعمارية.

ومشكلة موضوع البحث أنه ليست هناك وثائق محلية أو أخرى محايدة قد كتبت في الفترة نفسها عن الوقائع التي احتوتها، مقارنة بما كُتِب رسميا في الوثائق الأخرى المكتوبة، التي ليست بريطانية، وسنقف عند المشكلة نفسها، وهي أن القوى المسيطرة والسلطات هي التي كتبتها، وسنطبق عليها ما يمكن قوله عن الوثائق البريطانية الرسمية.

تعريف الوثيقة

إن تحديد المعنى الدقيق للوثيقة يُسهِّل عملية الدخول في دراسة هذا الموضوع، فهناك المعنى اللغوي والمجازي اللفظي، والمفهوم والمضمون، بيد أن ما يهمنا هو التعريف العام للوثيقة كما تَعارف عليه المؤرخون: «إن الوثيقة هي الأصل الذي يبرهن على وقوع الحدث، فقد تكون مكتوبة أو آثارا، أو مسكوكات أو غيرها، والوثيقة هي المرجع الأصلي للحدث التاريخي» (٢).

والوثيقة هي مادة أساسية في إرجاع الحقائق إلى مصادرها الرئيسية تقابل لفظ Document باللغة الإنجليزية، وتعني بالنسبة إلى المؤرخ المرجع الذي يعتمد عليه في تدوين كتابته التاريخية، والسند الذي استند عليه في نقل المعلومة أو الخبر .

وقد تكون الوثيقة مكتوبة مثل: الوثائق الرسمية أو وثائق الزواج أو التملك، وقد تكون غير مكتوبة مثل الأحجار وقطع المعادن، والفخار، والأخشاب، والمسكوكات، وشواهد القبور وغيرها. ويمكن القول إن التاريخ يُصنع من الوثائق التي هي الآثار التي خلفتها أفكار أو أعمال السلف، وهي المصدر الأساسي وربما الوحيد للمعرفة التاريخية (٣) .

وقد تعارف المؤرخون على أن مصادر التاريخ القديم هي الآثار، ومصادر العصور الوسطى الإسلامية هي المخطوطات، ووثائق التاريخ الحديث والمعاصر هي الوثائق المكتوبة، لكن هذه جميعها وثائق، سواء أكانت مادية أم مخطوطة أم مطبوعة، تضاف إليها الرواية الشفوية، فالتاريخ الشفاهي قد سجل كثيرا من المعلومات التاريخية التي لم تتناولها الوثائق، وأضاف معرفة تاريخية مهمة، وسدّ فراغات في ذلك التاريخ، كما صحح كثيرا من المعلومات، بيد أن الخطورة في هذا النوع من الرواية هي العامل الذاتي، الذي قد يطغى على الموضوعي في وصف الواقعة التاريخية في سياقها وظروفها وحجمها الحقيقي.

دوافع كتابة الوثيقة

«إن المؤرخ يؤمن بأن الكلمة المكتوبة - أي المستندات والوثائق التي بين يديه - قد لا تعطي الحقائق كما وقعت، وإنما كما أريد لها أن تُعرف بسياسات خاصة أو أهواء خاصة، ومن ثم فالمؤرخ يكدّ ليقرأ ما بين السطور، كما يكد ليستقرأ العوامل الخفية التي قد تجلي الحقيقة، أنه يخضع الوثائق والمستندات إلى نقد علمي رصين» (٤).

ولعل السؤال التالي يصبح مشروعا: هل الوثيقة مقدسة؟ بمعنى هل ينبغي أن نسلم بمحتواها على أنها نقلت لنا الحقيقة لكونها وثيقة تاريخية؟ لا يعتد بالوثيقة أو تُقدَّس إلا بعد أن تُفحص علميا لتتأكد هويتها وأصالتها وصدقيتَها، وينبغي الحذر الدائم إزاء الوثيقة مهما كثرت الفحوص ونتائجها. كما ينبغي الميل إلى الشك فيها حتى يتم التأكد من صحة ما جاء فيها (٥).

قد تكتب الوثيقة بصيغة معينة حسب الغرض من كتابتها، وقد يكون ذلك سياسيا أو عقائديا أو اقتصاديا أو اجتماعيا؛ لذا يتطلب الأمر معرفة طبيعة الظروف القائمة وبيئتها في أثناء كتابة الوثيقة، وأحيانا كثيرة تكتب الوثيقة بعد وقوع الحدث بفترة من الزمن - قد تطول أو تقصر - وهنا يكون الأمر أكثر تعقيدا، خصوصا إذا كانت مثل هذه الوثائق هي الوحيدة التي تناولت حدثا بعينه، وتكون مهمة الباحث في هذه الحالة أكثر صعوبة في التفتيش الدقيق في الكم الهائل من الوقائع والظروف في زمن وقوع الحدث، الذي تناولته الوثائق، بالإضافة إلى تأثير التغير في الظروف والزمان في بناء الوثيقة وصياغتها وإخراجها.

لقد تنوعت دوافع كتابة الوثيقة التاريخية لتشمل الميادين التالية:

أولا: الدوافع السياسية والأيديولوجية

لا يختلف اثنان على أنه من بين الأهداف الاستعمارية في منطقة الخليج العربي أو غيرها كانت الأهداف السياسية؛ لأنها الوسيلة التي توصل القوى الاستعمارية إلى الأهداف الأخرى وأهمها الاقتصادية. فعندما كانت بريطانيا تسعى إلى توقيع معاهدات مع حكام منطقة الخليج العربي، منذ نهاية القرن الثامن عشر، لأهداف سياسية لمواجهة منافسة القوى الدولية الأخرى لها، ولتثبيت وجودها في المنطقة، احتوت تلك المعاهدات على أمور غير سياسية لتحقيق أهداف سياسية مثل: التعاون مع السلطات البريطانية على محاربة تجارة الرقيق في المنطقة تحت مبرر الاعتبارات الإنسانية، ومحاربة القرصنة. أما الأهداف الأيديولوجية فإن أصحاب التيارات الفكرية كانوا يوثقون نشاطاتهم لبلورة فكرهم، والعمل على مقارعة الأيديولوجيات الأخرى، فقد كان للاستعمار أيديولوجية توسعية استيطانية اقتصادية عمل من أجلها طويلا.

إن التوسع الاستعماري في الشرق، في التاريخ الحديث، كان لأغراض تجارية، لكن ذلك لن يتحقق مالم يرتكز مثل ذلك التوجه على فكر وسياسة إمبريالية في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية موقعا وموارد بدأها البرتغاليون ومن ثم الإنجليز والهولنديون، فالفرنسيون إلى أن تحقق الاحتكار البريطاني لمناطق مهمة في الشرق مثل: شبه القارة الهندية ومنطقة جنوب الجزيرة والخليج العربي لمدة زمنية طويلة امتدت منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى نهاية الستينيات من القرن العشرين. وكانت الوسيلة لتلك الهيمنة الأوروبية شركات الهند الشرقية الإنجليزية والهولندية والفرنسية، وعلى الرغم من المنافسة بين تلك الشركات ومن ورائها دولها، فإن اتجاها استعماريا عاما كان يشكل المنهج الذي كانت تمارسه تلك القوى، فقد كان يغلب على تعاملها التنسيق والتحالف حول السيطرة على السلع الاستراتيجية التي تتطلبها السوق الأوروبية والعالمية ومنشؤها في الشرق، ونقلها عبر ممرات بحرية مهمة مثل المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر. وخلال الاحتكار البريطاني للنشاط السياسي والتجاري، في منطقة الخليج العربي، أوجدت السلطات البريطانية أعذارا، وطرقا، ومبررات

للسيطرة والاحتكار، أساسها محاربة القرصنة في المحيط الهندي والخليج، ومحاربة تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة! وقد بالغت في تصوير مخاطر تلك الأنشطة حتى توجد مبررات تغلغلها وهيمنتها، وكان لها ما أرادت طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين (٦).

ثانيا: الدوافع المصلحية والاقتصادية

عندما بدأت حركة الكشوف الجغرافية في بداية القرن السادس عشر، ووصل البرتغاليون إلى الشرق وإلى منطقة الخليج العربي كان مسعاهم لأهداف اقتصادية، وهو الوصول إلى مناطق الذهب في أفريقيا، والتوابل في شبه القارة الهندية، والسيطرة على الطرق التجارية في الشرق، وتطلب ذلك السيطرة على مناطق استراتيجية في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر. وكان لابد من أن يوثقوا ويدونوا نشاطاتهم تلك، وهذا ينطبق على الاستعمار الأوروبي بعد الثورة الصناعية ووصوله إلى هذه المناطق. لقد كتب المسؤولون الأوروبيون مراسلاتهم، وسجل الرحالة الأوروبيون يومياتهم عن منطقة الخليج، كما كتب قادة النشاط التجاري وثائقهم، سواء ما يتعلق بعلاقاتهم مع السلطات الاستعمارية، أو علاقاتهم مع أقرانهم أو أعدائهم. وهكذا كتبوا وثائق تتعلق بالجانب الاقتصادي وغيره. وتعج دور الوثائق بكم هائل من الوثائق التي كتبها متنفذون في حكومات تلك الدول تعنى بمصالحها الذاتية من جانب، وكذلك الحكام المحليون في منطقة الخليج العربي، شأنهم شأن الآخرين الذين أتيحت لهم فرصة توثيق تاريخهم بالصورة التي كانوا يريدونها.

إن أهم ما كان يميز الخليج العربي أنه ممر ناقل لسلع استراتيجية مصدرها ومنشؤها خارج هذه المنطقة مثل: التوابل والذهب والأسلحة، والمواد الغذائية خاصة الأرز والسكر والشاي، إضافة إلى الحرير والخيول ولم يكن الخليج العربي يصدِّر قبل النفط إلا اللؤلؤ الطبيعي (٧).

مشكلات الوثائق الرسمية

أولا - المبالغة

يوجد في دور الوثائق البريطانية كم هائل من الوثائق الرسمية البريطانية عن منطقة الخليج العربي، من بينها وثائق تتعلق بمنع تجارة الرقيق في المنطقة في فترة استعمارها لها. وبدراسة تلك الوثائق نكتشف أن السلطات البريطانية في شبه القارة الهندية والخليج العربي قد بالغت في تصوير تلك التجارة على أنها تشكل ظاهرة خطيرة تجب محاربتها، وهي لم تكن كذلك، والتبرير لحملتها تلك، كما كانت تدعي، هو الاعتبارات الإنسانية لتطبيق إجراء منع هذه التجارة، ولكن قرارها في الحقيقة جاء لتحول في الواقع الاقتصادي الأوروبي من الزراعة في عصر الاقطاع - حين كانت تعتمد على القوة البدنية - إلى الصناعة، بعد الثورة الصناعية منذ ستينيات القرن الثامن عشر، وإن منع

السلطات البريطانية لتجارة الرقيق في منطقة الخليج كان جزءا من تبرير تدخلها في المنطقة، ولنلق نظرة على بعض تلك الوثائق والكتابات البريطانية حول هذه التجارة ونتأملها.

١ - تتحدث الوثيقة رقم R\15\1\203، وهي مخطوطة رسالة من المقيم السياسي في الخليج إلى الشيخ صقر بن زايد حاكم أبوظبي مؤرخة في ١٩٢٤م - ١٣٣٥ هـ، جاء فيها: إن مجموعة من عائلة الكارواني خطفوا زوجة وابنتها وولدها من البلوش وباعوهم في أبوظبي، ويطلب فيها من الحاكم وبقية حكام الساحل العماني إلقاء القبض على هؤلاء المتاجرين بالعبيد، ومنع هذه التجارة في أراضيهم. كما كتب إلى حكام أم القوين ودبي بخصوص الموضوع نفسه، وذكر أن الخاطفين يبادلون المخطوفين بالسلاح، ويطالب بإلقاء القبض عليهم[٨] (انظر الوثيقة - رقم ١).

وهناك وثيقة تحمل رقم R\15\1\229 من القنصلية البريطانية في أبوشهر، مؤرخة في ٣٠ يناير ١٩٢٧ موجهة إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج، موضوعها أن ولدا هنديا قد اختُطف (سرق) في أبوظبي، يطلب مرسلها إبلاغ شيخ أبوظبي بالموضوع، والمتابعة حول المسألة، وأن الولد اسمه نورو، وقد بيع إلى رجل نجدي، وهو بدوره باعه إلى شخص آخر من أبوظبي، ويطلب التحري لأخذ الولد وتسليمه إلى المقيم في الشارقة، واعتقال الذي اشتراه من رعايا حاكم أبوظبي [٩] (انظر الوثيقة رقم ٢).

وتذكر وثيقة ثالثة (مخطوطة) رقمها R\15\1\200\2015، صادرة من مساعد وزير الخارجية في حكومة الهند إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج بتاريخ ٩ يونيو ١٨٩٨ م، بشأن حجم تجارة الرقيق في مسقط، والتحذير من خطورتها وضرورة مواجهتها، وفي نهايتها يضع كشفا بأعداد وأسماء وأعمار العبيد المتاجر بهم، وعددهم عشرة، وأعمارهم ما بين ١٢ و ٣٢ سنة، امرأتان وثمانية رجال، وتذكر الوثيقة (تقرير) أن إجمالي عدد العبيد المتاجر بهم في سنة ١٩٠٠هو ١١، وفي سنة ١٩٠١ كان عددهم ٩، حددتهم في أشهر معينة. وهناك خارطة لطرق تجارة الرقيق، وأماكن ممارسة هذه التجارة في البحر الأحمر والخليج العربي والجزيرة العربية، توضح مصادر هذه التجارة، وأسواق تجارتها من الساحل الأفريقي، بالطرق البرية والبحرية، عبر الجزيرة العربية والخليج من السواحل الأفريقية ومن بلوشتان وباكستان إلى الساحل الفارسي من الخليج، ثم عبر الخليج إلى بعض إمارات المنطقة [١٠] .

وبتقييم هذه المعلومات نستنتج الآتي:

١ - إن عدد العبيد الذين اختطفوا أو تمت المتاجرة بهم كان قليلا.

٢ - إن السلطات البريطانية قد عمدت إلى تضخيم تجارة الرقيق في منطقة الخليج، وانشغل بريدها لفترة طويلة بهذه القضية وأوصلتها إلى حد الظاهرة.

٣ - لقد تضمنت الاتفاقيات مع حكام المنطقة قضية منع تجارة الرقيق لأهداف سياسية؛ لذا نلاحظ المبالغة التي كانت تضفيها السلطات البريطانية على هذا النوع من التجارة في المنطقة ودورها في مواجهتها.

٤ - قد يكون من بين الدوافع أيضا تصوير العرب والمسلمين على أنهم يتاجرون بالبشر لتشويه صورتهم، لكن بالرجوع إلى التاريخ نجد أن الغربيين هم أول وأكثر من مارس تجارة الرقيق، حتى في منطقة الخليج والشرق عموما، إذ كان الأوروبيون لهم دور في هذه التجارة في زمن منعها من قبل دولهم، وكان الأمريكيون ينقلون الأفارقة بسفنهم ليباعوا في الولايات المتحدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حتى بعد تحريم تجارة الرقيق أمريكيا وأوروبيا.

يقول كيلي إن السلطات الأمريكية، عبر قنصلها في زنجبار، كانت تعتقد أن بريطانيا تنافسها على المصالح التجارية في شرق أفريقيا بمحاربتها تجارة الرقيق، وحاولت الاتصال بسلطان مسقط ١٨٤٠م للتنسيق [١١].

ثانيا - التناقض

إن قراءة بعض الوثائق الرسمية البريطانية عن منطقة الخليج العربي توضح أمرا آخر، هو التناقض بين ما نصت عليه الوثيقة وبين ما جرى في الواقع الفعلي للإشكالية التي تتعرض لها الوثيقة هذا من جهة، ومن جهة أخرى التناقض في مضمون الوثيقة نفسها، أو عند مقارنتها بوثيقة أخرى من مصدر آخر.

إن ذلك النهج يفسر لنا ليس الارتباك لدى تلك السلطات أو عدم فهمها، وعدم اتساق سياساتها وكتاباتها بقدر ما يفسر تكيّف السياسة البريطانية في المنطقة مع الظروف حسب مصالحها مما اضطرها - أحيانا - إلى الوقوع في التناقض. فهي ضد الحركة الوهابية، ولكنها توقع مع ممثلها السياسي، عبدالعزيز بن سعود، اتفاقية دارين سنة ١٩١٥م، وهي ضد تجارة الرقيق في المنطقة، ولكنها تساهلت مع بعض أفراد الأسرة الحاكمة في عمان، الذين كانوا يتاجرون بالرقيق [١٢]، وهي ضد تجارة تهريب السلاح في المنطقة لكنها ليست ضد تجارة السلاح نفسها!

وضمن سياسات بريطانيا أيضا أنها جاءت لتخلص المنطقة من التخلف، لكنها أبقت على التخلف فيها، وهي لا تتدخل في الشؤون الداخلية للكيانات والأوضاع القبلية في المنطقة، لكنها تدخلت في كثير من الحالات، على سبيل المثال في النزاعات الحدودية، وفي النزاع على البريمي بين السعودية وعمان وأبوظبي، كذلك في الصراع بين آل خليفة والقبائل القطرية في قطر، في ستينيات القرن التاسع عشر... إلخ. (انظر الوثيقة المرفقة الخاصة بهذه القضايا - رقم ٣).

إن تجارة تهريب السلاح في المنطقة - كما تشير الوثائق البريطانية نفسها - هي أولا مقايضة بالعبيد، وهي ثانيا تجارة تهرب للتهرب من دفع الضرائب للسلطات البريطانية، وهي ثالثا محدودة التداول والأثر في المنطقة، لكن السلطات البريطانية كانت لها حساباتها السياسية والاقتصادية في طريقة محاربة هذه التجارة، التي كانت قائمة على المحافظة على الوضع الراهن ما دام يخدم تلك السياسات.

ثالثا - الانحياز

بعد أن شرعت السلطات البريطانية، منذ بداية القرن التاسع عشر، بالتدخل في شؤون منطقة الخليج العربي، إثر الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م، التي استفزتها فاعتبرت منطقة الخليج خط الدفاع عن مستعمراتها في شبه القارة الهندية، أخذت توقع المعاهدة تلو الأخرى مع حكّام الخليج، سواء كانت سياسية أو اقتصادية، كما أنها كانت عاملا فاعلا في عقد المعاهدات والاتفاقيات بين عدد من القوى المحلية، بحجة أنها تسعى إلى حل المشكلات بين هذه القوى، وهي في حقيقة الأمر كانت تريد تطبيق مبدأ المحافظة على الوضع الراهن مادام في مصلحتها، ويؤمِّن وجودها ومصالحها في هذه المنطقة. لقد تناولت بعض الوثائق البريطانية الرسمية - عن المنطقة التي كانت تشهد تدخلا بريطانيا واضحا - قضايا وإشكاليات عاشتها المنطقة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، تبين من خلالها انحياز بريطانيا إلى مصالحها على حساب القوى المحلية، أو انحيازها إلى طرف دون آخر، ولم تكن حَكَما محايدا بقدر ما كانت الطرف الرئيسي الذي يقرر وأحيانا يفرض على المتفاوضين رأيه، ويضعهم أمام الأمر الواقع بحكم ما كانت تمثله بريطانيا في ذلك الوقت من قوة وتأثير، ولأن حكام المنطقة كان همهم الأساسي هو الحفاظ على كياناتهم بالدرجة الأولى. فإن بين أيدينا بعض تلك الوثائق الدالة على ذلك الانحياز في عدد من القضايا والإشكاليات: في مسألة النزاع حول البريمي، وفي مسألة اتفاقية الحدود الثانية مع الكويت (العقير ١٩٢٢)، وفي الاتفاقيات النفطية في الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي ما يلي ملخص لبعض تلك الاتفاقيات :

مسألة النزاع بشأن منطقة البريمي

لقد نشب النزاع حول هذه المنطقة في ثلاثينيات القرن العشرين بين أبوظبي وعمان والسعودية، والسبب أهمية المنطقة لكونها منطقة نفطية وتقع على طرق التجارة البرية بين تلك الكيانات، ولتوافر مياه الآبار العذبة في واحتها، فقد تدخلت بريطانيا في النزاع، ومالت إلى الأطراف المتعاونة معها أو المتعاقدة معها، وفق معاهدات سابقة آخذة بعين الاعتبار مصالحها، وكانت منحازة في موقفها ولم تكن محايدة أو متوازنة .

وحول اتفاقية العقير (١٩٢٢م) المتعلقة بالحدود الكويتية فإن الموقف البريطاني كان منحازا، وفقدت الكويت جزءا من أرضها في الحدود الجنوبية، إذ اختلفت عما كانت عليه اتفاقية ١٩١٣م بين الإنجليز والعثمانيين. لقد كانت السلطات البريطانية تمثل الكويت في توقيع الاتفاقية، لكونها المسؤولة عن العلاقات الخارجية، وفق معاهدة الحماية (١٨٩٩م). والموقف البريطاني جاء في ظل تنافس أمريكي - إنجليزي على نفط السعودية والكويت. أما ما يتعلق بالاتفاقيات النفطية، فإن نصوص تلك الاتفاقيات، وسجل مفاوضات النفط بين الشركات النفطية البريطانية والحكومة الكويتية، يدلان على ذلك الانحياز (انظر الوثيقة رقم ٤) .

هذه أمثلة فقط نذكرها باختصار، في حدود المؤشرات الدالة على التحيز في الموقف البريطاني، الذي عبرت عنه الوثائق الرسمية البريطانية عندما نتأملها بمنهج الشك في الوثائق الرسمية، وهو كما ذكرنا منهج علمي ومشروع.

رابعا - عدم التكافؤ :

هل كانت الاتفاقيات والمعاهدات التي وقعتها بريطانيا مع المسؤولين في منطقة الخليج العربي بين أطراف متكافئة؟! إذا كانت جميع تلك الاتفاقيات والمعاهدات قد جاءت نتيجة ضغط تعرضت له تلك الكيانات، وبسبب مصالح بريطانيا، قبيل وفي أثناء سيطرتها على المنطقة فما هو المتوقع أن تحمله نصوص تلك الاتفاقيات والمعاهدات؟ البعض يرى أن المصلحة كانت مشتركة ومتوازنة، فبريطانيا كانت تسعى إلى مصالحها، وحكام المنطقة كانوا يسعون إلى الحفاظ على كياناتهم، هذا صحيح من الناحية النظرية، وصحيح عندما نقرأ ظاهر النصوص التي وردت في تلك الاتفاقيات والمعاهدات، لكن عندما نحللها ونقف على حقيقة مضامينها نجد أن الأمر أبعد من ذلك، وأن تلك الاتفاقيات والمعاهدات لم تُوقَّع بين قوى متكافئة وندية، بل كانت بين السلطات البريطانية وقوى محلية أضعف منها، أو أن بريطانيا كانت أحيانا توقع تلك الاتفاقيات مع نفسها نيابة عن بعض القوى المحلية. لنقرأ معا نصوص بعض الوثائق التي تظهر بوضوح عدم التكافؤ بين القوى التي وقّعت عليها. نذكر هنا ملخصا لبعض الاتفاقيات النفطية والمعاهدات السياسية :

١ - المعاهدة المبرمة بين حاكم الشارقة سلطان بن صقر القاسمي والسلطات البريطانية بتاريخ ٦ يناير سنة ١٨٢٠ جاء فيها :

مادة أولى: يقوم سلطان بن صقر بتسليم الجنرال ويليام جرانت الأبراج والبنادق والسفن الموجودة في الشارقة وعجمان وأم القوين وتوابعها، وسيترك الجنرال القوارب الخاصة بصيد السمك، أما بقية السفن فستكون في حوزة السلطان.

مادة ثانية : يقوم سلطان بن صقر بإطلاق سراح جميع السجناء الهنود إذا كان لديه أي منهم.

مادة ثالثة: لا يسمح الجنرال لجنده بدخول المدن .

مادة رابعة: بعد التقيد بهذا وتنفيذه يسمح للسلطان بأن يكون طرفا في معاهدة السلام

وبموجب هذه الشروط تتوقف العداوات. وأن قوارب أتباع السلطان لا يسمح لها بالنزول إلى البحر [١٣] (انظر الوثيقة رقم ٥) .

٢ - النص السابق نفسه - تقريبا - كان للمعاهدات اللاحقة مع حكام المنطقة، فقد نصت الاتفاقية الاستثنائية بين شيوخ ساحل عمان والحكومة البريطانية، الموقعة في ١٢ مايو ١٨٩٢م، على تعهد حاكم أبوظبي الشيخ زايد بن خليفة للسلطات البريطانية بعدم توقيع أي اتفاق مع أي دولة باستثناء بريطانيا، كما نصت على ممنوعات أخرى حول الأرض والرهن أو البيع لأي دولة غير بريطانيا، ووقع على النص نفسه شيوخ الساحل العماني الآخرين، دبي وعجمان والشارقة ورأس الخيمة وأم القوين [١٤] (انظر الوثيقة رقم ٦).

والنص لا يختلف كثيرا عن المعاهدة الكويتية البريطانية لعام ١٨٩٩م [١٥] (انظر نص المعاهدة - وثيقة رقم ٧).

وعندما نستعرض الاتفاقيات النفطية بين السلطات البريطانية وحكام المنطقة نجد عدم التكافؤ أكثر وضوحا؛ فبالرجوع إلى سجل مفاوضات النفط الكويتي مع الشركات البريطانية، نجد أن الشروط التي هي لمصلحة تلك الشركات غالبة على تلك الاتفاقيات. على سبيل المثال: نصت مسودة بنود امتياز هولمز/ المجموعة الشرقية العامة بتاريخ يوليو ١٩٢٨م على ما يلي:

«خامسا: تكون الشركة حرة غير مقيدة أن تصدر وتبيع وتتصرف بالنفط ومستخرجاته الذي تحوز عليه من الإقليم المسموح به إلى أي مكان أو شعب أو بلد قد ترغب في التصدير إليه أو البيع أو التصرف معه بالكيفية التي تراها ولا يتدخل الشيخ ولا أولئك الذين يعملون تحت إمرته فى الإدارة الداخلية للشركة، ولكن للشيخ الحق فى مراقبة أعمال الشركة بشكل عام، وتتعهد الشركة بأن تدفع له رسما جمركيا على جميع ما يصدَّر من النفط ومستخرجاته بواقع ١٪» كما نصت في تاسعا على ما يلي «يتمتع ممثلو الشركة في إقليم الكويت بالحصانة من التدخل المحلي، إلا بإذن من الشركة وفي المسائل التي تتعلق بهم وليس في المسائل التي يكون فيها رعايا الشيخ معنيين تكون الشركة مسؤولة عن سلوكهم أمام مجلس إدارتها» [١٦] (انظر النص باللغة الإنجليزية - وثيقة رقم ٨).

هذه بعض الأمثلة على الوثائق الرسمية البريطانية عن منطقة الخليج العربي، اخترناها ونحن نتعرض لمناقشة هذه الإشكالية، وهناك الكثير من هذه الوثائق التي تدفعنا إلى الشك في محتواها والغرض الذي كتبت من أجله، وكذلك في توظيفها في زمن معين وفي ظل ظروف بعينها. والشك في الوثيقة الرسمية البريطانية يدفعنا إلى السؤال عن الهدف الذي يجعل السلطات البريطانية والغربية - عموما - تضع شرطا زمنيا طويلا للكشف عن الوثائق

التاريخية لديها. لقد حُدِّدَ الوقت بمدة ثلاثين سنة بعد وقوع الحدث التاريخي لكي يُسمح بالاطلاع على الوثيقة، وانسحب ذلك ليس فقط على وثائق الفترة الاستعمارية، بل امتد إلى وقتنا الحاضر. إن الحدث التاريخي أصبح في ذمة مرور هذه المدة الطويلة! بالتأكيد إن وراء ذلك دوافع زمنية. نعرف أن مناقشة مثل هذا الموضوع تعد تحديا وقضية صعبة لكن رأينا ضرورة التصدى لها.

الخاتمة

الفرضية التي طرحها هذا البحث هي ما مدى صدقية الوثيقة الرسمية المكتوبة. والنموذج الذي تعاملنا معه هو بعض الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي، ومنهجنا في التحليل التاريخي قد أوصلنا إلى الشك فى نص الوثيقة التاريخية الرسمية، واستخدامها وتوظيفها، فعلى الرغم من أهمية الرجوع إلى تلك الوثائق لعدم وجود وثائق بديلة عنها في كثير من الأحيان، لكن ذلك لا يعني التسليم بكل ماجاء فيها.

لقد اتضح لنا أن هناك دوافع مصلحية اقتصادية وسياسية وراء صياغة الكثير من وثائق المنطقة على يد البريطانيين، كما أن الظروف العامة سياسيا واجتماعيا قد لعبت دورا في تهيئة الأجواء لكتابة الوثائق بتلك الصيغة وذلك المحتوى.

إن المشكلة تكمن في أن أكثر من ٩٥٪ من الوثائق التي تناولت أحداث منطقة الخليج العربي كانت رسمية بريطانية، ولذلك فمسألة مقارنة الوثائق البريطانية الرسمية بغيرها غير مجدية؛ لأن غيرها كذلك تعاني من العلة نفسها، وثائق رسمية، وليس من سبيل سوى البحث عن الوثائق الأهلية، أو اكتشاف تناقض الوثائق الرسمية للقوى المختلفة.

لقد كان تركيزنا في هذه الدراسة على أربعة أمور هي: المبالغة والتناقض والانحياز وعدم التكافؤ في نصوص الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي، وهذا يتطلب اتباع ممارسة النقد التاريخي عن طريق الشك في الوثائق الرسمية. نطرح هذه الإشكالية لنؤكد أن الوثيقة ليست مقدسة لكونها وثيقة تاريخية، فهي متهمة حتى تثبت براءتها، والدليل في هذه المنطقة وغيرها وجود كثير من الأحداث، التي قد تم تفسيرها والوصول إلى استنتاجات استنادا إلى الوثائق، ثم أثبتت الأيام في ما بعد أنها غير صحيحة عند اكتشاف وثائق جديدة عن الوقائع نفسها. يجب ألا تؤخذ الوثيقة كأمر مسلم به وأنها تقول الحقيقة، حتى الانتقائية في الوثائق قد تغيب الكثير من الحقائق التاريخية، وهذه مهمة صعبة تعتمد على وعي الباحث بالتاريخ، ومدى مقدرته على ممارسة النقد .

وثيقة رقم ١



شيخ صقر بن زايد حاكم ابوظبي

بعد السلام عرض لدينا ان هؤلاء الآتي اسمائهم

(١) مرجان بن سلطان خان الكاساني (٢) ملك داد الكاساني (٣) نواز [illegible]

الكاساني (٤) [illegible] سرجان الكاساني (٥) يار محمد الكاساني (٦) اسماعيل الكاساني

(٧) كريم داد الكاساني (٨) محمد [illegible] مشغولين باجتهاد في تجارة الرقيق

وهم يخطفون البلوش من اوطانهم ويجلبونهم الى بلاد عمان الصلح و

يبيعونهم بالبلاد ان اول هؤلاء المذكورة اسمائهم وهو مرجان خطف [illegible]

[illegible] الى ابوظبي وباعهم

الى رجل اسمه [illegible] ان حكومة [illegible] معاهدات

التي [illegible] من الواجب عليكم ان تمنعون تجارة

الرقيق في بلادكم وعليه نرجو منكم ان تلقوا القبض على جالبيهم وهو مرجان خان

بن سلطان خان وعلى اي احد من هؤلاء المذكورة اسمائكم اعلاه تجدونه في

بلادكم وان ترسلوهم الى [illegible] بن عبد اللطيف وكيل [illegible]

[illegible] كل من يرتكب هذا العمل الفظيع

[illegible]

[illegible]

اي واحد منهم الذين ليس في بلادكم [illegible]

[illegible] في بلاد العمان لاجل القاء

القبض عليهم [illegible] - هذا

O/C

Political Resident in the (Persian) Gulf.

١٣٤٥ هـ
١٩٢٦ م

١٧

INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS
Reference
IOR R/15/1/203
COPYRIGHT PHOTOGRAPH-NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE INDIA OFFICE LIBRARY & RECORDS

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

تابع وثيقة رقم ١

وكيلنا ح

بعد السلام نبشكم بكتاب عدد ٢٩٨١ المؤرخ ٤ سبتمبر ١٩٢٦ من جناب الموربليطه
ثلاث مكاتيب لاجل حاكم ابوظبي وحاكم ام القوين والشيخ سعيد بن مكتوم حاكم
دبي كلها فخصوص افادة صلاح اللبنات البلوشيات والتي نرجوك ان تسلم
الى الحكام المشار اليهم باسرع فرصة ممكنة ونطلب منك ايضا ان تعمل
كلما في وسعك في هذه القضية كي تستردوا افادة صلاح اللبنات
اللاتي في بلاد المذكورين اعلاه وان ترفع راپرت مفصل في هذا
الشأن. ونخبرك بان ترقب المدعوة اسمائهم حتى تلقوا
القبض عليهم محمد بن جلال خان الكاروانى اسمعيل الكاروانى
كريمداد الكاروانى محمد دوار الكاروانى ملكداد الكاروانى دوست خان بن سعيد
الكاروانى مراد بن ميرخان باسحاق الكاروانى اللذين كانوا
يبادلون البلوش المخطوفين بالسلاح في بلاد عمان الشحاح ونرجوك
ان تخبرنا فوريا عند القائكم القبض على اي واحد منهم حالا -

O/C

[توقيع]

وثيقة رقم ٢

Bushire, the 30th January 1927.

14/1

To

The Shaikh of Abu Dhabi.

A.C.

It has been reported to me that a Hindu boy named Nuru, who is believed to have been kidnapped from Karachi in British India and sold by one Abdullah Dawar to a Najdi named Zeid, has been sold by the latter to one Muhammad bin Rashid, an inhabitant of Abu Dhabi, who has taken the boy to Dalmah Island.

You should please take immediate steps to recover the boy and hand him over to the Residency Agent at Shargah.

If Muhammad bin Rashid is one of your subjects, he should also be arrested and severely punished with imprisonment - if he is not, please let me know his nationality.

I am sure you view with as much abhorrence as the High Government does, the crime of kidnapping a British subject from British territory, and are not unmindful of your obligations in the matter under your agreements with the High Government, more especially as you have so recently bound yourself to respect those agreements.

I expect that you will send the boy to Shargah at once, and await a very early reply to this letter from you.

U.E.

Sd. B.Stuart Horner. Captain,
for Political Resident in the Persian Gulf.

شيخ صقر بن زايد حاكم ابوظبي

قد وصل الخبر الينا بان عبد ... باع ولد هندي المسمى نورو الذي تحقق انه سرق من كراچي
في مملكة الدولة الفخيمة على رجل نجدي يسمى زيد وزيد المذكور باعه على محمد بن راشد من اهل
ابوظبي الذي اخذ الولد الى جزيرة دلما فالمرجو من حضرتكم ان تعملوا اقدامات الفورية
لكي تحصل الولد وتسلمه الى وكيل الدولة البهية الفخيمة في الشارجة فاذا محمد بن راشد يكون من احد
رعايا حاكم يجب ان تقبضوا عليه ايضا وتعزروه بالشدة وتجعلون في الحبس
واذا هو ليس من رعاياكم فتفضلوا ان تعرفونا عن قوميته ولنا يقين ان جنابكم

١٩

تابع وثيقة رقم ٢

المصدر: كيلي جون، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ م
الجزء الأول، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان.

الوهابي . ونظرا لضعف تسليح هذه السفن من حيث الأسلحة التقليدية فقد كانت تتبع طريقة خاصة ، وهي اطباق سفن القراصنة على السفن التي يريدون اقتحامها . والواقع ان كل من يحاول مقاومتهم او حتى من لا يحاول مقاومتهم يذبحونه ذبح النعاج . وقد وصف احد ضباط الاسطول التابع لحكومة بومباى اسلوب القواسم بقوله :

« فيما يتعلق بالقواسم فانني لا استطيع ان اتصور كيف ان هؤلاء الناس الذين ليست القسوة من طبيعتهم ان يتخذوا من الوحشية والعنف سبيلا للتخلص من اسراهم . فهم يقترفون هذه الجرائم ببرود رهيب مما يضفي على العملية لونا دنيئا يتخذ اسوا انواع القسوة والوحشية ، هذا على الرغم من ان عقيدتهم الدينية لا تبيح لهم تلك الاساليب الوحشية ، ومن عادة هؤلاء انهم بعد ان يستولوا على احدى السفن يقومون بغسلها بالماء ورشها بماء المعطور ثم يقودون بحارتها واحدا تلو الآخر ويعلقون راسه على فوهة المدفع ثم يبترون راسه وهم يرددون عبارة الله اكبر »(١) .

وقد قدرت عدد وحدات اسطول القواسم في ذلك الوقت بـ ٦٣ سفينة من الحجم الكبير و ٨١٠ من الحجم الصغير ، يديرها ما لا يقل عن ١٨,٠٠٠ الى ٢٥,٠٠٠ مقاتل(٢) وكان اغلب السفن يأتي من الشارقة ورمس وان كان البعض منها يأتي من لنجة ونخيلو وغيرها من الموانى الفارسية . وكان القسم الاكبر من بحارة هذه السفن يعملون في الغوص وصيد الأسماك ، وبالتالي فان اسطول القتال القاسمي لم يكن في الواقع يزيد على ٧٠ الى ٨٠ سفينة(٣) .

---

(١) « مدينة الخلفاء » فصل واحد ص ١٠١ تاليف ويستد .
(٢) الوثائق السياسية لحكومة بومباى حلقة ٢٨٣ مجلد ١٢ محادثات ٦ يناير ١٨١٠ مذكرة من جوناثان دنكن (يناير ١٨١٠) .
(٣) راجع الوثائق السياسية والسرية لحكومة بومباى حلقة ٢٨٣ محادثات ١٨٠٩/٨/٢٥ من مانستي الى دنكان ، البصرة في ١٨٠٩/٧/٨ .

وثيقة رقم ٣

CONFIDENTIAL.

INDIA OFFICE B. 410. / P. 5406/28.

Arms Traffic in the Persian Gulf, 1908–1928.

Introductory.

1. The Foreign Office (Supplementary) Memorandum of 1908 deals with the earlier history of the arms traffic in the Persian Gulf. At the date of that Memorandum the States, other than Muscat, bordering on the Gulf, had declared the trade illegal, or had agreed with His Majesty's Government for its suppression. The absence of any restrictions on the import and export of arms from Muscat, which was prevented from imposing restrictions by its treaties with foreign Powers, had, however, led to the concentration of the traffic in that State, and so to a situation which the Government of India and His Majesty's Government, vitally interested in checking the flow of modern arms of precision to Afghanistan and the North-West Frontier of India, regarded with the utmost gravity.

2. The period now under review is marked by the conclusion of arrangements which have effectively curbed the arms traffic in Muscat and by the reduction to insignificant dimensions of that traffic in the Gulf as a whole. The present Memorandum proposes briefly to set out the treaty engagements and agreements concluded on the subject between His Majesty's Government and the States bordering on the Gulf, and, after a reference to the Arms Traffic Conventions of 1919 and 1925, to refer to the more important developments in the Gulf between 1908 and 1928 in connection with the suppression of the trade in arms.

Treaty Engagements, &c., of States bordering on the Persian Gulf.

3. With the exception of the King of the Hejaz and Nejd, the rulers whose States border on the Persian Gulf at the present date are bound by treaty or agreement to prohibit and suppress the arms traffic in their territories. The import of arms into **Persia** was prohibited by the Shah in 1881, and again in 1900. In 1897 Her Majesty's Government secured from the Persian Government a *firman*, under which the Shah empowered Her Majesty's ships in the Persian Gulf to examine and search all merchant vessels in the Persian Gulf and confiscate and hand over to the Persian Government all prohibited arms found on board. This *firman* remains in force.

On the Arab littoral of the Gulf, the Sheikh of **Bahrein** agreed in 1898 to prohibit the traffic in arms in Bahrein territory; the Sheikh of **Koweit** gave a similar undertaking in 1900, as did the **Trucial Chiefs** in 1902. The import of arms into **Turkey** (and so, up to 1914, into **El Hasa** and **El Katr**) was prohibited in 1862; and the Sheikh of El Katr, under his treaty with His Majesty's Government of 3rd November 1916, undertook the same obligations in the matter as the other Trucial Chiefs. By a Proclamation of 1898, the Sultan of **Muscat**, who in 1881 had prohibited the import of arms at Gwadur, his dependency on the Makran coast, authorised British and Persian war vessels to search British, Muscat, or Persian vessels for arms in Muscat waters, as well as Muscat vessels in Indian and Persian waters, and to confiscate arms and ammunition intended for Indian or Persian ports. In 1903 he empowered British (and Italian) vessels to search Muscat vessels suspected of carrying arms on the high seas; and in 1912 an agreement was reached with His Highness by His Majesty's Government for the establishment in his State of a warehouse regime, the result of which has been to dispose of the Muscat arms traffic as a serious issue. Ibn Saud alone of the rulers whose States border on the Gulf remains unfettered by any agreement in the matter.

C

وثيقة رقم ٤

المصدر: ب. كيلي ، ترجمة محمد أمين عبدالله الحدود الشرقية للجزيرة العربية، الكويت ,١٩٦٨

وحتى اذا افترضنا أن خليفة بن شخبوط وزايد بن خليفة هما اللذان أرغما القبيسات على مغادرة خور العديد فهل يشكل هذا دليلا على أنهم كانوا من رعايا آل سعود ، وأن خليفة لم يكن فى وسعه أن يصدهم عن ذلك ؟

ان أصحاب المذكرة قد برهنوا على عجزهم عن اثبات تبعية المناطق الغربية المتنازع عليها للدولة السعودية ، سواء أثناء الاحتلال الوهابى للبريمى حتى سنة ١٨٦٩ أو بعد هذا التاريخ ولهذا اضطروا الى انكار تبعية هذه المناطق لمشيخة أبو ظبى •

إلا أن موقفهم من هذه المسألة يتعارض مع ما جاء فى أقوال لوريمر عن منطقتى الظفرة ولوى فى المجلد الجغرافى من جريدة الخليج الصادرة سنة ١٩٠٨ وتنص الفقرة ٣٠٧ منه استنادا على ما ورد فى مقال الكولونيل ف• ف• هنتر F. F. Hunter الذى تولى اعداد خريطة الجزيرة العربية المرافقة للجريدة • ومؤداه أن المسئولين البريطانيين فى الخليج لم يكونوا يعلمون عن وجود واحة لوى قبل صدور النشرة المذكورة[١] غير أن هذا الرأى لا تؤيده الحقائق • فواحة لوى كانت معروفة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ولكنها عرفت أكثر فى النصف الثانى منه • والدليل على ذلك أن الماجور سيدنى سميث Major Sidney Smith المقيم السياسى بالنيابة فى الخليج قد أشار فى تقرير له بعد زيارة قام بها لأبو ظبى والساحل الغربى : انه عندما تم الاتصال به بشأن مطالب الرعايا البريطانيين فى المنطقة أبدى الشيخ زايد أسفه لأنه لم يكن فى مقدوره اتخاذ اجراءات ضد أفراد تركوا أبو ظبى واستقروا فى لوى ، على الرغم من أن هذه البلدة هى جزء من أراضى الحاكم المذكور[٢] ان روح التحفظ

---

(١) انظر مجلد ١ فصل ٢ فقرة ٥١ : ان منطقة لوى لم تكن معروفة للعالم الغربى حتى مستهل الجزء الاول من القرن العشرين . عندما علم بوجودها نائب المقيم السياسى البريطانى فى الخليج الكابتن ب. ز. كوكس وذلك عن طريق احد المواطنين السابقين لهذه المنطقة .

تابع وثيقة رقم ٤

العلمي التي تسود أقوال لوريمر في وصفه للوا والظفرة قد استغلها أصحاب المذكرة لدحض ما تضمنته من معلومات واعتبارها « غير صحيحة ومفتعلة جدا » كما أنهم شككوا في صحتها لمجرد أنها آراء

عبر عنها مسؤولون بريطانيون أمثال السير برسي كوكس Sir P. Cox نقلا عن المصادر المحلية • أو بعبارة أخرى لكونهم لم يروا المنطقة بأنفسهم ، وانما اعتمدوا على معلومات حصلوا عليها من المواطنين العرب ممن لهم معرفة بشئون المنطقة وأن الفضول ليدفع المرء الى أن يتساءل : ما هي الجوانب من آراء المؤلف عن واحة لوى الواردة في الفصل الثاني من المذكرة (فقرة ٥٢ — ٦٤) غير المأخوذة عن تقرير تيسيجر تقوم على معلومات شخصية وأيهما التي تعتمد على مجرد أقوال السكان العرب ممن لهم معرفة بشئون المنطقة » •

« ان الهدف من وراء كل هذه المعلومات الخاطئة هو أن لوريمر كان يريد أن يثبت أن علاقة بني ياس بسكان وقرى لوى والظفرة كانت أقوى من علاقة المناصير بهم •• (مع العلم بأن جميع القبائل التي تجاهلها الكاتب هي قبائل سعودية) • ويختتم لوريمر مقاله عن الظفرة بقوله « ان جميع هذه المناطق تقع ضمن المجال السياسي لشيخ أبو ظبي وبذلك يمكن القول أنها تابعة له بحكم ذلك » •

أما اذا كان المقصود من هذا القول أن لوريمر قد أغفل متعمدا وجود قبائل سعودية في الظفرة توقعا منه أن السعودية قد تطالب في يوم من الايام بالسيادة على تلك القبائل ، فان ذلك يعني أن لوريمر كان يتنبأ بالغيب • وعلى حين تهجم السعوديون على لوريمر في الفقرة ٣٠٧ فانهم كالوا له المديح في الفقرة ٣٠٨ التي تقول : « البريمي واحة جميلة تقع في مقاطعة لوى وتحتل مساحة من الأرض بين سلطنة عمان وعمان المتصالحة التي يمكن أن توصف بأنها منطقة مستقلة » • على أن أصحاب المذكرة لا ينقلون أقوال لوريمر بحذافيرها ففي الصفحة ٢٦٤ من المجلد الثاني من النشرة يستشهد أصحاب المذكرة بالفقرة ٣٠٨ التي تقول :

تابع وثيقة رقم ٤

« أما البريمي فهي مشيخة مستقلة بيد أن نفوذ شيخ أبو ظبي قوي فيها وفي ازدياد .. ويتقاضى الشيخ من قبيلة الظواهر التي تؤلف الأغلبية في الواحة ضريبة منتظمة وقد أشير الى نوعها وكميتها في المقال الخاص بمشيخة أبو ظبي .

كذلك فان أصحاب المذكرة لا يعربون عن ارتياحهم من الفقرة ٣٠٨ من مقال لوريمر المشار اليه آنفا . غير أنهم لم يشيروا الى الضريبة التي كان يدفعها الظواهر .

أما فيما يتعلق بآراء المؤلف عن المنطقة المتنازع عليها خلال فترة الحرب العالمية الثانية (٣٥٩) فهي تصلح لتكون تشريحا أخيرا لنوع الموقف العام لأصحاب المذكرة :

« في ظل الحكم السعودي الذي اتصف بالحزم والاعتدال كان الأمن مكفولا للجميع ، كما كان الاخلال بالقوانين ، وهو شيء حتمي في مجتمع يعاقب عليه الافراد فورا وبدقة تعتبر فريدة بالنسبة لصعوبة وسائل المواصلات في المنطقة . وفي كل عام ، كما تشير الوثائق الواردة في المجلد الثالث من المذكرة كان أهل المنطقة يدفعون الضرائب الاساسية التي أقرها الاسلام كما كان زعماء القبائل السعودية على اختلافهم ممن يعملون بتفويض من الحكومة المركزية يفضون المنازعات المحلية ويرشدون الشعب الى مراعاة المبادىء الاسلامية .

أما الخلافات الكبيرة فكانت تحال الى العلامة والقاضي الكبير للبريمي الشيخ عبد الله بن عبد العزيز السليمان ، من بلدة الحادق في نجد وكان هذا يصدر فتاويه وفقا للشريعة كما تطبق في المحاكم السعودية » .

انها صورة خادعة وان كانت غير دقيقة . ان المذكرة السعودية لا تقدم أدلة عن العقوبات التي كان يفرضها المسئولون السعوديون عن المخالفات القانونية فيما عدا بيانات ابن جلوي ومعاونيه وبعض

وثيقة رقم ٥

The First Kuwait Oil Concession Agreement
A record of the Negotiations 1911-1934
by: A.H.T. Chisholm, Kuwait 1975.

shall pay to the Shaikh Rs. 25,000 or royalty as set forth below, whichever shall be the greater sum. The Company shall pay to the Shaikh a royalty of Rs. 2/10/- for every 1 ton of petroleum which the Company shall produce over and above the petroleum required for its operations hereunder, and so soon as the Company shall declare that petroleum has been found in commercial quantities and quality the annual payment by the Company to the Shaikh shall be Rs. 50,000 plus the total of the royalty accrued with a minimum payment of Rs. 65,000 in the first year of Rs. 80,000 in the second year and Rs. 100,000 yearly thereafter, save only in the event of the interruption of the Company's operations hereunder by reason of events outside the control of the Company, in which event payment shall continue to be made at the annual rate of Rs. 25,000.

Article 6. In connection with its operations hereunder the Company shall have the right freely to construct in the territories of Kuwait and to operate power stations, refineries, pipelines and storage tanks, telegraph, telephone and wireless installations, roads, railways, tramways, buildings, wharves and jetties with such lighting as may be requisite and any other works found necessary, and for such purposes to use freely (but not for export) any stone, sand, lime, gypsum, clay or water which may be available and may be required for its operations hereunder. The Company shall at its discretion but in consultation with the Shaikh select the position of any such works. The Company may likewise freely utilise all such means as may be necessary for the effective conduct of its operations hereunder.

Article 7. In consideration of the payments by the Company herein prescribed and to assist in the development of the natural resources of Kuwait the Company shall have the right for the purposes of its operations under this Agreement freely to import or export without any taxes duties or payments to the Shaikh all machinery materials equipment or goods which may be required.

Article 8. The Company shall have the right to import water free and to use local supplies as far as available for its operations and employees and the right to purchase at current market rates fuel and food and other supplies of every kind for its operations hereunder and the Company shall employ subjects of the Shaikh as far as possible for all work for which they are suited under the supervision of the Company's skilled employees.

Article 9. The Shaikh grants to the Company free of cost the free use and occupation of all land belonging to the Shaikh which the Company may need for the purposes of its operations hereunder; it is furthermore agreed between the Shaikh and the Company that the Company may buy or lease for such purposes by agreement with the proprietors any lands houses or buildings on conditions to be arranged with such proprietors but at rates not in excess of those ordinarily current in their respective localities.

On the termination of this Agreement all lands granted by the Shaikh and any lands or buildings which the Company may have bought and any houses or buildings constructed by the Company within the territories of the Shaikh shall be handed over to the Shaikh free of cost.

Article 10. All lands granted by the Shaikh to the Company and all lands houses and buildings acquired by the Company, all petroleum produced as well as any profits therefrom and all machinery materials equipment and goods imported or subsequently exported shall be free of all taxes and duties or payments to the Shaikh during the period of this Agreement.

Article 11. Throughout the period of this Agreement the Shaikh shall give to the Company and all its employees all protection in his power from theft, highway robbery, assault, wilful damage and destruction, but the Company in consultation with the Shaikh shall appoint and itself pay permanent trustworthy guards under a reliable man of good standing and these guards shall protect the property of the Company and its employees at all times.

If in spite of the efforts of the said guards thefts should occur the Shaikh undertakes to take all reasonable measures to recover the property stolen and to compensate the Company for any damage sustained in his territory. In the event of non-recovery of the stolen property, except for reasons beyond the control of the Shaikh, the value thereof shall be deducted by the Company from any payments due from time to time by the Company to the Shaikh.

In the case of serious offences the said guards are subject to dismissal or stoppage of pay by the Company. In the event of any heavier punishment being needed, the offender shall be handed over to the representative of the Shaikh, and the Shaikh undertakes that punishment shall be inflicted and that he will use his utmost endeavours to uphold the authority of the Company.

Article 12. If the Company shall fail to carry out its obligations under this Agreement or shall fail within six months after any anniversary of this Agreement to pay to the Shaikh the annual payments due or the royalties which may have become due the Shaikh acting on the advice of the Political Resident shall have the power to terminate this Agreement and all the property of the Company then in Kuwait territory for the purposes of this Agreement shall then but on no other grounds become the property of the Shaikh without payment. In the event of the Company failing to make the declaration provided in Article 5 on or before the   1941 the Shaikh shall have the power to call upon the Company either to make the declaration forthwith or to surrender all rights under this Agreement which shall then terminate.

Article 13. With the approval of the Shaikh acting on the advice of the Political Resident the Company may transfer the obligations and benefits of this Agreement to any British Company.

Article 14. The Company shall have the right at any time after the completion of drilling mentioned in Article 3 to give the Shaikh one year's notice in advance to terminate this Agreement and the Company shall on expiry of such notice have no further liabilities hereunder after making due payment of all monies due to the Shaikh up to the date of termination.

وثيقة رقم ٦

ترجمة المعاهدة التمهيدية
المبرمة مع سلطان بن صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

فليعلم كل الناس أن سلطان بن صقر كان بحضرة الجنرال السير وليام جرانت كير وجرت بينهما التعهدات التالية:

مادة أولى: سيقوم سلطان بن صقر بتسليم الجنرال الأبراج والبنادق والسفن الموجودة في الشارقة وعجمان وأم القوين وتوابعهم - وسيترك الجنرال القوارب الخاصة بصيد السمك أما بقية السفن فستكون في حوزة الجنرال.

مادة ثانية: سيقوم سلطان بن صقر بإطلاق سراح جميع السجناء الهند إذا كان لديه أي منهم.

مادة ثالثة: لن يسمح الجنرال لجنده بالدخول في المدن ليعيثوا فيها فساداً.

مادة رابعة: بعد التقيد بهذه الارتباطات وتنفيذها يسمح لسلطان بن صقر أن يكون طرفاً في معاهدة السلام شأنه شأن بقية العرب المتصالحين.

وبموجب هذه الشروط تتوقف العداوات التي كانت قائمة بين الجنرال وسلطان بن صقر هو وأتباعه وأن قواربهم لا يسمح لها بالنزول في البحر.

صيغت في رأس الخيمة في العشرين من ربيع أول سنة ١٢٣٥ هـ الموافق ٦ يناير سنة ١٨٢٠.

جرانت كير: قائد عام - وقع عليها: تومسون مترجم وقبطان.

سلطان بن صقر بخط يده.

نسخة من المواد المبرمة مع سلطان بن صقر. توقيع يدي وخاتمي.

جرانت كير - جو جنراي لقب عسكري لا يفيد إن حامله قائد عام.

وثيقة رقم ٧

ملحق رقم (٨)
الاتفاقية الاستثنائية بين شيوخ عمان المتصالحة والحكومة البريطانية ، مارس ١٨٩٢

أنا الموقع على هذا – زايد بن خليفه شيخ ابو ظبي في حضرة الليفتانت كولونيل أ. س. تالبوت المقيم السياسي في الخليج – اعتمد واوافق – باسمي واسم ورثتي ومن يخلفني – على ما يلي :–

اولا : الا اوقع اية اتفاقية أو أدخل في أية علاقات مع أية دولة باستثناء بريطانيا العظمى .

ثانياً : ألا أسمح باقامة أي ممثل لاية حكومة أخرى في أرضي دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية .

ثالثاً : ألا أؤجر أو ابيع أو أرهن أو أتنازل أو أسمح بأية صورة أخرى من الصور باحتلال أي جزء من أرضي – لدولة أخرى غير بريطانيا العظمى .

تم هذا الاتفاق وجرى توقيعه في أبو ظبي يوم ٦ مارس سنة ١٨٩٢ ميلادية ، الموافق ٥ شعبان سنة ١٣٠٩ هجرية .

توقيع زايد بن خليفه
شيخ ابو ظبي

لنزودون نائب الحاكم العام في الهند

الرائد ا. س. تالبوت المقيم في الخليج

تم التصديق على هذه الاتفاقية من قبل سعادة نائب الحاكم العام في الهند بسملا في ١٢ مايو ١٨٩٢ .

هـ. م. دوراند
سكرتير وزارة الخارجية بحكومة الهند

وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية من قبل الشيوخ المتصالحين الآخرين بمعنى شيوخ كل من دبي وعجمان والشارقه الذين وقعوا بتاريخ ٧ مارس وكذلك رأس الخيمة وام القيوين اللذين وقعا في ٨ مارس .

– ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الرابع، الترجمة العربية، ديوان حاكم قطر، ص ١١٩٣

٤٤

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير – مارس 2008

وثيقة رقم ٨

Agreement of January 23, 1899, with the Sheikh of Koweit.

(Translation.)

Praise be to God alone (lit. in the name of God Almighty) ("Bissim Illah Ta'alah Shanuho").

THE object of writing this lawful and honourable bond is, that it is hereby covenanted and agreed between Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.C., Her Britannic Majesty's Political Resident, on behalf of the British Government, on the one part, and Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, Sheikh of Koweit, on the other part; that the said Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, of his own free will and desire, does hereby pledge and bind himself, his heirs and successors, not to receive the agent or representative of any Power or Government at Koweit, or at any other place within the limits of his territory, without the previous sanction of the British Government; and he further binds himself, his heirs and successors, not to cede, sell, lease, mortgage, or give for occupation or for any other purpose, any portion of his territory to the Government or subjects of any other Power without the previous consent of Her Majesty's Government for these purposes. This engagement also to extend to any portion of the territory of the said Sheikh Mubarak which may now be in possession of the subjects of any other Government.

In token of the conclusion of this lawful and honourable bond, Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.C., Her Britannic Majesty's Political Resident in the Persian Gulf, and Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, the former on behalf of the British Government, and the latter on behalf of himself, his heirs and successors, do each, in the presence of witnesses, affix their signatures, on this the 10th day of Ramazan, 1316, corresponding with the 23rd day of January, 1899.

(L.S.) M. J. MEADE,
Political Resident in the Persian Gulf.

(L.S.) MUBARAK-EL-SUBAH.

Witnesses:
(L.S.) E. WICKHAM HORE, *Captain, I.M.S.*
(L.S.) J. CALCOTT GASKIN.
(L.S.) MUHAMMAD RAHIM-BIN-ABDUL NEBI SAFFER.

PUBLIC RECORD OFFICE
Reference:- FO 371/2136 17464
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

وثيقة رقم ٨

A. H. T. Chisholm, The first NOTE 35 Kuwait Oil Concession

which THE COMPANY may establish on the coast of Kuwait and shall have the right to establish and maintain one or more coaling or oil stations along the coast of Kuwait, the use of such facilities being vested entirely in THE COMPANY. THE SHEIKH retains the right to grant permission to others besides THE COMPANY to import oil and coal and lay pipelines for these purposes.

(5) THE COMPANY shall be free and at liberty to export, sell and dispose to any place or people or country it may wish to and in any manner it may desire the oil and its products won from the CONCEDED TERRITORY and THE SHEIKH and those acting under Him shall not interfere with the internal management of THE COMPANY, but THE SHEIKH shall have the right to keep a general eye over the doings of THE COMPANY. And He shall have the right to levy, and THE COMPANY undertakes to pay Him, on all the oil and its products exported, a custom duty of one per cent (1 %). In calculating such one per cent (1 %) on the oil exported, the value of the oil at the wells producing same shall be used.

(6) THE COMPANY shall have the right to import all its machinery, equipment, plant, timber, utensils, iron work, building materials and everything belonging to or consigned to it, including medicines and food supplies for the use of THE COMPANY and its employees but not for resale to others, free of customs import duty and taxes, but it shall pay on all personal goods, clothing and general merchandise imported by THE COMPANY for the personal use of its employees the ordinary duty in vogue in the Kuwait territory computed on the values shown in original invoices plus expenses.

(7) THE COMPANY shall be exempt and free, during the period of THE CONCESSION, from all harbor duties and taxes of all kind, tolls and land surface rent of whatever nature, it being understood that THE COMPANY has no right to lease any building to any but its employees and agents. Should ships other than those engaged and used solely for THE COMPANY's business hereunder, either bringing or taking away, make use of the harbor, THE SHEIKH has the right to collect the usual harbor dues and taxes from such ships, and not from THE COMPANY, it being understood that the wharves erected by THE COMPANY are solely vested in THE COMPANY during the period of THE CONCESSION hereby granted and can only during such period, be used by ships on other than THE COMPANY's business with the written permission of the COMPANY.

(8) The ownership of this CONCESSION may not be transferred to or the rights sold to any other company or companies, whether British or otherwise, except to one or more British companies nominated by THE EASTERN AND GENERAL SYNDICATE LIMITED and THE SHEIKH undertakes to sanction such nominated transfer when it becomes necessary provided always that the rights, privileges and interests accruing to THE SHEIKH shall not thereby be prejudiced.

And if by any other ways or means THE CONCESSION is transferred or sold to a THIRD PARTY, this CONCESSION will then become null and void, and THE COMPANY shall leave all the immovable property and wells intact and they will be the property of THE SHEIKH.

(9) THE COMPANY's representatives in the Kuwait territory shall be immune from local interference except with the leave of THE COMPANY and (in matters concerning themselves but not where the Subjects of THE SHEIKH are concerned) shall be responsible for their conduct to THE COMPANY's Board of directors.

(10) If after commencing its operations in THE CONCEDED TERRITORY, THE COMPANY for any reason other than THE ACT OF GOD, or from War, Fire, Flood or Lightning or some other thing beyond Human Control, should discontinue the same for a continuous period of TWO CALENDAR YEARS (2 years) THE SHEIKH shall have the right to cancel the AGREEMENT and no responsibility shall attach to either party.

(11) THE COMPANY or Companies or their employees shall not interfere in any manner or way with the Politics of THE SHEIKH's Dominions or with His Subjects.

(12) THE COMPANY shall employ only native labor (i.e. countrymen) under the supervision of THE COMPANY'S European or other appointed officials and THE SHEIKH agrees to assist with the help of His Amirs and other local agents to procure and provide for THE COMPANY such native labor as THE COMPANY may require, and THE COMPANY on its part undertakes to make the fullest use of the local unskilled labor, in its judgment capable of performing work, to the extent of the suitable supply for its requirements, but THE COMPANY has the right to import unskilled labor should the local supply prove insufficient or unsuitable to the extent of its requirements. THE COMPANY has the right at all times to import skilled workmen of every kind.

(13) THE COMPANY shall pay to the native workmen it employs a fair wage, such wage to be decided and stated by THE COMPANY'S representative at the time the workman is engaged. THE COMPANY shall provide where possible medical attention and medicines free of charge, to its native workmen during the time they are in employ of THE COMPANY.

(14) THE SHEIKH shall always afford the officials and employees of THE COMPANY every facility and assistance in carrying out their plans and projects as far as lies in His Power, and shall allow them to excavate, dig, quarry or drill the Soil in THE CONCEDED TERRITORY wherever they shall have reasonable prospects of discovering and winning petroleum or kindred products, and THE COMPANY by its officials shall be at liberty to abandon any excavation pit or well wherever and whenever they shall seem it expedient so to do, provided always that nothing in this article shall be presumed to give to THE COMPANY or its Assigns or Agents right of entry into,

٢٦

الهوامش

1 أحمد بهاء الدين، حول إعادة كتابة التاريخ، مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٥٦، مارس ١٩٨٠، حديث الشهر.

2 د. حسين مؤنس، «التاريخ والمؤرخين»، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٥١ و٥٢ .

3 د. جواد علي، محاور في الفكر والتاريخ، بغداد ١٩٧٩م، ص ٨٩ و٩٠ .
انظر أيضا : د. عبدالرحمن بدوي، النقد التاريخي، الكويت ١٩٧٧م، ص ٥، ١٧٢ .

4 أحمد سليم سعدان، مقدمة في تاريخ الفكر العلمي في الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ١٩٨٨م، ص ١٣ .

5 د. عبدالله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، بيروت ١٩٩٢م، ص ١١٥ - ١١٧ .

6 انظر : د.خلدون النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، بيروت ١٩٨٩م، ص ٥٦، ٨٣،٦٤ و٨٤.
انظر أيضا : د. مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي، بيروت ١٩٨١م، ص ٢٢٧ و ٢٢٨ .

7 سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، الكويت ١٩٧٥م .

8 I.O.R,R/15/1/203,1924, Boshire

9 I.O.R, R/15/1/229, 30 JAN1927, Bushire

10 The Ottoman Slave Trade by: Ehud Toledano, USA , 1982

11 جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥- ١٨٧٠م، الجزء الثاني، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان، ص٣٢٠ - ٣٣٣ .

12 IOR, R/15/1/200, File 5

13 د. زهدي سمور، تاريخ ساحل عمان السياسي، الجزء الأول، الكويت ١٩٨٥م، ص ٢٩٦ .

14 ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثاني، ص ١١٣٩.

15 مصدر النسخة العربية المترجمة:
مصدر النسخة الإنجليزية : I.O.R/R/15/5/59, F.O, 371/2136,JAN 1889

16 A.H.Chisholm, The First Kuwait Oil Concession - Arecord of the Negotion for the 1934 Agreement, Kuwait 1975, P 123.

المصادر

1 أحمد سليم سعدان، مقدمة في تاريخ الفكر العلمي في الإسلام ١٩٩٢م، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر ١٩٨٨م .
2 حسين مؤنس، «التاريخ والمؤرخين»، القاهرة ١٩٨٤م .
3 جواد علي، محاور في الفكر والتاريخ، بغداد، ١٩٧٩.
4 ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثاني .
5 عبدالله العروى، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، بيروت، ١٩٩٢م .
6 عاصم دسوقي، البحث في التاريخ - قضايا المنهج والإشكاليات، القاهرة ١٩٨٦ .
7 عبدالرحمن العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، بيروت، ١٩٩٢م .
8 قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، بيروت، ١٩٧٩م .
9 I.O.R.R/15/1/203, 1924, 130(India office Records London
10 A.H.T Chisholm , The First Oil Concession Agreement A record of the Negotiations 1911- 1934, Kuwait 1975 .
11 كيلي .ج، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠، الجزء الثاني، ترجمة: محمد أمين عبدالله، عمان .
12 د. خلدون النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، بيروت، ١٩٨٩م .
13 Ehud T.,The Ottman slave Trade,U.S.A.,1982
14 سيف مرزوق الشملان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، الكويت ١٩٧٥م .
15 د. مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي، بيروت، ١٩٨١.
16 ميرزا حسن خان، تاريخ ولاية البصرة ، ترجمة محمد وصفي، جامعة البصرة١٩٨٠م .
17 Eric R.Wolf, Europe and the People Without History, U.S.A, 1982.

منهجية التاريخ الشفوي والاستفادة منها عربيا

د. مسعود ضاهر (*)

مدخل منهجي

ليس من شك في أن علم التاريخ هو من أكثر العلوم الإنسانية تعقيدا، لأنه يطال جميع نشاطات الإنسان من خلال علاقته بالمكان والزمان. لكن ما دُوِّن من تلك النشاطات لا يشكل سوى جزء بسيط جدا من الكم الهائل لأعمال البشر الذين مضوا من دون أن يُعرف كثيرٌ من أعمالهم.

ومع ازدياد عدد سكان الكرة الأرضية من بضعة ملايين - عند بدايات التدوين التاريخي لأعمالهم - إلى أن بات يقدر الآن بأكثر من ستة مليارات نسمة، تبدو قدرة المؤرخين على رصد تاريخ شمولي ودقيق للإنسانية مسألة سجالية. وما دُوِّن من علاقة الإنسان بالأرض، وعلاقة الجماعات البشرية بعضها بالبعض الآخر، لا يرقى إلى أكثر من عشرة آلاف سنة في أكثر التقديرات تفاؤلا، ولا يزيد على أخبار متواترة ومتناثرة، ويركز على الشخصيات البارزة دون سواها، متجاهلا «تاريخ الناس كل الناس»، وفق مفاهيم ومبادئ التاريخ الاجتماعي الحديث. وما كتب عن نشاط الناس متواضع جدا لأسباب عدة، أبرزها النقص في التدوين، وغياب الوثائق أو إتلافها. كما أن ما دون من ذلك النشاط هو موضع نقد مستمر؛ لأنه استند إلى روايات شفوية، وكان انتقائيا وعرضة لكثير من التحيز والهوى، وتنقصه الدقة والموضوعية والشمولية.

لا يتسع المجال هنا لتحليل تطور الكتابة التاريخية من الرواية الشفوية إلى التدوين، ولا الغوص في مدلول مفهوم علم التاريخ، وكيفية تحوله من سرد الرواية إلى العلم الأكثر

(*) أستاذ التاريخ الحديث - الجامعة اللبنانية - لبنان.

أهمية بين العلوم الإنسانية، لدرجة أن بعض كبار المفكرين وصفه بالقول: «إن البشرية لم تعرف سوى علم واحد هو علم التاريخ»، بمعنى أن جميع العلوم - الإنسانية منها والبحتة - لها أيضا تاريخها الذي يظهر سيرورتها وتطورها، كما يظهر «علم العمران» بالمفهوم الخلدوني، سيرورة البشرية وتطور مجتمعاتها. يضاف إلى ذلك أن حكماء العرب قد أشاروا إلى التاريخ بصفته «كتاب العبر»، على حد تعبير ابن خلدون، وأن «من يدرس التاريخ يضيف أعمارا إلى عمره».

لكن هذه الدراسة تركز على نقطة مركزية واحدة: كيف تحول التأريخ من سرد الأساطير دون نقد ورؤية إلى تشكيل العلم التاريخي، الذي يعتبر أقدم العلوم الإنسانية وأكثرها غنى وتأثيرا في الأجيال المتعاقبة من البشرية؟ وما دور الرواية الشفوية في لعب دور الإسناد الثابت والدائم لدراسة التاريخ؟ ولماذا اقتصر حقل التدوين على ما قام به الناس في الماضي خوفا من ضياع الذاكرة أو لتشكيل الذاكرة الجماعية واستخراج الدروس والعبر؟

بالاستناد إلى هذا التساؤل المنهجي الكبير، تبرز أهمية الرواية التاريخية، أو ما يطلق عليه المؤرخون المحدثون مصطلح «التأريخ بالرواية الشفوية». فعلم التاريخ يقدم معرفة دقيقة بالاستناد إلى وقائع مثبتة يتم التأكد منها عبر إبراز الحدث التاريخي أو الخبر عن أحوال العمران، وقيام الدول، وتطورها، ثم انهيارها.

الرواية المثبتة كمنطلق لتوثيق أحداث التاريخ

ليس من شك في أن المؤرخ الجاد بحاجة إلى التأكد أولا من صحة وقوع الحدث التاريخي، وأن يتحاشى ثانيا مغالطات أو مزالق تدوين الرواية الشفوية، وأن يعمل فكره ثالثا لتحليل أسباب وقوع الحدث والنتائج التي تولدت عنه، لكي تستطيع الأجيال القادمة استخلاص العبرة منه، وأن يستنبط - رابعا - قوانين التطور الاجتماعي التي تشكل مجتمعة «حركة التاريخ»، التي لا تتوقف مادامت أحداث التاريخ مستمرة، وبصورة يومية.

هناك دراسات علمية كثيرة تناولت تطور الكتابة التاريخية من الأسطورة إلى العلم وموقع الرواية الشفوية فيها. لذلك سننطلق من مقولات ابن خلدون في مقدمة مؤلفه الشهير «كتاب العبر»، لأنها تشكل نقلة نوعية في كتابة التاريخ، ليس عند العرب فقط بل على المستوى العالمي أيضا. فما هي أبرز المقولات المنهجية التي جعلت نظرية ابن خلدون ترتقي إلى هذا المستوى، لدرجة أن مقدمته نقلت إلى الأغلبية الساحقة من لغات العالم؟

يقول ابن خلدون: «إن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق... وأن فحول المؤرخين في الإسلام قد

استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها.

ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها. فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار، وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل... فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار، وتحمل عليها الروايات والآثار...»(1).

ثم كتب «في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابه»، ما يلي: «اعلم أن فن التأريخ عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية... وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل، غثا أو سمينا. ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط... ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم. ذلك أن أحوال العالم والأمم، وعوائدهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر...»(2).

وكتب عن طبيعة العمران: «اعلم أنه لما كانت حقيقة التأريخ أنه خبر من الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم...»، ثم عرض لأسباب الكذب في الرواية ومنها التشيع للآراء والمذاهب، والثقة بالناقلين دون نقد، والذهول عن المقاصد، وتوهم الصدق، والتقرب لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح، والجهل بطبائع الأحوال في العمران...(3).

تشكل «مقدمة ابن خلدون» بأكملها مصدرا مهما جدا، لا بل من أهم المصادر العربية في مجال نقد الرواية التاريخية، والتنبه إلى الأسباب المفضية إلى الكذب فيها، وهي متنوعة وكثيرة، فمنها ما يتصل بالضعف البنيوي في النفس البشرية، ومنها ما له علاقة بالتودد إلى أصحاب السلطان أو الخوف منهم، أو ما يتصل وثيقا بالعصبيات العائلية والقبلية والدينية والسياسية.

وقد نبه أيضا إلى مغالطات المؤرخين أنفسهم، خصوصا من لا يشغل نفسه بنقد الراوي والرواية، ومن يستكين إلى الراوي فينقل عنه دون تبصر أو نقد. ونصح بضرورة التعمق في أسباب ودلالات الحدث التاريخي وربطه بطبيعة العمران، وتبدل أحوال الأمم والدول والشعوب.

تؤكد مقدمة ابن خلدون وما سبقها من كتب التاريخ العربي أن الخبر كان منطلق الكتابة التاريخية لدى جميع الأمم والشعوب. فهو يقدم مادة معرفية غنية بأسبابها ودلالاتها. لكن دور المؤرخ يكمن في تحويل تلك المادة إلى نسق معرفي يقيم نوعا من العلاقة الجدلية بين وجود الحدث في مكان وزمان محددين، وتحليل أسبابه ونتائجه، لكي يتجاوز حدود الأمكنة والأزمنة، ويشكل جزءا من الذاكرة الجماعية للبشرية بأسرها. فإذا كان هدف التحقق من الحدث أو الخبر هو إثبات وجوده التاريخي في زمان ومكان محددين، فإن الهدف من تحليله وإمعان النظر فيه هو إدخاله في حركة التاريخ، التي تشكل سيرورة مستمرة لم ولن تتوقف ما دامت العلاقة جدلية بين الأسباب والنتائج. فلكل حدث تاريخي أسبابه الخاصة.

إن النتائج التي تترتب على الحدث تشكل منطلقا لأحداث جديدة تتولد عنها حركة التاريخ في الزمان والمكان. ويقصر أغلبية المؤرخين المدققين عملهم على النظر أولا في الخبر التاريخي، والتحقق من وقوعه، ومن الشخصيات التي شاركت في صنعه، ومن الأسباب المعلنة أو المضمرة لحدوثه. لكن قلة منهم، تجاوزوا التحقيق إلى تحليل جدلية العلاقة المستمرة بين الأسباب والنتائج في حركة دائمة تقود إلى ما يسميه بعض الباحثين «فلسفة التاريخ»، وما يتولد عنها من دروس وعبر للبشرية بأسرها.

كانت الوقائع التاريخية في الماضي تنقل شفويا إلى أن دونت. وتمت عملية التدوين بطرق انتقائية، وبالاستناد إلى الرواة. إلى أن تنبه الحكماء في كل أمة إلى مخاطر تعميم الروايات المغلوطة ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة. ولعب علماء المسلمين دورا أساسيا في ولادة التاريخ العلمي، بعد أن فرضوا مبادئ صارمة على كيفية تدوين الأخبار أو الروايات الشفوية المتواترة. والسبب في ذلك أن التدوين قد ارتبط مباشرة بنشر الدين الإسلامي. فكان لا بد من الاهتمام الدقيق بتدوين الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول وأعماله، وأحاديث الصحابة وأعمالهم، وأخبار الفتوح الإسلامية ومن قام بها.

لذلك فرض علماء المسلمين منهجا صارما للتأكد من صحة الرواية، وناقلها. وأهمية الرواية المفردة مقابل الرواية الجمعية. وشروط تحلي الراوي بالمشاهدة العيانية، والنظر والتبصر، وعدم الانحياز أو الممالأة، أو الخضوع لأصحاب السلطان، أو غياب العدالة والضبط لديه. وأكثر مؤرخو تلك الحقبة في كتبهم من العنعنات المعروفة لدى جميع المؤرخين المسلمين بالإشارة إلى «حدثنا فلان عن فلان عن فلان...» وصولا إلى مرجع ثقة من الصحابة أو المشهود لهم بحسن السيرة من الخلفاء والقادة وأهل الشورى والحل والعقد.

لكن الرواية أو الخبر هي مادة التاريخ وليست غاية بحد ذاتها. وهناك مؤرخ ثقة وآخر يفتقدها. وهناك من يجوِّز الاعتماد على روايته وآخر لا تقدم مروياته مادة علمية موضوعية. وقد نجح ابن خلدون في نقل الكتابة التاريخية من حيز التدقيق فقط بالراوي والرواية إلى

مدى مطابقتها مع طبائع العمران. ونبه إلى أن غاية البداوة تكمن في تحقيق ذاتها بالانتقال من مرحلة التوحش إلى العمران الحضري. وهي مقاولات عقلانية حملت نظرة جديدة إلى التاريخ، تلاءمت مع تطور أوروبا في العصور الحديثة. فشهدت أوروبا آنذاك تبدلات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة، أفسحت في المجال أمام ولادة مقولات عصر التنوير أو الأنوار. وهي تمجد العقل، وتقدم نظرة عقلانية، وموضعية لحركة التاريخ وتطور المجتمعات الإنسانية، وأفرد المؤرخون الأوروبيون مكانة خاصة لمقولات ابن خلدون حول علم التاريخ، ومغالطات المؤرخين، والعصبية على أنواعها، والعمران البشري، وأطور الدولة. وفصلوا بين الفهم الديني والفهم العقلاني الوضعي للتاريخ.

بعد أن نبه بعضهم إلى موجبات نقد الراوي والرواية معا، تجنبا للمغالطات في كتب المؤرخين أسهب ابن خلدون في شرحها وتصنيفها، وأضاف إليها سمات أخرى حول ضرورة أن ينسجم الحدث التاريخي مع طبيعة العمران. نتيجة لذلك، وضع علماء المسلمين تصورا متكاملا وشروطا قاسية لبناء تاريخ إسلامي شمولي بالاستناد إلى المرويات التاريخية، بعد نقدها، والاستفادة من معطياتها.

لكن المؤرخين الأوروبيين، في عصر النهضة، استفادوا من مقولات ابن خلدون العقلانية، وطوروها لتصبح ركائز أساسية في ولادة علوم إنسانية حديثة، منها التاريخ الاجتماعي وعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها. ولفت بعضهم الانتباه إلى دور العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطور التاريخ، وإلى علاقة البناء الفوقي بالبناء التحتي، ولفت بعض كبار المفكرين الأوروبيين، منذ القرن التاسع عشر، الانتباه إلى أن علم التاريخ هو أقدم العلوم البشرية، وأغناها، وأكثرها فائدة للناس.

ولادة مدرسة التاريخ الشفوي في الغرب

ليس في الأمر مبالغة القول إن ابن خلدون شكل النموذج الأرقى في المدرسة التأريخية لدى العرب والمسلمين. لكن دخول العرب عصور الانحطاط وتخلفهم عن ركب العلوم العصرية والتكنولوجيا المتطورة، أفقدهم القدرة على الاهتمام بكبار علمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم. وفي حين كانت جامعات الغرب الأوروبي تدرس نظريات ابن رشد، وابن سينا، وابن خلدون والخوارزمي، وجابر بن حيان وغيرهم كانت كتبهم تصادر في مشرق العرب ومغربهم؛ فتخلف المؤرخون العرب عن متابعة تطور العلوم الإنسانية بشكل عام، ومنها الكتابة التاريخية. وساد في صفوف مؤرخهم نوع من الكتابة السردية التي تعود إلى قرون سابقة على المدرسة الخلدونية وتجلياتها على المستوى العالمي، لكن المدارس التأريخية الأوروبية، بتجلياتها الوضعية، والماركسية، والاجتماعية، والليبرالية وغيرها، بالغت في التركيز على وثائق الأرشيف واعتبرتها المصدر الأهم في كتابة التاريخ في مختلف

حقبه، لأنها تتضمن حقائق ثابتة يمكن العودة إليها وتحليلها. وقد تبنى بعض المؤرخين المبدأ العلمي القائل إن «الحقائق مقدسة أما الرأي فمجاني».

لذلك تم التركيز على وثائق الأرشيف، العام والخاص، لأنها تتضمن ملايين الوثائق الديبلوماسية، والاتفاقيات، وتقارير السفراء، والقناصل، بالإضافة إلى مذكرات القادة، والرحالة، وشهود العيان، وغيرهم. فتراجع دور الرواية الشفوية إلى الحدود الدنيا، بعد أن كانت المصدر الأهم في كتابة التاريخ. ونشرت عشرات الكتب العلمية حول كيفية كتابة التاريخ بالاستناد إلى الوثائق المكتوبة دون سواها. ونادرا ما أشارت تلك الكتب إلى إمكان الاستفادة من الروايات الشفوية في الدراسات الأكاديمية الجادة[٤].

لكن بعض المؤرخين المتنورين، ومعظمهم من المنحازين إلى كتابة تاريخ الطبقات الشعبية المسحوقة في نضالها ضد القوى التسلطية، الداخلية منها والخارجية على حد سواء، تنبهوا إلى أن الوثائق المكتوبة وحدها لا تشكل سوى جزء يسير من تاريخ الناس، إذ تركز الوثائق، في الغالب، على أخبار الملوك، والقادة العسكريين والسياسيين، والاتفاقيات بين الدول، وغيرها، وهي تسقط عمدا أخبار عامة الناس، ونضال الشعوب ضد المحتلين، والمظاهرات الوطنية والنقابية. وأن ما دون عن تلك الأحداث مغاير تماما للحقيقة، لأنه يعبر فقط عن آراء الغالب ضد المغلوب، ويقدم رواية الدول المستعمرة عن أعمالها المجيدة للشعوب التي استعمرتها وأفقدتها تاريخها الحقيقي السابق على المرحلة الاستعمارية، لذلك نبهوا إلى ضرورة كتابة التاريخ بالاستناد إلى الجمع بين مصادر الأرشيف والمصادر الشفوية، التي يمكن للمؤرخ جمعها من خلال شهود العيان الذين عايشوا تلك الأحداث، لكن مصادر السلطة لم تشر إليها بل تجاهلتها بالكامل. وغالبا ما وصفت الوثائق الرسمية قدامى المناضلين ضد الاستعمار بالعصاة أو المتمردين أو المتآمرين على أمن الدولة. ونشرت كتابات حديثة لمؤرخين موضوعيين نبهوا إلى أهمية المصدر الشفوي وضرورة الاستفادة منه في كتابة تاريخ الجماعات والدول[٥].

لا يتسع المجال هنا لإبراز تطور اهتمام المؤرخين مجددا في جميع الدول المتطورة، والعودة إلى الرواية الشفوية لاعتمادها مصدرا أساسيا ومهما من أجل كتابة تاريخية علمية. بل يكفي التذكير هنا بما شهدته الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين من إعادة إحياء مدرسة التاريخ الشفوي. كما أن المؤتمر الدولي للمؤرخين العالميين، في بوخارست، قد أفرد ثلاثة أيام لمناقشة أهمية المصدر الشفوي.

أولا: الاهتمام الأمريكي بالتاريخ الشفوي[٦]

في سبتمبر من العام ١٩٦٦ بادر بعض الباحثين الأمريكيين في جامعة كاليفورنيا، ومن تخصصات مختلفة في علوم الأرشيف، والاجتماع، والمكتبات، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والتراث الشعبي أو الفولكلور وغيرهم، إلى تنظيم ندوة مهمة حول التاريخ الشفوي، ضمت ٧٧

مشاركا في حقول معرفية متنوعة. وبسبب النجاح الكبير الذي حظيت به أعمال الندوة، قرر بعض المشاركين فيها تشكيل «الجمعية الأمريكية للتاريخ الشفوي»، التي بدأت أعمالها في نوفمبر ١٩٦٧ . وقد أصدرت الجمعية مجلة فصلية في عام ١٩٧٣، ثم مجلة سنوية باسم «مجلة التاريخ الشفوي». وسرعان ما توسعت دائرة الاهتمام العالمي بالتاريخ الشفوي لتطول دولا أخرى، ومنها من أفردت له متحفا خاصا في الدول الإسكندنافية، وكندا وغيرها.

دلالة ذلك أن حقل التاريخ الشفوي بات مفتوحا على من يعمل في الأرشيف، ويستقطب مؤرخين، وعلماء مكتبات، ومتخصصين في التراث الشعبي أو الفولكلور، وأطباء، وأدلة على المتاحف، ومتخصصين في علم الأديان وفي تاريخ الجماعات العرقية والثقافية والبداوة وغيرها.

وانتشر نشاط تلك الجماعات أولا في الدول المتطورة جدا. فقد تنبه بعض المهتمين بعلوم الإنسان أن وثائق الأرشيف، على أهميتها في كتابة التاريخ العلمي الموثق، لا تعبر إلا عن فئات محدودة من المجتمع. في حين أن تاريخ أغلبية الناس يبقى مغيبا، لأنهم لا يتركون مذكرات مكتوبة. وبالتالي، لا بد من تدوين أعمال الناس في مختلف مجالات عملهم، وليس فقط في الأمور السياسية.

وسرعان ما بدأت منهجية التاريخ الشفوي تنتشر بصورة تدريجية تجاه الدول النامية. وأنشأت دولة الإمارات العربية المتحدة أخيرا مؤسسة خاصة للتاريخ الشفوي، تعنى بجمع تراث الشعب الإماراتي، والتبدلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدها في عملية الانتقال من البداوة إلى الدولة الحديثة.

ثانيا: المصدر الشفوي في أبحاث المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية في بوخارست(٧)

عقد المؤتمر، الخامس عشر للعلوم التاريخية في بوخارست برومانيا في الفترة ما بين ١٠ و١٧ أغسطس ١٩٨٠، بمشاركة عدد كبير من المؤرخين الذين وفدوا من جميع دول العالم، وقد نظمته اللجنة الدولية للعلوم التاريخية، ونشرت أعماله في ثلاثة مجلدات، بدعم مالي من منظمة الأونيسكو.

تأتي أهمية هذا المؤتمر في أنه أفرد ثلاثة أيام كاملة لمناقشة التقارير التي قدمها الباحثون في موضوع «أهمية التاريخ الشفوي». وهو أول مؤتمر دولي يولي مثل هذا الاهتمام الكبير بمنهجية التاريخ الشفوي. وقد أوصى المشاركون فيه بضرورة الاستفادة منها في كتابة التاريخ المعاصر بشكل خاص.

لقد أتيحت لي الفرصة للمشاركة في أعمال هذا المؤتمر، ومتابعة النقاش الغني الذي دار في أروقته حول أهمية التاريخ الشفوي. وبعد عودتي إلى لبنان، حرضت طلاب الدراسات العليا والدكتوراه في التاريخ على إدخال المصدر الشفوي في رسائلهم وأطروحاتهم الأكاديمية.

فلاقت الخطوة ترحيب البعض ومعارضة شديدة من جانب عدد كبير من الأساتذة الجامعيين، ومنهم من لا يزال يرفض حتى الآن استخدام المصدر الشفوي في الأعمال الأكاديمية. ثم كتبت مقالة مطولة عن أهمية المصدر الشفوي بعنوان: «حتى تستعيد الشعوب المغلوبة تاريخها الحقيقي: دراسة في أهمية المصدر الشفوي». لكن هيئة تحرير مجلة «الفكر العربي»، ارتأت اختصار العنوان، ليصبح كالتالي: التاريخ الأهلي والتاريخ الرسمي: دراسة في أهمية المصدر الشفوي»[٨].

وقد تناولت فيها، وبكثير من التفصيل، أهمية المقابلات الشفوية في تعزيز دور الوثائق العلمية في البحث التاريخي. لكن الاستفادة منها تحتاج إلى منهج علمي متكامل لتبويبها، وتدقيق المعلومات الواردة فيها، والحصول على موافقة من تجرى مقابلتهم على ما جاء فيها.

منهجية التأريخ الشفوي وموضوعاتها وطرق الاستفادة منها

تقدم منهجية التأريخ مادة غنية وإضافية للبحث العلمي التاريخي من طريق تحويل الرواية الشفوية إلى نصوص محفوظة على آلات التسجيل الحديثة وأشرطة الفيديو وغيرها، ثم تحويلها إلى نصوص مكتوبة توضع في باب المقابلات الشفوية. وبعد التأكد من صحتها، وحسن تبويبها، وخلوها من الدس أو التزوير أو الإضافات غير الموجودة على أشرطة التسجيل، تتحول إلى مصدر مهم للدراسات التاريخية اللاحقة.

ومن أجل حفظ المعلومات الموجودة فقط في الذاكرة، وحفظ الأشعار من النسيان والضياع، وتدوين الملاحظات عن بعض الأحداث المهمة، تُستخدم آلات التسجيل، وأشرطة الفيديو لتسجيل الصوت والصورة. وتبرز أهمية التاريخ الشفوي في مجالات لا حصر لها، وأبرزها:

- أنه يعتبر حوارا مباشرا بين المؤرخ وصاحب الذكريات. ويساعد الحوار على تنشيط الذاكرة، ومقارنة الأحداث، والجمع بين الرواية الشفوية والرواية المكتوبة، واستخدام التقنيات الحديثة لتدوين الوقائع التاريخية بدل الكتابة على أوراق أو بطاقات.

- أنه يتطلب من المؤرخ شروطا دقيقة ومعرفة علمية معمقة من أجل تحويل الرواية الشفوية إلى مصدر تاريخي مدون أو مكتوب على أسس علمية سليمة، لكي تتم الاستفادة من المقابلة في أكثر من مجال، بعد أن تصبح على قدم المساواة مع الوثيقة أو أي نص تاريخي مكتوب. وذلك من طريق توقيعهم على كل صفحة من صفحات المقابلة. وفي حال عدم معرفة صاحب المقابلة مبادئ القراءة والكتابة يُستعان بواحد من أفراد أسرته، أو تؤخذ بصمة إبهامه لتوضع على صفحات المقابلة. وقد أثمرت جهود المؤرخين المهتمين بالتاريخ الشفوي إدخال هذه المنهجية كمادة تدرس في إطار منهج البحث التاريخي، في سنوات الإجازة الجامعية ودبلوم الدراسات العليا في التاريخ.

- لا بد من التأكيد على عدم التمييز بين الرواية الشفوية والرواية المكتوبة من حيث أهمية الإسناد؛ فكلتا الروايتين عرضة للنقد على ضوء وثائق أو مصادر أخرى. علما أن كثيرا من النصوص المكتوبة كانت في الأساس روايات شفوية تم تدوينها في ظروف لاحقة.

وكثيرا ما طرح السؤال المنهجي التالي: هل الرواية الشفوية أقل أهمية من الرواية المكتوبة؟ وما شروط تحويل الرواية الشفوية إلى رواية مكتوبة؟ وما آفاق التفاعل الإيجابي بين الروايتين لتجاوز النقص الأصلي في السرد الروائي؟

- لا بد للمؤرخ المدقق من التنبه إلى مغالط الرواية الشفوية كما نبه ابن خلدون وغيره إلى مغالط المؤرخين؛ فاضطراب الذاكرة لدى صاحب الرواية أو المقابلة يفضي إلى عدم الدقة في المعلومات. وهو عرضة للمؤثرات الشخصية أو العاطفية، الميل إلى التحيز والهوى.

- إن ادعاء معرفة غير مثبتة لدى صاحب الرواية يقود المؤرخ إلى صعوبة ضبط المعلومات وغياب الموضوعية. ورغم التحفظ الذي يقوم به وتنسيب المعلومات إلى صاحبها أو راويها، فإن ذلك لا يعفي المؤرخ من مسؤولية تعميم معلومات خاطئة أو غير دقيقة قد تسيء إلى سمعته كمؤرخ مدقق وناقد لجميع الروايات، المكتوبة منها أو الشفوية.

والهدف من ذلك إثبات صحتها وخلوها من الدس والتزوير؛ لأن واجب المؤرخ هو الشك وليس اليقين، أو بالأحرى الشك المفضي إلى اليقين.

- تبرز أهمية التاريخ الشفوي في كتابة تاريخ من لا تاريخ لهم، وبصورة أكثر تخصيصا في مجال البداوة المترحلة، والمناطق النائية البعيدة عن سلطة الدولة، والتجمعات العرقية أو الدينية المناهضة للدولة، والجمعيات والأحزاب السرية، وكثير غيرها.

- نلفت الانتباه هنا إلى ولادة علوم جديدة تعتمد على الرواية الشفوية والملاحظة المباشرة. ومنها علم الاجتماع، وعلم التاريخ المباشر، وعلم الأنثروبولوجيا الثقافية أو علم الإناسة، وعلم التراث الشعبي أو الفولكلور، وكثير غيرها.

- لم يعد بالإمكان تجاهل الرواية الشفوية في كتابة تاريخ الحاضر أو الماضي القريب. إذ تنشر سنويا عشرات المذكرات لقادة سياسيين، وقادة النقابات، والفنانين، وهي تتضمن معلومات غير دقيقة؛ لأنها تشكل حوارا ذاتيا غير منضبط، وفيها كثير من تضخيم الأنا على حساب دور الآخرين الذين شاركوا في صنع الحدث التاريخي إلى جانبه. وهنا تأتي الرواية الشفوية لتصويب المغالطات وتقديم الحقائق التاريخية المثبتة بأكثر من وجهة نظر تجاه الحدث الواحد.

- تلعب منهجية التاريخ الشفوي دورا أساسيا في تدوين العادات والتقاليد، وكيفية تطور مجتمعات البداوة المترحلة باتجاه مرحلة التحضر وسكن الأرياف، والانخراط في تاريخ المدن وما فيها من نشاطات مجتمعية لا حصر لها. وهناك ضرورة قصوى لأن يتملك المؤرخ فهما دقيقا وخلاقا للعلاقة الجدلية بين التاريخ الشفوي وتاريخ العادات المتوارثة.

- يشكل التاريخ الشفوي مدخلا مهما لتاريخ الجماعات أكثر منه لتاريخ الأفراد الذين يستطيعون التعبير عن سيرهم عبر المذكرات. وكثيرا ما يتجاوز المؤرخ المدقق السيرة الذاتية إلى الذاكرة الجماعية، وتطور العادات والتقاليد، ويستجلي ما سكتت عنه المصادر المكتوبة، ويجري مقارنة بين الثابت والمتحول في العادات، من خلال دراسة سلوكات الأجيال المتعاقبة.

- تكمن أهمية التاريخ الشفوي في أنه قادر على إجراء حوار مباشر مع فرد، وحوار مباشر مع مجموعات شاركت في حدث واحد، وعلى رسم مشاهدات عيانية للتحركات الجماعية ورصد نشاطاتها على المدى الزمني الطويل. ولعل من أبرز مقولاته النظرية أن الحاضر يفسر الماضي وليس العكس، فتاريخ الجماعات البدائية، وماضيها في المرحلة الاستعمارية الكولونيالية، ليس مدونا بصورة صحيحة، بل من خلال سجلات أرشيف الدولة الغازية. لذا لا بد من الربط بين حاضر تلك الشعوب - في مرحلة ما بعد الاستقلال - وماضيها الذي تم تشويهه عمدا من جانب الدول المستعمرة.

- يساهم التاريخ الشفوي في إعادة رسم أدوار الشخصيات السياسية والقوى المناضلة، وفي إقامة التمييز الفعلي بين من هو المناضل الوطني، ومن هو المتعاون مع إدارة الاستعمار الخارجي، وذلك من خلال المقارنة الدقيقة بين وثائق التاريخ المكتوب وروايات التاريخ الشفوي.

- بقي أن نشير إلى أن معظم الدول المتقدمة، كالولايات المتحدة الأمريكية، والنرويج وباقي الدول الإسكندنافية، وكندا، وسويسرا، وغيرها تولي أهمية استثنائية للتاريخ الشفوي. فهي تقيم له المتاحف العصرية التي تحفظ فيها ذكريات الناس على أشرطة فيديو، وهناك متحف خاص في النرويج للفولكلور الشعبي بالاستناد إلى المرويات الشفوية المدونة.

- أخيرا، يلعب التاريخ الشفوي دورا مهما في رصد كثير من الظاهرات الاجتماعية المستمرة، عبر الأمثال الشعبية وعادات وتقاليد الولادة والزواج والوفاة، والعودة بها إلى الذاكرة التاريخية الجماعية، ومحاولة تدوينها. هذا بالإضافة إلى الرقص والفنون الشعبية، والموسيقى، وكيفية المواجهة الجماعية لغضب الطبيعة، والأوبئة، وممارسة الطقوس الدينية.

تقنيات البحث التاريخي الشفوي

يتطلب التاريخ الشفوي مهارة في كيفية تحضير الأسئلة، وتدريب الباحث على الحوار، واستخدام آلات التسجيل والفيديو، ومعرفة عميقة بمبادئ الثقافة الشعبية وتجلياتها الاجتماعية، وتدوين المعطيات وعرضها على صاحب الذكريات للتوقيع عليها، وتملك منهجية تحويل النص الشفوي إلى نص مكتوب، وهناك انطباع عام بأن التاريخ الشفوي لا يتناول القضايا الديبلوماسية، والاحصائيات الدقيقة، والإبداع الثقافي، ودور الملوك والقادة العسكريين، والشخصيات المشهورة في التاريخ، أي أنه تاريخ المغمورين فقط من الناس، أو من لا تاريخ لهم في المدونات الرسمية.

وتتمحور موضوعاته حول الذكرة الفردية بصورة خاصة، والتراث الشعبي بصورة عامة. لذلك تبرز صعوبات كثيرة في إقناع الباحثين الأكاديميين وتدريبهم على منهجية التاريخ الشفوي؛ بسبب انشدادهم إلى الوثائق المكتوبة والمودعة في الأرشيفات العامة والخاصة. وهناك من يفضل كتابة الرسالة أو الأطروحات الأكاديمية من دون العودة إلى المرويات الشفوية؛ إذ يعتبرها تقلل من أهمية عمله الأكاديمي. ويحتاج الباحث في التاريخ الشفوي إلى معرفة معمقة بمبادئ علم الاجتماع، وعلم الأثنولوجيا، وعلم الإناسة أو الأنثروبولوجيا الثقافية، والأدب الشعبي، وعلم النفس الاجتماعي.

أخيرا، على المؤرخ الشفوي أن يكتشف وثائقه بنفسه (أدواته، ومنهجيته، ومفاهيمه، مصطلحاته، وتقنياته، وطرق الاقتباس، وأسلوب التحليل، ودقة الاستنتاجات). وتبرز مقدرة الباحث هنا في كيفية إدارة الحوار المباشر، والمقابلة الشخصية، والتعرف إلى خفايا الذاكرة الجماعية، وطرق تدوين الملاحظات الدقيقة، والتحليل الاجتماعي المعمق بالاستناد إلى علم اجتماع المعرفة. وعلى المؤرخ أن يتقن لهجة الشاهد أو الراوي المحلي، وأن تكون لديه معرفة عميقة بالعادات والتقاليد الموروثة، وأن يمتلك مهارة كافية في كيفية توجيه الأسئلة بطريقة ذكية لا تستفز الراوي أو تشعره بنوع من التشكيك المسبق في أقواله.

بعض الملاحظات الختامية

لسنوات طويلة كانت الكتابة التاريخية في الوطن العربي تعتمد فقط على المصادر المكتوبة أو الوثائق. فكانت تسقط، وبصورة متعمدة أحيانا، جميع المصادر الشفوية. علما أن المجتمعات العربية - حتى أواسط القرن العشرين - كانت تتشكل من جماعات سكانية تنتسب إلى البداوة بما يقارب السبعين في المائة. هنا تبرز أهمية التاريخ الشفوي؛ لأنه يعيد التوازن إلى الكتابة التاريخية من خلال إيلاء الاهتمام بأعمال الفئات والطبقات الدنيا.

مع ذلك، لا تزال الكتابة في مجال التاريخ الشفوي، على أهمية هذا الحقل المعرفي المهم، غائبة عن كثير من الدراسات التاريخية العربية، على الرغم من توافر المبادرات الفردية في ميادين الإعلام والأعمال الدرامية التي وُظِّفت تقنيات التاريخ الشفوي في كتابة التاريخ السياسي والسير الذاتية والتراجم والتوثيق للأمثال الشعبية، لكنها تفتقر في غالبيتها إلى المنهجية العلمية والنشاط المؤسسي الذي يضمن الانطلاق في هذا المجال بصورة متسلسلة شمولية سليمة.

في الوقت الحاضر تسعى مؤسسات المجتمع المدني في بعض الدول العربية إلى تقصي الحقائق ومتابعتها، من خلال إسناد النصوص المكتوبة بمقابلات شفوية تغني تلك الوثائق. لكن نجاح جهودها وتطوير أدواتها يعتمدان على مدى ما يتوافر لها من الدعم المادي، والحافز على القيام بتدوين تاريخ من لا تاريخ لهم.

ويساهم التاريخ الشفوي في الكشف عن كثير من المعطيات، حيث تغيب بصورة كلية أو جزئية الوثائق المكتوبة. لكن النظرة إلى هذا العلم لم ترتق بعد إلى درجة اعتباره علما متكاملا وشموليا. وينظر كثير من المؤرخين إلى المنهج الشفوي باعتباره لا يغني عن الوثائق المكتوبة التي انتشرت بشكل مكثف، وعلى مختلف الصعد، بل يسد بعض النواقص فيها. ومنها من نبه إلى أنه لا يجوز اعتبار التاريخ الشفوى تاريخا قائما بذاته، بمعزل عن التاريخ المسند إلى الوثائق المكتوبة.

وتقدم الروايات الشفوية نماذج حية لأحداث تاريخية كُتِبَ عنها كثيرٌ من خلال وثائق الدولة الرسمية، والصحف، والمجلات، والمؤرخين. وتبرز أهمية الرواية الشفوية بقوة عند غياب الوثائق المدونة، أو لتصويب تفسير معين لحدث تاريخي تم تدوينه من قبل فرد بارز ساهم في صناعته؛ لكنه عمد إلى تغييب دور كثيرين ممن قاموا بها. وفي ظل غياب الوثائق الشمولية عن الحدث التاريخي تصبح الرواية الشفوية سندا مهما يظهر أعمال الناس العاديين، من الذين شاركوا فيه أو عاصروه.

مع ذلك، مازالت وظيفة الرواية الشفوية لدى عدد كبير من المؤرخين العرب تقتصر على تقديم جوانب إضافية لتفسير الحدث التاريخي. وينظر إليها بكثير من الشك والريبة، وتعتبر شهادة ضعيفة لا ترقى إلى مستوى الوثيقة المكتوبة؛ لأنها تعتمد كليا على أفراد هم في الغالب من المسنين الذين تعتري ذاكرتهم مشكلات لا حصر لها، مما يضعف من صدقية رواياتهم ومشاهداتهم العيانية.

غني عن التذكير أننا نعيش اليوم مرحلة التدوين الكثيف في مختلف المجالات، وعبر مختلف وسائل الإعلام والنشر. وهناك ذهنية أكاديمية مسيطرة، في الدول العربية وغير العربية، تعطي الأولوية المطلقة في الكتابة التاريخية إلى الوثيقة المدونة وحدها. لكن بعض المؤرخين لا يجدون حرجا في استخدام التقنيات الحديثة لحفظ الروايات الشفوية، التي تزود المؤرخين بمصادر جديدة. وقد أولت الدراسات التاريخية المعاصرة بعض الاهتمام غير الكافي بالروايات الشفوية لدراسة الاحداث المعاصرة، التي مازال بعض صانعيها على قيد الحياة. علما أن الروايات الشفوية تستخدم بصورة مكثفة في إعداد برامج إذاعية وتلفزيونية عامة، ومنها برامج خاصة لمن تطلق عليهم وسائل الإعلام صفة «شاهد على العصر».

تحتاج الرواية الشفوية إلى منهجية علمية متكاملة لكي تتحول إلى مصدر أساسي أو وحيد للدراسات التاريخية العلمية؛ فهي مازالت حتى الآن عرضة للشك والحذر، وتستخدم في مجال المقارنة مع ما أغفلته الوثائق المكتوبة. وتكمن أهمية التاريخ الشفوي في أنه يعيد التوازن إلى كتابة التاريخ الشمولي. فهو يولي اهتماما كبيرا بدور الطبقات الدنيا والمتوسطة، وأعمال الناس العاديين، والفئات المهمشة... هكذا تساهم الرواية الشفوية في كتابة سيرة من تجاهل

المؤرخون أعمالهم. فتحقق بذلك عملية التوازن بين تاريخ المجتمع، بجميع طبقاته، وطوائفه، وتكويناته السياسية والاجتماعية والثقافية؛ فالرواية الشفوية المتكاملة مع الرواية المدونة والمحفوظة في وثائق الأرشيف العام والخاص تلبي رغبة الكاتب الفرنسي الشهير، فولتير، الذي نبَّه منذ مطلع القرن الثامن عشر إلى كتابة تاريخ عامة الناس وليس تاريخ القادة فقط. قال فولتير: «يبدو لي أنه لم يُنظَر إلى التأريخ إلا باعتباره عملية تجميع لتسلسل الأحداث. فلم يكتب من موقع المواطنة ولا من موقع الفلسفة. لذلك حاولت قدر المستطاع أن أكتب تاريخ العلوم والقوانين والعادات والتقاليد والخرافات. ففي كل ما قرأت لم أجد سوى تاريخ الملوك، وأنا كلي رغبة لقراءة تاريخ الناس، كل الناس»[٩].

ليس من شك في أن بإمكان جميع الدول النامية أن تستعيد كثيرا من وقائع تاريخها، وبشكل أساسي، بالاستناد إلى التاريخ الشفوي أكثر من التاريخ المكتوب المدون في سجلات الدول الاستعمارية. فهو ينطلق من مقولة منهجية غاية في الاهمية، ترى أن الحاضر يفسر الماضي وليس العكس. لكن الشعوب الحية وحدها هي القادرة على استخلاص العبر من ماضيها لتصويب مسار حاضرها وبناء مستقبل أفضل.

ختاما، لا بد من التأكيد مجددا على أن هناك تحديات لا حصر لها تواجه منهجية التاريخ الشفوي، وما إذا كان بإمكان المؤرخ المستند إلى منهجية التاريخ الشفوي أن يكون بارعا في إتقان عمله، وأن يقدم دراسة متميزة في موضوع بحثه، وهل يمكن توليد جيل من المؤرخين المهتمين بالتاريخ الشفوي؟ وهل تسمح التقاليد الأكاديمية التقليدية باعتماد التاريخ الشفوي لتقديم الدراسات العليا وأطروحات الدكتوراه في التاريخ؟

مصادر الدراسة

1 عبدالرحمن بن خلدون: «المقدمة»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا تاريخ، صفحات ٣ - ٥ .
2 المصدر السابق، ص ٨ و٩، ٢٨ .
3 المصدر السابق، ص ٣٥ .
4 Bloch,M: Apologie pour l'Historire et le métier d'historiens. A. Colin, Paris 1964.
Braudel,F: Ecrits sur l'Histoire. Flammarion, Paris 1969.
Bourde, G: Les Ecoles Historiques. Le Seuil, Paris 1983.
Carbonnel, CH.: L'Historiographie.P.U.F, Paris 1981.
Carr,E: What is History? Pelican,London 1964.
Gardininer,P: The Philosophy of History. Oxford University Press, 1974.
5 Le Goff et autres:- La Nouyelle Histoire. Retz, Paris 1978.
- Faire de l'Histoire,3 tomes. Gallimard, Paris 1974.
- L'Histoire Aujourd'hui .Auxerre. 1999.
Noiriel, G: Qu'est-ec que l'Histoire Contemporaine?. Hachette, paris 1998.
Remond, A: Etre Historien Aujourd'hui. UENSCO, Paris, 1988.
Ricoeur, J: Temps et Recit, 3 tomes. Le Seuil, Paries, 1983 -1985.
Soulet, J.F: L'Histoire Immediate.P.U.F. Paris 1994.
Veyne,P: Comment on ecrit l'Histoire,Essai d'Epistemologie. Le Seuil, Paris 1971.
6 James Mink, archivist and director of Oral History at University of California aided by Prof. Allan Nevins, organized The First National Colloquium on Oral History at Lake Arrowhead in September 1966. Organizational work led to the formaion of a United states Oral History Association in Vovember 1967. The Association published the Quarterly Newsletter. But From 1973, an annual journal, The Oral History Review has been published.
See also: Louis Starr: Oral history: problems and prospects. 2 volumes Seminar Press, New York, 1971.
7 Comité International des Sciences Historiques: XVe congrés international des Scienses Historiques.3 volumes. Bucarest 1980. Publié avec l'aide financière de L'UNESCO.
Voir: Volume I. Rapports: Grands Themes et Methodologie,PP 497 - 586. This volume has the Following articles:
- Maclyn Burg: Problems and Methods of Oral History.
- Boudacar Barry: La Chronologie dans la Tradition Orale de Waalo.
- Sylvie Vincent: l'Historie Orale Montagnaise: Source pour l'Histoire et Discours idéologique.
- Mercedes Vilanova and Dominique Willems: Problems and Methods of Oral History.
- T. Barker: Oral History in Britain.
- Glatz Ferenc: Oral History and Source Criticism.
- E. Bull: Working Clas Ways of life during Early Industrialization.
See also:

- Jan Vansina:Oral Tradition: A Study in Historical Methodology. Chicago 1965. Yves Person: Tradition Orale et Chronologie. In, Cahiers d'Etudes Africaines. N.7, Senegal, 1962.
Sean O'Sullivan: Oral History .2 Volumes, London 1974.

8 مسعود ضاهر: «التاريخ الأهلي والتاريخ الرسمي: دراسة في أهمية المصدر الشفوي». مقالة منشورة في مجلة «الفكر العربي» العدد ٢٧، بيروت، مايو - يونيو ١٩٨٢، صفحات ١٨٥ - ١٩٨ .

9 الهادي التيمومي: «مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم في العالم الغربي من النهضة إلى العولمة». منشورات دار محمد علي للنشر، تونس ٢٠٠٣ .

إشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تحقيق المخطوطات التاريخية (المخطوطات الإسماعيلية اليمنية نموذجا)

د. عادل سالم العبد الجادر(*)

مقدمة

أعارني البروفيسور ويلفرد ماديلونج Wilferd Madelung1(١) نسخة ميكروفيلم من مخطوطة وأوصاني بتحقيقها. وما إن تسلمت نسخة الميكروفيلم، حتى ذهب عني التساؤل الذي راودني عن سبب عدم قيام ماديلونج بهذا العمل، وهو الباحث المعروف بتمكنه من اللغة العربية وجهده في التحقيق؛ فقد وجدت أنّ المخطوطة نصف منقوطة، ومكتوبة بخط صعب القراءة(٢).

كتبت إلى ماديلونج بموافقتي على اقتراحه، ولكن دون أن أسمي ذلك تحقيقا، بل قراءة لمخطوط كتاب البستي «من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم»(٣)، لعلمي أنّ علم تحقيق المخطوطات بحر لم أسبح أبعد من شطآنه. كان الهدف من نشر تلك المخطوطة توفيرها بين يدي القارئ المتخصص في التاريخ والدراسات الإسماعيلية والفلسفة الإسلامية وعلم الكلام. ونشرت المخطوطة ضمن كتابي «الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار»، الذي حاز جائزة الدولة التشجيعية في الكويت لعام ٢٠٠٢م.

كان الكتاب قد قُتل بحثا على يد المستشرقين، ابتداء من إجناز جولدزيهر Ignaz Goldziher ١٩١٦م ولويس ماسنيون Louis Massignon ١٩٢٢م، مرورا بصموئيل شتيرن Samuel Stern ١٩٦١م، ثم ويلفرد ماديلونج ١٩٨٥م، وانتهاء بفرهاد دافتري Farhad Daftary

(*) رئيس تحرير مجلة التقدم العملي - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت.

١٩٩٢م وبول والكر Paul Walker ١٩٩٣م، إلا أن أحدا منهم لم يحقق المخطوطة أو يترجمها، باستثناء شتيرن الذي حقق عدة أوراق وترجمها إلى اللغة الإنجليزية، من [١٧أ إلى ١٩أ] (٤)، أما الباقون فقد استخدموها كمصدر رئيس لبعض دراساتهم. وجزء من تلك المخطوطة موجود في مكتبة الأمبروزيانا Ambrosiana Library في ميلانو بإيطاليا، وللأسف، فإنّ هذا الجزء قد وقف عند الورقة ١٢٥أ. وبمزيد من التحري عن الكتاب وجدت أنّ تاجرا إيطاليا يدعى جيوسبي كابروتي Giuseppe Caprotti أرسل في ٨ فبراير ١٩٠٦ هذه المخطوطة إلى يوجينيو جريفيني Eugenio Griffini أمين مكتبة الأمبروزيانا، وقد كتب على غلافها بالإيطالية ما ترجمته «ج. كابروتي من صنعاء إلى إ. جريفيني الأمبروزيانا ميلانو»(٥). وقد اقتنى هذا الأخير تلك المخطوطة ووسمها بخاتمه [ex libris]، ثم باعها للمكتبة التي عمل فيها مع مجموعة من المخطوطات العربية الأخرى.

لم تكن الصعوبة تكمن في قراءة مخطوطة الكتاب أو تنقيط ما لم ينقط من الحروف فقط، بل كانت هناك تصحيحات إملائية وأخرى لغوية كثيرة، وربما تعدى الأمر ذلك إلى تصحيح بعض الآيات القرآنية التي ذُكِرت خطأ في الكتاب، سواء كان هذا الخطأ سهوا من المؤلف أو الناسخ. أما في تخريج الأحاديث، فلم أغفل مذهب المؤلف الزيدي ولا مشربه الاعتزالي في إنكار أحاديث الآحاد، وإصراره على التنزيه من خلال إنكار التجسيم والتشبيه. وعايشت روح عصر المؤلف في استخدامه كثيرا من المصطلحات الفلسفية السائدة آنذاك، ووضعت لها شروحات في هامش الكتاب.

كانت تلك هي بداية الهاوي الشغوف في الإبحار المتواضع في بحر المخطوطات، قراءة وتدقيقا وتوثيقا.

بين التحقيق والقراءة والتدقيق

استخدم الباحثون المخطوطات مصادر لدراساتهم، فجهدوا واجتهدوا في البحث عنها والاستعانة بها، وأمِل البعض منهم أن يعود نشر ما يقع بين أيديهم من مخطوطات ذات أهمية بالنفع على طلبة العلم والمتخصصين، فكثر نشر المخطوطات العربية، وساعد على ذلك وجود مراكز ومعاهد متخصصة لتلك المخطوطات في العالمين العربي والإسلامي والمكتبات العالمية(٦). ويبدو أنّ كثيرا من الدارسين استهواهم نشر المخطوطات بعد قراءتها، الأمر الذي جعل بعضهم يخوض في علم أوسع من مداركه وإمكاناته. فقراءة المخطوطات ومقارنة النسخ وتوليفها ما هي إلا مرحلة ابتدائية من مراحل التحقيق، تأتي بعدها مرحلة دراسة الرسم الإملائي وتصحيح مفردات لغة الكتابة وإكمال السقط، وشرح ما استعصى فهمه، وتخريج الأحاديث الشريفة، وشرح الغريب وتخريج النصوص المقتبسة وإحالة الروايات إلى رواتها،

والتعريف بالأعلام والأمكنة والبلدان، وضبط الآيات القرآنية وإحالتها إلى سورها[٧]. ولا يكتفي المحقق بذلك، بل يتبع منهج البحث والمقارنة والمقابلة، ونقد ما يجده من زلل أو خطأ وقع فيه المؤلف أو الناسخ. هذا إضافة إلى تأريخ المخطوطة من خلال دراسة الورق والحبر وخط الكتابة، والبحث في ترجمتي المؤلف والناسخ. إنّ مثل هذا العمل المضني يجعل من تحقيق المخطوطات ميدانا له فرسان ذوو مواصفات خاصة، وذوو إلمام بعلوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، وعلوم القرآن والحديث، والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والمنطق، وربما علوم أخرى، كالكيمياء والفلك والطب. وبهذا يكون المحقق عالما موسوعيا، أو على الأقل عالما بأولويات وأصول التحقيق[٨].

المخطوطات بين الانتشار والانحسار

من المعروف أنّ الوراقين والكتبيين قديما كانوا يستكتبون النساخين لكتابة الكتب الرائجة والمطلوبة، هذا إضافة إلى أنّ هناك كتبا ذات أهمية انتشرت بطريقة النسخ، وذلك لتعميم فائدتها. ومن هنا يكون للكتاب أكثر من نسخة موزعة ومتفرقة في أكثر من مكان. وفي المقابل، نرى كتبا قد أُتلفت أو أحرقت أو أهملت فضاعت ولم يبق منها سوى نقولات في بعض الكتب التي نقدتها أو استندت إليها[٩]. تلك الكتب التي ضاعت أو أُتلفت[١٠] غالبا ما كانت كتبا عن الدين والسياسة، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل:

١ - **سياسة الدولة**: سعت الدول على مدى العصور الإسلامية إلى حسر أدبيات وتعاليم المجموعات المعارضة للسلطة، وقد ألقوا على أتباعها التهم جزافا للحدّ من خطرهم وتقليص نشاطهم، فأطلقوا عليهم مسميات بغيضة، ووصفوهم بالمارقة أو الخوارج أو الزنادقة، بقصد الحدّ من انتشار فكرهم، أو ميل الناس إلى آرائهم[١١]. لقد كانت تهمة الزندقة لصيقة بكل من يخرج أو يثور على الدولة، وكان من السهل عليها أن تتهم رؤوس المعارضة بالخروج عن الدين، ومن ثم تقوم بتأليب العامة عليهم، فلا يرون سوى الاستسلام أو الهرب سبيلا[١٢]، من أجل ذلك صارت مقالات هؤلاء أو كتبهم لا تنتشر إلا في إطار ضيق ومحدود، وعادة ما كانت تتداول تحت غطاء من السرية والحذر، الأمر الذي أدى إلى ضياعها أو تلفها[١٣]، أضف إلى ذلك أن مؤلفي مثل تلك الكتب كانوا يؤثرون السلامة، فينسبون كتبهم إلى مؤلفين مجهولين، وعندها يفقد الكتاب قيمته، ولا يجد من يقرأه. وفي المقابل، كانت السلطة كثيرا ما تنسب بعض المقولات إلى بعض المؤلفين ليتسنى لها اتهامهم، وقد تعمد إلى تزوير جُمل أو مقالات وإضافتها إلى بعض تلك الكتب[١٤].

٢ - **إتلاف المؤلف بعضا من كتبه أو كلها**: ويرجع ذلك لأسباب علمية أو سياسية أو اجتماعية أو نفسية. أما السبب العلمي، فيرجع في معظمه إلى تغير فكر المؤلف وتبَنّيه رأيا

مخالفا أو معارضا لما كتبه من قبل(١٥)، ويمثل السبب السياسي عاملا مهما يدعو إلى إتلاف المؤلف كتبه أو بعضا منها، وذلك إما خوفا من بطش السلطة به، وإما طمعا للتقرب منها. ولإيثار السلامة له ولأبنائه أو جماعته وعشيرته، يتلف المؤلف كتبه ليتوافق معيشيا مع مجتمعه، ويكون مرضيا عنه ومقبولا منهم، وإلا عاش معزولا ملوما مدحورا؛ فكثيرا ما يعرّض النقد الذاتي المؤلف إلى حرمانه من حياة اجتماعية مستقرة(١٦). أما العامل النفسي فيتمثل في ردود فعل المؤلف في حالات الانفعال أو الغضب الشديد، فيقوم حينها بإتلاف ما كتب(١٧).

٣ - **صراع الخصوم**: يؤدي صراع الفئات المتنازعة دينيا أو طائفيا أو مذهبيا أو قبليا إلى إتلاف كتب الضدّ. ويتضح ذلك في الصراعات التي دارت في العصر العباسي بين أهل السنة والمعتزلة، عندما دارت الدوائر على المعتزلة(١٨). وعلى أثر التعصب المذهبي أُحرقت دار العلم ببغداد عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م(١٩). وفي مصر أحرقت آلاف الكتب السنيّة في عاصمة الدولة الفاطمية انتصارا للمذهب الإسماعيلي عام ٤٦١هـ/١٠٦٩م، وبعد ذلك بنحو مائة عام، ٥٦٧هـ/١١٦٧م، أحرق السنّة كتب الإسماعيليين انتصارا لمذهبهم(٢٠). ولعل ما حصل من إتلاف لأجزاء من كتاب الإكليل للهمداني من بعض القبائل اليمنية يمثل وجها من الصراع القبلي(٢١).

٤ - **الحروب**: من نتائج الحروب تدمير المدن ومنشآتها التي تشمل مكتباتها، ولطالما أتلفت الحروب كمّا هائلا من الكتب، وأفضل مثل على ذلك هو إحراق الصليبيين دار العلم في طرابلس الشرق عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م، حين كان في خزائنها ثلاثة ملايين كتاب. أو كما جرى في الغزو المغولي لبغداد، عندما لم تسلم كتب المكتبة المستنصرية، أو غيرها من دور الكتب، من بطش هولاكو(٢٢). ويسجل التاريخ ما كان من دور للمساجد ودور العبادة التي كانت ملجأ للناس ومكانا شبه آمن لحفظ الكتب. وقد اتضح جليا دور الجامع الأزهر في حفظ الكتب والمخطوطات في أثناء الحملات الصليبية والغزو الاستعماري على مصر(٢٣).

٥ - **الكوارث**: وتشمل الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والحرائق وتفشي الأوبئة والأمراض في المدن. فعند الكوارث تهمل الكتب، فتحترق أو تغرق أو تدفن، ولا تجد لها حافظا أو أمينا(٢٤).

٦ - **عوامل أخرى**: وهناك عدة عوامل طبيعية وأخرى بشرية منشؤها الإهمال في حفظ الكتاب وسوء الاستخدام، حيث تتعرض الأوراق للتلف من الحرارة أوالرطوبة، أو تكون عرضة لآفة الحشرات والقوارض(٢٥).

إشكالية التعامل مع المخطوطة الفريدة

نستطيع تعريف «المخطوطة الفريدة» بأنها النسخة الوحيدة الموجودة لكتاب ما، بحيث لم يُعثر لهذا الكتاب على نسخة مخطوطة أخرى. وكلما كانت المخطوطة الفريدة بخط المؤلف أو أحد تلاميذه أو ممن عاصروه قَلَّ الشك فيها، وكلما كان موضوعها حيويا ترسخت قيمتها العلمية، خاصة

عندما يكون مؤلفها من كبار علماء الأمة في عصره. وعندما تقع بين يدي القارئ مخطوطة فريدة كتبت بخط جيد ومقروء فهذا من حسن حظ الباحث، وكلما كانت الحروف منقوطة والكلمات مشكولة، قلّ الجهد المبذول واعتبر الباحث نفسه ذا حظ عظيم. وفي ضوء قراءتي للمخطوطات اليمنية الفريدة، والتي - باستثناء واحدة منها فقط - لم يُعثر بينها على أي مخطوط بخط المؤلف، نستطيع أن نوضح إشكالية التعامل معها على النحو الآتي:

١ - **التنقيط والتشكيل أو الخط السقيم**: من الأهمية بمكان أن يقوم الباحث بضبط نص الكتاب بالنقط والتشكيل، فبعض المخطوطات تكون خالية من النقط والتشكيل، ويزداد الأمر سوءا إذا كانت بخط سقيم. وإن كانت هذه الظاهرة تقل في مخطوطات ما بعد القرن الخامس الهجري. ففي الكتابة المبكرة للمغاربة والأندلسيين، على سبيل المثال، كانت «الفاء» تنقط من أسفل و«القاف» بنقطة واحدة من أعلى، كما كان المشارقة ينقطون «الشين» بثلاث نقط متتالية. وربما تزداد حيرة المحقق من التأكد من رسم بعض الكلمات المتشابهة، خاصة إذا كانت الكلمات تؤدي إلى معانٍ متوافقة. وهذا ما حصل لبول والكر عند قراءته لعنوان مخطوطة البستي «من كشف أسرار الباطنية وغوار مذهبهم»، عندما قرأ كلمة «عوار» على أنها «غوار»[٢٦]. أما صموئيل شتيرن فقد قرأ في المخطوطة نفسها «نحاور» على أنها «نجاوز» وقرأ «قبل» «أقبل»[٢٧]. ولابد للباحث من بذل جهد عظيم أيضا في العناية بالشكل وضبط الكلمات لإزالة الوهم واللبس، سواء في الأفعال والأفعال المبنية للمجهول (كَتَبَ وكُتِبَ - أَمَرَ وأُمِرَ)، أو في اسم الفاعل واسم المفعول (مُرْسِل ومُرْسَل). كما يجب العناية بقراءة الأسماء التي عادة ما يحذف منها حرف الألف مثل (هرون وسليمن = هارون وسليمان) أو الأرقام، كأن يكتب (ثلث) وهو يقصد (ثلاث)[٢٨]، أو حذف الهمزة من آخر الكلمة مثل (هوا وما = هواء وماء)[٢٩]، أو حذفها من حرف الألف (فان = فإن)[٣٠]. وما يزيد الأمر سوءا هو الخط السقيم، ومرجعه رداءة خط المؤلف أو الناسخ، أو السرعة والعجلة في الكتابة، وهذا يؤدي إلى طمس بعض الحروف وغموض الكلمات، ومن ثمّ يتعذر فهم الجُمَل[٣١]. لذا يكون من الضروري التعامل مع تلك المخطوطات بوعي وحرص ودقة، إلى جانب الحذر من التصحيف والتحريف، ويتأتى ذلك بالتأني في قراءتها وإعادة النظر في النص مرارا وتكرارا[٣٢].

٢ - **لغة العصر واختلاف استعمال المفردات والاستعانة بالاختصارات**: لابد أن ينتبه الباحث عند قراءته المخطوطة إلى العصر الذي كتبت فيه، فعليه العناية بدراسة لغة وتاريخ عصر المؤلف، حيث تكون هناك كثير من المصطلحات قد تغير لفظها أو معناها منذ تلك الفترة وحتى عصرنا هذا، أو ربما أصبحت تدل على شيء مختلف تماما. فعلى سبيل المثال: ترد كلمة «المصانع» في بعض المخطوطات، والمراد بها «جمع مصنع أو مصنعة، أحباس تصنع أو تحفر لحفظ ماء المطر»[٣٣]، ولكن مثل هذا اللفظ قد يضلل الباحث الغرّ ليفهم بأنه مكان

الصناعة. أو يأتي ذكر «البحرين» في الكتب التاريخية أو الجغرافية المتقدمة: كما وصفها ياقوت الحموي بأنها «البلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان»(٣٤)، أو كما يصفها المقدسي في أحسن التقاسيم على أنها الأحساء، فيقول: «الأحساء قصبة هجر وتُسَمى البحرين»(٣٥)، فإن هذا الوصف يختلف تماما عمّا هو عليه واقع الحال لمملكة البحرين حاليا. فعلى الباحث المحقق الرجوع إلى الكتابات التي عاصرت زمن المؤلف، من تلك التي تناولت الموضوع نفسه. كذلك عليه العناية بتمييز الاختصارات، مثل: صلعم = صلى الله عليه وسلم، صلع = صلى الله عليه [وآله]، عس = عليه السلام، رض = رضي الله عنه، قس = قدس الله سره، عج = عجل الله فرجه، التي يوجد منها ومثلها الكثير في المخطوطات الإسلامية. ويبدو أنّ تلك المختصرات كانت كتابتها بذلك الشكل ضرورية لكثرة تكرارها في النصوص مقابل شحّ الوَرَق وغلاء القراطيس من ناحية(٣٦)، وضيق وقت الناسخ من ناحية أخرى. إلا أننا لاحظنا في الكثير من المخطوطات المحققة أنّ محققيها جعلوا هذه المختصرات ضمن النص دون تمييزها بوضعها بين قوسين، وإن كان من الأجدر أن يوضع جدول في مقدمة التحقيق يبين تلك المختصرات ومعانيها.

٣ - **الرموز والمعاني الغامضة**: نتيجة للقمع الفكري من الدولة، لجأ بعض المؤلفين إلى استخدام الرموز وبعض المعاني الغامضة التي لا يعرفها إلا الخاصة من أتباع المذهب أو الطائفة أو الحزب، مثل استخدام خط المسند الحميري أو أرقام حساب الجُمل ذات الدلالة على الحروف الأبجدية، حيث كثر استخدامهما في الرسائل السرية الإسماعيلية وبعض كتبهم(٣٧). وربما استخدمت الرموز في الكتابة ضمن النصّ العام للكتاب المخطوط باللغة العربية بهدف ضمان عدم انشقاق بعض الأجنحة الفاعلة في القاعدة الشعبية المؤيدة للفكرة العامة للدولة، ويتجلى ذلك في كتاب «الكشف» لجعفر بن منصور اليمن، وهو باب الأبواب للخليفة والإمام الفاطمي، عندما استخدم الخط الحميري في نقد بعض الصحابة وأعمالهم(٣٨). أما المعاني الغامضة فتتركز في علوم الباطن وعقائد الدعوة الباطنية ومصطلحاتها. ومن الأمثلة على ذلك مناقشة السجستاني(٣٩) عقائد الإسماعيلية في أصل الخَلْق والحدود العلوية وشرح معنى «كوني قدر» في كتابه الافتخار(٤٠)، وكذلك جعفر بن منصور اليمن في كتابه «الرضاع الباطن» عندما يتكلم عن الحدود السفلية للدعوة ويحدد مهام الدعاة(٤١)، والباحث المتخصص، فالعالم بتلك الرموز من الكتب الشارحة لها، يستطيع تقديم نص الكتاب بصورة أكثر وضوحا من الباحث غير المتخصص. وعلى الرغم من ذلك نرى أنّ الباحثين المتخصصين يقفون عاجزين عن شرح مثل تلك الرموز التي ترد في بعض الكتب لكونها «سرا من أسرار أولياء الله» التي لا يستطيع تفسيرها - حسب زعمهم - إلا الراسخون في العلم، كالأئمة أو الأبواب ومن

لهم رتبة تأويل الباطن [٤٢]، حيث وردت مثل تلك الرموز في بعض المخطوطات مثل كتاب «الجفر» المنسوب للإمام علي بن أبي طالب[٤٣].

٤ - **المؤلِّف أو مصنِّف الكتاب**: في المخطوطات اليمنية، كما في غيرها، تتشابه بعض عناوين الكتب كما تتشابه بعض أسماء المؤلفين، الأمر الذي يجعل من الضروري على الباحث التحري عن المؤلف وسيرته من كتب التراجم العامة أو المحلية، والتركيز على تاريخ ميلاده ووفاته وأهم أعماله. ويكون من المفيد جدا معرفة آراء المؤلف ومنهجه الفكري ومذهبه الفقهي ومشربه العقيدي. وتأتي الفائدة من هذه المعرفة في صحة نسبة الكتاب إلى الكاتب نفسه، فكما ذكرت آنفا فإنّ هناك كتبا كثيرة منحولة أو منسوبة إلى غير مؤلفيها. ولا يمكن الاعتماد على اسم الشهرة في تعريف المؤلف، فـ «الطبري» مثلا لقب يطلق على أكثر من عالم كان منشؤه أو سكناه في طبرستان، أما «محمد بن جرير الطبري» فاثنان، وكلاهما اشتغل بالتاريخ، أحدهما سني: وهو المؤرخ الشهير صاحب التاريخ المعروف بتاريخ الرسل والملوك [ت. ٣١٠هـ/٩٢٣م]، والآخر شيعي كتب كتاب «الإمامة» و«مناقب فاطمة» و«الدلائل» [ت. ٤١٢هـ/١٠٢١م تقريبا]. و«ابن الأثير» خمسة، ثلاثة منهم إخوة، اثنان من الثلاثة مؤرخان كبيران[٤٤]، وفي المخطوطات اليمنية، خاصة الإسماعيلية منها، يتردد اسم «أبو حنيفة النعمان»، مما يقود الباحث غير المتخصص للبحث في سيرة الإمام المجتهد أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التيمي [بالولاء]، مؤسس المذهب الحنفي وأحد أقطاب مذاهب أهل السنة الفقهية، إنما المقصود هنا هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي، وهو أيضا فقيه ومجتهد، إلا أنّه إسماعيلي المذهب. وقد تضيع نسبة الكتاب إلى مؤلفه بين المصنف والشارح أو المهذب أو الناسخ، كما حصل لكتاب ابن إسحق [ت. ١٥١هـ/ ٧٦٨م][٤٥] في السيرة النبوية والمغازي، عندما جمعه ونسخه ابن هشام [ت. ٢١٣هـ/٨٢٨م][٤٦]، فأصبح الكتاب منسوبا إليه، ومعروفا باسمه «سيرة ابن هشام»[٤٧]. كما قد يُجهل اسم مؤلف كتاب معين نظرا إلى فقدان أو تلف الورقة الأولى من المخطوطة، أو أنّ المؤلف قد ستر اسمه خوفا وخشية من انتقام الخصوم. وتكثر تلك النوعية من الكتب في مكتبات العالم، ومعظمها من دون شك ذو أهمية في مواضيعه، ومصدر أساسي لكثير من الدراسات والبحوث. وفي أطروحتي للدكتوراه عام ١٩٩٧م، التي كانت بعنوان «Studies in the History and Thought of Ismaili States in Mediaeval Yemen» عرضت الجزء الخاص عن الإسماعيلية من كتاب «مختصر في عقائد الثلاث والسبعين فرقة» لأبي محمد اليمني كملحق لهذه الأطروحة. ولم أتعرف إلى أبي محمد هذا، على الرغم من مرور عشرة أعوام من البحث في الكتب والمخطوطات اليمنية. كما لم يتعرف إليه غيري من الباحثين المهتمين بالملل والنحل، ومنهم من حقق كتاب أبي محمد بكامله[٤٨]، إلا أنّ الأمل يحدونا على التعرف إليه، ربما من خلال كتابات أخرى له.

٥ - **عنوان الكتاب وموضوعه**: ومثلما احتاج البحث عن المؤلِّف إلى تدقيق وتمحيص وتعريف، فإنّ عنوان الكتاب وموضوعه يحتاجان إلى مثل ذلك التعريف. فالبحث التاريخي يثبت تشابه عناوين الكتب وموضوعاتها، ونستدل على ذلك بموضوع «التحقيق في الإكفار والتفسيق» وهو عنوان لثلاثة كتب مختلفة. لقد ألف أبو القاسم البستي كتابه «البحث عن أدلة التكفير والتفسيق»[٤٩]، وألف الإمام الزيدي يحيى بن حمزة [ت. ٧٤٩هـ/١٣٤٨م] كتابا في الموضوع نفسه عنوانه «التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتفسيق»[٥٠]، أما أحمد بن يحيى المرتضى [ت. ٨٤٠هـ/١٤٣٦م] فألف «التحقيق في الإكفار والتفسيق»[٥١]، والباحث المحقق هو الذي لا يقع ضحية التشابه في العنوان والموضوع، ولا ينسب مقالة أو رأي واحد من هؤلاء إلى آخر. حدث ما يشبه ذلك فعلا عندما توهم أحد المؤلفين فخلط بين كتابين هما: «دعائم الإسلام» و«تأويل دعائم الإسلام»[٥٢] للقاضي النعمان بن محمد التميمي. والكتابان مختلفان تماما؛ إذ إنّ موضوع الكتاب الأول في الفقه الجعفري ويتناول علم الظاهر، أما الكتاب الآخر ففي العقائد الإسماعيلية على أساس علم الباطن. ولم يكن البستي هو الوحيد الذي خلط بين عنواني هذين الكتابين، إذ نرى باحثا معاصرا من غير المتخصصين بالدراسات الإسماعيلية يقوم بقراءة ونشر كتاب «تأويل دعائم الإسلام» ويوسمه بعنوان «دعائم الإسلام» ويدعي تحقيقه[٥٣]، وأعتقد أنّه لا يعلم أنّ كتاب «دعائم الإسلام» قد حققه آصف علي أصغر فيضي عام ١٩٥١م وطبع عدة طبعات، كان آخرها طبعة دار الأضواء - بيروت عام ١٩٩١م. أما كتاب «تأويل دعائم الإسلام» فقد حققه محمد حسن الأعظمي ونشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩م. وربما ينشر كتاب واحد بعنوانين مختلفين، فقد نشر عارف تامر في عام ١٩٨١م كتاب «شجرة اليقين» للداعي القرمطي عبدان [ت. ٢٨٦هـ/٨٩٩م] [٥٤]، ولم يلحظ تامر أنّه نشر الكتاب نفسه عام ١٩٦٤م بعنوان «الإيضاح» لأبي فراس شهاب الدين المينقي [ت. ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م]. وعلى الرغم من أنّ التشابه بين النصين يكاد يكون متطابقا، فإنّ أيّا من الباحثين في الدراسات الإسماعيلية لم ينتبه لذلك، حتى قام بول واكر Paul Walker بكشف أول خيط من الحقيقة[٥٥].

٦ - **سهو الناسخ في السقط والزيادة**: في نسخ المخطوطات، كثيرا ما يسقط الناسخ أو يزيد حرفا أو كلمة أو أحيانا جملة أو سطرا، حتى أصبح مثل ذلك أمرا طبيعيا في نسخ المخطوطات. وفي العادة، يستدرك الناسخ السقط بإعادة كتابة الكلمة الساقطة في أعلى السطر، أما إذا كان السقط جملة أو سطرا، فتكون الكتابة في هامش الكتاب، الأيمن أو الأيسر، أو أعلى الصفحة أو أسفلها، على حسب موقع الجملة أو الفراغ المتاح لذلك. أما إذا كانت الكلمة أو الجملة زائدة، فتُشطب بخط في الوسط[٥٦]. إلا أنّ الناسخ أحيانا يجتهد خطأ فيسقط كلمة مكررة ولكنها أصيلة في الجملة، مثال ذلك «ولم أقرأ لغيره على هذا التفصيل إلا للجيراني، وهو كان صاحب صاحب الجبال»، وقد أسقط الناسخ كلمة صاحب الثانية لظنه أنها مكررة، والواقع أنّ المؤلف كان

يقصد أنّ الجيراني كان رفيقا لسلطان الجبال عند سفارته إلى الروم[٥٧]. ومثل هذا الخطأ يتكرر عند التعريف برجال الطبقات، كأن يقول المؤلف «شيخ شيخ فلان»، فيقوم الناسخ بكتابة شيخ مرة واحدة، فيهمل بذلك رجال طبقة كاملة. وقد يكرر الناسخ كتابة صفحة كاملة، وفي المقابل قد يسقط صفحة كاملة من الكتاب المخطوط الذي نسخه.

٧ - **الحالة السيئة للمخطوطة (التلف والقطع والإصابة)**: يخضع حفظ المخطوطات وصيانتها إلى قواعد وشروط، ومن دونها تتعرض المخطوطات للتلف. لقد كان السبق واضحا وملموسا من الدول الغربية في حفظ المخطوطات وصيانتها وترميمها، إذ أنشأ المتحف البريطاني على سبيل المثال قسما كبيرا خاصا لمثل هذا العمل. أما في العالم العربي والإسلامي، فقد انتبه القائمون على المكتبات ومراكز المخطوطات إلى أهمية ذلك حديثا، بعد أن طال التلف جزءا لا يستهان به من المخطوطات. ويرجع تلف المخطوطات إلى العوامل الآتية:

أولا: تعرض المخطوطة إلى الرطوبة حيث تسبب الرطوبة تشوها في شكل المخطوطة وضعفا في خواص الورق، وتهيىء جوا نشيطا للآفات كالحشرات والقوارض، خاصة إذا صاحبت الرطوبة عوامل أخرى كالحرارة والاستعمال الخاطئ من القارئ[٥٨]، وهذا يؤدي إلى نقل الأوساخ إلى الورق، ومن ثم نمو الفطريات والبكتيريا.

ثانيا: تعرض المخطوطة للضوء الذي يتفاعل فيزيائيا وكيميائيا مع الورق فيسبب اضمحلال الأحبار وإضعاف الورق، كما يساعد الضوء على ارتفاع درجة الحرارة، مما يؤدي إلى فقد المخطوطة لمحتواها المائي فتكون أوراقها عرضة للاصفرار والتكسر[٥٩]، ويتبين تلف المخطوطة من الأمور الآتية:

أ - جفاف أو تآكل الأوراق وتقصف أطراف الصفحات.

ب - وجود الثقوب وانتشارها على صفحات المخطوطة.

ج - التصاق الصفحات بعضها ببعض.

د - بهت بعض الصفحات، كأن يصيبها ماء فيسيل الحبر ماسحا بعض السطور أو الكلمات.

هـ - تفلل الصفحات بسبب تآكل كعب المجلد.

و - تلف الصفحتين الأولى والأخيرة، مما يسبب ضياع اسم المؤلف وعنوان الكتاب، الذي عادة ما يكون في الصفحة الأولى، وضياع اسم الناسخ وتاريخ كتابة المخطوطة، الذي عادة ما يذيل به الكتاب[٦٠].

لذا عمدت كثير من الدول المتحضرة إلى تصوير مقتنياتها من المخطوطات بطريقة الميكروفيلم والميكروفيش، وذلك لتوفيرها بين يدي الباحثين من ناحية، وحفظها من التلف من ناحية أخرى. أما المخطوطات في اليمن فكانت أقل حظا من ذلك، ولولا قدوم البعثة المصرية لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن (١٩٥١ - ١٩٥٢م) ثم بعثة الوثائق والمخطوطات

المصرية إلى اليمن (١٩٦٤م) والجهود التي بذلتها مصر في حفظ تلك المخطوطات عن طريق تصويرها، لضاع الكثير منها بين التلف من ناحية والإهمال والنهب من ناحية أخرى(٦١).

وإضافة إلى التلف، تعرضت المخطوطات العربية والإسلامية إلى السرقة من قبل المواطنين المحليين بقدر ما تعرضت للتهريب من تجار الآثار الغربيين. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، فعلى الرغم من تضييق الخناق على تهريب وسرقة المخطوطات عن طريق سنّ القوانين والمراقبة الدولية الصارمة ومتابعة لصوص المخطوطات والمهربين، نرى في عصرنا هذا نوعا جديدا من السلب والنهب المنظم. وأكبر دليل على ذلك ما طال المخطوطات والمقتنيات الأثرية في الكويت في أثناء الغزو الغاشم عليها في عام ١٩٩٠م، حيث تظهر تقارير رسمية كتبها خبراء اليونسكو أنّه إلى جانب الدمار الذي طال جزءا كبيرا من المتاحف الرسمية والخاصة ومقتنياتها، فإنّ الجزء الأكبر منها قد سلب ونهب من دار الآثار الإسلامية ومتحف الكويت الوطني والمكتبة المركزية ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية وقسم التراث في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وقسم المخطوطات بجامعة الكويت. أما المجموعات الخاصة، فكان أندرها وأنفسها مجموعة الشيخ ناصر الصباح ومجموعة السيد يعقوب الحميضي(٦٢)، وعندما شنت حرب تحرير العراق لم يعرف حتى الآن كم فقد ذلك البلد من نفائس المخطوطات التي كانت توجد في مكتبة المتحف العراقي (١٩٣٣ مخطوطة)، ومكتبة الأوقاف العامة في بغداد (٣٧١٤ مخطوطة). وقد علمنا، من خلال متابعتنا للأحداث، أنّ الفوضى التي عمت المؤسسات بصورة عامة شجعت على أعمال نهب المخطوطات وسلبها ونهبها. وفي مقابل يد الدمار التي أتلفت ذلك التراث العلمي القيّم، امتدت أيادي البناء متمثلة في وعي المهتمين بالحفاظ على العلم والتاريخ الإسلامي والتراث، حيث أنشئت عدة مراكز جديدة في العالم العربي للمحافظة على المخطوطات، وعمل منشئوها على جمعها وتشجيع اقتنائها، منها في الإمارات العربية المتحدة: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، وفي الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق ومتحف طارق رجب الخاص، ومجموعة الأديب المرحوم الأستاذ خالد سعود الزيد(٦٣).

ولعل ما يثير الإعجاب والتقدير في هذا المجال هو تلك العناية التي أولاها القائمون على الثقافة في الحكومة المغربية، حين أعلن في عام ١٩٦٩م عن «جائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق». وتنظم المسابقة لهذه الجائزة كل عام بغرض التعرف إلى المخطوطات التي يمتلكها الأفراد والكشف عنها، ومن ثمّ جمع وشراء المهم منها وصيانته والحفاظ عليه وتوفيره للباحثين والدارسين من خلال تصويره وحفظه في الخزانة العامة للدولة. ونحن نرى في ذلك استثمارا وتشجيعا لمقتني المخطوطات في إعلان كل ما هو جديد من قديم المخطوطات التي يمتلكونها، فلا يزال الكشف قائما عن مخطوطات لكتب ضائعة وأيضا عن مؤلفين مجهولين.

الخاتمة

لا شك في أنّ التعامل مع النسخة المخطوطة الفريدة من الكتاب عمل مضن وشاق، يتحمل فيه الباحث مجهودا كبيرا ومسؤولية وتبعات أخطاء كثيرة. إلا أنّ المتعة في إنجاز العمل ومن ثم نشره، ليكون مرجعا للباحثين والدارسين، تعطي المحقق إحساسا بأنّ الوقت الطويل الذي مضى والجهد الجهيد الذي انقضى لم يذهب سدى، ليكون بعد ذلك من الرابحين معنويا، حيث اقترن اسمه تاريخيا بالكتاب كمحقق، ليكون الاسم الثاني بعد المؤلف وقبل الناسخ. إنّ عمل المحقق هو بالفعل عملية بعث وإحياء للتراث العلمي والثقافي من جديد، فإما أن يكون عمله صالحا جميلا أو يكون مشوها دميما. وقد وقعت بين أيدينا مخطوطات محققة قبّلناها تقبيل المشتاق إليها وإلى قراءتها، وأخرى نكاد نبكي عليها لما لحق بها من تشويه وأذى على أيدي مدعي التحقيق والكتابة. إنّ الباحث ليرتاب فعلا في الكتاب إذا ارتاب في مقدرة محققه على قراءة النصوص وتحليلها، أو كسله في الرجوع إلى المراجع الضرورية في شرح الكلمات والمعاني التي تحتاج إلى توضيح وبيان، فيضيع العمل الأصلي من جراء إهمال وعدم اكتراث مدعي التحقيق هذا. وثمة مخطوطات يمنية محققة، لا نجد فيها تعليقات أو شروحات أو حتى هوامش، ويزيد الطين بلّة خلوها من الفهارس، مما قد يبدو للباحث في المخطوطات اليمنية أن هذا الأسلوب، الذي يشبه أسلوب الكتاتيب المتأخر، إنما هو إحدى مدارس تحقيق المخطوطات في اليمن، وإن كان الأمر غير ذلك تماما. فاليمن تزخر بالمحققين الكبار، ولكن الوصول إلى المخطوطات أمر مضن وشاق، واقتناء صور من تلك المخطوطات يكاد يكون عسيرا. فعلى الرغم من قيام بعض الباحثين بفهرسة مخطوطات الجامع الكبير، بمكتبتيه الشرقية والغربية، ووضع فهارس للمخطوطات في الجامعات والمكتبات الخاصة، فإننا نجد عزوفا من المحققين والمتخصصين والباحثين عن تحقيق الكم الهائل من الكتب المخطوطة الموجودة في مكتبات اليمن، حيث تزيد نسبة الكتب المخطوطة غير المحققة في مكتبات اليمن على ٦٠٪ من مجمل مقتنياتها. وربما كان هذا العزوف نتيجة لعدة أسباب نجملها فيما يلي:

١ - عدم توافر الجو العلمي الذي يمكن الباحث من قراءة المخطوطات، إذ إنّ المكتبتين الشرقية والغربية في الجامع الكبير تقفلان قبيل أوقات الصلاة وفي أثنائها، هذا إضافة إلى عدم التزام أمناء المكتبتين بالدوام الرسمي، حيث يضطر الباحث إلى انتظار أمين المكتبة لفترات طويلة. وقد اضطررت شخصيا إلى انتظار أمين المكتبة ساعات طوالا صباح ذات يوم حتى قبيل صلاة الظهر، الأمر الذي اضطرني إلى الاسترشاد إلى بيته القريب من المسجد والذهاب إليه هناك، ليصحبني وأصحبه إلى المكتبة.

٢ - وضع المخطوطات بأسلوب لا يستطيع معه الباحث معرفة مكان المخطوطة المطلوبة إلا عن طريق أمين المكتبة نفسه، فهو وحده الذي يحفظ أسلوب ترتيبها من ذاكرته، فليس هناك أسلوب واضح للترقيم أو فهارس موضوعات ومؤلفين، أو حتى تصنيف من أي نوع.

٣ - ليس هناك وسائل مساعدة على مستوى جيد ومتطور، كآلات سحب وتصوير ورقي أو ميكروفيلمي، وإن كانت هناك آلة تصوير ورقي، إلا أنها قديمة وبحاجة إلى صيانة. وقد قمت شخصيا بدفع مبلغ لصيانتها وشراء الحبر والورق لها. وفوق هذا وذاك، فقد كان التصوير سيئا لدرجة أنّ كثيرا من الصفحات المصورة كانت غير واضحة أو مقطوعة من ناحية الوسط (مضمومة كعب مجلد الكتاب) أو الأطراف.

٤ - لتصوير أي جزء من أي مخطوطة في الجامع الكبير، يحتاج الباحث إلى توقيع الوزير المختص، الذي تقع ضمن مسؤولياته شؤون المكتبة، الأمر الذي يضطر الباحث إلى تمضية وقت طويل لعمل طلب تصوير ومتابعة الإجراءات البيروقراطية الطويلة، حتى يصل طلبه إلى الوزير، وضمن تلك الإجراءات يمر الباحث بعملية ابتزاز من بعض صغار الموظفين، وبذلك لا يتسنى لغير المقتدرين ماديا الحصول على مطلبهم بالسرعة الممكنة.

والجدير ذكره أنّ قوائم المخطوطات التي حوتها مكتبات اليمن، كادت تخلو تماما - وبشكل مثير للريبة والتساؤل - من المخطوطات الإسماعيلية، فليس في تلك القوائم أي مخطوط يمني إسماعيلي، على الرغم من الكتابات الكثيرة لعلماء الإسماعيلية اليمنيين على مر العصور. ويغلب الظن أنّ الإسماعيلية أنفسهم قد صدّروا كتبهم في فترات مختلفة من التاريخ إلى الهند، حيث كانت الدعوة الإسماعيلية أكثر استقرارا وأمنا. فالتراث الإسماعيلي اليمني غني جدا بفنون المعارف التاريخية والدينية والفلسفية، ودليلنا في ذلك ما تحتويه مكتبة الجامعة السيفية في الهند، والتي يشرف عليها سلطان البهرة الداعي المطلق محمد برهان الدين إشرافا مباشرا. كما أنّ هناك مكتبات خاصة رحّلها أصحابها معهم عندما هاجروا من اليمن، مثل: المكتبة المحمدية الهمدانية في مونتريال بكندا، ومكتبة زاهد علي في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد تبرعت أسرة زاهد علي بمقتنيات المكتبة من المخطوطات والكتب إلى المعهد الإسماعيلي في لندن عام ١٩٩٧م(٦٤). أما مقتنيات المكتبة الهمدانية فكانت ملكا لمحمد بن علي اليعبري الهمداني، وقد آلت إلى أبنائه ومن ثم إلى أحفاده، ومنهم الباحثان الإسماعيليان الشهيران في مجال الدراسات الإسماعيلية التاريخية حسين فيض الله الهمداني ثم ابنه عباس، الذي يعتبر اليوم مالك هذه المكتبة. وتعتبر المكتبة الهمدانية مصدرا رئيسا لمخطوطات مكتبة الجامعة السيفية. ومن الإشكاليات التي تناقشنا فيها مع مسؤولي الجامعة السيفية والقائمين على مكتبتها، أنّ هذه الجامعة مخصصة فقط لأبناء طائفة «البهرة»(٦٥) دون سواهم، وعليه فلا يستطيع الباحث القادم من خارج الجامعة الاطلاع على أي كتاب من الكتب

في مكتبتها أو قراءته، ووصل الأمر إلى حدّ منع الباحثين من زيارة المكتبة أو حتى الدخول من أبواب الجامعة. وهكذا اعتبرت المخطوطات الإسماعيلية اليمنية المتوافرة، سواء في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن أو في مكتبة الأمبروزيانا في لندن أو في غيرهما من المكتبات الخاصة، مخطوطات فريدة النسخ أمام إيصاد باب مكتبة الجامعة السيفية. ويحدونا الأمل على أن يسهم البهرة في تحقيق كنوز المخطوطات الموصد عليها في خزائنهم، أو على الأقل، أن يفسحوا للباحثين والمحققين المجال للعمل على تحقيق التراث الإسماعيلي اليمني والكشف عنه من كهوف السرّ والتَّقيَّة. فقد سبقهم في الكشف الجناح الثاني من الإسماعيلية، الإسماعيلية النزارية، وهم أتباع الآغا خان[٦٦]، فأسسوا معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن الذي حاز التميز والسبق في هذا الميدان. وقد نمى إلى علمنا أنّ البهرة ترجموا بعض محتويات المخطوطات في مكتبة الجامعة السيفية إلى اللغة الكجراتية - لغة البهرة في الهند - واحتفظوا بها في المكتبة.

الهوامش

1 مستشرق ألماني متخصص في تاريخ وفلسفة الفرق الإسلامية، والزيدية بشكل خاص، له عدة كتب وكثير من المقالات في هذا المجال نشرت في موسوعة الإسلام Encyclopaedia of Islam وسلسلة Der Islam، المجلة العلمية الألمانية التي تعنى بالدراسات الإسلامية. وأخيرا، تخصص في الدراسات الإسماعيلية، فساهم في سلسلة من الكتابات والندوات والمحاضرات. يعتبر ماديلونج من المستشرقين المنصفين، وتعتبر دراساته من أعمق وأدق الدراسات الغربية في الفرق الإسلامية. لمزيد من التفاصيل انظر: العبدالجادر: الإسماعيليون/كشف الأسرار ونقد الأفكار، ٨٨ .

2 انظر الملحق رقم ١ .

3 أبو القاسم إسماعيل بن أحمد البستي (ت. ٤٢٠ هـ/١٠٢٩م)، من علماء الزيدية ومتكلمي المعتزلة، وأحد تلاميذ القاضي المعتزلي عبدالجبار بن أحمد الهمداني. ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، صحيفة ٢٣٦ (مخطوط رقم ١١١ - تاريخ، الجامع الكبير - صنعاء). العبدالجادر: المرجع السابق، ١٢٣ .

4 Stern, Exposure of Secrets of the Batiniyya and the Destruction of their Doctrine, JRAS, 1961, pp. 14-35.

5 العبدالجادر: المرجع السابق، ١١٨ .

6 من أهم هذه المراكز في العالم العربي على سبيل المثال لا الحصر: معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ودار الكتب القومية بالقاهرة ومكتبة الأسد الوطنية والمكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء، أما مراكز المخطوطات العربية في العالم فأهمها مكتبة الفاتيكان والمتحف البريطاني وشيستربيتي والأوسكريال والأمبروزيانا. كما تعتبر تركيا موقعا لكنوز مدفونة من المخطوطات العربية، وأهم المراكز فيها: المكتبة السليمانية ومكتبة الجامعة باسطنبول.

7 الطباع: قواعد تحقيق المخطوطات، بحث منشور ضمن الدورة التدريبية الدولية الأولى «صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد»، ٤٤٥ - ٤٥٩ .

8 لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع، انظر: عبدالسلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها. المرعشلي: أصول كتابة البحث العلمي ونشر المخطوطات، ٧٦ . محمد بن صالح ناصر: منهج البحث وتحقيق النصوص، ٧٣ . الطباع: منهج تحقيق المخطوطات، ٤١ . الشريف: ملاحظات على أعمال علمية لمخطوطات عربية، ضمن محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، ١٠٢ - ١٠٣ . الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص، ٢٥ . ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه: قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ترجمة م. المقداد، ٣١ .

9 انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، مقدمة الناشر.

10 هناك أكثر من طريقة معروفة لإتلاف الكتب وهي: الحرق، الدفن، الغسل بالماء أو الإغراق، التقطيع أو التخريق. لمزيد من التفاصيل، انظر: الحزيمي: حرق الكتب في التراث العربي، ٢٧ .

11 تاريخ الطبري: ج٩، ٣٤٥ . ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ٢٢٠ . حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ٤٣٠ .

12 انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ج٩، ٣٣٩ . عبدالرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ٣٦ - ٣٧ .

13 ابن النديم: الفهرست، ٢٥٨ و٢٦٨ .

14 ورد في تاريخ الطبري في أحداث سنة ١٦٣هـ مايلي:

قال: فجئت وعندهما رجل، فقالا لي: هذا غلام الغمر بن يزيد، وقد أصبنا معه كتاب الدولة. قال: ففتحت الكتاب، فنظرت فيه إلى سني المهدي، فإذا هي عشر سنين. قال: فقلت ما في الأرض أعجب منكما أتريان أنّ خبر هذا الغلام يخفى، وأن هذا الكتاب يستتر؟ قالا: كلا. قلت: فإذا كان أمير المؤمنين قد نقص من

سنيه ما نقص، ألستم أول من نعى إليه نفسه؟ قال: فتبلدا والله وسُقط في أيديهما، فقالا: فما الحيلة؟ قلت: يا غلام علي بعنبسة، يعني الوراق الأعرابي مولى آل بديل، فأتى به، فقلت: خط مثل هذا الخط، وورقة مثل هذه الورقة، وصيّر مكان «عشر سنين» «أربعين سنة» وصيّرها في الورقة. قال: فوالله لولا أني رأيت العشر في تلك والأربعين في هذه ما شككت أنّ الخط ذلك الخط وأنّ الورقة تلك الورقة.

15 ابن النديم: الفهرست، ٢٥٧ . الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج٧، ٢١٣، ٢٢٩ وج١١، ١٩٤ الأزدي: كتاب المتوارين، تحقيق م. سلمان، ٤٠ .

16 يحكى أنّ الماوردي لم يُظهر أيّا من تصانيفه في أيام حياته، وإنما أوصى بأن تنشر بعد وفاته. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ٢٨٢ .

17 قارن: الحزيمي: حرق الكتب في التراث العربي، ١٧ .

18 رشيد الخيون: معتزلة البصرة وبغداد، ٨٥، ١٠٦، ١٢٧، ٢٣٩ .

19 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ٧ .

20 المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ٢٩٤ - ٢٩٥، ج٣، ٣٣١ والخطط، ج١، ٤٠٨ - ٤٠٩ .

21 القفطي: إنباه الرواة، ج١، ٢٨٢ .

22 ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ٢٠٠ . ويحدثنا أيمن فؤاد سيد عن احتراق مكتبة عامرة بالمخطوطات يملكها محمد حيدر التهامي في اليمن أثناء الحرب التي دارت بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز. أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ٤٨ .

23 المقريزي: الخطط، ج٢، ٢٧٧ .

24 انظر: المقريزي: الخطط، ج١، ٦٠، ج٢، ٢١٢، ٢٧٦،. الحرضي: غربال الزمان، ٢١٩، ٢٩٣، ٥٣٠ .

25 المرجع السابق. ذكرت الأستاذة الدكتورة كارول هلينبراند، نائب رئيس تحرير موسوعة الإسلام والحائزة جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية لعام ٢٠٠٤، في حديث شخصي علمي أنّ الغرب عندما نقل كميات من الكتب المخطوطة إلى مكتباته، أفاد التراث الإسلامي بصورة غير مقصودة، حيث حفظت تلك المخطوطات بعيدة عن مسببات التلف، فأصبحت حاليا في متناول أيدي الباحثين.

26 Walker, Early Philosophical Shiism, 191.

27 Stern, Studies in Early Ismailism, 307.

28 البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ١٧أ.

29 في بعض المخطوطات اليمنية صادفتنا كلمة «الهوى» والصحيح «الهواء، انظرعلى سبيل المثال: البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ٦ب.العبدالجادر: الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار، ٢٢٤ .

30 المرجع السابق: ٢٧٢ .

31 انظر: الملحق رقم ٢ من كتاب يحيى بن حمزة: التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتفسيق، الصحيفة ٢٢ .

32 على سبيل المثال: أمضيت ساعات طوالا لكي أتعرف إلى ماهية هذا الرسم (لسس مصد) فقرأته: لتبيين مصدر - لنتبين مصدر - لنستبين مصدر - ليتبين قصد - لنبين قصد - وهكذا مضت الساعات والمحاولات تتكرر لوضع الكلمتين ضمن سياق الجملة، حتى وصلت إلى قناعة ورضا بأنّ الكلمتين هما: «ليست قصد». البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ١٢أ.

33 ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ٢١٠ .

34 ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ٣٤٧ .

35 المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي خويه، ٩٣ .

36 في الفرق بين الورق والقراطيس، انظر: ابن النديم: الفهرست، ٢١ . شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ٧٠ .

37 انظر على سبيل المثال: في حساب الجمل: رسائل إخوان الصفا، تحقيق عارف تامر، الرسالة الأولى من القسم الرياضي في العدد، ج١، ٨٢ - ٩٢ . وفي خط المسند الحميري، انظر: جعفر بن منصور اليمن: الكشف، تحقيق م. غالب، ١٧، ٦٧ - ٧٣، ٨٦ - ٨٨، ١١٥ - ١١٦ . الحامدي: الشموس الزاهرة، ١٦٠ . قارن: القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق محمد اليعلاوي وآخرين، ٥٠٠ . غالب: الحركات الباطنية في الإسلام، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

38 جعفر بن منصور اليمن: المرجع السابق.

39 أبو يعقوب إسحق بن أحمد السجستاني (ت. ما بين ٣٩٦ و٣٩٣هـ/٩٩٦ و١٠٠٢م) أحد أعمدة الفكر الإسماعيلي، ومن أكبر دعاة الإسماعيلية في الشرق. العبدالجادر: الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار، ١٥٣ . Paul Walker, Abu Ya'qub al-Sijistani and the Wellspring of Wisdom, 15 & Early Philosophical Shiism, 16 .

40 السجستاني: الافتخار، ٤٨ .

41 جعفر بن منصور اليمن: الرضاع الباطن، ١٢٨ .

42 الكرماني: راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، ٢٥٦ . الحامدي: كنز الولد، تحقيق مصطفى غالب، ٢١٦ .

43 نشرت المكتبة الحديثة للطباعة والنشر كتيبا مصورا بعنوان «كتاب الجفر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام»، نشك في نسبته شكلا ومضمونا. لمزيد من التفاصيل عن «الجفر» انظر: العبدالجادر: الإسماعيليون - الدعوة والدولة في اليمن، هامش ١١٠ - ١١٢ .

44 انظر كحالة: معجم المؤلفين، ج٢، ٢٥٩ - ج٨، ١٧٤ و٢٢٨ - ج١٢، ٧٩ - ج١٣، ٩٨ و٤٠٧ .

45 محمد بن إسحق بن يسار المطلبي بالولاء، محدث وإخباري. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ٢٧٦ . كحالة: معجم المؤلفين، ج٩، ٤٤ .

46 عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري.ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ١٧٧ . كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ١٩٢ .

47 انظر: ابن النديم: الفهرست، ١٣٦ . ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ٤٥ .

48 حقق الكتاب محمد بن عبدالله زربان الغامدي ونال عليه درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

49 مخطوط رقم ٢٣٩ - علم كلام، المكتبة المتوكلية (مجاميع ٤٢) - الجامع الكبير، صنعاء.

50 مخطوط رقم ٢١ - علم كلام، مكتبة حسين السياغي (خاصة)، صنعاء. قارن: أحمد محمود صبحي: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة، ٢٣ .

51 مخطوط رقم ٥٨٧ - ضمن مجموعة غايات الأفكار، المسجد الكبير، صنعاء.

52 البستي: من كشف أسرار الباطنية، ص ٢٤ب.

53 أبو حنيفة النعمان المغربي: دعائم الإسلام (؟)، تحقيق محمد عبدالغفار، مكتبة مدبولي، القاهرة (بدون تاريخ).

54 أبو محمد عبدان بن الربيط الأهوازي، داعي الإسماعيلية في العراق، وهو صهر حمدان قرمط وثاني أكبر داعية قرمطي. Poonawala, Biobibliography, 31.

55 Paul Walker, Abu Tammam and his Kitab al-Shajara, JAOS, 114, 1994, 343-52. العبدالجادر: الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار، ١٠٦ .

56 هكذا: تشطب الكلمة أو الجملة بخط في الوسط.

57 انظر: البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ٢٥أ.

58 أقصد بالاستعمال الخاطئ مثل الأكل والشرب أو التدخين عند قراءة المخطوطة، وثني الصفحات وإضافة علامات كملاحظات أو للدلالة على مكان التوقف بالقراءة.

59 بسام داغستاني: قواعد ترميم القطوع والتلفيات في أوراق المخطوطات، ضمن: الدورة التدريبية الدولية الأولى لصناعة المخطوط العربي الإسلامي، ٦١١ - ٦١٧ .

60 نفسه.

61 أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ٤١٩ - ٤٢٩ .

62 العنيزي: العدوان العراقي على المؤسسات العلمية والتربوية والثقافية في الكويت، ٤٣، ٥١ - ٥٩ .

63 لمزيد من التفاصيل عن المجموعات الخاصة، انظر: خالد الريان: أهم المجموعات الخطية، ضمن صناعة المخطوط العربي الإسلامي، ٥١٥ .

64 انظر: .Cortese, Arabic Ismaili Manuscripts-The Zahid Ali Collection.

65 البهرة: أتباع الدعوة الإسماعيلية الطيبية، نسبة إلى الطيب بن الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله بن المستنصر بالله الفاطمي. وترجع هذه التسمية إلى أصل الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها أتباع الدعوة من الهنود وهي طبقة «الفوهرا - Vohara»، ويرجع بعض الباحثين هذه التسمية إلى الأصل اللغوي للكلمة الكجراتية (تاجر) «فُهورفو - Vohorvu»، لأنّ جلّ أتباع الدعوة في الهند كانوا من الحرفيين والبائعين البسطاء. انظر في أصل كلمة «بهرة»: الجامعة السيفية: لمحة عن الدعوة الفاطمية، ٢٥ - ٢٦ . قارن: Daftary, The Ismailis, 562.

66 الإسماعيلية النزارية (الآغاخانية): يرجع مسمى النزارية إلى نزار بن المستنصر بالله الفاطمي (ت. ٤٨٨هـ/١٠٩٤م)، وهم يعتقدون أنّ المستنصر بالله أوصى إلى نزار بالخلافة من بعده، ولكن نزارا قد حجب عنها لتكون لأخيه الأصغر المستعلي بالله بتدبير من الوزير المتنفذ الأفضل بن بدر الدين الجمالي (ت. ٥١٥هـ/١١٢١م)، الذي قرأ على الدعاة سجلا مزورا يقضي بتعيين المستعلي بالله خليفة. وبعد موت نزار قاد الحسن بن الصبّاح (ت. ٥١٨هـ/١١٢٤م) الثورة ضد النظام الفاطمي، واتخذ من قلعة ألموت في إيران عاصمة له. وقد حافظ الحسن الصباح على سلسلة الإمامة من ذرية نزار عندما ستر أحد أحفاد نزار في ألموت. واستمرت سلسلة الأئمة النزارية إلى اليوم متمثلة في الآغا خان الرابع الإمام الحاضر كريم بن علي بن محمد بن آغا علي بن حسن علي (الآغا خان الأول - ت. ١٨٨١م).

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح: مطلع البدور مجمع البحور، مخطوط رقم ١١١ - تاريخ، الجامع الكبير، صنعاء. [صورة لدى كاتب المقال] البستي، إسماعيل بن أحمد.

١ - البحث عن أدلة التكفير والتفسيق، مخطوط رقم ٢٣٩ - علم كلام، المكتبة المتوكلية (مجاميع ٤٢) - الجامع الكبير، صنعاء. [صورة لدى كاتب المقال].

٢ - من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، مجموعة جرفيني، رقم ٤١، مكتبة الأمبروزيانا، ميلانو [صورة لدى كاتب المقال].

الحامدي، حاتم بن إبراهيم بن الحسين: الشموس الزاهرة والأنوار المضيئة الباهرة [صورة لدى كاتب المقال].

جعفر بن منصور اليمن: الرضاع الباطن [صورة لدى كاتب المقال].

المرتضى: أحمد بن يحيى: التحقيق في الإكفار والتفسيق، مخطوط رقم ٥٨٧ - ضمن مجموعة غايات الأفكار، المسجد الكبير، صنعاء [صورة لدى كاتب المقال].

يحيى بن حمزة: التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتفسيق، مخطوط رقم ٢١ - علم كلام، مكتبة حسين السياغي (خاصة)، صنعاء [صورة لدى كاتب المقال].

ثانيا: المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق تورنبرج، ليدن ١٨٦٢م.

الأزدي، عبدالغني بن سعيد: كتاب المتوارين، تحقيق م. سلمان، بيروت ١٩٨٩م.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين، تحقيق ريتر، ط٣، فسبادن ١٩٨٠م.

بدوي، عبدالرحمن: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ط٢، القاهرة ١٩٩٣م.

التميمي، [القاضي] النعمان بن محمد بن حيون:

١ - **تأويل الدعائم**، تحقيق محمد حسن الأعظمي، القاهرة ١٩٦٨م.

٢ - **دعائم الإسلام**، تحقيق آصف علي أصغر فيضي، القاهرة ١٩٥٢م.

٣ - **المجالس والمسايرات**، تحقيق محمد اليعلاوي وآخرين، تونس ١٩٧٨م.

الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، بيروت ١٩٩٣م.

ابن الجوزي، عبدالرحمن: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد ١٣٥٩هـ .

الحامدي، إبراهيم بن الحسين: كنز الولد، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٧٢م.

الحرضي، يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري: غربال الزمان، تحقيق محمد ناجي زعبي العمر، دمشق ١٩٨٥م.

الحزيمي، ناصر: حرق الكتب في التراث العربي، كولونيا ٢٠٠٣م.

حسن، حسن إبراهيم: تاريخ دولة الإسلام، ط٩، القاهرة ١٩٨٠م

الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، تحقيق ف. وستينفيلد، ط٢، ليبزج ١٩٧٧م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٢م.

داغستاني، بسام: قواعد ترميم القطوع والتلفيات في أوراق المخطوطات، ضمن: الدورة التدريبية الدولية الأولى لصناعة المخطوط العربي الإسلامي، دبي ١٩٩٧م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرين، بيروت ١٩٨١م

الخيون، رشيد: معتزلة البصرة وبغداد، ط٢، لندن ٢٠٠٠م.

الريان، خالد: أهم المجموعات الخطية، ضمن: الدورة التدريبية الدولية الأولى لصناعة المخطوط العربي الإسلامي، دبي ١٩٩٧م.

ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه: قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ترجمة م. المقداد، دمشق ١٩٨٨م.

السجستاني، إسحق بن أحمد: الافتخار، تحقيق عارف تامر، بيروت ١٩٨٠م.

سيد، أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، القاهرة ١٩٧٤م.

الشريف، خيرالله: ملاحظات على أعمال علمية لمخطوطات عربية، ضمن محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، دمشق ٢٠٠٢م.

صبحي، أحمد محمود: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة، صنعاء ١٩٩٠م.

الطباع، إياد خالد:

١ - قواعد تحقيق المخطوطات، بحث منشور ضمن الدورة التدريبية الدولية الأولى «صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد»، دبي ١٩٩٧م.

٢ - منهج تحقيق المخطوطات، ط٢، دمشق ٢٠٠٥م.

الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٧٩م.

العبدالجادر، عادل سالم:

١ - **الإسماعيليون** - الدعوة والدولة في اليمن، الكويت ٢٠٠٠م.

٢ - **الإسماعيليون** - كشف الأسرار ونقد الأفكار، الكويت ٢٠٠٢م.

ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت [بدون تاريخ].

العنيزي، سليمان عبدالله: العدوان العراقي على المؤسسات العلمية والتربوية والثقافية في الكويت، الكويت ١٩٩٣م.

غالب، مصطفى: الحركات الباطنية في الإسلام، بيروت ١٩٨٢م.

القفطي، علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٥م.

كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، بيروت ١٩٥٧م.

الكرماني، حميد الدين أحمد بن عبدالله: راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٨٣م.

المرعشلي، يوسف: أصول كتابة البحث العلمي ونشر المخطوطات، بيروت ٢٠٠٣م.

مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت ١٩٧٨م.

المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي خويه، ليدن ١٩٠٩م.

المقريزي، أحمد بن علي:

١ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الشيال وآخرين، القاهرة ١٩٧٣م.

٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أوفست، بولاق ١٨٥٣م.

ابن منصور اليمن، جعفر بن الحسن بن حوشب: الكشف، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٨٤م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت ١٣٠٠هـ.

الميقني، شهاب الدين بن نصر: الإيضاح، تحقيق عارف تامر، بيروت ١٩٦٥م.

ناصر، محمد بن صالح: منهج البحث وتحقيق النصوص، ط٤، مسقط ١٩٩٨م.

ابن النديم، محمد بن اسحق: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، بيروت ١٩٧١م.

هارون، عبدالسلام: تحقيق النصوص ونشرها، ط٧، القاهرة ١٩٩٨م.

المراجع الأجنبية

- Cortese, Delia, Arabic Ismaili Manuscripts-The Zahid Ali Collection, London, 2003.
- Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb et al. New edition, Lieden-London, 1960.
- Poonawala, Ismail K., Biobibliography of Ismaili Literature, Malibu, 1977.
- Stern, S. Studies in Early Ismailism, Leiden, 1983.
- Stern, S. Exposure of Secrets of the Batiniyya and the Destruction of their Doctrine, JRAS, 1961.
- Walker, Paul, Early Philosophical Shiism, Cambridge, 1993.
- Walker, Paul, Abu Ya'qub al-Sijistani and the Wellspring of Wisdom, New York, 1996.
- Walker, Paul, Abu Tammam and his Kitab al-Shajara, JAOS, 114, 1994.

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

نظرة في إشكالية التعامل مع وثائق الوقف.. الحالة الجزائرية

د. ناصر الدين سعيدوني (*)

إن الوقف باعتباره مظهرا روحيا وتعبيرا ثقافيا وإجراء اقتصاديا وتعاملا اجتماعيا، اكتسب أهمية كبرى لدى الباحث في مسائل التاريخ وقضايا التراث، واحتلت الجوانب التي يتناولها والمسائل التي يعرض لها مكانا مميزا في مجال الدراسات الإنسانية والبحوث الاجتماعية.

لكونه يعبر عن حالة المجتمعات الإسلامية ويحدد ملامح الحياة اليومية بها، خاصة لدى الجماعات الحضرية في الولايات العثمانية بأقاليم البلقان والأناضول، وفي بلاد الشام والعراق ومصر، وفي أقطار المغرب العربي، حيث غدا الوقف هو العامل الذي يطبع الحياة الاجتماعية ويتحكم في النشاط الاقتصادي للمجتمعات المحلية بتلك الأقاليم، في غياب مبادرة الحكام وقصور الجهاز الإداري عن تلبية الحاجات الاجتماعية وتوفير الخدمات الضرورية للسكان باختلاف أوضاعهم وتعدد طوائفهم وأعراقهم.

عرف الوقف انتشارا واسعا في الدولة العثمانية، وخاصة منذ القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر الميلادي)، فالإحصائيات المتوافرة لدينا، التي يعود جلها إلى القرن التاسع عشر الميلادي، تظهر بوضوح تزايد الأملاك الوقفية، فقد أحصي بمدينة اسطنبول وحدها أربعة آلاف وقف عند صدور قرارات الاستبدال (١٨٥٦ م)[1]، وتجاوزت مساحة الأوقاف المسجلة بمصر ثمن الملكيات سنة ١٩٢٧م، وحددت بتونس عند فرض الحماية الفرنسية عليها (١٨٨١ م) بثلث الأراضي المستغلة، وفي الجزائر قدرت الأملاك الموقوفة عند استيلاء الفرنسيين عليها (١٨٣٠ م) بما لا يقل عن نصف الملكيات بمدينة الجزائر وحدها، كما

(*) أستاذ التاريخ الحديث، كلية الآداب - جامعة الكويت.

اعتبرت ثلاثة أرباع الأراضي الزراعية حولها تابعة للمؤسسات الوقفية، منها ١٧١٧ وقفا أهليا (ذريا) و١٠٣٩ وقفا خيريا (عاما)[٢].

وانطلاقا من أهمية الوقف هذه، وبالرجوع إلى المكانة التي كانت تحتلها مؤسسة الوقف في حياة الشعوب الإسلامية، سوف نتناول في عرضنا هذا مسألة التعامل مع وثائق الوقف من حيث المنهجية المتوخاة في استغلال وثائق الوقف والأساليب المتبعة في الاستفادة من مضمونها التاريخي، وهذا ما نحاول التطرق إليه والإلمام بأهم جوانبه، اعتمادا على وثائق المحاكم الشرعية بالأرشيفات الجزائرية والفرنسية، التي أمكن لنا دراستها وبالرجوع إلى قوائم الأوقاف بسجلات البايليك[٣]، من خلال النقاط التالية :

أولا - أهمية وثائق الوقف كمصدر تاريخي.

ثانيا ـ حيثيات وثائق الوقف.

ثالثا ـ ضبط الاصطلاحات المستعملة في وثائق الوقف.

رابعا ـ مضمون الوثائق الوقفية.

خامسا ـ كيفية التعامل مع وثائق الوقف.

سادسا ـ مجالات البحث التاريخي المرتبطة بوثائق الوقف.

سابعا ـ الهدف المتوخى من دراسة وتحليل وثائق الوقف.

أولا - أهمية وثائق الوقف كمصدر تاريخي

تكمن أهمية وثائق الوقف في كونها مصدرا تاريخيا من الدرجة الأولى، لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاوزه، وذلك للاعتبارات التالية :

١- إن وثائق الوقف تشكل في غياب أو ندرة الأرشيفات الرسمية في العديد من الأقطار العربية الإسلامية، المرجع الأولي والمصدر الأساسي للتعرف على الحياة اليومية، وخاصة ما يتصل منها بقضايا الملكية واستغلال الأرض، أو يعود إلى نشاط الجماعات المحلية، أو يتعلق بوضعية الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية.

٢- إن وثائق الوقف توفر لنا الوسيلة الملائمة والطريقة الأنجع لتجديد نظرتنا وإعادة فهمنا لتاريخ المجتمعات العثمانية المحلية، سواء من حيث الأحداث التي تأثرت بها أو القضايا التي عاشتها وتفاعلت معها. وهذا ما يمكننا من تجاوز الأحكام الجاهزة والابتعاد عن الاستنتاجات السطحية والتعميمات المبسطة، التي أصبحت - بفعل تواردها في كتب التاريخ - تشكل الصورة النمطية للتاريخ الداخلي للولايات العثمانية.

٣- إن وثائق الوقف تعتبر ـ من حيث مضمونها التاريخي ـ منطلقا لتوسيع مجال البحث التاريخي وتطوير مناهجه، انطلاقا من طرح إشكالية جديدة تهدف إلى تحديد ملامح الحياة اليومية في مختلف أوجهها ومظاهرها وتعدد أنشطتها وإجراءاتها، وهذا ما يجنبنا اجترار

المعلومات التاريخية المتداولة والمستهلكة، ويسمح لنا بالتعرف على الجديد من المعطيات التاريخية، فننتقل بذلك في معالجتنا لتاريخ المجتمعات الإسلامية من جمع المعلومات وصياغتها - كما هو حاصل اليوم - إلى تجديد المادة التاريخية نفسها ونقد مضمونها وتحليلها، في إطار منهج تاريخي يأخذ في الاعتبار خصوصية وثائق الوقف.

ثانيا - حيثيات وثائق الوقف

يتطلب تعاملنا مع وثائق الوقف - باعتبارها مصدرا تاريخيا من الدرجة الأولى - التعرف على شكل الوثيقة الوقفية من حيث الحيثيات والأساليب المتبعة في صياغتها. فالوثيقة الوقفية في عرضها لشروط إنشاء الوقف واستغلاله والانتفاع به تعتبر نصا شرعيا وحكما قضائيا، يتصف بالدقة والتقصي، بحيث لا يترك أي مجال للالتباس والغموض والتحوير، كما أنها من حيث كونها نصا تاريخيا تتوافر على المواصفات التالية :

١- إنها عبارة عن نص تاريخي يطلق عليه اصطلاحا اسم «الوقفية»، ويعرف بـ «الحجة الوقفية» إذا كان نسخة منقولة أو مستخرجة منها، غالبا ما تكون تلخيصا لـ «الوقفية» ومسجلا في أوراق مستقلة أو ضمن دفاتر الوقف، وفق نوعية الوقف وظروف الفترة الزمنية التي يعود إليها[٤].

٢- إنها بحكم حيثياتها تتضمن معلومات كافية عن الوقف المسجل فيها، من حيث تأسيسه وتسييره والاستفادة منه والمحافظة عليه، وما قد يطرأ عليه من إجراءات وتحويرات تتعلق بانتقاله أو تعويضه أو استبداله، وذلك حتى يظل الوقف محافظا على صفة الديمومة والتواصل المشترطَة في صحته.

٣- إنها تشتمل على مواصفات الملكية الموقوفة من حيث ضبط حدودها وذكر الغرض المتوخى منها والمرجع الذي تعود إليه، كما تتضمن تسجيلا دقيقا لأسماء المنتفعين بالوقف وتحديدا لأعقابهم ومقدار ما يعود لكل واحد منهم، بحيث تقدم الوثيقة الوقفية عرضا مفصلا لحالة الوقف، وترسم صورة دقيقة لحياة الأسرة المنتفعة بالوقف ولطبيعة العلاقات بين أفرادها.

٤- إنها تتوافر على الشروط والإجراءات القانونية التي تقتضيها الأحكام القضائية، بحيث تتضمن الوثيقة الوقفية تسجيلا لأسماء الشهود وإمضاءات القاضي والناظر والوكيل، وتحديدا لمكان وتاريخ تسجيل الوثيقة، مع التأكيد على إقرار صحتها وإثبات ختم القاضي وإمضاء الشهود في ختام نص الوثيقة [٥].

٥- إنها تسجل غالبا بأسلوب متعارف عليه، يلتزم حيثيات متفق على عباراتها، بحيث تمكن قراءة مضمونها بسهولة، فعلى سبيل المثال نجد أن الصيغة المتبعة في تسجيل وثائق الوقف

بالجزائر في العهد العثماني، ترد غالبا بهذه العبارة : «الحمد لله، هذا نسخة رسم تحبيس... بعد أن استقر على ملك المعظم الأرفع... السيد... جميع البلاد (أو الدار أو الدكان) الكائنة بـ ... والمعروفة بـ ... حضر الآن بمحضر شاهديه... وأشهدهما على نفسه أنه حبس ووقف لله تعالى البلاد المذكورة... فمن يسعى في تبديل ذلك أو تغييره، فالله حبيسه وسائله يوم الوقوف بين يديه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون...»(٦).

و في حالة كون الوثيقة الوقفية نسخة منقولة أو مستخرجة وليست وقفية أصلية، يضاف في مستهل نص الوثيقة عبارة : «الحمد لله هذه نسخة رسم تحبيس ينقل هنا للحاجة إليه والتوثيق بأصله ولخوف ضياع نصه أوله الحمد لله...» (٧).

ثالثا - ضبط الاصطلاحات المستعملة في وثائق الوقف

يواجه الباحث في وثائق الوقف مشكلة تحديد مفهوم المصطلحات المستعملة في صياغة الوثيقة الوقفية، من حيث المعنى المقصود منها أو ما يرادفها ويماثلها من الاصطلاحات في الأقطار الإسلامية المختلفة، بحيث يلتبس على الباحث المستجد ضبط دلالات العديد من الألفاظ، وخاصة ما هو مستعمل منها في المشرق العربي، وما هو متعارف عليه بأقطار المغرب العربي، حيث يستعمل اصطلاح الحبس وما يترتب عليه من تعابير خاصة. وفي غياب قاموس مقارن للدلالات والمصطلحات الوقفية، وبحكم افتقار المكتبة العربية إلى دائرة معارف فقهية نقدية وتحليلية شاملة (٨)، يصبح لزاما على المتعامل مع وثائق الوقف ضبط قائمة أولية للعبارات اللغوية والألفاظ الفقهية المستعملة في الوقف، وفق مكان وثائق الوقف التي يدرسها وزمانها.

هذا وقد أمكننا في دراستنا للعديد من وثائق الوقف المتعلقة بالمدن الجزائرية وجوارها، في العهد العثماني، رصد العديد من الألفاظ والعبارات والصيغ المتعلقة بأنواع الوقف وطريقة استغلاله، أو المتصلة بالمؤسسات التي تشرف عليه والموظفين والمستخدمين والمنتفعين به، التي نثبت - على سبيل المثال - قائمة أولية لها، مرتبة حسب أصناف الوقف ونوعية استخدامه والانتفاع به(٩) :

١ - من حيث نوعية الوقف

أ- أملاك ومرافق موقوفة :

ملك - دار - نصف دار - دويرة - علو أو علوي - سفلي - بيت - غرفة - مسجد - مصلى - زاوية - رحى - فرن - عين - ساقية - حمام - كوشة (مخبزة) - مخزن - فندق - وكالة - حانوت - دكان - إسطبل.

ب- أراض موقوفة :

جنة - جنات (بساتين الفواكه) - جنينة (بستان الخضر والفواكه) - رقعة (ج. : رقايع) - غرس - أشجار الزيتون - أشجار التين - أشجار التوت - بحيرة - بحاير (حقول الخضار) - حوش (مزرعة) - البلاد - العقار (أراض زراعية) - فرد - فيسان (مساحة من الأرض مهيأة لزراعة الحبوب) - مقسم - طرف - نصيب - شطر من... - حظ من... - قسمة - أجزاء (من مزارع أو بساتين أو حقول محبسة).

٢ - من حيث المشرفين والمستخدمين والمنتفعين بالوقف

أ- المؤسسات الوقفية :

الحرمان الشريفان (مكة المكرمة والمدينة المنورة) - الجامع الأعظم - المسجد الكبير - سبل الخيرات - أهل الأندلس - المرابطون (الأولياء) - الأسرى - العيون - الجند (الإنكشارية) - السبل (جمع سبيل أي الطرق) - القشتلات (الثكنات) - الزوايا (التكايا) - القربات (الأضرحة) - المقابر.

ب - المستخدمون والمشرفون على الوقف :

المجلس العلمي (المجلس الأعلى أو المجلس الشريف) - الوكيل (وكلاء) - الناظر (النظار) - الشيخ الناظر - النقيب - المتصرف - المحاسب - الخطيب - الإمام - القارئ - المؤذن - الشاوش - العون (الأعوان) - المقدم (المكلف) - العادل (العدول).

جـ - المنتفعون بالوقف :

متولي الجلسة - متولي العناء - العقب - الشيخ المدرس - الحزابون والمؤذنون - الطلبة الغرباء - اليتامى - أبناء السبيل - جماعة الأشراف - جماعة الأندلس - أبناء المرابطين - أصحاب الزوايا.

٣- من حيث طريقة الانتفاع

أ - الملك - التصرف - المشد - المرصد - الكدلك والحكر والاحتكار - المنفعة.

ب - الكراء - العناء - القعدة - الجلسة - الجزاء - الإنزال - الزينة.

جـ - حق المنفعة - خلو المفتاح - خلو الجلسة - المخلفات - النفقات - نصيب - حق الاستعمال.

د - مخلفاتها - ما على ملكها - ما نابها من - القسم المسمى - مرجع الحبس - خدمة - إجازة.

هـ - حبس شامل - حبس جزئي - حبس مشترك.

و - الاستبدال - المعاوضة - الاستصناع - المرابحة - الإيجارة - القراض - عقد الإجارتين.

رابعا مضمون الوثائق الوقفية

تتوافر الوثيقة الوقفية على معلومات تاريخية دقيقة في وصفها متنوعة في اهتماماتها، تمس حياة الأسرة وتتصل بحركية المجتمع، وتعبر عن سلوك الأفراد وتحدد نشاطهم الاقتصادي وعلاقاتهم الأسرية ومشاغلهم المهنية. وهذا ما جعل الوثيقة الوقفية في نظرنا أشبه شيء بمنجم للمادة الأولية التي تتحدد قيمتها وفق إمكانات وقدرات الباحث، بحيث يمكن للباحث من خلال قراءة منهجية وتناول علمي لوثائق الوقف حصر معلومات تاريخية تتصل بمواضيع في غاية الأهمية، نحاول إجمالها في النقاط التالية :

١- التعرف على وضع الأسرة من حيث الشريحة الاجتماعية التي تنتسب إليها، وطبيعة الصلات بين أفرادها ومدى تضامنهم وتكافلهم، وكيفية انتفاعهم بالوقف أو احتكارهم للوظائف المتعلقة به، وانعكاس ذلك على تلاحم الأسرة ورعايتها لأفرادها، وخاصة الضعفاء والقصَّر منهم، كالنساء والأطفال والمعوقين.

فالتحليل الدقيق لمضمون وثائق الوقف يمكِّن الباحث من وضع شجرة الأنساب للعديد من العائلات، كما يسمح له بتحديد مكانة الأسر المتنفذة التي تتولى أمور الوقف وتشغل وظائفه من نظار ووكلاء وقضاة وعدول وشواش وأمناء وغيرهم.

٢- تحديد مكانة المرأة من الأسرة التي تنتسب إليها وموقعها في المجتمع المحلي الذي تعيش فيه، ومدى مساهمتها في إنشاء الوقف واستفادتها منه، ونصيب عقبها من مردوده، بالإضافة إلى ما يتعلق بوضعية المرأة، سواء من حيث قضايا الزواج والأولاد والميراث وحق التصرف في ما تملكه من مال وعقار، أو ما يتصل بالمفاضلة بين الذكر والأنثى في الانتفاع بالوقف، وما يترتب على ذلك من شروط انتفاع الزوجة بالحبس، مثل اشتراط عدم تزوجها بعده إذا كان الحابس زوجها، أو حرمان نسلها من الإناث في حال بلوغهم سن الرشد، أو تزوجهم خارج نطاق الأسرة(١٠).

٣- ضبط نوعية الملكية وطريقة الاستغلال داخل المدن وخارجها، بحيث يستطيع الباحث ضبط الملكيات الموقوفة والتعرف على أساليب الانتفاع بها، ووضع قائمة بأصنافها الواقعة داخل المدينة كالديار والبيوت والغرف والعلويات والحوانيت والمخازن والفنادق والحمامات وعيون الماء والإسطبلات، أو الموجودة بجوار المدن كالأحواش والجنات والبحائر والرقائع وغيرها.

وبذلك يمكن للباحث أن يحدد النشاطات الاقتصادية، وأن يتعرف على مصادر الثروة وموقع الجماعات المتنفذة في المجتمع وصلتها بالمؤسسات الوقفية وكيفية توليها المهام الموكلة إليها، ومدى نصيبها من مردود تلك الملكيات الوقفية، سواء كان المشرفون على الوقف أو المنتفعون به أفرادا موظفين، أو طوائف يعود إليها الوقف، كالمنتسبين إلى الحرمين الشريفين وأهل الأندلس وجماعة الأشراف وعقب الأولياء والمرابطين(١١).

٤- تحديد المرافق العامة بالمدينة، سواء كانت مصالح وقفية أو لها علاقة بالمشرفين على الوقف، بحيث يصبح في استطاعة الباحث وضع خريطة توزيع المرافق العامة وارتباطها بالشروط الطبوغرافية للمدينة وبكثافة الأحياء السكنية. فالدراسة المعمقة لوثائق الوقف تعتبر بحق الوسيلة العملية والإمكانية الوحيدة المتوافرة - في غياب أو نقص وثائق الإدارة المحلية[١٢] - للتعرف على طابع المدينة العثمانية ووظائفها وإمكانات نموها وتطورها وتوزيع النشاط الاقتصادي والكثافة السكانية، وخاصة توزيع الأسواق والمحلات التجارية وفق الأحياء الواقعة بها، وتحديد مواقع الملكيات الزراعية المنتشرة حولها[١٣].

٥- التعرف على الإجراءات المتعلقة بالوقف، وملاحظة التغيرات والتحولات التي طرأت عليها، سواء عن طريق الكراء أو المبادلة أو بواسطة التجديد أو الترميم أو الهدم في حالة الضياع والتلف، فدراسة حالات الوقف الأهلي (الذري) ووضعية الوقف الخيري (العام)، وما قد يطرأ عليها من تحويل عن طريق وضع اليد والحيازة والاستحواذ، يطلع الباحث على واقع الحياة الإدارية، وما تتطلبه من معاملات خاصة أثرت فيها وقننتها الأحكام الشرعية المتعلقة باستغلال الوقف، بحيث أصبح الوقف واقعا معيشا تخضع الإجراءات المتعلقة به لمقتضيات المنفعة الشخصية والممارسة اليومية، ولو كان ذلك على حساب المبادئ المؤطرة للوقف، وهذا ما حاولت العديد من الآراء الفقهية والفتاوى الشرعية إيجاد حلول له حتى يظل الوقف يتماشى مع الأحكام الشرعية بواسطة التخريجات المسجلة في وثيقة الوقف[١٤].

٦- فهم التوجهات الثقافية والميول الروحية للسكان، من خلال تحليل الدلالات ورصد الإيحاءات المتعلقة بالشروط المتوجبة في إنشاء الوقف والاستفادة منه والغرض المتوخى منه، سواء كان الوقف نابعا عن رغبة في عمل الخير ونيل الثواب والأجر، أو كان صادرا عن دوافع ذاتية خاصة، كالخوف من مصادرة الحكام واستحواذ ذوي النفوذ، أو العمل على تماسك الأسرة والإبقاء على مكانتها باستمرار انتفاعها بثروتها المتمثلة في الوقف (الأهلي)، فالشروط والتوجهات التي تتضمنها وثائق الوقف الأهلي والخيري، على حد سواء تظل - في نظرنا - أحسن دليل لتحديد ملامح الحياة الثقافية والروحية ولرصد توجهات الغالبية من أفراد المجتمع المحلي والتعرف على الميول المتحكمة فيهم.

خامسا - كيفية التعامل مع وثائق الوقف

يواجه الباحث في وثائق الوقف صعوبات جمة تتطلب الصبر والأناة والمواظبة حتى يمكن له أن ينتفع بمضمونها وأن يستفيد من دلالاتها التاريخية. فبالرجوع إلى تجربتنا مع وثائق الوقف بالأرشيف الوطني الجزائري، يمكن حصر العوائق التي تحد من جهد الباحث في مجال التعامل مع وثائق الوقف في النقاط التالية :

١- افتقار المكتبة التاريخية العربية إلى الدراسات الأساسية التي تتصف بالعمق والشمولية حول وثائق الوقف، سواء من حيث الجانب التشريعي أو المضمون التاريخي، فإذا استثنينا الفهارس العامة لملفات الوقف فإن الجداول الإحصائية والتحليلية لمضمون وثائق الوقف تكاد تكون منعدمة في المكتبة العربية، وكذلك فإن الفهارس التحليلية المصنفة حسب الموضوعات والاهتمامات غير متوافرة، وإن وجدت فهي غير عملية ولا يمكن استخدامها في التعرف على مضمون ودائع الوقف.

كما أن الدراسات الأكاديمية، في ما يتعلق بالوقف، ظلت محدودة إذا استثنينا بعض المساهمات الجادة التي أنجزت في إطار دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من قبيل ما قام به عمر لطفي بركان[١٥]، وهذا ما يجعل الباحث في وثائق الوقف يقوم بدور الأرشيفي والمصنِّف للوثائق، قبل أن يركز جهوده على البحث في مضمون تلك الوثائق وتحليل معلوماتها التاريخية التي تهم بحثه.

٢- صعوبة العمل على وثائق الوقف، لتداخل موضوعاتها وتعدد القضايا التي تتناولها، ولعدم انتظامها وتواترها، سواء من حيث الموضوعات التي تتناولها، أو من حيث الفترة الزمنية والرقعة الجغرافية التي تغطيها، فضلا عن أن جل أصول الوقفيات أو النسخ المنقولة عنها عبارة عن لفافات وأوراق غير مرتبة، غالبا ما تصعب قراءتها لصعوبة فك خطها وضياع بعض كلماتها، بفعل الضرر الذي أصابها والإهمال الذي لحقها[١٦].

٣- اهتمام وثائق الوقف في العهد العثماني بفضاء المدينة وظهيرها المعروف بالفحص، فأغلب الوثائق الوقفية المتوافرة ترتبط أساسا بالمراكز العمرانية وتهمل في الغالب الأقاليم الريفية الشاسعة، حيث يتركز أغلب السكان. وهذا ما جعل وثائق الوقف المتعلقة بالريف، التي تهم المعاملات في البوادي، نادرة إن لم تكن غير موجودة، ما حد من معرفتنا بالمجتمع الريفي والوسط البدوي، رغم أهميتهما بشريا واقتصاديا، فلا نعرف إلا القليل عن التعامل اليومي وعن حياة الأسر الكبيرة خارج المدن، وكيفية تصرف شيوخ القبائل ورؤساء العشائر وأصحاب الطرق الدينية والزوايا[١٧].

و لعل السبب في ندرة وثائق الوقف في الوسط الريفي والمجتمع القبلي يعود إلى كون الوقف في أساسه تقليدا حضريا وإجراء متعارفا عليه في مجتمع المدينة، حيث يحرص الفرد على تسجيل ما يملكه وتتولى هيئات منظمة من الموظفين متابعة ما يوقفه، عكس المجتمع الريفي الذي تحكمه العادات وتسوده الثقافة الشفوية.

إن هذه الصعوبات التي يواجهها الباحث في التعامل مع وثائق الوقف تتحكم في الطريقة التي يتعامل بها مع مضمون تلك الوثائق والأسلوب الذي ينتهجه في التعامل معها، الذي غالبا ما يحدده منهج الباحث وإمكاناته ونوعية موضوعه، ولعل أهم تلك الأساليب تتمثل في :

أ - الطريقة الاستعراضية التقريرية :

وهي الغالبة على ما أنجز حتى الآن من دراسات تاريخية تعتمد وثائق الوقف مصدرا أساسيا لها، وهذه الطريقة تركز - في الغالب - على سرد الاستشهادات وذكر الأمثلة العديدة من الوثائق لإقرار الحقائق التاريخية المتعلقة بموضوع الاستشهاد، وذلك بهدف إقناع القارئ بها وجعلها من قبيل المسلمات، الأمر الذي قد يوقع صاحب البحث في التعميم، وقد يجعل بحثه يتصف بالسطحية والعرض الأدبي، وهذا ما يجعل هذه الطريقة الاستعراضية التقريرية - في نظرنا - لا ترتقي إلى مستوى البحث التاريخي الأكاديمي، إن لم تكن مجرد صنف أدبي وتقرير وصفي.

ب - الطريقة الاستقرائية الانتقائية :

تقوم على أساس عينات محدودة من خلال ملفات تتضمن مجموعات من وثائق الوقف، يتم اختيارها بكل دقة وعناية، فيبتعد بذلك الباحث عن التعميم ويتجنب النظرة السطحية الاستعراضية، ولكنه لا يصل في بحثه إلى مستوى الدراسة الإجمالية المفصلة التي تغطي جوانب الموضوع وأبعاده الزمنية والمكانية، فيظل جهده يفتقد النظرة الشاملة، وإن كان يتصف بالعمل النوعي والدقة العلمية.

فعلى الرغم من التزام الباحث بالمنهج العلمي، يظل عمله غير تام، فهو يقوم في الغالب على فرضيات نسبية نتجت عن نقص المعلومات، ووجود فراغات في سياق البحث وفي صلب الموضوع، وفي تواصل الزمان والمكان، فضلا عن أن اختيار العينة في العلوم الاجتماعية عامة والتاريخ خاصة متعذر، لأنه لا يمكن تعميم نتائج دراسة عينة على موضوع يتطلب المسح الشامل، فالعينة باعتبارها اختيارا عشوائيا لا يخلو من المصادفة والتحيز، لا تمثل إلا ذاتها، وإن تعميم نتائجها يؤدي لا محالة إلى أخطاء لا يمكن التنبه إليها، وهذا عكس العلوم الطبيعية التي تمثل فيها العينة الأسلوب العملي والمنهج العلمي(١٨).

جـ - الطريقة الإحصائية الشاملة :

تقوم على جمع كل الوثائق الوقفية المتوافرة عن الموضوع بغرض دراستها واستخلاص المعلومات التاريخية منها، وتوزيعها على جداول محددة حسب طبيعة مادتها ونوعية المعلومات التي تتوافر عليها، وذلك قبل رصد مضامينها وتحليلها ووضع بيانات إحصائية وخطوط بيانية خاصة بها، ما يجعل هذه الطريقة تتماشى والمنهج العلمي القائم على حصر المعلومات وتحليلها ونقدها وتسجيل دلالاتها بعيدا عن التعميم والأفكار الشخصية.

إن هذه الطريقة، على الرغم من كونها تقدم للباحث الحل الأنسب للاستفادة من وثائق الوقف وتمثل الطريقة السليمة في استغلال المعلومات التي تتضمنها استغلالا منهجيا، تظل

من حيث التطبيق العملي في حكم الأمنية المتعذرة التحقيق، وذلك لما تتطلبه من جهد كبير ووقت طويل، يتجاوز قدرات الباحث ويستوجب العمل الجماعي المنظم القائم على مشروع يتوافر على قاعدة للمعلومات تكون منطلقا لتحليل المعطيات التي يتم الحصول عليها من استبيانات الوثيقة الوقفية[١٩].

هذا وما دامت الطريقة الاستقرائية المعتمدة على دراسة العينات انطلاقا من سجلات ودفاتر الوقف أو مجموعة وثائق المحاكم الشرعية لا تمكننا من التعمق في البحث والإلمام بجوانبه، والطريقة الإحصائية فوق قدرة الباحث من حيث الوقت الذي تستغرقه والجهد الذي تتطلبه، فإنه يصبح من الضروري الجمع بين هاتين الطريقتين، بحيث يعمد الباحث في دراسته لوثائق الوقف إلى التوسع في اختيار مصادره وتحديد قاعدة مواصفات للمعلومات حتى تتلاءم وطبيعة المادة التاريخية التي تتوافر عليها وثائق الوقف ونوعية المعلومات التي يتطلبها موضوع البحث. وفي هذه الحالة من الضرورة أن يكون الاستبيان الذي تقوم عليه دراسته شاملا ومفصلا بحيث يحتوي على كل ما يمكن استخلاصه من الوثيقة الوقفية، ومن الأفضل أن ترتب المعلومات المستخلصة منها في نقاط محددة، تتضمن معلومات نوعية دقيقة، حسب الترتيب التالي :

١- **الوثيقة** : مصدرها وحيثياتها ونوعيتها (وقفية، حجة، مجموعة، مفردة، أوراق ملحقة)، الأرشيف، المحكمة، السجل، الصفحة، السنة، رقم الوثيقة، التاريخ، القاضي، الشهود، الوكيل، الناظر.

٢- **الوقف** : نوعه (خاص ـ عام)، صنفه (شامل ـ جزئي ـ مشترك)، مكانه، حدوده، شروطه (مطلق ـ مشروط)، مرجعه.

٣- **الواقف** : اسمه، وظيفته، أصله وقرابته ونسبه، مكانته الاجتماعية، مقدرته المالية، إمكاناته الخاصة بالمؤسسة الوقفية وفي الهيكل الإداري.

٤- **المستفيد منه** : الأطراف المستفيدة، شروط الاستفادة منه، المشرف عليه.

٥- **مردود الأوقاف** : أوجه صرف مردوده، مقدار عنائه أو كرائه.

هذا ومهما كانت الطريقة المتوخاة في التعامل مع وثائق الوقف والأسلوب المتبع في تسجيل المعلومات التي تتضمنها، فإنه يتحتم على الباحث اتباع خطوات محددة من أجل استخلاص المعلومات التي تتضمنها الوثيقة الوقفية، هذا وحتى يتمكن الباحث من تحليل تلك المعلومات وتركيبها وصياغتها وفق متطلبات قواعد البحث التاريخي، فإنه من الأنسب له اتباع الخطوات التالية :

١- تحديد مجموعات الوثائق الوقفية المتعلقة بموضوع بحثه وضبط العينات المختارة، اعتمادا على نوعية المعلومات التي يحتاج إليها والفترة الزمنية والوسط الجغرافي الذي يتصل ببحثه، ويكون ذلك بمراجعة ما يتوافر له من الفهارس والمراجع والبيبليوغرافيا المتعلقة بالوثائق الوقفية، مع الاطلاع ـ في حدود قراءته الأولية ـ على ما كتب في موضوعه وخاصة ما تم الرجوع فيه إلى الوثائق الأولية وخاصة الوقفية منها.

٢- استخلاص المعلومات المتعلقة بموضوعه، من وثائق الوقف وتصنيفها اعتمادا على الاستبيان الخاص به، وحسب مضامين الوثائق، مع الحرص على تسجيل أرقام الوثائق وترتيبها حسب نوعية الوقف وصنف المؤسسة التي يعود إليها والمعلومات التي يوفرها، ويُفضَّل في ذلك استعمال الجداول الإحصائية واللوحات البيانية، لا سيما في ما يتعلق بأسماء ومهن وأوضاع الأشخاص الوارد ذكرهم في قضايا الوقف، مع الأخذ بعين الاعتبار في كل ذلك الخطة الأولية للبحث واحترام الإشكالية الأساسية التي تحدد الهدف من البحث.

٣- غربلة وتمحيص المعلومات المتوافرة والتعرف على مضمونها التاريخي من حيث دلالاتها الاجتماعية ومؤشراتها الاقتصادية ومظاهرها الثقافية والروحية، وتوزيعها حسب الخطة المعتمدة في البحث، التي قد تخضع للتحوير اعتمادا على كمية المعلومات التاريخية المستقاة من وثائق الوقف أو المقتبسة من المصادر والمراجع الأخرى، لكونها تساعد الباحث على استكمال جوانب النقص التي قد تُلاحَظ على رصيد المعلومات التي تحصل عليها من وثائق الوقف.

سادسا - مجالات البحث التاريخي المرتبطة بوثائق الوقف

تفتح وثائق الوقف أمام الباحث آفاقا رحبة تمكنه من تجديد نظرته وفهمه لمعطيات الحياة اليومية، وتحديد حكمه على التطورات التي تميز بها التاريخ المحلي للمدن العثمانية وجوارها، فبغض النظر عن الدلالات المتعلقة بوثاق الوقف، التي استعرضنا خطوطها العامة في تعريفنا بأهمية وثائق الوقف كمصدر تاريخي، فإن المسائل المتصلة بظاهرة الوقف، كما هو مسجل في نصوص الوثائق الوقفية، تظل تمثل الإطار الأمثل والمجال الرحب لإعادة تجديد المعرفة التاريخية من منظور علمي يستكمل ويصحح ويعدل ما كتب إلى الآن عن المجتمعات المحلية.

إن هذا التوجه في دراسة الحياة الداخلية، انطلاقا من وثاق الوقف، يتطلب من الباحث ضبط توجهات دراسته وتحديد المسائل التي يعالجها بحثه، بحيث يأخذ في الاعتبار - إذا كان العمل يعود إلى الفترة العثمانية - مختلف جوانب حياة المجتمعات الحضرية الإسلامية، التي يمكن إجمالها في النقاط التالية[٢٠] :

١- **بنية المجتمع المحلي** : من حيث تنظيماته الخاصة وطبيعة علاقاته بالسلطة الحاكمة، وتجانس طوائفه وتنوعها ومكانتها، على ضوء واقع موازين القوى بين السلطة وسكان المدينة وظهيرها الريفي، بحيث توضح دراسة مضمون وثائق الوقف مدى ارتباط الأوقاف بالفئات الواقفة أو الحابسة، وتأثيرها في مكانتها الاجتماعية، وخاصة ما يتصل بأوضاع العائلات الكبرى، ونفوذ وتأثير العلماء والتجار والموظفين، كما تبين الروابط الاجتماعية في إطار الأسرة والطائفة والقبيلة، ووضعية المرأة، من حيث كونها منشئة للوقف ومستفيدة منه.

٢- **الحياة الثقافية** : من ناحية تعبيرها عن الميول الروحية وتعكس المستوى التعليمي وتظهر تأثير العلماء ودورهم في السلك القضائي، وذلك من خلال :

- دوافع الوقف في حد ذاته، والأهداف المتوخاة منه، وما تعبر عنه من سلوك العامة.
- الروابط الروحية بين المجتمع المحلي والأماكن المقدسة بالحجاز، من خلال أوقاف الحرمين الشريفين.
- إسهام الأفراد في إنشاء الأوقاف لمصلحة المؤسسات التعليمية والدينية.
- الانتماء المذهبي لأصحاب الوقف، أو مستواهم العلمي، ومكانتهم ضمن الهيئات الإدارية والقضائية.
- نشاط الهيئات الوقفية باعتبارها مؤسسات خيرية.

٣- **النشاط الاقتصادي** : من حيث نمو وتراجع وانكماش الاقتصاد المحلي، الذي يمكن التعرف عليه اعتمادا على الأسلوب المطبق في استغلال الوقف وإنتاجية الأملاك الموقوفة، وذلك لكون دراسة الوثائق الوقفية تسمح بتحديد مكانة الوقف في الحركية الاقتصادية، من حيث كون الوقفيات ملكيات عقارية وأراضي زراعية ومحلات تجارية وعيونا وآبارا وغيرها من المرافق الاقتصادية المهمة. كما يمكن من خلال وثائق الوقف ضبط النشاط المهني والحرفي وتوزيع الوظائف والخدمات، وإيجاد الحلول للمسائل المطروحة، خاصة ما يتعلق بحياة السكان ومتطلباتهم، من توفير الماء وتوزيعه وتنظيم الأزقة وصيانة الأسوار وغيرها[٢١].

٤- **الهياكل الإدارية** : من حيث دور المشرفين على الوقف، من نظار ووكلاء وقضاة وشواش، وكذلك من حيث دور القائمين على المصالح والخدمات المرتبطة باستغلال الوقف، وصلاحيات وإجراءات المجلس العلمي والمحاكم الشرعية.

٥- **الوضع الديموغرافي والحالة الصحية والمعيشية** : من حيث تحديد متوسط عدد أفراد الأسرة وأعمارهم، وتوزعهم على أحياء المدينة، وما كانوا يملكونه من ثروات وملكيات، وكذلك التعرف على مستوى معيشتهم، ومعرفة الأمراض المسببة للوفيات، ومحاولة تقدير عدد الوفيات التي كانت الأوبئة سببا فيها، أو نتجت عن الآفات الطبيعية.

٦- **التنظيم العمراني للمدينة** : من حيث المظهر العمراني للمدينة، والشكل الذي اتخذه انطلاقا من واقع الأملاك الموقوفة، وما تميز به من انكماش أو نمو مرتبط بأوضاع الوقف، وهذا ما يجعل الوقف داخل المدينة ظاهرة عمرانية غير ثابتة، تعبر عن الحركية الاجتماعية وتساهم في تنظيم المجال العمراني، خاصة في المدن العثمانية التي عرفت قرارات التنظيم والتهيئة العمرانية، مثل مدينة الجزائر بعد احتلال الفرنسيين لها (١٨٣٠)، أو التي خضعت للتحديث العمراني الذي وجد في الأراضي الموقوفة احتياطيا من المساحة القابلة لإنشاء المصالح الإدارية والاجتماعية والمؤسسات التعليمية والدينية، كالمدارس والمساجد والخانات والقيصريات، كما عرفته إسطنبول بفعل إجراءات التنظيم العمراني التي تعلقت بالأملاك الموقوفة (١٨٥٦)[٢٢].

سابعا - الهدف المتوخى من دراسة وتحليل وثائق الوقف

إن مجالات البحث التاريخي المتصلة بمضمون وثائق الوقف كفيلة بتجديد نظرتنا إلى قضايا التاريخ المحلي، وبذلك يمكن لنا تجاوز عرض الأحداث وتسجيل الوقائع والتعليق عليها إلى طرح الأسئلة والبحث عن الإجابات المقنعة لها، انطلاقا من تحديد إشكالية دراسة قضايا الوقف، انطلاقا من واقع الحياة الاجتماعية واعتمادا على المصادر التاريخية الأولية المتمثلة في وثائق الوقف.

و في هذا التوجه تجدر بنا ملاحظة أن هناك العديد من المسائل المهمة في التاريخ المحلي التي ما زالت مطروحة، والتي تتطلب الرجوع إلى وثائق الوقف لإيجاد إجابة مقنعة عنها، أو تكوين فكرة محددة عنها، لعل أهمها يتعلق بالموضوعات التالية:

- معطيات الحياة اليومية للأفراد والجماعات، وخاصة الفئات المؤثرة في المجتمع المحلي، مثل الأعيان والعلماء، أو التي لها وضع خاص كالنساء والطلبة والمهمشين.

- العلاقة بين مؤسسات الوقف والجهاز الإداري المحلي، والصلات بين القائمين على شؤون الوقف والمشرفين على المصالح الإدارية، وتأثيرها في النشاط الاقتصادي والوضع الاجتماعي.

- الفوارق بين المبادئ النظرية التي يستند إليها الوقف كما حددتها الأحكام الفقهية واتفق عليها العلماء، وبين الإجراءات الإدارية المتعلقة بكيفية استغلال الوقف التي أفرزها الواقع واستلزمتها الظروف الطارئة وفرضتها متطلبات الحياة اليومية[٢٣].

- مسألة حيازة الأرض وطريقة استغلالها، في ضوء الظروف التي ساعدت على انتشار الوقف، وانطلاقا من الحوافز الدافعة إلى توسع الأراضي الوقفية على حساب الأملاك الخاصة أو المشاعة أو المتروكة، ليصبح الوقف أحد أنماط الملكية الشائعة في المدينة وجوارها، لا يمكن مقارنته إلا بالملكيات الخاصة.

إن مقاربة إشكالية التعامل مع وثائق الوقف تفرض علينا تسجيل بعض الملاحظات المتعلقة بمكانة وثائق الوقف في الدراسات التاريخية، وبالآفاق التي تفتحها أمام الباحث، التي يمكن إجمال الجوانب المهمة منها في النقاط التالية :

١- إن ما كتب من تاريخ المجتمعات الإسلامية الحديثة، وحتى المعاصرة، اعتُمِد فيه على مصادر ومراجع تتناول أساسا الأحداث السياسية وتتصل بالقضايا الخارجية والأوضاع الدولية، وهذا ما جعل هذه الكتابات التاريخية تعكس الجوانب الخارجية من حياة المجتمعات المحلية، خاصة المظهر السياسي منها والتنظيم الإداري والعسكري، في حين ظلت التطورات الداخلية والتفاعلات الذاتية، التي تعبر عن حقيقة المجتمع المحلي، هامشية إن لم تكن غائبة، وهذا ما يتطلب إعادة كتابة التاريخ من خلال مصادر ووثائق جديدة، الأمر الذي يوجب على الباحث الرجوع إلى وثائق الوقف لاستقرائها وتحليل مضمونها التاريخي وفهم دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

٢- إن طبيعة وثائق الوقف، من حيث كونها مصدرا تاريخيا أوليا، تتطلب الانتفاع بها تقنيات وطرقا تتلاءم وطبيعة المعلومات التي تتضمنها، ما يفرض على الباحث إيجاد تصور أولي يقوم على صياغة برنامج أو وضع خطة تركز أساسا على استخلاص المعلومات التاريخية وترتيبها وتحليلها، باعتبارها المادة الأولية، بينما غيرها مراجع ثانوية مساعدة لاستكمال بعض جوانب البحث، وهذا ما يتطلب من الباحث، المتعامل مع وثائق الوقف، الاستفادة من العلوم المساعدة للتاريخ، مثل علم الإحصاء والخرائط والجغرافيا وأحكام الفقه وفقه اللغة، وحصر نشاطه في موضوعات نوعية وبرامج محددة، سواء بالمشاركة في مراكز بحث متخصصة، أو في إطار تحضير وإنجاز بحوث نوعية.

٣- إن خصوصية المادة التاريخية، التي تتضمنها وثائق الوقف، وطريقة التعامل معها تفرض على الباحث ضبط الموضوعات والمسائل التي يمكن معالجتها وبحثها، وهذا ما يتطلب من الباحث - قبل أي شيء- طرح الإشكالية وتحديد الهدف من البحث والنتائج المتوخاة منه. وحتى لا تتشتت جهوده ويمكنه له الانتفاع بالمادة الأولية التي تتضمنها وثائق الوقف عليه أن يصيغ إشكالية ويضع خطة ضمن ما توفره له وثائق الوقف من دلالات ثقافية وروحية ومؤشرات اقتصادية واجتماعية، لعل أهمها بالنسبة إلى الباحث في التاريخ المحلي لمجتمع المدن الإسلامية يتمثل في الدلالات الثقافية والروحية والمؤشرات الاقتصادية والمسائل الاجتماعية التالية(٢٤) :

أ - الدلالات الثقافية والروحية تتمثل في :

١- ميول السكان ومقاصدهم من إنشاء الوقف، من دوافع ذاتية متعددة، بعضها صادر عن إرادة الخير وعمل الصلاح، وبعضها من أجل تحقيق أغراض لفائدة الأسرة، ولتجنب ضياع ممتلكات الأسرة بالبيع أو المصادرة أو اقتسام التركة.

٢- دور «المجلس العلمي» الذي يعود إليه التصرف في ما يتعلق بالوقف، باعتباره سلطة دينية وهيئة إدارية تنظر في ما يهم الجماعة الإسلامية، بحيث تتكامل فيه الوظيفة الدينية والصلاحيات القضائية مع الإجراءات الإدارية والتسيير الاقتصادي.

٣- مكانة العلماء ومنزلة الفقهاء، وذلك من خلال إشرافهم أو انتفاعهم أو استغلالهم للوقف.

٤- الانتماء المذهبي لأفراد المجتمع المحلي، الذي تظهره طريقة إنشاء الوقف الأهلي (الحنفي) أو الخيري (المالكي).

٥- الإجراءات التشريعية التي تنظم الحياة الروحية، من حيث مسألة الميراث ونصيب الورثة في مردود الوقف، وكذلك التطبيقات العملية للأحكام الشرعية من حيث مدى تعبيرها عن متطلبات الواقع من دون المساس بالمبادئ التي يقوم عليها الوقف.

ب - المؤشرات الاقتصادية تتعلق بـ :

١- تأثير الوقف في طريقة استغلال الأرض ونوعية حيازتها، ومدى فاعلية أسلوب استغلال الوقف والانتفاع به، من حيث كونه وسيلة تلبي متطلبات المجتمع المحلي من تسيير وإنتاج واستغلال.

٢- توسع الوقف على حساب الأملاك الخاصة في المدينة والأراضي الخاصة والمشاعة بجوارها.

٣- تطور المداخيل السنوية للوقف ونوعية المصادر المتعلقة بمردوده.

٤- نوعية النشاط الحرفي لمستغلي الوقف، ونوعية الوظائف والخدمات المرتبطة بهذا النشاط.

جـ - المسائل الاجتماعية، تتناول :

١- المكانة الاجتماعية للشرائح المنتفعة أو المشرفة على الأوقاف ومدى تماسكها كوحدة اجتماعية.

٢- طبيعة المعاملات الإدارية وتأثيرها في نوعية العلاقات الاجتماعية، خصوصا ما يتعلق بالألقاب التي يحملها مستغلو الوقف أو المنتفعون به أو المشرفون عليه.

٣- الحقوق المتعلقة باستغلال الوقف والمترتبة على الشروط الواجبة في استغلاله ومدى تأثيرها في الروابط الأسرية ومكانة المرأة وعلاقات الأبناء والأحفاد.

٤- رعاية المصالح الاجتماعية التي تعتمد على الوقف وترتبط بحياة السكان، خاصة ما يتعلق منها بتوفير عنصر الماء وتوزيعه، أو بتنظيف الشوارع وصيانة المنشآت العامة.

الخاتمة

هذا ولا يسعنا في ختام هذا البحث إلا التأكيد على الهدف الأساسي من الرجوع إلى وثائق الوقف، وهو استخلاص المعلومات التاريخية منها وتوسيع آفاق البحث في التاريخ المحلي، وتطوير آلية البحث و المجال المعرفي، لتشمل جوانب ظلت بعيدة عن اهتمامات الباحث في التاريخ العربي ـ الإسلامي، خاصة ما يتصل منها بالعلاقات الاجتماعية والإجراءات الإدارية والتعامل الاقتصادي وتنظيم شؤون العبادة والتعليم، التي شكلت محور الحياة اليومية للمجتمعات الحضرية العربية في العهد العثماني. كما يتضح لنا أيضا أن الاستفادة المرجوة من وثائق الوقف تظل قاصرة، إن لم تكن محدودة، ومن دون توافر شروط أولية تساعد الباحث على تحليل الوثيقة الوقفية، ولعل أهم هذه الشروط، التي تختصر وقت الباحث وتوفر عليه الجهد، هو وضع بيبلوغرافيا تحليلية ونقدية للمصادر الأولية، مع التعريف

بالدراسات المستجدة حول مسألة الوقف، وذلك لتجنب إهدار الجهد في التعرف على معطيات الوثيقة الوقفية اللغوية والفقهية، ومتابعة جهود الباحثين في هذا المجال الحيوي من الدراسات التاريخية، ولعل الخطوة الأولى في هذا المسعى هي رصد قائمة بالمصطلحات الواردة في وثائق الوقف، تكون على شكل قاموس أولي يتضمن الكلمات المستعملة في الوثائق، مع تحديد مفهومها الديني واستعمالاتها الفقهية ومدلولها المحلي، وإنجاز فهارس تفصيلية لوثائق الوقف، تحدد موضوعها وتضبط تاريخها وترقيمها ومكانها ضمن الدفاتر أو الملفات أو العلب التي توجد فيها.

هذا ويتضح لنا مما سبق أن الانتفاع بمضمون وثائق الوقف ليس بالأمر السهل على أي باحث مهما كانت مقدرته وخبرته ومراسه، وذلك لصعوبة تحليل تلك الوثائق واستخلاص المعطيات التاريخية منها، وهذا ما يتطلب المثابرة والممارسة والصبر والتركيز، فالوثيقة الوقفية هي أشبه ما تكون بالمنجَم الذي يستلزم العمل الجاد لاستخراج مادته الخام، هذه المادة التي لا يمكن لنا من دونها تجديد نظرتنا أو تصحيح رؤيتنا لقضايا التاريخ المحلي.

الهوامش

1 S. Yerasimos, “Les waqfs dans l'aménagement urbain d'Istanbul au XIXème siècle”, in Waqf dans le monde musulman contemporain, Varia Turcica XXVI, Istanbul, 1994, p. 43

2 ناصر الدين سعيدوني: «الأوقاف بفحص مدينة الجزائر : دلالات اجتماعية ومؤشرات اقتصادية»، أعمال ندوة الوقف في الجزائر في أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عدد خاص، مجلة دراسات إنسانية، الجزائر، ٢٠٠٢، ص. ٣٥.

- J. Maguelonne, La propriété privée en Algérie avant et après la conquête de 1830, Montpellier, 1905, p. 11

- Zeys, Traité élémentaire de droit musulman, Alger, A.Jourdan, 1886, T. 2, p. 181

- Ch. Vallière, L'Algérie en 1781 (Mémoire), Pub. par L.Chaillou, Toulon, s.d., p. 31.

- J. Busson de Jenssens, Contribution à l'étude des habous publics algérien, Alger, 1950 (Travail dactylographié).

- O. L. Barkan, « Problèmes fonciers dans l'Empire Ottoman» in Annales d'histoire sociale, 1ère année, nº 3/1939, pp. 236-237.

3 يتوافر الأرشيف الوطني الجزائري على مجموعتين من الوثائق أغلبها يتعلق بالأوقاف: الأولى تعرف بـ «سجلات البايليك» (١٨٦ سجلا موزعة على ٣٦ علبة)، والثانية يطلق عليها تسمية «المحاكم الشرعية» أو مجموعة «زاد» (Z)، وتتضمن مئات من الوثائق موزعة على ١٥١ علبة بعضها يحمل أرقاما مكررة، ما يجعل عددها يناهز مائتي علبة تغطي الفترة الممتدة من أوائل القرن السابع عشر وحتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

للتعرف أكثر على وثائق الوقف بالأرشيف الجزائري، انظر :

ناصر الدين سعيدوني، «وثائق الوقف بالأرشيف الجزائري وإمكانية استغلالها في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر»، المجلة التاريخية المغاربية، زغوان - تونس، عدد ٩٣-١٩٩٩/٩٤، ص. ٢٧٠.

4 N. Saïdouni, L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830), Beyrouth, Dar al-Gharb al-Islami, 2001, pp. 423-436.

5 Archives nationales d'Outre-mer à Aix-en-Provence, F 80/1082, Rapport sur l'administration des corporations religieuses, Alger, 1837.

6 الأرشيف الوطني الجزائري، سجلات المحاكم الشرعية، علبة ٣٤، وثيقة ١٨٩/١٠ ؛ علبة ٢٧/١، وثيقة ٤٥.

7 المصدر السابق، علبة ٣٤، وثيقة ١٣٥ ؛ علبة ٤٢/١، وثيقة ٢٤.

8 لم تتوافر حتى الآن للباحث في وثائق الوقف دراسات نوعية تحلل مضمون الوثائق وتعرِّف بمواضيعها ونوعيتها، وتضبط تسلسلها الزمني ومكانها الجغرافي، وكل ما هناك فهارس عامة تقتصر على تسجيل أرقام السجلات والوثائق مع إشارة مقتضبة إلى موضوعها، وهذا ما يحد من إمكان الانتفاع بها، خاصة أنها تحمل أرقاما مختلفة بين فهرس وآخر، انظر :

- عبد الجليل التميمي، موجز الدفاتر العربية التركية بالجزائر، تونس، منشورات التميمي، ١٩٨٣.

- شهاب الدين يلس، «الفهرس التحليلي لوثائق الأرشيف الجزائري»، مجلة الوثائق الوطنية، الجزائر، عدد ٨-١٩٨٠/٩.

للتعرف أكثر على الخلفية التاريخية لفهارس الأرشيف الجزائري، راجع تقديمنا للفهرس التحليلي، وكذلك :

ناصـر الدين سـعيـدوني، ورقـات جـزائرية، بيـروت، دار الغـرب الإسـلامي، ٢٠٠٠، ص ٤١-٦٩ (بـحث وثائق الأرشيف الجزائري المتعلقة بالفترة العثمانية).

٩ اعتمدنا في هذه القائمة على العديد من الدراسات التي تناولت الوقف، نذكر منها :

Tableau de la situation des établissements français en Algérie, Paris, Imp. Nationale, 1830-1837,– pp. 220 et 257-258.

-Ch. Man gay, "Notes sur la propriété à Alger avant l'occupation française" , in Moniteur algérien, décembre 1836, nº 267, p. 3.

- P. Genty de Bussy, De l'établissement des Français dans la régence d'Alger, 2ème ?d., Paris, F. Didot, 1839, T. 2, pp. 50-51.

- Dr. Worms, Recherches sur la constitution de la propriété territoriale dans les pays musulman et subsidiairement en Algérie, Paris, Frank, 1846, pp. 473-476.

- Eu. Robe, Essai sur l'histoire de la propriété en Algérie, Bône, Imp. de Dugand, 1848, p. 7.

- L. de Baudicour, La colonisation de l'Algérie, ses éléments, Paris, Le Coffre, 1856, pp. 404-405.

- Eu. Robe, Origines, formation et état actuel de la propriété immobilière en Algérie, Alger, A. Bouget, 1859, pp. 50-57.

- Eu. Robe, La propriété immobilière en Algérie, commentaire de la loi du 26 juillet 1873, Alger, Saint Lager, 1875, p. 55.

- N. Signette, Code musulman par Sidi Khalil (rite malikite), statut réel, Texte arabe et traduction, Imp. L. Arnolet, 1878, pp. 381-395.

- E. Mercier, Le code habous, ses règles et sa jurisprudence, Alger, A. Jourdan, 1895, pp. 3-53.

- J. Terras, Essai sur les biens habous en Algérie et en Tunisie, Lyon, Imp. du Salut public, 1899, pp. 87-91.

- M. Pouyanne, La propriété foncière en Algérie, Alger, A. Jourdan, 1900, pp. 231-232.

- H. Jobert, Les ressources domaniales de la colonisation en Algérie, Paris, L. Larose, L. Tenir, 1904, p. 71.

- G. Rectenwald, Des uvres d'assistances spéciales, contribution à l'étude des questions algériennes, Alger, Imp. Agricole, 1908, pp. 12-14.

- F. Arin, " Essai sur les démembrements de la propriété foncière ", in Revue du Monde musulman, T. 27/1914, pp. 287-301.

- L. Millot, Démembrement du habous, Alger, Leroux, Paris, 1918, pp. 8-12.

- E. Larcher, G. Rectenwald, Traité élémentaire de législation algérienne, Paris, 1923, T. 3, pp. 16-17.

- H. Massé, L'Islam, Paris, A. Colin, 1930, p. 127.

- F. Godin, " Le régime foncier de l'Algérie ", in L' uvre législative de la France en Algérie, Collection du Centenaire de l'Algérie, Alger, 1930, pp. 220-226.

- A. Scemla, Le contrat d'Enzel en droit tunisien, Paris, P. Loviton, 1935, pp. 14-16.

- P. Berthault, La propriété en Afrique du Nord, Conférence, 4 mai 1936, s.d., pp. 12-13.
- M. Chebli, " Les grands habous des Zaouias ", in Bulletin économique et social de la Tunisie, septembre 1954, pp. 36-42.
- M. Hoexter, Endowments, Rules and Community, Wàqf al-Haràmayin in Ottoman Algiers, Leiden, 1984, p. 257.
- T. Shuval, " La pratique de la mouawda (echange) ", in Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Aix-en-Provence, nº 79-80/1997, p. 57.

10 E. Mercier, Les habous ou oukaf, le code habous, Constantine, Braham, 1899, pp. 2-96.
- J. Luccioni, Les habous ou oukaf (Thèse, Alger, 1942), Casablanca, s.d., p. 171.
عائشة غطاس، «إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني»، المجلة التاريخية المغاربية، زغوان - تونس، السنة ٢٤، عدد ٨٥-١٩٩٧/٨٦، ص ١٢٧.

11 ناصر الدين سعيدوني، «دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، بيروت»، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١، ص ٢٠٧ و٢٠٨.

12 مما يلاحظ في هذا الصدد أن وثائق الإدارة المحلية بالجزائر (سجلات البايليك) نادرا ما تسجل المعاملات الاقتصادية أو تشير إلى العلاقات الاجتماعية، ويكاد أغلبها يتعلق بمسائل الوقف من حيث تأسيسه وتسييره ومردوده ورعايته.

13 لأخذ فكرة عن الأوقاف الزراعية، انظر :
ناصر الدين سعيدوني، «الأوقاف بفحص مدينة الجزائر...»، المصدر نفسه، ص ٣٣-٦٧.

14 يلاحظ أن غالبية سكان مدينة الجزائر ينتسبون إلى المذهب المالكي الذي يأخذ بالوقف الخيري، لكنهم أوقفوا جل أملاكهم حسب المذهب الحنفي (الوقف الخيري)، وهذا ما أشارت إليه الوقفيات في شكل فتوى تجيز ذلك ترغيبا في الوقف كما ورد في وثيقة تحبيس : العربي الإنكشاري بن غرنوط، المؤرخة في أواسط صفر ١١٠٥ هـ (١٥٩٦ م) لداره ونصف جنينته، الأرشيف الوطني الجزائري، وثائق المحاكم الشرعية، علبة ١٠٦، وثيقة ٥٣-٢٠٨.

15 O. L. Barkan, op. cit.

16 هذا ما يلاحظ، لأن أصول وثائق الوقف بالأرشيف الجزائري تضررت كثيرا بفعل انتقالها من مكان إلى آخر قبل أن تستقر أخيرا في المكان المخصص لها بمقر الأرشيف الوطني الجزائري، وذلك بفعل تعرضها للرطوبة وتسرب المياه وأشعة الشمس إلى الأماكن التي حفظت بها منذ الاستقلال وحتى الثمانينيات، فانتقلت من أرشيف ولاية الجزائر إلى أرشيف قصر الحكومة، ثم إلى مركز الدراسات التاريخية، وبعده مقر مركز البحث في الأنثروبولوجيا (الكراب) (الباردو).

17 للتعرف أكثر على وضعية الأوقاف خارج المدن وفي المناطق الريفية، راجع :
M. Chebli, op. cit., pp. 36-42.
- N. Saïdouni, L'Algérois ruralì, op. cit.

18 عقيل حسين، فلسفة منهج البحث العلمي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، ص ٢٠٨-٢١٧.

19 لعل أحسن نموذج للدراسات العلمية المعتمدة على قاعدة المعلومات المستخلصة من مضمون وثائق الوقف ما يقوم به حاليا الأستاذ الدكتور ميشيل توشيرير في مشروع «الإسكندرية ميناء متوسطي في العهد العثماني»

الذي يرعاه مركز الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي بفرنسا (I.R.E.M.A.M.)، وقد تم تحديد منهجية البحث فيه انطلاقا من قاعدة معلومات وثائق الوقف في الملتقى العلمي الذي عقد بمكتبة الإسكندرية (٣٠ و٣١ أكتوبر و١ نوفمبر ٢٠٠٣).

20 اعتمدنا في ضبط قائمة المسائل المتعلقة بحياة المجتمعات الحضرية الإسلامية في العهد العثماني على عدة مراجع، منها :

- ناصر الدين سعيدوني، «موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري»، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد ٥٧-٥٨/١٩٩٠، ص ١٧٥-١٩٢.

- ناصر الدين سعيدوني، «الأوقاف بفحص مدينة الجزائر...»، المصدر نفسه.

-M. Pouyanne, op. cit., pp. 11-12.

- H. A. R. Gib, H. Bowen, Islamic Society and the West, Oxford, 1950, Vol. 158-187.

-Z. Seffadj, Les quartiers d, Alger pendant l’ époque ottomane (16 éme -20 éme siécles), Hwanit Sidi Abdellah (Thése), Uinversité Paris-Sorbonne, 1995.

21 A.Raymond, Le waqf dans l’espace islamique, outil de pouvoir socio-politique, I.F.E.A.D., dAMAS, 1995, PP. 11-12 (préface).

22 S. Yerasimos, op. cit., p. 43.

23 N. Saïdouni, “Les archives algériennes relatives aux waqfs et leur utilisation dans l’histoire économique et sociale de l’ Algérie ottomane”, in Histoire ´economique et sociale de l’ Empire Ottoman et de la Turquie (1326-1960), Paris, Peeters, 1995, p.62.

24 ناصر الدين سعيدوني، «الأوقاف بفحص مدينة الجزائر...»، المصدر نفسه، ص ٥٠-٥٧.

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

وثائق فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى حتى النكبة (١٩١٤ - ١٩٤٨م)

د. عيسى صالحية (*)

تعاقبت على فلسطين خلال المرحلة ١٩١٤ - ١٩٤٨م (من الحرب العالمية الأولى حتى نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م) عدة أحداث ذات صبغة دولية، حيث شهدت تصفية بقايا الحكم العثماني في الولايات العربية، ووقوع الاحتلال البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي ثم وضع فلسطين وعدة بلدان عربية تحت

الانتدابين البريطاني والفرنسي، فأصبحت بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين منذ سنة ١٩٢٢ وحتى تخليها عنها سنة ١٩٤٨م لمصلحة دولة الكيان الصهيوني، إذ كانت بريطانيا تلتزم في سياستها إزاء فلسطين بأمرين: الأول، تنفيذ بنود صك الانتداب، والثاني: تحقيق إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، بموجب وعد بلفور، الذي صدر في ٢ نوفمبر ١٩١٧م.

وعليه، فإن فلسطين كانت منذ ١٩١٧ - ١٩٤٨ تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين، ومن هنا تأتي أهمية الوثائق البريطانية في المقام الأول بالنسبة إلى التطورات التاريخية في فلسطين. ومع ذلك، فإن وثائق فلسطين موزعة ومحفوظة في عدد غير قليل من الأرشيفات العربية والأجنبية، خصوصا تلك الدول التي وجدت لها قنصليات أو بعثات أو مكاتب أو إرساليات في المدن الفلسطينية المختلفة، كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا والاتحاد السوفييتي (روسيا)، وبلجيكا، وهولندا وغيرها من الدول الأوروبية. إضافة إلى الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية. علاوة على القنصليات العربية ومنها قنصلية المملكة العربية السعودية في القدس.

ونظرا إلى استحالة الحصول على كل المواد الأرشيفية المتناثرة في مختلف الأرشيفات العالمية والعربية من قبل أي باحث بمفرده، بسبب عدم الإلمام بكل اللغات التي كتبت بها

(*) أستاذ قسم التاريخ - جامعة اليرموك - المملكة الأردنية الهاشمية.

الوثائق، إضافة إلى القوانين والتعليمات والحظر الذي تبديه إدارات الأرشيفات في بعض الدول، وتمنع بموجبه من الاطلاع على كل أو بعض الوثائق والملفات التي تقتنيها، وتكاد تكون إدارات الأرشيفات في الدول العربية على رأس قائمة الحذرين الوجلين من الاطلاع على مقتنياتها الوثائقية، بل وتفرض نطاقا محكما من السرية تجاه الباحثين. في حين يلاحظ أن إدارات الأرشيفات الأوروبية أكثر مرونة في نشرها للوثائق والسماح بالاطلاع عليها، لكن لكل إدارة قوانينها وتعليماتها، فالوثائق البريطانية يفرج عن كل وثيقة في العادة بعد ٢٥ سنة من تاريخها، وقد تمدد الفترة إلى ٥٠ سنة إذا كانت الوثيقة تتصل بالأمن البريطاني أو المصلحة الوطنية والقومية لبريطانيا. ومع ذلك فقد تختفي بعض الوثائق أو يوصى بإتلافها إذا تعلقت بأمور خطيرة كتقارير عملاء المخابرات والمجندين للعمل في الدوائر السرية. أو اتصلت بالأموال والرشاوى والهدايا المقدمة لأحد الزعماء أو القادة لاستمالتهم أو لتنفيذ بعض المطالب.

وبخلاف ذلك، ففي بعض الأحيان تُرحَّل وثائق إلى ملفات خاصة يتطلب الاطلاع عليها رحلة أُذونات قد تستغرق سنوات من قبل أجهزة المخابرات ودوائر الأمن، ومثل هذا الإجراء متبع في الوثائق الأمريكية والبريطانية، إذ ترفع الوثيقة في الملف وتستبدل بعبارة أزيلت بسبب الضرورات الأمنية، أو بسبب اتصالها بالمصلحة القومية للشعب الأمريكي. وقد وجد الباحث الكثير من هذه الملاحظات في كل من الأرشيف الوطني الأمريكي National Archive No. 2 في واشنطن - الميري لاند، والأرشيف البريطاني، مكتب السجلات العام Public Records Office، وفي أرشيف وزارة الخارجية الإيطالية - روما Ministero degli Affari ESTeri وفي أرشيف رئاسة الوزراء العثماني - في إسطنبول، أما الأرشيفات العربية ودور الوثائق فيها، فدونها خرط القتاد.

وإزاء الصعوبات والمعوقات والعقبات التي تعرض لها الباحث خلال جولاته للبحث في الأرشيفات الأجنبية والعربية، فإن البحث سيركز على وثائق فلسطين في:

- الأرشيفات البريطانية.
- الأرشيف الأمريكي.
- الأرشيف الإيطالي، أرشيف وزارة الخارجية الإيطالية.
- أرشيف وزارة الخارجية الألمانية.
- أرشيفات دولة الكيان الصهيوني.
- مقتنيات بعض القادة الفلسطينيين من الوثائق والملفات.
- بعض الوثائق والملفات التي أمكن الاطلاع عليها في دور الوثائق والأرشيفات العربية - وهي محدودة.

الوثائق البريطانية الخاصة بفلسطين

يقتني مكتب السجلات العامة (PRO) كثيرا من الوثائق والمذكرات والأوراق الخاصة والملفات والمراسلات المتصلة بفلسطين منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة ١٩١٧م وحتى نهاية الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨م، وهي تتوزع بين:

1 - Air Ministry Files, AIR

2 - Cabinet Files. 23;

3 - Colonial office files. Co. 733;

4 - Prime Minister office files.

5 - War office files. w.o

6 - Foreign office files. Fo. 371;

7 - Official Reports and Papers issued by British Government:

A - Great Britain, Parliamentary Papers. Cmd.

B - Great Britain: Colonial office Reports.

C - Parliamentary Debates P.D. Common, (Lords).

D - Palestine Blue Books.

E - Annual Administration Reports.

F - His Majesty's stationary office (H.M.S.O.)

8 - Privet Papers.

9 - Indian offic (وثائق وزارة الهند)

وأما الوثائق التي تناولت تركيا ومصر فقد صنفت تحت اسم، المكتب الشرقي، Easter Affairs ولكل الملفات تصنيفات وأرقام خاصة بها.

وقد نشرت مؤسسة النشرات الأرشيفية المحدودة Archive editions ltd.، وعنوانها:

7 - Ashley House, The Broad way

Farnham Common Slough, Sl23 PQ. UK

نشرت العديد من المجلدات المقتصرة على موضوعات عامة، وتعاونت في سبيل ذلك مع عدد من دور النشر الأخرى، فعهدت إلى تلك الدور بنشر وثائق موضوع معين، وكلفت عددا من الباحثين والمختصين بإعداد المجلدات التي اختيرت من الملفات والأقسام والأوراق المشار إليها أعلاه، فهي منتقاة ولا يمكن الركون إليها من دون العودة إلى الملفات والأوراق الأخرى، وبعض المجلدات نشرت على أفلام ميكروفيلم، وأغلبها نشر على أوراق مصورة.

أما ملفات فلسطين فقد حفظت ضمن الوثائق البريطانية في مكتب السجلات العام Public Records office (PRO).

- وثائق وزارة الخارجية ١٧٨٢ - ١٩٤٩ .Foreign office Fo.
- وثائق وزارة الهند ١٦٤٠ - ١٩٣٠م .Indian office.
- الوثائق التي تناولت شؤون مصر وتركيا، التي أدخلت تحت اسم «المكتب الشرقي». ١٩٢٠ - ١٩٣٩ Easter Affairs (E.).
- المراسلات العامة: General Correspondence

والمدخل للوثائق رقمي:

- وثائق وزارة المستعمرات Co. 370.
- المراسلات الأصلية Co. 370.
- المراسلات المسجلة Co. 781.
- المراسلات الصادرة Co. 782.
- أوراق الجلسات Co. 696.
- الجريدة الرسمية Co. 813.
- قائمة العاملين مع المندوب الساميCo. 731.

ومن هذه السجلات نشير إلى:

تعتبر الأرشيفات البريطانية أغنى الأرشيفات في العالم المعتنية بوثائق فلسطين، وقد تمكَّن الباحث من الاطلاع على مجموعتين من الوثائق البريطانية الفلسطينية:

الأولى: منشورات المؤسسة: المنشورات الأرشيفية المحدودة Archive Editions Ltd.، وعنوانها:

7 Ashley House
The Broadway
Farnham Common
Slough
SL2 3PQ.u.K.

الثانية: الوثائق التي اطلَّع عليها الباحث أو صورها أو استقصاها من المصادر والمراجع، خصوصا خلال رحلاته إلى بريطانيا وبحثه في: Public Records Office.

وقد أصدرت مؤسسة النشرات (المنشورات) الأرشيفية السجلات التالية:

١ - سجلات حدود فلسطين (١٨٣٣ - ١٩٤٧) Palestine Boundaries 1833 - 1947.

٢ - فلسطين: الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٨) Palestine : British Mandate.

٣ - سجلات القدس (١٩١٧ - ١٩٧١) (1917-1971) Records of Jerusalem.

٤ - فلسطين وشرق الأردن: تقارير الإدارة (١٩١٨ - ١٩٤٨).

Palestine and Transjordan Administration Reports (1918-1948)

٥ - اليوميات السياسية للعالم العربي (فلسطين والأردن)(*) (١٩٢٠ - ١٩٦٥).

Political Diaries of the Arab World (Palestine and Jordan) (1920-1965).

٦ - وثائق الحركة الصهيونية وتأسيس إسرائيل (١٨٣٩ - ١٩٧٢).

Documents : Zionist Movement and Making Israel 1839-1972.

أما **النوع الثاني** من الوثائق التي عني بها الباحث، فتضم نماذج من مختلف المحفوظات في مكتب السجلات العامة. وبعض ملفات القضايا التي وقعت أو اقترفتها السلطات البريطانية والمنظمات الصهيونية بحق الفلسطينيين أو قادة وزعماء العمل الوطني الفلسطيني.

وسنعرض لكل واحدة من المجموعتين:

- سجلات فلسطين Palestine Records.

١ - سجلات حدود فلسطين (1833-1947) Palestine Boundaries:

أصدرت مؤسسة النشرات Archive Editions ثلاثة مجلدات عن حدود فلسطين بعناية الباحثة البريطانية. MS. Patrica Toye، ووقعت المجلدات الثلاثة في ألفي صفحة (٢٠٠٠). ومعها ١٢ خريطة، وذلك سنة ١٩٨٩م.

أخذت المادة من وثائق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office (FO) ومن وثائق وملفات وزارة المستعمرات Colonial Office (CO)، ومن الأوراق الشخصية الخاصة Private Papers للسيد Mr. W.E. Jennings، ضابط الحدود في شبه جزيرة سينا ١٩٠٢ - ١٩٤٧، ومن السجلات الفرنسية، وجاء في محتوى المجلدات ما يلي:

المجلد الأول:

وفيه أوراق تتعلق بالاتفاقية بين الباب العالي في إسطنبول ومحمد علي باشا سنة ١٨٣٣م:

- الاتصالات مع محمد علي باشا ١٨٣٩م.
- London Convention for the Pacification of the Levant, 1840
- مذكرة تتعلق بالفرمان السلطاني، سنة ١٨٤١م.
- نتائج ملخصات المحادثات الحدودية بين مصر والدولة العثمانية ١٨٩٢ - ١٩٠٦.
- مراسلات تتصل بالحدود التركية - المصرية في شبه جزيرة سيناء وإخلاء طابا.
- أوراق خاصة تعود إلى Mr. W.E. Jennings، ضابط إدارة الحدود في شبه جزيرة سيناء ١٩٠٢ - ١٩٤٧م.

(*) ملاحظة مهمة: هذه الوثائق المنشورة في السجلات من قبل مؤسسة النشرات الأرشيفية (منتقاة) (Selected)، ويعتقد الباحث أن المؤسسة تنسق مع بعض الدول قبل نشرها. واللبيب من الإشارة يفهم، والباحث الواعي يستطيع الوصول إلى ما تمَّ تأجيل نشره بقصد أو من دون قصد.

- ترسيم الحدود المصرية - التركية، والحدود بين ولاية الحجاز وشبه جزيرة سيناء ١٩٠٧م.
- تقرير عن مستقبل شبه جزيرة سيناء ١٩٤٦م.

المجلد الثاني:

- الاتفاقيات السرية بين القوى الكبرى لاقتسام أملاك الدولة العثمانية ١٩١٥ - ١٩١٨ .
- اتفاقية القسطنطينية ٤ مارس - ١٠ أبريل ١٩١٥م.
- اتفاقية سايكس - بيكو Sykes-Picot، أبريل - أكتوبر ١٩١٦م.
- اتفاقية Saint-Jean de Mourienne, April - September 1917.
- مراسلات حسين - مكماهون، يوليو ١٩١٥ - مارس ١٩١٦م.
- وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ .
- تقرير لجنة Bunsen حول الأماني البريطانية في الشرق الأوسط، يونيو ١٩١٥م.
- مذكرة تتصل بالادعاءات الفرنسية والعربية في الشرق الأوسط ١٩١٨م.
- مذكرة مؤتمر السلام ١٩١٩، وقد مثَّل فلسطين فيه Sir E. Richards.
- مذكرة من المنظمة الصهيونية إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في باريس ٣ فبراير ١٩١٩ .

المجلد الثالث:

- المفاوضات الفرنسية - البريطانية بشأن الحدود الشمالية، نوفمبر ١٩٢٠م.
- ترسيم الحدود بين فلسطين وسورية، مارس - يوليو ١٩٢١م.
- مؤتمر القاهرة، ١٩٢١م.
- مذكرة تشرشل، وزير المستعمرات، يوليو، ١٩٢٢م.
- إقرار معاهدة حسن الجوار (Bon Voisinage) بين فلسطين وسورية، مارس - يوليو١٩٢١م.
- الانتداب البريطاني على فلسطين ٢٤ يوليو ١٩٢٣م.
- مذكرة «أهمية فلسطين الاستراتيجية لبريطانيا - يوليو ١٩٢٣م».
- الميثاق البريطاني - الفرنسي، ٢٣ ديسمبر ١٩٢٣م.
- اتفاقية بين المملكة المتحدة وشرق الأردن، مارس ١٩٢٨م.
- تثبيت الحدود لدى عصبة الأمم، أبريل ١٩٣٢م.
- اتفاقية بين فلسطين وسورية ولبنان بتعديل الاتفاقية ٢ فبراير ١٩٢٦م، المتعلقة بمسألة الحدود، ٣ نوفمبر ١٩٣٨م.
- اتفاقية التحالف بين المملكة المتحدة وأمير شرق الأردن، تاريخها ٢٢ مارس ١٩٤٦.

وثائق هذه المجلدات الثلاث تعرّف بحدود فلسطين الجغرافية والسياسية حتى نهاية الانتداب البريطاني ١٩٤٨م، وتوضح الوثائق مسؤولية بريطانيا وفرنسا في رسم الحدود

بشكلها آنذاك، ودور الجنرالات والشخصيات البريطانية الذين لعبوا دورا حاسما في رسم الحدود، مثل الجنرال اللنبي، والجنرال ينج Young، وهربرت صموئيل، والكولونيل R. Meinertzhagen الصهيوني، والضابط السياسي للقوات المصرية، ومنيرز هاجن، والسير دوجلاس فوكس D. Fox، والسير ميت كالف C. Metcalfe، والجنرال كلايتون واللورد كيرزون Kurzon، ويعتبر السير سايكس والمسيو جورج بيكون الفرنسي من الشخصيات الذين لعبوا دورا حاسما في رسم حدود فلسطين.

والوثائق البريطانية ذات الأهمية الخاصة برسم الحدود الجديدة لفلسطين هي:

- الوثيقة رقم ٤ لسنة ١٩٢١ (متنوع)، Miscellaneaus No. 4. 1921، الميثاق الفرنسي - البريطاني في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٠ حول أمور تتعلق بالانتداب على سورية ولبنان، وفلسطين وبلاد ما بين النهرين قُدِم إلى البرلمان، ومن ثم جرى الاتفاق على الحدود السياسية بين الدولتين في مناطق انتدابهما، وجاءت المعاهدة (الميثاق) في ٩ مواد وقعها عن الحكومة البريطانية Hardinge of Penshurst، وعن الحكومة الفرنسية G. Leygues، ثم جرت تعديلات على حدود سنة ١٩٢٠ بموجب رسالة من المقدم Lieut-colonel S.F. New Combe (المبعوث البريطاني) مرسلة إلى المقدم Lieut-colonet Paulet المبعوث الفرنسي إلى الوفود الإنجليزية - الفرنسية الحدودية وتاريخها ٢٠ يونيو ١٩٢٠، بيروت.

وفيها زحزحت الحدود السورية بدعوى إقامة مشروع بنحاس روتنبرج الروسي، الذي هاجر إلى فلسطين وقدم مشروعه لشق ترعة تروي سهل الحولة، وسلِخ شريط من الأرض السورية عرضه كيلو متر واحد بطول ١٧ كيلومترا، وعلى منسوب يتراوَح بين ٢٢٥ و٢٧٥ مترا فوق سطح البحر، أي أعلى من منسوب النبع، ثم انتزعت بريطانيا شريطا من الأرض السورية عرضه ٢٠٠ متر بطول ٥ كيلومترات، وعلى منسوب ٧١ مترا فوق سطح البحر، وفيه أبعدت حدود سورية عن الضفة اليسرى للشاطئ الشرقي لبحيرة الحولة. ثم انتزعت شريطا من الأرض السورية عرضه ٢٠٠ بطول ٩ كيلومترات ومنسوبه يتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ مترا فوق سطح البحر، وأبعدت حدود سورية بذلك عن الضفة اليسرى لنهر الأردن، وسيطرت بريطانيا على الحافة التلية المرتفعة، شديدة الانحدار، التي ترتطم بها مياه الضفة الشرقية للنهر حتى خربة الدكة، ووقعت اتفاقية حسن جوار بين فلسطين وسورية في ٩ يونيو ١٩٢٢. الوثيقة رقم:

- E. 5828/1159/65 **وتضم عدة رسائل وتقارير أرقامها:**
- Co. 25638 تاريخها ٩ يونيو ١٩٢٢ .
- Co. 40723/22 تاريخها ٢٣ أغسطس ١٩٢٢ .
- E. 8401/96165 بالتاريخ السابق نفسه .
- البرقية رقم No. 576 القدس، دار الحكومة - فلسطين.

الإشارة رقم N. Fo 1/437 تاريخها ١٤ أغسطس ١٩٢٢ .

- الرسالة No.54 4E.45/0/23/65 من القنصل العام Stow بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٢٣ .

- رسالة أخرى بتاريخ ٨ مايو ١٩٢٣ من المندوب السامي في فلسطين - القدس إلى وزير المستعمرات. ثم جرى تبادل مناطق في وادي اليرموك الأدنى مع النصف الشرقي من بحيرة طبرية ومنطقة الحولة والمطلة، واقتطعت منطقة محصورة بين حدي ١٩٢٠، ١٩٢٢ وأضيفت إلى سورية.

- **الوثيقة رقم Pro. Fo. 1/437 25. June, 1923.**

وتحوي تعديلا للحدود عند طبرية، وهي مرسلة من وزارة المستعمرات إلى السفير البريطاني في باريس (E.2665 ببرقية رقم ٢٨٢١٣ تاريخها ١٢ يونيو ١٩٢٣)، وبهذا التعديل تم امتلاك شاطئ بحيرة طبرية وسلخ مثلث اليرموك، ورسالة أخرى من المندوب السامي في العراق إلى المندوب السامي في دمشق ببرقية رقم ١٤٦٣ تاريخها ٢١ يناير ١٩٢٣، ووثيقة تاريخها ١٢ يونيو ١٩٢٣ E6/231/65. Co.28213/23 من وزارة المستعمرات إلى المندوب السامي في فلسطين، ورسائل أخرى تواريخها فبراير ١٩٢٦، وملاحظات من المندوب السامي في فلسطين إلى وزارة المستعمرات، موضوعها مقابلة مع الكولونيل Maille بتاريخ ٤ يناير ١٩٢٣.

- **ووثيقة بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٢٨، رقم** Fo. No.58033/28. **وهي رسالة من السير** J. Shuckburg **من وزارة المستعمرات إلى اللورد** Monteagle.

- **واتفاقية الحدود الشمالية والشمالية الشرقية سنة ١٩٢٤، والنصان الفرنسي والإنجليزي ورقمها** E. 2106/231/65.

واتفاقيات الحدود أسفرت عن تقسيم ٢٢ قرية كانت واقعة في الحدود السورية - اللبنانية - الفلسطينية، وتوزعت بين الأقطار المذكورة وهي، المزيرعة، بانياس، برقيات، لوطيان، جراية، دريجات، الدريشية، عين قن، عين التينة، عين ميمون، قدس، الرفيد، جالابينا، خربة البادية، خربة المنار، خربة السمان، ميس الجبل، مغر شبانة، صلحة، سعسع، شوكة، تل العزيزات، بارون.

- **اتفاقيات حسن الجوار** (Bon Voisinage "Good nieghbourly") **بين فلسطين وسورية ولبنان سنة ١٩٢٦.**

الوثائق: E. 2808/159/65 No. 9623/22 13 march 1922.

- مسودة اتفاقية حسن الجوار Fo. Registry No. E 2808/159/65/ 2 April 1922.

- دار الحكومة بالقدس، الإرسال رقم ٨٤٢ الإشارة تاريخها ١٧ أغسطس ١٩٢٣ No. Pol/437.

- الحد الشرقي لفلسطين مد إلى نهر الأردن والبحر الميت وخليج العقبة ووادي عربة،

تاريخ الوثيقة ١ سبتمبر١٩٢٢، ورقمها E.8709/582/65 No. 43548.

- تلغراف من المندوب السامي في فلسطين إلى وزير المستعمرات: تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٢٢ No. 309.

- إرسالية تلغراف من وزير المستعمرات إلى المندوب السامي في فلسطين: تاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٢٢ No. 280 تاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٢٢ No. 315. تاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٢٢ No. 886.

وكلها محفوظة في المراسلات المسجلة Foreign office Registry بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٢٢، E.12296/582/65.

ومن الوثائق الأخرى المتعلقة بالموضوع نفسه، إرسالية من القدس بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٢٧، ورقمها E.7742/27. No. 802 وإرسالية أخرى برقم No. 287/23، من ضابط مقاطعة يافا، تاريخ ٥ أبريل ١٩٢٧، مرسلة إلى سكرتير حكومة فلسطين بالقدس.

- Survey of Palestine, Jaffa, Sur/B/4/ Gen. April 21st 1927 to chief Secretary Government office, Jerusalem.

مسح فلسطين، يافا إلى سكرتير الحكومة في القدس.

- Foreign office "Effect of deviation of river on boundaries"
E. 2916/2916/65/1927

أثر تحويل نهر الأردن

- Foreign office S.W.I. "E. 2916/29/465/ 12th July, 1927

إلى وزير المستعمرات To Colonial office

- Colonial office "Registry No. E.3435/29/6/65 No. 4459, 6th August, 1972. To the High Commissioner of Palestine.

وزارة المستعمرات الوثائق المسجلة، إلى المندوب السامي في فلسطين.

- Government House, Jerusalem, dispatch No. 1284. Reference No. 14693/27/ 2nd September, 1927 to Colonial office.

دار الحكومة في القدس وإرسالية إلى وزير المستعمرات

- Foreign office "Memorandum on the exclusion of Palestine from the area assigned for Arab independence, London, 1930.

رقم المذكرة السابقة نفسه، طرد العرب من المنطقة المعينة لاستقلال العرب، لندن، ١٩٣٠.

وحول حدود فلسطين مع مصر:

- انظر الوثائق Parliamentary debates

مناقشات البرلمان البريطاني رقم ٧٥١٠١٥٦، تاريخ ٧ مايو ١٩٠٦ ص ٩١٧ - ٩١٩.
ورقم ٧٥١٠١٥٧، تاريخ ١٤ مايو ١٩٠٦ من ٩٨ - ٩٩.
ورقم ٧٥١٠١٥٥، تاريخ ٢ أبريل ١٩٠٦ ص ١٦٩.

- مراسلات باحترام الحدود التركية - المصرية في شبه جزيرة سينا، مقدمة إلى البرلمان بناء على أمر جلالته بتاريخ يوليو ١٩٠٦، ورقم Cxxx711 cmd. 3006.

- مناقشات مجلس العموم ومجلس اللوردات رقم ١٦٨ - ٧٥١٠١٥٢، لندن، ١٩٠٦ والوثيقة E.2829/231/65 تاريخها ٦ نوفمبر ١٩٢٣.

فلسطين : الانتداب البريطاني : Palestine: The British Mandate

مجموعة من الوثائق من ١٩١٧ - ١٩٤٨، نشرت على مايكروفيش (رقائق فيلمية)

A collection of sources from 1917-1948, Published on microfiche

هذه المجموعة أصدرتها شركة International Documentation Company AG في سويسرا، وتضم المجموعة، المذكرات، والتقارير التي نشرت خلال مرحلة الانتداب البريطاني منذ وعد بلفور ٢ نوفمبر١٩١٧، حتى نهاية الانتداب البريطاني في ١٤ مايو ١٩٤٨م، وفيها السجلات المشتملة على الأوراق البيضاء والتقارير العائدة للمبعوثين واللجان الرسمية التي أرسلت إلى فلسطين منذ صدور موافقة عصبة الأمم على وضع فلسطين تحت الانتداب، وتكليف بريطانيا لتكون الدولة المنتدبة على فلسطين. وتحتوي أيضا على التقارير الخاصة بالأحوال الاجتماعية والسكان والتطوير الاقتصادي، وفيها مشاريع القوانين العثمانية الخاصة ولوائح القوانين والأوامر العسكرية الأردنية، والقوانين، والأوامر العسكرية الإسرائيلية، هذه الوثائق مأخوذة من ملفات وزارة المستعمرات وتحمل الرمز KJ-2، ومنها الوثائق ذات الأرقام والتواريخ والمواضيع التالية:

- KJ-28-62/1:

١٩٠٦م مراسلات تحض على احترام الحدود التركية المصرية في شبه، جزيرة سينا مع مصر سنة ١٩٠٦ (HMSO Cmd 3006).

-KJ-28-1666/1 :

تاريخها أكتوبر ١٩١٩، سجل مختصر لتقدم واحتلال الحملة البريطانية من مصر لفلسطين من يوليو ١٩١٧ - اكتوبر ١٩١٩.

- KJ-28-165/1 :

يناير ١٩١٩، اتفاقية فيصل - وايزمن.

- KJ-28-163/1 :

القاهرة، ١٩٢٠: ادعاءات ومطالب وملاحظات أصدرتها إدارة بلاد العدو المحتلة الجنوبية في أغسطس ١٩١٩.

– KJ-28-1671:

١٩٢٠م، معاهدة السلام مع تركيا (سيفروس) ١٠ أغسطس ١٩٢٠م HMSO 1920 ،Cmd.964 (His Majesty's stationery office) Parliament, Commad Papers.

– KJ-28-107/1، وزارة المستعمرات، إدارة فلسطين وشرق الأردن تقارير من سنة ١٩٢٠ - ١٩٣٨ (١٨مجلدا).

– KJ-28-168/1، ١٩٢١:

الميثاق «المعاهدة» الفرنسية - البريطانية في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٠ مع بعض المسائل المتعلقة بالانتداب على سورية وفلسطين ولبنان وبلاد ما وراء النهرين (العراق)، لندن، ١٩٢١، Cmd, 1195.

– KJ-28-64/1:

فلسطين، حكومة فلسطين ١٩٢١، لجنة الشؤون الدينية الإسلامية، القدس.

– KJ-28-191/1:

فلسطين، ١٩٢١، التقرير المؤقت عن الإدارة المدنية في فلسطين خلال الفترة من ١يوليو١٩٢٠ - ٣٠يونيو١٩٢١. London. Cmd, 1499

– KJ-28-65/1، ١٩٢٢:

سكرتارية مجلس الوزراء، بريطانيا العظمى، الانتداب على فلسطين، رسالة من السكرتارية إلى السكرتير العام لعصبة الأمم في ١يوليو١٩٢٢، جوابا لرسالة الكاردينال كسباري Gasparri في ١٥مايو١٩٢٢ London. Cmd, 1708.

– KJ-28-124/1، ١٩٢٢:

وزارة المستعمرات، بريطانيا العظمى، تقرير عن الإدارة في فلسطين من يوليو١٩٢٠ إلى ديسمبر١٩٢١م.

– KJ-28-66/1، ١٩٢٢:

الانتداب على فلسطين، مع ملاحظة للسكرتير العام، يسأل عن حدود شرق الأردن وتاريخها ديسمبر١٩٢٢. London. Cmd, 1785.

– KJ-28-67/1، ١٩٢٢:

المراسلات مع المندوبين العرب والمنظمة الصهيونية. London. Cmd, 1700

– KJ-28-128/1، ١٩٢٢:

الانتداب على فلسطين، بعض أجوبة المنظمة الصهيونية المعارضة للسياسة البريطانية.

– KJ-28-126/1، ١٩٢٢:

مذكرة رسمية مقدَّمة من المندوبين العرب الفلسطينيين عن حالة المسلمين والمسيحيين في فلسطين والاعتداءات الصهيونية.

- KJ-28-170/1، ١٩٢٢:

القدس، ملخصات وتقارير عامة عن إحصاءات ١٩٢٢م.

- KJ-28-169/1، ١٩٢٢:

لندن، نظام العمل بالمجلس التنفيذي في فلسطين ١٩٢٢ (النظم والقواعد القانونية رقم ١٢٨٢).

- KJ-28-127/1، ١٩٢٢:

جواب للمندوبين العرب الفلسطينيين من المنظمة الصهيونية عن الحقيقة في فلسطين.

- KJ-28-125/1، ١٩٢٢:

تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين، مذكرات من الوكالة اليهودية إلى السكرتير العام لعصبة الأمم، قدم إلى اللجنة الدائمة للانتدابات من ١٩٢٢ - ١٩٣٩، «والمجلد الثاني لسنة ١٩٢٣م غير موجود»، ١٨ مجلدا بالفرنسية والإنجليزية.

- KJ-28-69/1، ١٩٢٣:

الاتفاقية بين حكومة جلالته والحكومة الفرنسية باحترام خط الحدود بين سورية وفلسطين من البحر المتوسط حتى الحمة مع ثلاث خرائط، London (1923) Cmd 1910.

- KJ-28-68/1، ١٩٢٣:

وزارة المستعمرات، فلسطين، الأوراق المتعلقة بانتخابات المجلس التشريعي لفلسطين London (1923) Cmd 1889.

- KJ-28-70/1، ١٩٢٣:

وزارة المستعمرات، فلسطين، التشكيل المقترح للوكالة العربية (على غرار الوكالة اليهودية)، مراسلات مع المندوب السامي في فلسطين، نوفمبر ١٩٢٣، .London (1923) Cmd 1989

- KJ-28-171/1، ١٩٢٤:

تقرير من المؤتمر العربي الفلسطيني، اللجنة التنفيذية بالقدس، تقرير مرسل إلى لجنة الانتداب الدائمة في عصبة الأمم.

- KJ-28-108/1، ١٩٢٥:

وزارة المستعمرات - فلسطين - بريطانيا العظمى، تقرير من المندوب السامي عن الإدارة في فلسطين من ١٩٢٠ - ١٩٢٥.

- KJ-28-173/1، ١٩٢٥:

تقرير من اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني، القدس، مقدم إلى المندوب السامي في ١٣ أكتوبر ١٩٢٥.

- KJ-28-172/1، ١٩٢٥:

مذكرتان مقدمتان من اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني - القدس، إلى المجلس

واللجنة الدائمة لعصبة الأمم بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٢٥.

- KJ-28-192/1، ١٩٢٦:

اتفاقية بين فلسطين، وسورية، لبنان، لتسهيل علاقات حسن الجوار، مرتبطة بمسألة الحدود، وقد وقعت في القدس بتاريخ ٢ فبراير ١٩٢٦ (معاهدة رقم ١٩، سنة ١٩٢٧) Cmd. 2919.

- KJ-28-71/1، ١٩٢٨:

وزارة المستعمرات، فلسطين، بريطانيا العظمى، مذكرة موضوعها الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف، وحائط المبكى من وزير المستعمرات، سنة ١٩٢٨، Cmd. 3229.

- KJ-28-174/1، ١٩٢٨:

اتفاقية بين جلالة ملك بريطانيا وسمو أمير شرق الأردن، بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٢٨، H.M.S.O. 1928 Cmd. 3069.

- KJ-28-129/1، ١٩٢٩:

مذكرة من وفد فلسطين يشرح أحداث أغسطس ١٩٢٩م، لندن، الوكالة اليهودية بفلسطين بتاريخ مايو ١٩٢٩.

- KJ-28-112/1، ١٩٢٩:

ملاحظة عن التعليم في فلسطين منذ ١٩٢٠ - ١٩٢٩م من قسم التعليم، القدس.

- KJ-28-130/1، ١٩٢٩:

تقرير من الوكالة اليهودية في فلسطين عن دافعي الضرائب من الفلسطينيين والبريطانيين.

- KJ-28-74/1، ١٩٣٠:

وزارة المستعمرات، فلسطين تقرير عن الهجرة والاستيطان وتطوير الأراضي، تاريخه أكتوبر ١٩٣٠م London H.M.S.O. Cmd 3687.

- KJ-28-72/1، ١٩٣٠: الوفد (اللجنة في فلسطين) ١٩٢٩

تقرير عن اضطرابات أغسطس ١٩٢٩ مقدَّم من وزير المستعمرات إلى البرلمان البريطاني بتاريخ مارس ١٩٣٠، Cmd. 3530.

Palestine and Transjordan Admisitration Reports 1918 - 1948

Records of JORDAN 1919 - 1965

فلسطين وشرق الأردن، تقارير الإدارة، سجلات الأردن ١٩١٩ - ١٩٦٥ .

- **KJ-28-133/1، يوليو ١٩٣٠:**

مذكرة من الوكالة اليهودية لفلسطين إلى السير جون هوب سمبسون Sir John Hope Simpson، يوليو ١٩٣٠ بشأن استيطان الأراضي والتطوير الحضري والهجرة.

– KJ-28-175/1، ١٩٣٠:

جلسة استماع أدلة اضطرابات فلسطين، أغسطس ١٩٢٩، قدَّمتها لجنة التقصي لأحداث فلسطين. ٣ مجلدات، وقعت في ١٥١٠ صفحات.

– KJ-28-75/1، ١٩٣٠:

سياسة حكومة جلالته في المملكة المتحدة، أكتوبر ١٩٣٠م، الكتاب الأبيض، London, H.M.S.O. 1930. Cmd. 3692.

– KJ-28-132/1:

الكتاب الأبيض، أكتوبر ١٩٣٠ مذكرة الوكالة اليهودية لفلسطين في نوفمبر ١٩٣٠م.

– KJ-28-131/1، ١٩٣٠:

الوكالة اليهودية لفلسطين، الفلسطينيون العرب تحت الانتداب البريطاني، سنة ١٩٣٠م.

– KJ-28-121/1، ١٩٣٠:

تخطيط المدينة، لجنة خطة وسط المدينة بالقدس.

– KJ-28-177/1:

محاضر تحتوي مقترحات اجتماعات المجلس العربي التنفيذي في فلسطين ١٩٣٠ - ١٩٣٣م، بشأن الاضطرابات.

– KJ-28-76/1، ١٩٣١/٦/٢٦م:

نص البرقية رقم ٤٨٧ من وزير المستعمرات إلى المندوب السامي في فلسطين Sir J.R. Chancellor تتصل بالزراعة والاستيطان في فلسطين.

– KJ-28-73/1، ١٩٣١:

تقرير من اللجنة المعينة من حكومة جلالته في المملكة المتحدة وإيرلندا الشمالية، بتصديق مجلس عصبة الأمم للنظر في الحقوق والادعاءات من قبل المسلمين واليهود بشأن الغربي/ حائط البراق أو حائط المبكى في القدس London H.M.S.O. 1931.

– KJ-28-109/1:

فلسطين، قسم التنمية:

تقارير عن التنمية الزراعية واستيطان الأراضي في فلسطين، كتبها L. French:

الأول: تقرير عن التنمية الزراعية تاريخه ديسمبر ١٩٣١م.

الثاني: ملحق للتقرير، تاريخه أبريل ١٩٣٢م.

– KJ-28-71/1: وزارة المستعمرات، ١٩٢٨:

الحائط الغربي من القدس (البُراق)، مذكرة من وزير المستعمرات، لندن، ١٩٢٨، Cmd. No. 3299.

- KJ-28-137/1، ١٩٣٧:

مذكرة من اللجنة العربية العليا إلى لجنة الانتدابات الدائمة ووزير المستعمرات البريطاني، بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٣٧.

- KJ-28-84/1، وزارة المستعمرات، ١٩٣٨:

تقرير عن تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٨، Cmd. No. 5954.

- KJ-28-122/1 مكتب سكرتيرة لجنة التحقيق الإنجليزية - الأمريكية، ١٩٤٦:

مسح فلسطين أعدَّ في ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ من أجل تزويد لجنة التحقيق الإنجليزية - الأمريكية، القدس، ١٩٤٦، ٥ مجلدات + ٩ خرائط.

- KJ-28-114/1:

قسم أراضي الاستيطان وتقارير الباحثين G.S. Blake and M.J. Gold Schmidt تاريخ ١٩٤٧، ٣ مجلدات. و٣ ملاحق، وتقارير الباحثين R. Feige and E. Rosenau بالتاريخ نفسه عن الأمطار في فلسطين وشرق الأردن.

- KJ-28-186/1:

مشاريع حول مستقبل فلسطين، قدمت من يوليو ١٩٤٦، إلى فبراير ١٩٤٧، لندن، ١٩٤٧، ورقمها Cmd. No. 7044.

- KJ-28-100/1، وزارة المستعمرات:

إعلان انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥، لندن، ١٩٤٨.

سجلات القدس (١٩١٧ - ١٩٧١):

أصدرت دار النشرات الأرشيفية المحدودة ببريطانيا والمذكور عنوانها سابقا، سجلات القدس من ١٩١٧ - ١٩٧١، (Record of Jerusalem 1917-1971) في تسعة مجلدات، وقعت في ٦٤٠٠ صفحة، وفيها ٩ خرائط، بعناية J. Priestland، وهي من مقتنيات مكتب السجلات العمومية Public Record Office (PRO) ومأخوذة من ملفات:

- وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office (FO).
- ملفات وزارة الحربية War Office (WO).
- سجلات رئاسة الوزراء Prime Minister's Records.
- إضافة إلى بعض وثائق وزارة الخارجية الأمريكية American State Department ووثائق الأمم المتحدة وتلغرافات.

والمجلدات التسعة تقدم تاريخا وثائقيا لمدينة القدس، مركزة على النصف الثاني من القرن من سنة ١٩١٧م إلى ١٩٧١م، والوثائق تبدأ من نهاية العهد العثماني وفرض الانتداب البريطاني بعد احتلال المدينة وتشكيل الإدارة العسكرية، ثم الإدارة المدنية والانتداب

البريطاني، وتقدم الوثائق صورة للإجراءات التي اتخذتها كل من الإدارة العسكرية والإدارة المدنية في المدينة المقدسة، من أجل وضع وعد بلفور بإقامة الوطن القومي موضع التنفيذ.

وتمدَّنا السجلات بمصادر عن القدس عامة، وفلسطين بصورة خاصة، ومسائل عن الحدود والإدارة، والأصول الأولى لتشكيل دولة الكيان الصهيوني، وفيها وثائق تلقي أضواء على السياسة الخارجية البريطانية.

والوثائق تعرض أيضا للمراسلات بين السفراء والقناصل البريطانيين في المدينة مرسلة إلى وزارة الخارجية أو وزارة المستعمرات، وتتناول أوضاع المدينة السياسية والدينية والاجتماعية، بما فيها مشكلة الفقر ومشكلات الصحة والمياه، كما تعرض لمخططات سلطة الانتداب البريطاني في القدس لتسهيل تنفيذ وعد بلفور من خلال التشريعات والتعليمات والقوانين لسلطة الانتداب، التي أصدرها المندوب السامي البريطاني في فلسطين.

وعلى الجانب الآخر فإن الوثائق ترسم صورة لوقائع المعارك البريطانية - العثمانية، التي انتهت بهزيمة العثمانيين واستسلام المدينة للجنرال اللنبي، وتشكيل كيانات في لبنان، وسورية، وفلسطين، وشرق الأردن، تحت الانتدابين البريطاني والفرنسي، وتشير الوثائق بتفصيل إلى قدوم البعثة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمن وعضوية أدير Eder للتنسيق مع الإدارة العسكرية، والعمل لزيادة عمليات الاستيطان اليهودي في المدينة، وتسهيل انتقال الأراضي وخاصة الميرية وتحويلها إلى أفراد من اليهود، ومن ثم توسيع حدود المدينة لتصبح القدس الكبرى، وبالتالي اعتبار المدينة المقدسة مسألة مركزية من قبل الحركة الصهيونية تسعى إلى السيطرة عليها، ولتكون عاصمة لدولة الكيان الصهيوني، في ما بعد، ومن ثم فإن العرب شعروا بخديعة بريطانيا لهم.

فكانت مقاومة العرب لمشاريع السيطرة على القدس من قبل اليهود منذ سنة ١٩٢٠م وحتى قيام الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦م، وتشكيل الهيئة العربية العليا برئاسة المفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني، واتساع نطاق الثورة في السنوات الثلاث اللاحقة. ومن ثم اقتراح لجنة Beel، سنة ١٩٣٧، بأن تكون القدس إدارة منفصلة تحت إدارة الانتداب البريطاني، أما باقي فلسطين فتُقسَّم بين العرب واليهود، وقد قبلت الحركة الصهيونية الاقتراح مع وجوب السيطرة على القدس الغربية، وقد رفض العرب المشروع، ومن ثم فإن بريطانيا ألغت المشروع سنة ١٩٣٩م.

أما الوثائق المتعلقة بالحرب العالمية الثانية وما بعدها، فإنها تتناول اقتراح حل بإقامة دولة ثنائية، وكذلك استمرار الحملات الإرهابية من قبل الصهاينة الأصوليين، حيث أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين مايو ١٩٤٨م وأعادتها إلى الأمم المتحدة، ومن إقامة دولة إسرائيل بموجب الأمر الواقع Devacto. واتخذت القدس مقرا للمؤسسات والإدارات والاتحادات الإسرائيلية. وكذا مقرا للكنيست الإسرائيلي.

وفي الوثائق معلومات تفصيلية عن إنشاء الجامعة العبرية ٢٧ أبريل ١٩١٨، ورسائل للحاج أمين الحسيني تشرح جرائم بريطانيا خاصة والغرب عموما بحق عرب فلسطين، وتقرير من حاييم وايزمن، خطابُه في حفلة الغداء الرسمي، القدس، ٢٧ أبريل، ١٩١٨.

Memorandum Reporting Dr C. Weizmann's Speech at an official dinner at the Covernorate, Jerusalem, 27 April 1918.

ومن الخرائط التي تحويها المجلدات:

- خريطة للمدينة سنة ١٨٥٥م.
- خريطة توضح المخططات اليهودية للمدينة، سنة ١٩٣٨م.
- خطة إعمار القدس ١٩٤٦ - ١٩٤٨ وغيرها.

فلسطين وشرق الأردن: تقارير الإدارة ١٩١٨ - ١٩٤٨

Palestine and Transjordan Repots 1918 - 1965

نشرت مؤسسة النشرات الأرشيفية ١٦ مجلدا تضم التقارير الإدارية لفلسطين وشرق الأردن وجاءت كما يلي:

المجلد الأول: ١٩١٨ - ١٩٢٤ وفيه:

- تقارير الحكومة العسكرية ١٩١٨ - ١٩٢٠.
- التقارير الإدارية لحكومة فلسطين قبيل الانتداب ١٩٢٠ - ١٩٣٣.
- الأوراق البيضاء والتقارير المرسلة لعصبة الأمم ١٩٢٣ - ١٩٣٨.

المجلد الثاني: ١٩٢٥ - ١٩٢٨

- تقارير المندوب السامي ١٩٢٠ - ١٩٢٥.
- تقارير الانتداب ١٩٢٥ - ١٩٢٨.
- تقارير عن الأحوال الاقتصادية والمالية ١٩٢٧.

المجلد الثالث: ١٩٢٩ - ١٩٣١

- تقارير الانتداب للسنوات ١٩٢٩ - ١٩٣١.
- تقرير عن الحالة الاقتصادية ١٩٣١.

المجلد الرابع: ١٩٣٢ - ١٩٣٣

- تقارير الانتداب للسنتين ١٩٣٢ و١٩٣٣.

المجلد الخامس: ١٩٣٤ - ١٩٣٥

- تقارير الانتداب للسنتين ١٩٣٤ و١٩٣٥.
- تقرير عن الحالة الاقتصادية ١٩٣٥.

المجلد السادس: ١٩٣٦

- تقرير الانتداب لسنة ١٩٣٦.
- تقرير لجنة بيل (Peel) الملكية ١٩٣٦/١٩٣٧.

المجلد السابع: ١٩٣٧ - ١٩٣٨

- تقارير الانتداب للسنتين ١٩٣٧ و١٩٣٨.

المجلد الثامن: ١٩٣٩

- الكتاب الأبيض: سياسة بريطانيا في فلسطين، وعنوان الكتاب (Palestine : Statement of Policy).
- مراسلات تعود إلى تقرير الانتداب لسنة ١٩٣٩.

المجلد التاسع: ١٩٤٠ - ١٩٤١ - ٤٢

- تقارير الانتداب للسنتين ١٩٤٠ و١٩٤١، فلسطين وشرق الأردن.
- قسم التقارير السنوية للسنة ١٩٤١ / ١٩٤٢.

Department Annual Reports for 1941/2

المجلد العاشر: ١٩٤٣

- قسم التقارير السنوية لفلسطين وشرق الأردن، ١٩٤٣، ١٩٤٣ / ١٩٤٤.

المجلد الحادي عشر: ١٩٤٤ - ١٩٤٥

- قسم تقارير فلسطين السنوية لسنة ١٩٤٤.
- قسم تقارير فلسطين وشرق الأردن السنوية ١٩٤٤ / ١٩٤٥.
- قسم تقارير فلسطين السنوية، ١٩٤٥.

المجلد الثاني عشر: ١٩٤٦ - ١٩٤٧

- دراسة مسحية عامة لفلسطين، الجزء الأول.

المجلد الثالث عشر: ١٩٤٦ - ١٩٤٧

- دراسة مسحية عامة لفلسطين، الجزء الثاني.
- دراسة مسحية عامة لفلسطين، الجزء الثالث.

المجلد الرابع عشر:

- قسم تقارير فلسطين السنوية للسنوات ١٩٤٥ / ١٩٤٦ و١٩٤٦.

المجلد الخامس عشر: ١٩٤٦/٤٧ - ١٩٤٧

- قسم تقارير فلسطين السنوية للسنوات ١٩٤٦/١٩٤٧ و١٩٤٧.
- مذكرة تحوي سردا لتاريخ فلسطين منذ سنة ١٩٤٧، قدمت للجنة الأمم المتحدة، الخاصة بفلسطين.
- دراسة مسحية عامة لفلسطين، الجزء الرابع.

المجلد السادس عشر: ١٩٤٧/١٩٤٨ - ١٩٤٨

- قسم تقارير فلسطين الحولية للسنة ١٩٤٧/١٩٤٨.
- قسم تقارير فلسطين وشرق الأردن الحولية ١٩٤٨/١٩٤٩، والأوراق الختامية للانسحاب البريطاني من فلسطين.
- قسم تقارير فلسطين وشرق الأردن الحولية سنة ١٩٤٩ وإنهاء الانتداب البريطاني.

من المعروف أن فلسطين كانت جزءا من الإمبراطورية العثمانية واحتلت سنة ١٩١٨ من قبل القوات البريطانية، التي يقودها الجنرال اللنبي Allenby، حيث أسست إدارة عسكرية لكل من سورية وفلسطين تحت اسم: إدارة بلاد العدو المحتلة Occupied Enemy Territory Administration ويرمز إليها بـ «OETA»، وفلسطين إدارة بلاد العدو المحتلة الجنوبية ويرمز لها South (OETA).

وفي مؤتمر السلام، سنة ١٩١٩، قرَّرت القوى المنتصرة أن الانتداب يجب فرضه على الأجزاء غير التركية من الإمبراطورية العثمانية، وفي مؤتمر سان ريمو San Remo، الذي انعقد في ٢٥ أبريل ١٩٢٠م منحت بريطانيا حق الانتداب، وبهذا ألغيت الإدارة العسكرية في ١ يوليو ١٩٢٠م واستبدلت بإدارة مدنية يحكمها مندوب سام، وقد أقرَّت عصبة الأمم الانتداب البريطاني على فلسطين في ٢٥ يوليو ١٩٢٢، ولم ينفذ رسميًا إلا بعد ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣، بعد توقيع معاهدة لوزان بين الدول الحليفة وتركيا. واستمر الانتداب حتى ١٥ مايو ١٩٤٨، وخلال مرحلة الانتداب شهدت فلسطين انتفاضات وهبَّاتٍ وثورات في السنوات ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٩، والثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩، وتشكلت عدَّةً لجان بريطانية لتقصي الأوضاع في فلسطين والتحقيق فيها، منها لجنة اللورد بيل، واقتراح التقسيم، ثم لجنة السير Sir John Wood head، وإعلانها الكتاب الأبيض في مايو ١٩٣٩، ومن ثم سيكون نهاية الانتداب، وتمديد الهجرة اليهودية، ومنع انتقال الأراضي لليهود، ولكن وقوع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ قلب الأمور ووقعت اضطرابات بين العرب واليهود، ومن ثم تشكلت سنة ١٩٤٦م اللجنة الأنكلو أمريكية للتقصي، ولكنها لم تقدم حلولا ناجعة، ومن ثم أعادت بريطانيا المسألة إلى الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧، وأنهت انتدابها على فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨م.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن تقرير سنة ١٩٣٩م ليس موجودا بينها، ووفقا لمحاضر جلسات وزارة المستعمرات البريطانية فإن التقرير كتب وأرسل إلى مكتبة وزارة المستعمرات، لكنه اختفى، وأنكر الإسرائيليون وجوده عندهم، وهم الذين استولوا على نسخٍ من تقارير الانتداب على فلسطين عندما احتلوا كامل فلسطين سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣.

اليوميات السياسية للعالم العربي Political Diaries of the Arab World
- فلسطين والأردن ١٩٢٠ - ١٩٦٥م / Palestine and Jordan 1920-1965

أصدرت المؤسسة المختصة بالنشرات الأرشيفية ١٠ مجلدات من اليوميات الخاصة بفلسطين والأردن، وقعت في ٨٠٠٠ صفحة (ثمانية آلاف)، بعناية Robert L. Jarman، وهي تضم التقارير الموجودة في وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات، التي كانت ترسل إليهما من عدة جهات في فلسطين والأردن، متناولة ما يجري على الساحة في فلسطين والأردن من أحداثٍ وتعليمات وتوجيهات الوزارتين البريطانيتين، وهذه السلاسل من التقارير تزداد وتقل طبقا للتطورات والأحداث التاريخية، وتخضع للعوامل الذاتية والشخصية لمن جمع معلوماتها بناء على طلبات وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات. وفي بعض التقارير يلاحظ أن الموظفين البريطانيين في فلسطين والأردن كانوا مجرد منفذين للتعليمات، يعملون على تحقيقها بكل الوسائل وبصرامة.

وسواء كانت هذه التقارير والمعلومات قد طلبت من قبل حكومة جلالته أو من قبل مسؤولين في تلك المناطق، فإنها تركت مادة أرشيفية مهمة جاءت على هيئة تقارير مفصلة، ومنظمة، ومرتبة عن تلك الأحداث، وأهم اللاعبين فيها، والاتجاهات السياسية في تلك الفترة، حيث تشتمل على نوعين من التقارير: التقارير الأسبوعية والشهرية، وتركز على الوقائع السياسية والأمنية، وكل ما يمكن جمعه عن التجارة والصحة والتعليم من ناحية، وكذا التقارير الحولية التي تغطي أحداث كل سنة، وتعطي خلفية كاملة عن الحركات السياسية المهمة الأساسية، ولا تترك إلا التفاصيل البسيطة غير ذات الأهمية، ومع أن اليوميات السياسية تقف عند سنة ١٩٦٥، فما يهمنا هو تلك اليوميات السياسية التي اتصلت بالفترة مجال البحث.

واليوميات تزوِّد الدارسين والباحثين بمادةٍ ثرية لما دار من جدلٍ إزاء مشروع بلفور، ٢ نوفمبر ١٩١٧، والاتفاق الفرنسي - البريطاني في ٧ نوفمبر ١٩١٧، ولجنة كنج - كراين في ٢٨ أغسطس ١٩١٩ Kig - Crane Commission، وكلها وضعت الإطار العملي لفكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين، مع ما وقع من ظلم على الحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود، وبالتالي أورثت الأجيال حالة من العداء إزاء التطبيق العملي للوطن القومي اليهودي. وبخلاف ذلك فإن اليوميات تتابع الاضطرابات والثورات بين العرب واليهود حتى سنة ١٩٤٨، ومن ثم إعلان دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨، غداة تخلي بريطانيا عن انتدابها على فلسطين قبل يوم واحد، وفرض الأمر الواقع.

لقد اقتضى الأمر في أوقاتٍ مختلفة، طلب الكثير من التفصيلات والشروحات والتعليقات من قِبَل وزارة الخارجية من موظفيها، وخاصة في أثناء إعداد أو ردود الفعل إزاء الكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا سنة ١٩٣٩م، عندما كانت سلطة الانتداب في عنفوان قوتها،

وخلال احتدام الصراع على الأرض بين اليهود وبريطانيا من جهة، والعرب في الجهة الثانية، سنة ١٩٤٧م، حتى سيطرت حكومة بن غوريون على الموقف، وفرضت الأمر الواقع بإعلانها قيام دولة إسرائيل. واليوميات المنشورة في المجلدات هي:

فلسطين من سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣: تقارير مسحية سنوية.

فلسطين من سنة ١٩٢٠ - ١٩٢٥م: تقارير المندوب السامي البريطاني الشهرية.

فلسطين من سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٩م: مراجعات المندوب السامي الدورية.

فلسطين من ١٩٣٩ - ١٩٤٧: تلغرافات المندوب السامي الشهرية.

فلسطين ١٩٣٨: تقارير لجان المقاطعات والمناطق، كل المناطق (عضو اللجنة، أي موظف الإدارة).

فلسطين ١٩٣٩: تقارير لجان المناطق في حيفا والسامرة (نابلس).

فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٤٨: تقارير لجان منطقة حيفا.

فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٤٨: تقارير لجان منطقة السامرة (نابلس).

فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٤٨: تقارير لجان منطقة الجليل.

فلسطين من ١٩٣٩ - ١٩٤٨: تقارير لجان منطقة القدس.

فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٤٨: تقارير لجان منطقة الجنوب واللد.

فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٤٨: تقارير لجان منطقة غزة.

فلسطين من ١٩٤٦ - ١٩٤٨: تقييمات المندوب السامي الأسبوعية.

فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٤٩: تلخيصات FORD الأسبوعية.

فلسطين ١٩٤٩ - ١٩٥٠: تلخيصات عرب فلسطين الشهرية.

شرق الأردن ١٩٢٠ - ١٩٢٤: تقارير المناسبات.

شرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٢٥: تقارير من رئيس الممثلية البريطانية (المقيم السياسي).

شرق الأردن ١٩٢٦ - ١٩٤٠: تقارير ربع سنوية.

شرق الأردن ١٩٣١ - ١٩٣٥: تقارير شهرية.

شرق الأردن ١٩٣٦ - ١٩٤٤: تقارير شهرية.

الأردن ١٩٤٥ - ١٩٥٤: تقارير شهرية.

الأردن ١٩٤٦ - ١٩٤٨: مراجعات سنوية.

والتقارير منها الأسبوعية، ومنها كل أسبوعين وشهرية ومراجعات دورية، ناهيك عن التلغرافات التي كانت ترسل أسبوعيا أو كل أسبوعين، وشهرية تبعث إلى وزارة المستعمرات من قبل المندوبين الساميين، أو ضباط المقاطعات من أنحاء فلسطين، القدس، اللد، غزة، الجليل، عكا، السامرة (نابلس)، حيفا، يافا، أو ضباط المخابرات في المناطق والمقاطعات، وقد أشرت إلى العديد منها في الوثائق البريطانية.

وثائق الحركة الصهيونية وتأسيس إسرائيل ١٨٣٩ - ١٩٧٢

Documents : Zionist Movement and Making Israel

عشرة مجلدات أصدرتها مؤسسة النشرات الأرشيفية المحدودة في المملكة المتحدة

والمحرر B. Destani ووقعت في ٨٠٠٠ صفحة.

المجلد الأول: ١٨٣٩ - ١٩١٦ .

المجلد الثاني: ١٩١٧ - ١٩١٨ .

المجلد الثالث: ١٩١٩ - ١٩٢٨ .

المجلد الرابع: ١٩٢٨ - ١٩٣٤ .

المجلد الخامس: ١٩٣٥ - ١٩٣٧ .

المجلد السادس: ١٩٣٧ - ١٩٤٠ .

المجلد السابع: ١٩٤١ - ١٩٤٥ .

المجلد الثامن: ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .

المجلد التاسع: ١٩٤٦ - ١٩٤٨ .

المجلد العاشر: ١٩٤٨ - ١٩٧٢ .

وهذه المجلدات العشرة أخذت من الوثائق الموجودة في الأرشيفات الوطنية البريطانية، وهي تتبع الأصول والتطورات في الحركة الصهيونية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مع عناية خاصة بمرجعية الفكرة وهدفها.

فالمجلد الأول: يتناول قيام الحركة الصهيونية، ويحتوي أعمال تيودور هرتزل والمؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل حتى نهاية ١٩١٦، وسقوط الإمبراطورية العثمانية.

والمجلدات من الثاني حتى التاسع: تتصل بالسنوات ١٩١٦ - ١٩٤٨، عندما أصبحت الحركة الصهيونية ذات تأثير، وخاصة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقيام إسرائيل وتحقق مشروعها.

أما **الجزء العاشر** من ١٩٤٨ - ١٩٧٢، فيحتوي تفصيلات أقل، ولكن بإثارة تساؤل حول الدور الذي يمكن أن تقوم به الحركة الصهيونية بعد قيام الدولة.

والوثائق تسجل للشخصيات التاريخية اليهودية التي ساهمت وساعدت في تأطير وتحقيق فكرة الوطن القومي ومنهم:

- Sir Moses Montefiore 1784 - 1885
- Moses Hess 1812 - 1875
- Leo Pinsker 1821 - 1891

Max Nordau	1849 - 1923
Louis Brandeis	1856 - 1941
Theodor Herzl	1860 - 1904
Leopold Greenberg	1861 - 1931
Nathan Birnbaum	1864 - 1937
Chaim Weizmann	1874 - 1952
Vladimir Jabotinsky	1880 - 1940
David Ben Gurion	1886 - 1973
Rabbi Abba Hillel Silver	1893 - 1963

وتتناول الوثائق في مجلداتها الأخرى تطور الحركة الصهيونية، وأهم الأحداث التاريخية التي انتهزتها الحركة ضمن مسيرتها، ومنها:

١٨٩٦، يوميات تيودور هيرتزل وفكره.

١٩١٤، الإمبراطورية العثمانية ودورها في دوب الشرق.

١٩١٥ - ١٩١٦ / مراسلات حسين - مكماهون، وأمله في مملكة عربية عظمى.

١٩١٦، اتفاقية سايكس - بيكو Sykes-Piciot لتقسيم الشرق الأوسط بين بريطانيا وفرنسا تحت ظل نفوذهما.

١٩١٦، Lucien Wolf الصحافي اللامع والعضو القيادي للجنة المشتركة للشؤون الخارجية من يهود بريطانيا يكتب إلى James de Rothschild مقالات ضد الحركة الصهيونية انظر، Vol.1. P.86.

١٩١٧، وايزمن يطلب مساعدة القاضي Louis Brandeis المستشار الرئيسي للرئيس Woodrow Wilson، لدفع الولايات المتحدة إلى الحرب بجانب الحلفاء سنة ١٩١٧.

- ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور.

- أبريل ١٩١٧ رسالة من السير مارك سايكس بناء على تعليمات من رئيس الوزراء وبلفور يطلب مساعدة Nahum Sokolov للنظر في حل مشكلة اليهود، ودعا وايزمن لينضم إليهما في تقديم اقتراحات بصدد ذلك. انظر، Vol.2. P.12.

- أغسطس ١٩١٧، E.S.Montagu، وزير خارجية الهند، أصدر مذكرة، وزعت، تنتقد لاسامية الحكومة البريطانية الحالية، ويوضح أن اقتراح الوطن القومي اليهودي سيزيد من اللاسامية في كل قطر يسكنه اليهود حاليا. انظر، Vol.2. P.65.

- مارس ١٩١٨، اللورد كيروزن يقدِّم نسخة من البرنامج الذي سيقدمه سليمان بك نصيف والعرب إلى اللجنة الصهيونية الحالية للتفاهم بين الفلسطينيين واليهود، وخاصة الأراضي

الفلسطينية التي ستنقل إلى اليهود، والتي يجب وقف بيعها. انظر، Vol 2 p.114.

- أبريل ١٩١٨ الحاكم العسكري للقدس يرسل تقريرا عن حفلة غداء حضرها وايزمن والمفتي الأكبر (كامل الحسيني)، وفي الحفلة ألقى وايزمن خطابا شرح فيه أهداف الحركة الصهيونية في تنمية وتطوير فلسطين فقط، بهدف تطمين الفلسطينيين والمفتي بدوره، تطلع إلى روح التعاون في المستقبل. انظر، Vol. 2 p. 118.

- يونيو ١٩١٨ البريجادير كلايتون يطلب من الضابط السياسي في اللجنة الصهيونية (Excisions) إرسال ما أثير من أمور وملاحظات في الاجتماع السابع عشر للجنة الصهيونية، ومن ثم إرسالها إلى الحكومة البريطانية لنشرها وإذاعتها.

- ١٩١٩ الصهيونية تحدد الوطن القومي اليهودي ليشمل جنوب لبنان ووادي الأردن إلى مشارف عمان، وفي الجنوب من خط يمتد من العريش على الساحل المصري إلى شرم الشيخ على خليج العقبة.

- أبريل ١٩١٩، رسالة من بلفور إلى وايزمن تتعلق بمستقبل الصهيونية والدعاية اللاسامية في فلسطين Vol 3 p. 33.

- ١٩٢٠ مؤتمر سان ريمو، وقرار عصبة الأمم سنة ١٩٢٠، الخاص بالانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، والانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الأردن.

- ١٩٢١ بريطانيا تمنح شرق الأردن للأمير عبدالله.

- ١٩٢٢، الاتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، التي لم تكن عضوا في عصبة الأمم، منح بريطانيا الانتداب على فلسطين قبل تقديم المشروع لتصديقه في عصبة الأمم والاستعانة بالوكالة اليهودية: Appropriate Jewish Agency للتعاون مع سلطة فلسطين لتطوير القطر، واقترحت بريطانيا أن المنظمة الصهيونية هي الأنسب لذلك انظر، Vol.3 p.93.

- المهاجرون والسكان اليهود في فلسطين سنة ١٩٢٣ وبلغ عددهم ٥٦٠٠٠ انظر، Vol. 3 p.106.

- الاستنكار العربي لوعد بلفور وسياسة الانتداب تجاه الأرض واليهود واندلاع الاضطرابات سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٩، ومواجهة العرب لحكومة الانتداب.

- تقارير عن المزارعين العرب وعلاقتهم بملاك الأرض واتساع دائرة الفقراء، انظر Vol.4, p.66.

- مارس ١٩٣٤م اقتباس من مجلة Jewish Chronicle، يبين استقبال موسوليني لحاييم وايزمن. انظر، Vol.4, p.87.

- أغسطس ١٩٣٥، بن غوريون يكتب مقارنا بين معاملة اليهود في ألمانيا وفي إسبانيا، وإعلان حاييم وايزمن رئيسا للمنظمة الصهيونية في العالم سنة ١٩٣١ انظر، Vol. 5, p.13.

- أربعة استجوابات للجنة البريطانية، وصدور ورقتين سميتا «بالأوراق البيضاء»، صدرتا بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٣٦.

١٩٣٦ الإضراب العام والثورة الكبرى:

- ١٩٣٦ - ١٩٣٩: الإضراب الكبير والاضطرابات، واجتماع بين ديفيد بن جوريون وحاييم وايزمن مع السير واكهوب Sir A. Wauchope سنة ١٩٣٦، ومخاوف العرب من سياسة تسهيل شراء الأرض الميري. انظر، Vol. 5, p.50.
- أبريل ١٩٣٦، جابوتنسكي رئيس المنظمة الصهيونية يكتب إلى السير Josiah Wedgwood، حول دعم بيع البضائع الألمانية في فلسطين.
- سبتمبر ١٩٣٩، جابوتنسكي يكتب إلى شمبرلين رئيس وزراء بريطانيا حول مساندة اليهود وحشدهم لمناصرة بريطانيا في الحرب العالمية الثانية. انظر، Vol. 6, p.55.
- أكتوبر ١٩٤١، رسالة من المندوب السامي في فلسطين إلى وزير المستعمرات تتعلق بالأنشطة الإرهابية للآرجون. انظر، Vol. 7, p.73.
- ١١ مايو ١٩٤٢، إعلان أن فلسطين هي كومنولث يهودي.
- أغسطس ١٩٤٢، سري، من وزارة الخارجية، مذكرة تتصل بالحصول على وثائق من حقائب بن جوريون في رحلته إلى أمريكا، وفيها أن الحركة الصهيونية لها مطلبان: جيش يهودي، ودولة يهودية. والجيش اليهودي سيحقق الدولة اليهودية. انظر، (Vol. 7:19).
- ١٩٤٦ ، الوكالة اليهودية وقد أنشأت الإدارة المدنية وكوَّنت المنظمة العسكرية (الهاجاناه).
- ١٩٤٦، عدد اليهود في فلسطين بلغ ٦٠٨ آلاف. انظر، (Vol. 8:44).
- يناير ١٩٤٧، خمسة اجتماعات بين البريطانيين والوكالة اليهودية وترتيب أوضاع فلسطين بعد إنهاء بريطانيا انتدابها على فلسطين. انظر، (Vol.9:36).
- عدد السكان اليهود في فلسطين ٦٥٠ ألفا سنة ١٩٤٨.
- ١٤ مايو ١٩٤٨ إعلان قيام دولة إسرائيل.
- وهناك وثائق استمدها الباحث من خلال اطلاعه على المراجع والدراسات المتصلة بفلسطين، ومن نماذجها، وثائق وزارة المستعمرات المتصلة بتسهيل الاستيطان اليهودي في فلسطين نورد ،

Co. 7331/2301/7249 , Abd Al-Hadi, Co. 733, March 1933, Awni : Offical Reply of the Arab Executive to the French Reports

Co. 733/233/97248 1933

Dowine, H. E. Memorandum on an Agricultural Bank.

Co. 733/272/5072 1935

Notes on the Land Problem

Co. 733/152/59195 April 1928

Land Tax in Palestine

Co. 733/18/9614 May 1921

Land Settlement Report

Co. 733/3291/75072/11 1937

Lees, A. T. O. Land Settlement

Co. 733/182/77050 1930

Memorandum by the Solicitor General on the Transfer of Agricultural Land Bill. (Part1)

Co. 733/345/75550/355 1936

Memorandum on Points Arising out of Submission of the Executive of the Jewish Agency to the Royal Commission to the Effect that Government Should (بئر السبع) Facilitate Jewish Settlement and Development in the Beersheba Area.

Co. 733/345/75550/33 E. 1937

Memorandum on a Proposal Laid before the Royal Commission for the Creation of Public Utility Companies to undertake Large - Scale Irrigation Development Schemes.

Co. 733/48/40600 May 1919

Money, Major General A. " A History of Agricultural Loans ".

Co. 733/182/77050 1930

Observations by the Acting Chief Secretary on the transfer of Agricultural Land Bill.

Co. 733/63 December 1923

Symes, G. S. Political Report on the Northern District.

- وثائق تتعلق بالقوات العسكرية البريطانية، والشرطة في فلسطين وعملياتها وعقوباتها الجماعية:

Co. 537/849 1921 Political Situation in Palestine.

Co. 733/3 1921 Palestine General.

Co. 733/4 1921 Palestine General.

Co. 537/833 1922 Defence Scheme for Palestine and Iraq.

Co. 537/863 1926 Reinforcement of Military Forces.

تعزيز قوات الجيش.

Co. 537/867 1926 Reinforcement of Military Forces.

Co. 733/157/15 1928-1929 Report on the Organization of Police Forces.

Co. 733/158/8 1928 Flogging in Palestine Prisons.

الجلد بالسياط (تعذيب السجناء الفلسطينيين)

Co. 733/176/5 1929 Reorganization of Police.

Co. 733/181/5 1930 Disturbances : Death Sentences.الإعدامات

Co. 733/185/1 1930 Flogging for Prison Offences.

Co. 733/204/2 1931 Arab Unrest and Incitement to violence against Jews and Palestine Government.

Co. 733/213/1 1932 Police : Leave Regulations.

Co. 733/239/5 1933 Disturbances.

Co. 733/257/11 1934 General Attitude of Arabs towards the Government.

Co. 733/264/4 1934 Police Ordinance.

Co. 733/281/6 1934-1936 Port and Marine Police Service.

Co. 733/328/10 1937 Prisoners at the Central Prison, Acre.

Co. 732/8119 1938 Military Intelligence Summaries.

Co. 733/415/11 1939 Intelligence Service.

- منشورات رسمية لوزارة المستعمرات:

Colonial Office Reports

Colonial no.5 Palestine : Report on Palestine Administration, London, 1924.

Colonial no. 12, Report of his Majesty's Government on the Admistration under Mandate of Palestine and Transjordan of the year 1924, London, 1925.

Colonial no. 15, Palestine Report of High Commissioner on the Admistration of Palestine 1920-1925, London, 1925.

Colonial no. 20. 26 and 31, Report by his Britanic Majesty's Government to the council of the League of Nations on the administration of Palestine and Transjordan for the years 1925, 1926 and 1927 London 1926, 1927, 1928.

وانظر أيضا.

- من ملفات وزارة الطيران: (عملياتها في فلسطين للقضاء على الثورة)

Air Ministry Files (AIR)

AIR 5/188 1922 Proposed Assumption by R.A.F. of Military Command of Palestine

AIR 5/1243 Operations, Palestine Vol. 1. 1920-1930.

AIR 5/1244 Operations, Palestine Vol. 2. 1930-1940.

AIR 5/1245, 1246, 1247, 1248

- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.1, 1924-1930.
- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.2, 1931-1933.
- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.3, 1934-1937.
- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.4, 1938-1939.

AIR 5/1252 1933 Palestine : Instructions Relating to the Maintenance of Public Security.

AIR 5/1243 Operations, Palestine Vol. 1. 1920-1930.

AIR 5/1244 Operations, Palestine Vol. 2. 1930-1940.

AIR 5/1245, 1246, 1247, 1248

- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.1, 1924-1930.
- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.2, 1931-1933.
- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.3, 1934-1937.
- Monthly Work Summaries, Palestine, Vol.4, 1938-1939.

AIR 5/1252 19331 Palestine : Instructions Relating to the Maintenance of Public Security.

- مجلس الوزراء

Cabinet Files:

Cab 24/207, Cabinet Papers, 1937.

Cab. 37/123/43, Cabinet Papers, 1915.

- من جلسات ومناقشات مجلس العموم

The Parliamentary Debates : Official Report, Fifth Series, House of Commons, London H. M. S.O.

Vols. 127-128 (1920)

Vols. 143 (1921)

Vols. 151 (1922), 161 (1923). 171 (1924), 182 (1925), 231-233 (1929), 237 (1930), 248 (1931), 291 (1934), 311-314 (1936)

- من جلسات ومناقشات مجلس العموم

The Parliamentary Debates: Official Report, fifth series, House of commons, London H. M. S.O.

Vols. 127-128 (1920)

Vols. 142(1921)

Vols. 151 (1922), 161(1923), 171(1924), 182(1925), 231-233(1929), 237(1930), 248(1931), 291(1924), 311-314(1936) 320-323(1937), 325(1937), 332(1938), 339(1938), 347(1939)

- Parliamentary Debates (Lords) 1914-1948 مناقشات مجلس اللوردات

- Parliament, Command Papers (cmd) (أوراق قدمت للبرلمان بأمر جلالته)

- Cmd.1700.1922, Correspondence with the Palestine Arab Delegation and the Zionist organization, London, 1922.

- Cmd.1889.1923, Paper relating to the Elections for the Palestine Legislative Council, London, 1923.

- Cmd.2919.1927, Agreement between Palestine, and Syria and the Lebanon to facilitate Neighborly relations in connection with frontier, London, 1927.

- Cmd.3582.1930, Palestine: Statement with regard to British Policy in Palestine, London, 1930.

- Cmd.5854.1938, Palestine Partition Commission Report, London, 1938.

- Cmd.6019.1939, Palestine: A Statement of Policy by his Majesty's government in the unites Kingdom, London, 1939.

War Office Files:

- ملفات وزارة الحرب

W.O. 32/5732, 1919 Future Administration of Palestine.

W.O. 32/5280, 1920-1921 Transfer and Military Control to Colonial Office.

W.O. 32/5841, 1922 Transfer and Military Control to Air Ministry and Colonial Office.

W.O. 32/4174, 1936 Army Council Instructions to J.G, Pill Regarding to the Command of Palestine Armed Forces.

W.O. 32/4176, 1936 Palestine Disturbances: Dispatch from Air vice Marshall R.E.C. Peires.

W.O. 32/9401, 1937-1938 Disturbances.

W.O. 32/9496, 1938 Operations in Palestine.

Ditto. W.O. 32/9497

W.O. 201/166, 1939 Composition of Garrison in Palestine.

من الأوراق والملفات الخاصة:

Oxford University, Oxford, England.

Sir John Chancellor papers, Rhodes House.

Sydney Moody Papers, Rhodes House.

Hugh Granville Le Ray Papers, St. Antony's College.

Sir Harold Mac Michael Papers, St. Antony's College.

Arthur Creech Jones, Rhodes House, Oxford.

Sir Alan Cuningham, Middle East Centre, St. Antony's College - Oxford

Sir Henry Gurney, Middle East Centre, St. Antony's Colege

أمثلة: وثائق قضايا

المقاومة المسلَّحة، الانتفاضات والثورات والحروب

مقدمة:

شهدت فلسطين منذ تأكد أهلها العرب من نوايا بريطانيا والحركة الصهيونية اغتصاب فلسطين، وإقامة دولة الكيان الصهيوني، قام أهلها العرب بعدة انتفاضات وهبات وثورات ضد الوجودين الإنجليزي والصهيوني في فلسطين.

وقد سجلت التقارير البريطانية والمراسلات الصهيونية المحفوظة في السجلات البريطانية مجريات تلك الانتفاضات والهبّات والثورات التي ركزت على تلك القضايا:

- الوثائق البريطانية التي تتصل بانتفاضة النبي موسى، القدس، أبريل ١٩٢٠م، وانتفاضة يافا، مايو ١٩٢١، وثورة البُراق (حائط المبكى)، أغسطس ١٩٢٩، وعصبة الكف الأخضر ١٩٢٩ - ١٩٣٠م، وانتفاضة أكتوبر ١٩٣٣، وثورة الشيخ عز الدين القسَّام واستشهاده ١٩٣٥م، والثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩م، والحرب العربية الفلسطينية - الإسرائيلية ١٩٤٨م. ولعل من أبرز الوثائق التي ركَّزت على هذه القضايا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

FO. 371/4182 August 1919, Report on the Arab Movement and Zionism, by J. Camp.

Cmd 1540 October 1921, Disturbances in May 1921, Report of Inquiry with Correspondence Relating to October 1921.

FO 371/6375 June 1921, Herbert Samuel to Churchil

AIR (Air Ministry) 5/1234 15 May 1921, Dispatch, Samuel to Churchil

FO 371/6375 9 June 1921, The situation in Palestine Memorandum by S. of S. colonies to Cabinet Enclosing a Report by C.D. Brunton, 13 May 1921 (Secret).

CO. 537 22 November 1931, Letter, Deeds to shuckburgh.

CO. 733/23915 27 October 1933, Tel H.C. Palestine to S.of S. Colonies

25 October 1933 Notes of an interview Granted by H.C. Palestine to Members of the Arab Executive

CO. 733/3611 25 May 1938 Tel H.C. to S.of S. colonies (Secret, Most Immediate).

CO. 733/8119 23 September 1933, Militry Intelligence Summary no. 19/38.

CO. 935/21 24 October 1939 Dispatch, H.C. Palestine to S.of S. Colonies (Secret).

Co. 733/404/02 18 Nov. 1939 Tel. General Officer Commander to W.O. (War Office) secret

AIR 5/1243 23 August-11 September 1929 Report on Palestine Riots by Group Captain P.H.L Play Fair.

26 December 1929

AIR 5/1245 Jan.- 8 February 1930 Summary of Items of Interest, Air H.Q, Palestine Command.

AIR 5/1246 October 1933, Resume of operations for Oct. 1933, Air H.Q 23 Nov. 1933.

AIR 5/1247 23 Nov. 1937, Resume of operations for October 1937, Air. H.Q

W.O. 15 Oct. 1936 Dispatch on the disturbances in Palestine 19 Apr. to 14 Sep. 1936, by Air Vice-Marshal R.E.C. Perise, submitted to Air Ministry.

W.O. 32/9401 Apr.1938, : Report on the Operations carried out by the

British Force in Palestine and Transjordan in Aid of Apr. 1938.
The Civil Power for 12 Sep. 1937 to 31 Mar. 1938 by R.O. warell sent to under S. of S. war (secret).

- وثائق تتعلق بالقائد البريطاني برنارد مونتجمري Bernard L. Montgomery

ولد برنارد مونتجمري في ١٧ نوفمبر ١٨٧٧ في لندن، ودرس في مدرسة سانت بولز: ودخل الكلية الملكية العسكرية Sandhurst في يناير ١٩٠٧م، شارك في الحرب العالمية الأولى وخدم في كويتا Quetta بالهند، وقاد الفرقة الثامنة في فلسطين ١٩٣٨ - ١٩٣٩.

والوثائق تبيِّن دور مونتجمري في قمع الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩، وبعد فشل القادة البريطانيين Dill وWavell وHaining، في القضاء عليها، وبالتالي إسناد مهمة إنهائها إلى مونتجمري في أكتوبر ١٩٣٨م.

والجدير ذكره أن، تقارير مونتجمري محفوظة في ملفين من ملفات وزارة الحرب البريطانية War Office (W.O)، مودعة في مكتب السجل العام Public Record Office والملفان رقمهما:

W.O. 216/111

W.O. 216/46

وأُرسِلَت التقارير إلى نائب رئيس أركان الجيش البريطاني R.F. Adam بناء على طلبه.

وفي ما يلي، نماذج لبعض الوثائق التي وردت في الملف W.O. 216/11: عدد الوثائق فهي ٥ والموجود ٤، والرسالة الأولى هناك توصية بإتلافها، وقد تمَّ إتلافها بالفعل:

W.O. 216/111 : - 4 Dec. 1938 Letter B.L. Montgomery, Major General 8th Division, Palestine to Deputy Chief imperial General Stuff Deputy C.I.G.S (Private and Personal).

- Letter R.F. Adam, Deputy C.F.G.S. to Montogomery.

W.O. 216/111: 1 January 1939, Letter, Montgomery to Deputy C.I.G.S
8 February 1939, Momorandum on the General Situation in the 8th Division Area, Palestine, Montgomery to C.I.G.S (Secret)

أما الملف W.O. 216/46 فيحتوي على الوثائق التالية:

W.O. 216/46 21 July 1939, Prief Notes on Palestine, Montgomery to Deputy C.I.G.S.

W.O. 216/46 28 August 1939, Letter, G.L. Gimard to A.F. Brooke, Southern Command, Salisbury

- وثائق تتعلق بمبعدي جزيرة سيشل[1] (Seychelles)

إثر اغتيال حاكم لواء الجليل أندروز Andrews بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧ قامت السلطات البريطانية بالعديد من الإجراءات القمعية ضد القيادات الفلسطينية، ومنها إبعاد عددٍ من الزعماء، إذ تمكَّنت من إلقاء القبض عليهم، وهم حسين فخري الخالدي وأحمد حلمي عبدالباقي وفؤاد سابا ورشيد الحاج إبراهيم ويعقوب الغصين.

والوثائق البريطانية تلقي الضوء على ذرائع بريطانيا لإبعادهم واحتجازهم في جزيرة سيشل في المحيط الهندي، شمال شرقي مدغشقر، في المحيط الهندي.

وقد سبق أن تعرض الدكتور محسن محمد صالح في دراسة له للوثائق غير المنشورة المتعلقة بالقضية، ويمكن إجمال أهمها في الآتي:

- Government of Palestine, Ordinances, Regulations, Rules, Orders and Nations, Annual volume for 1937 (Jerusalem Government Printing Press, 1938).

والوثائق تتوزع بين ملفات وزارة المستعمرات رقم Co. 733/3/10 ورقم – Co. 733/369/3 وملفات وزارة الخارجية F.O. 371/23245 وفيها:

وفي الملف رقم (١):

Co. 733/333/10

- 5 October 1937

Tel. H.C (High Commissioner) Palestine to Governor of Seychelles .

- 26 October 1937 .

Memorandum by Arab Palestine Deportees to Sychelles to officer Adminitrating the Government of Palestine (O.A.G).

- 11 November 1937

Arab deportees to the Governor of Seychelles.

- 16 November 1937

Memorandum, Palestine deportees to H.C. Palestine

- 23 November 1937

Letter, C.A.G. Palestine to S. of S. Colonies (Secretary of state for the colonies).

- 4 December 1937

Tel, Palestine deportees to British Prime Minister (through the Governer of Seychelles).

وفي الملف رقم (٢):

Co. 733/369/3,

- 9 January 1938

Memorandum by the Examiner of Banks

- 23 January 1938

Pitition, wife of Ya'akub Al-Ghusain to H.C. Palestine

- 2 February 1938

Tel. Governer of Seychelles to H.C. Palestine

- 15 February 1938

Covering letter H.C. Palestine to S. of S. colonies (Secret).

- 18 February 1938

Petition, Palestinian Figures to British Prime Minister

- 19 February 1938

Letter, Governor to H.C. Palestine (Confidential)

- 8 March 1938

Letter H.C. Palestine to the Governor of Seychelles (Confidential)

- 24 March 1938

Tel, Palestinian deportees to H.C. Palestine

- 1 April 1938

Petition Wahide Khalidi to H.C. Palestine

- 26 May 1938

Medical report by E.M. Lanier :

Senior Medical Office (S.M.O)

- 27 May 1938

Tel, Palestinian deportees to S. of S. Colonies

- 30 June 1938

Medical report by Husain Al-Khalidi

- 30 July 1938

Comments by S.M.O. on Khalid's report

- 31 July 1938

Covering letter, Governor of Seychelles to S. of S. Colonies.

- 12 August 1938

Report by the Medical Committee.

- 23 August 1938

Tel. Al-Khalidi to H.C. Palestine.

- 29 August 1938

Medical Report by Al-Khalidi.

- 2 September 1938

Petition, Husain Al-Khalidi to the king of the British Empire.

- 5 September 1938

Despatch, Governor of Seychelles to S. of S. Colonies (Confidential)

- 22 September 1938

Tel, H.C. Palestine to S. of S. Colonies (confidential)

- 23 September 1938

Tel, Palestinian deportees to king Abd-Al-Aziz bin Saud (Through Governor of Seychelles and H.C. Palestine)

- 23 September 1938

Tel. Governor of Seychelles to H.C. Palestine transmitting Al-Khalidi's telegram).

- 24 September 1938

Tel, Governor of Seychelles to H.C. Palestine transmitting the deportees, Telegram (Confidential)

- 30 September 1938

Tel. Governor of Seychelles to S. of S. Colonies.

- 18 October 1938

Memorandum, Saba to the legal Advisor.

- 20 October 1938

Memorandum, Legal Advisor to Governor of Seychelles.

- 23 October 1938

Tel, S. of S. Colonies to Governor of Seychelles.

- 24 October 1938

Tel, Governor of Seychelles to S. of S. Colonies.

- 18 November 1938

Letter / Tannus ti S. of S. Colonies.

ووثائق أخرى موزعة في ملفات غيرها من أهمها نذكر:

Co. 733/384/4

- 7 December 1938

Tel S. of S. Colonies to H.C. Palestine (Most Immediate)

F.O. 371/23245

- 27 December 1938

Tel, Governor of Aden to S. of S. Colonies

F.O. 371/23245

- 21 February 1939

Tel, S. of S. Colonies to H.C. Palestine (Secret)

F.O. 371/23245

- 23 February 1939

Tel. H.C. Palestine to S. of S. Colonies.

Co. 935/21

- 14 October 1937

Despatch, Officer Administrating the Government of Palestine

(O.A.G.) to S. of S. Colonies parliament, Command Papers (Cmd).

Cmd 5857

- October 1938

Palestine Partition Commission Report (London).

His Majesty's Stationary Office (H.M.S.O).

وثائق فلسطين في الأرشيف الوطني الأمريكي رقم ٢
واشنطن - الميري لاند

National Archive No.2 Maryland Washington D.C.

أودعت إدارة السجلات والأرشيفات الوطنية

National Archives and Records Administration Washington. D.C.

سنة ٢٠٠٠م، مجموعة كبيرة من الوثائق الأمريكية المصورة على شرائط ميكروفيلم، وطرحتها للباحثين، غير أن العديد من الوثائق السرية ذات الأهمية الأمنية أو المتعلقة بالمصلحة القومية الأمريكية انتزعت من بينها، وصنفت تحت عناوين «سري» أو «سري للغاية»، ولا يمكن الحصول عليها إلا بإذن خاص من الوكالات الأمنية والمخابرات. ومن الأشرطة المتعلقة بفلسطين التي اطلع الباحث على جزء كبير منها نذكر:

- M353 : Records of the Department of State Relating to Internal Affairs of Turkey, 1910-1929, (88 Rolls) .

- (م٣٥٣): سجلات وزارة الخارجية العائدة إلى الشؤون الداخلية لتركيا من ١٩١٠ - ١٩٢٩ من الميكروفيلم رقم (٧٩ - ٨٨)، وهذه المجموعة يقتنيها الباحث، وهي التي يقدم نماذج من وثائقها:

- M453: Dispatches from U.S. Consuls in Jerusalem Palestine 1856-1906 (5 Rolls).

- (م٤٥٣): إرساليات من قناصل الولايات المتحدة في القدس ١٨٥٦ - ١٩٠٦ (٥ أفلام ميكروفيلم).

- M1037: Records of the Department of state, Relating to Internal affairs of Palestine 1930-1944 (5 Rolls).

- (م١٠٣٧): سجلات وزارة الخارجية العائدة إلى الشؤون الداخلية (المحلية) في فلسطين ١٩٣٠ - ١٩٤٤ (٥ أفلام ميكروفيلم).

- M1390: Records of the Department of state, Relating to Internal affairs of Palestine 1947-1949 (27 Rolls).

- (م١٣٩٠): سجلات وزارة الخارجية العائدة إلى الشؤون الداخلية (المحلية) في فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٥٠ (٢٧ فلما ميكروفيلم).

- M1175: Palestine, Reference Files of Dean Rusk and Robert Mcclintock 1947-1949 (12 Rolls).

- (م١٣٩٠): فلسطين، الملفات المصدرية (الرئيسة) لدين راسك، وزير الخارجية، وروبرت ماك كلنتوك (مبعوث وزارة الخارجية إلى الشرق الأوسط، ١٩٤٧ - ١٩٤٩)، (١٢ فلما ميكروفيلم تعنى بالتقسيم والحرب واتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية).

ونعرض لنماذج من الميكروفيلم رقم ٣٥٣ بأفلامه الميكروفيلمية من (٧٩ - ٨٨)، M353 (79-88 Rolls) وقد صورها الباحث على أوراق، فبلغت ٢٣ مجلدا، اختفى منها المجلد رقم ١٥ لسريته.

من المجلد الأول : Volume: 1

وجاء على صفحة عنوانه:

National Archives Microfilm Publications

Micro Copy No. 353

Records of the department of state

Relating to internal affairs of Turkey

Roll 79

والمجلد مصنف تحت اسم «الشؤون السياسية» 867n.00 Political Affairs

867 n.01 Government - 867n.00 - 867n.150

حكومة فلسطين: ومن الوثائق المصورة فيه نقدم بعض النماذج:

- 867n. 00/1 10, October1919, American Consul in Jerusalem - Palestine (Oscar S. heizer)

- القنصل الأمريكي في القدس يكتب تقريرا عن رحلته الأخيرة في شمال فلسطين ولبنان، ويرسله إلى وزير الخارجية.

- 867n.00/2 12Nov.1920, information on the City of Jerusalem - Palestine.

- تقرير فيه معلومات وأخبار عن مدينة القدس بفلسطين.

- 867n.00/4 30 March 1921, Death of the Grand Mufti of Palestine.

- موت المفتي الأكبر لفلسطين (كمال أفندي الحسيني، خلفه الحاج أمين الحسيني في المنصب، رسالة من القائم بأعمال القنصل).

- تلغراف، من (Southard) 3 مايو ١٩٢١ 867 n.00/5 -

حول الاضطرابات في يافا، القتلى بلغ عددهم (٣٠) والجرحى أكثر من (١٠٠) من العرب واليهود، ويشير إلى أن أمريكيّا يهوديا فقد عينه في الاضطرابات.

- تلغراف، من Southard ٣ مايو ١٩٢١ 867 n.00/6 -

حول اضطرابات يافا، ومقتل ٨ أشخاص.

- 867 n.00/7 12 April 1921, The Political Situation in Palestine.

- **الأحوال السياسية في فلسطين، وفيه أيضا:**

وثائق تتصل بزيارة وزير المستعمرات البريطاني Mr. Churchill والترتيبات والتوصيات التي وضعها تشرشل لتعيين الأمير عبدالله حاكما لشرق الأردن في تقرير ثان، على أن يكون مقره (عاصمته) مدينة السلط أو عمان، وتقرير ثالث عن خط سكة حديد الحجاز (وقد تحفظت الحركة الصهيونية والمندوب الفرنسي في سورية عن الترتيبات الخاصة بالأمير عبدالله).

- 867 n.00/8 11, May 1921

- اضطرابات في نابلس بين الأهالي العرب واليهود، والتوغل العسكري البري البريطاني في المدينة، بمشاركة اليهود ومساندة الطائرات البريطانية القاذفة، ومقتل أكثر من مئة عربي من أهالي نابلس.

- 867 n.00/11 4, May 1921

- اضطرابات بين المسلمين واليهود في يافا، رسالة من القائم بأعمال قنصل الولايات المتحدة بالقدس، وكان السكرتير الثاني في القنصلية Alyey A. Adee.

- 867 n.00/14 4, June 1921

- من القنصلية الأمريكية بالقدس، الحالة السياسية العامة، اضطرابات بين العرب واليهود في يافا.

- 867 n.00/15 28, March 1921

- تقرير عن حالة فلسطين، مقدم إلى ونستون شرشل Mr. Winston Churchill من قِبل رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الثالث موسى كاظم الحسيني، القدس.

- 867 n.00/16 27, July 1921

- رسالة رعائية أصدرها غبطة الحبر المفضال برلسنينا، البطريرك الأورشليمي.

- 867 n.00/19 22, October 1921

- ملاحظات من David Yellin، عضو المجلس الاستشاري الأعلى، وعضو المؤتمر العالمي الصهيوني «ويفهم من الرسالة أن اليهود جاهزون لأخذ فلسطين بالحرب»

-867 n.00/21 7, November 1921

- اضطرابات ضد الحركة الصهيونية بالقدس.

- 867 n.00/22 , October 1921

- تقارير من المندوب السامي، هربرت صموئيل بشأن الاضطرابات في فلسطين في مايو ١٩٢١، مقدم إلى لجنة التقصي والتحقيق، وقدمه أيضا إلى البرلمان بناء على أمر جلالته.

- 867 n.00/25 January 1921

- الأحوال السياسية في شرق الأردن، بعد مضي سنة على ترتيبات تولي الأمير عبدالله

حكم شرق الأردن تحت الوصاية البريطانية، والتقرير يفيد بأن الأمير يبدي تحسنا في علاقاته مع الانتداب الفرنسي في سورية والمنظمة الصهيونية في فلسطين.

- 867 n.00/27 9,March, 1922

- رسالة من المنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة إلى وزير الخارجية Chas E. Dughes. تطلب منه استقبال مندوبي المنظمة القادمين من روسيا.

- 8677 n.00/33 19,uly 1922

- الأحوال السياسية في فلسطين، ونشر وعد بلفور، وترقب لإقرار صك الانتداب من قبل عصبة الأمم، وتحذير هربرت صموئيل للعرب المتظاهرين في الأقصى والحرم الشريف، وتضامن مؤتمر مكة ضد الوعد، استجابة لنداء عبدالقادر المظفر، رئيس وفد فلسطين إلى مؤتمر مكة.

- 867 n.00/36 25,August, 1922

- تقرير، من القائم بأعمال قنصل أمريكا في القدس، George C. Cabb عن المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المنعقد في نابلس.

- 867 n.00/44 19, September, 1922

- عدم مشاركة العرب في انتخابات المجلس التنفيذي لحكومة فلسطين، والموقف البريطاني، وتحذيرات المندوب السامي هربرت صموئيل للعرب، بتطبيق العقوبات بحق كل من يمنع التسجيل في قوائم الناخبين أو ممارسة الانتخاب، ومن ثم تعيين خمسة أعضاء منهم سليمان بك نصيف، مسيحي/عربي.

- 867 n.00/59 31, December, 1925

- انتخابات أعضاء المجلس اليهودي الوطني، رسالة من السفير . Oscar S. Heizer

- 867 n.00/60 14,February, 1924

- رسالة احتجاج إلى قنصل أمريكا في القدس من قبل أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى، حول انتخابات الهيئة، وتدخل المندوب السامي البريطاني في شؤونها.

- 867 n.00/73 9,November, 1929

- المأساة والأزمة السياسية في فلسطين، رسالة من القنصل العام الأمريكي D. Knaben Shue ومحورها ثورة ١٩٢٩م.

- 867 n.00/74 30,November, 1929

- مذكرة، من القنصل العام حول الإضراب الشامل للعرب في فلسطين.

- 867 n.00/79 2,December, 1929

- المندوب السامي البريطاني Sir John Chancellor كتب عن الدعاية اليهودية في فلسطين ومنها: مجازر الفلسطينيين ضد اليهود في أغسطس ١٩٢٩.

: الجرحى من اليهود في مستشفى Bicar Cholim.

وتولى الترويج للدعاية والكتابة عنها في الصحف العالمية M. levene.

- 867 n.00/81 25,January, 1926

- تقرير عن، الجهود العالمية للشيوعية في فلسطين.

من المجلد الثاني : Volume no.2

- 867 n.01/19 11,April, 1918

- رسالة من رئيس الجمعية اليهودية في أمريكا إلى وزير الخارجية، يطلب منه تحديد موعد للقائه لبحث شؤون فلسطين والمساعدات الأمريكية.

- 867 n.01/33 28,May, 1918

- وصول بعثة المنظمة الصهيونية إلى مصر في طريقها إلى فلسطين، ويلاحظ وصولها غداة سيطرة الجنرال اللنبي على فلسطين، المكلف بالتعاون والتنسيق مع المنظمة الصهيونية.

- 867 n.01/25 30,August,1918.

- الصدر الأعظم طلعت باشا يوجه دعوة إلى أعضاء من المنظمة الصهيونية في ألمانيا والنمسا لزيارة القسطنطينية للتفاوض معهم حول إنشاء مستوطنات جديدة في فلسطين، ومن الأعضاء الذين وصلوا إلى القسطنطينية: الدكتور آرثر روبين، الذي كان قد طرده جمال باشا من فلسطين، والدكتور فكتور جاكوبسون.

- 867 n.01/48 8,January, 1919 .

- رسالة من رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا إلى رئيس الولايات المتحدة Woodrow Wilson يعرفه بأن حدود فلسطين كما جاءت في الإنجيل هي: من نهر النيل بمصر إلى النهر العظيم، نهر الفرات (من الفرات إلى النيل، حدودك يا إسرائيل). ومن شمال لبنان إلى الصحراء في الجنوب، وتلامس بلاد ما بين النهرين.

- 867 n.01/55 11,January, 1919 .

- رسالة من وجهاء وأعيان فلسطين إلى رئيس الولايات المتحدة، يحتجون فيها على إنشاء الوطن القومي في فلسطين.

- 867 n.01/95 11,January,

- رسالة من وجهاء وأعيان نابلس إلى القنصل الأمريكي في القدس، يحتجون على توجهات وأفعال وأطماع المنظمة الصهيونية.

من المجلد الثالث : Volume 3

الميكروفيلم رقم ٨٠:

تصنيفها

867 n. Palestine
867 n.01 Government
867 n.01/151-390

● **حكومة فلسطين**

وثائقها من رقم ١٥١ - ٣٩٠ ومن نماذجها:

- 867 n. 01/151 5,May,1921

- رسالة احتجاج مفتوحة ضد أهداف الصهيونية في فلسطين، من الجمعية الإسلامية المسيحية، موجهة إلى وزير خارجية أمريكا.

- رسالة من المؤتمر العربي الفلسطيني بعثها رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم الحسيني بتاريخ ٣ مايو ١٩٢١، إلى وزير الخارجية الأمريكية، وأُرسلت نسخ منها إلى الملوك والبابا ومجلس اللوردات ومجلس العموم ووزراء الخارجية في كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا حول معارك يافا ووعد بلفور.

- 867 n. 01/152 5,May,1921

- إيفاد بعثة إسلامية مسيحية إلى أوروبا توضح موقف أهالي فلسطين من سياسة الانتداب البريطاني، وزارت البعثة بريطانيا وسويسرا (جنيف) مقر عصبة الأمم آنذاك.

- 867 n. 01/153 11,May,1921

- رسالة من رئيس المؤتمر العربي الفلسطيني، موسى كاظم الحسيني إلى ناظر الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية (أصل عربي).

- 867 n. 01/154 11,May,1921

- رسالة أخرى إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من أعيان ووجهاء غزة.

- 867 n. 01/155A 13,May,1921

- الخارجية الأمريكية تطلب خريطة تبين الحدود بين فلسطين وسورية وبلاد ما بين النهرين.

- 867 n. 01/159 14, July,1921

- رسالة، بعث بها سكرتير المؤتمر العربي الفلسطيني جمال الحسيني إلى ناظر خارجية الولايات المتحدة للاحتجاج على خطاب تشرشل، وزير المستعمرات في البرلمان البريطاني، بتاريخ ١٤ يونيو ١٩٢١.

- 867 n. 01/171 20,September,1921

- وكالة التلغراف اليهودية تستفسر من وزير الخارجية الأمريكية Charles Hughes عن وصول برقية فلسطينية مرسلة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية Harding، يطلبون فيها المساعدة لتشكيل حكومة برلمانية في فلسطين.

- 867 n. 01/164 30,September,1921

- رسالة من حاخام الكنيس اليهودي المتحد لمدينة كنساس الكبرى، Simon Glazer إلى رئيس الولايات المتحدة Warren G. Harding يدعوه إلى دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقيام الوطن القومي في فلسطين.

- 867 n. 01/180 16,February,1922

- تقرير عن مستقبل فلسطين بعد تشكيل الحكومة والمجلس الاستشاري الأعلى، كتبه المندوب السامي.

- 867 n. 01/183 1921

- تقرير عن الإدارة المدنية بفلسطين من ١ يوليو ١٩٢٠ - ٣٠ يونيو ١٩٢١، مقدم إلى البرلمان البريطاني بناء على أوامر جلالته Cmd. No.,1499, (1921).

- 867 n. 01/211 January,1921

- مؤتمر ولاية رود أيلاند يعترف بفلسطين وطنا قوميا لليهود، وصدق على القرار حاكم الولاية Testivony Whereof بتاريخ ٨ مايو ١٩٢٢.

- 867 n. 01/236 10,May,1922

- عاجل ؛ رسالة من السفير الأمريكي في لندن بتاريخ ١٠ مايو ١٩٢٢، يتضمن توقيع الاتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على صك الانتداب وبنوده، والاتفاق يؤمّن مصالح أمريكا في البلاد التي ستكون تحت الانتداب البريطاني.

من المجلد الرابع : : Volume 4

وفيه وثائق تعود إلى حكومة فلسطين التي يرأسها المندوب السامي البريطاني، ويبدأ من الوثيقة رقم 867 n. 01/238 تاريخها ٨ يونيو ١٩٢٢وحتى الوثيقة رقم 867 n.01/297 تاريخها ١٥ أغسطس ١٩٢٢، وملاحظات الدول الكبرى آنذاك وضرورة أخذ بريطانيا مصالح تلك الدول في فلسطين بعين الاعتبار، في ظل الانتداب البريطاني، ومن نماذجه نشير إلى:

- 867 n.01/238 26,May,1922

- رسالة من البعثة الدبلوماسية التركية في باريس، التي تمثل حكومة أنقرة عن طريق السفير الأمريكي هناك، مرسلة إلى الخارجية البريطانية وعصبة الأمم، وفيها اعتراض الحكومة التركية على اتخاذ أي قرار بشأن فلسطين والانتداب عليها قبل توقيع اتفاقية محددة واضحة للسلام مع تركيا.

- 867 n.01/243 5,June,1922

- رسالة من القنصل الأمريكي Arther Sweetser بالقدس إلى وزير الخارجية الأمريكية ووكيله، وفيها إشارة إلى الملاحظات التي قدمها الكاردينال Gasparri إلى عصبة الأمم حول

مسودة قرار معاهدة الانتداب البريطاني على فلسطين.

- 867 n.01/258 1,April,1922

- إقرار صك الانتداب البريطاني في البرلمان البريطاني Gmd no.1708.

- 867 n.01/261 July,1922

- مراسلات بريطانية مع المندوبين العرب ومندوبي المنظمة الصهيونية بشأن صك الانتداب البريطاني، والردود عليه من قبل الطرفين، من الجانب العربي، كتب الرد موسى كاظم الحسيني، رئيس الوفد العربي الفلسطيني، وجمال شبلي، السكرتير.

ومن الجانب الصهيوني: حاييم وايزمن وJ.E. Shuck Burgh.

- 867 n.01/297 15,August,1922

- رسالة بريطانية إلى الحكومة الإيطالية، فيها تطمينات على احترام بريطانيا لمصالح إيطاليا في فلسطين في ظل الانتداب البريطاني.

من المجلد الخامس : Volume 5

اللفة (٨٠).

وفيه صور منشورات وتقارير الإدارة وبرقيات ومراسلات ومقتطفات صحافية، ومناقشات مجلس العموم ومجلس اللوردات والجريدة الرسمية الصادرة عن حكومة فلسطين، ومن نماذجها :

- 867 n.01/298 October1922

- منشور من رئيس الوفد الفلسطيني الإسلامي عبدالقادر المظفر لمؤتمر مكة بعنوان: نداء عام إلى الأمة الإسلامية.

- 867 n.01/311 9,September,1923

- السيد T. Wyne MacDonald، وتقريره حول دفع الولايات المتحدة للتصديق على صك الانتداب في فلسطين.

- 867 n.01/313 11,September,

- الاحتفال بتنصيب هربرت صموئيل مندوبا ساميا على فلسطين.

- 867 n.01/317

- رسالة من القيم على بيت داود في القدس Edmand Elish Frank إلى David Lloyed George وزير خارجية بريطانيا حول السماح بترميم بيت داود وأهمية ذلك بالنسبة إلى اليهود.

- 867 n.01/3 31,1922

- الأوامر والترتيبات لانتخابات المجلس التشريعي، رقم الأوامر (١٢٩٣).

-867 n.01/333 16,January, 1923

- رسالة من القائم بأعمال القنصل الأمريكي في القدس .George C. CoBB إلى وزير الخارجية تتصل بالاتصالات التي أجراها مع حكومة فلسطين.

-863 n.01/334 23,January,1923

- تقرير عن الإدارة البريطانية في فلسطين من يوليو ١٩٢٠ حتى ديسمبر١٩٢١، التقرير وقع في ١٣١ صفحة، إضافة إلى تعليقات وملاحظات السيد Post Wheeler مسؤول الشؤون الداخلية في فلسطين، سفارة أمريكا، مرسل إلى وزير الخارجية الأمريكية.

- 867 n.01/349 June, 1922

- المراسلات مع المندوبين العرب والمندوبين من المنظمة الصهيونية.

من المجلد السادس : Volume 6

اللفة رقم (٨٠).

وهو تكملة لما ورد في عناوين وتصنيفات المجلد الخامس، ومن نماذج وثائقه، نورد:

-867 n.01/355 20, January,1923

- رسالة من G. C. CoBB. إلى وزير الخارجية حول سفر هربرت صموئيل إلى لندن لقضاء إجازته وتولي Sir Gilbert Clayton أمور حكومة فلسطين في أثناء فترة غيابه.

- 867 n.01/357 10, June,1923

- اتفاقية بين بريطانيا وإيطاليا، تعترف بمقتضاها بريطانيا بحقوق ومصالح إيطاليا في فلسطين.

- 867 n.01/359 December,1922

- تقرير عن الإدارة في حكومة فلسطين ،

- 867 n.01/362 2, November,1922

- رسالة من وزير الخارجية Charles E. Hughes إلى الحاخام Glaser حول الهجرة، جوابا لرسالة المذكور.

- 867 n.01/366 November, 1923

- معلومات من الوكالة العربية (الهيئة العربية)، مراسلات مع المندوب السامي مرسلة إلى وزير المستعمرات البريطاني.

- 867 n.01/389 1923

- تقرير عن الإدارة الحكومية في فلسطين، لسنة ١٩٢٣م.

من المجلد السابع : Volume 7

اللفة الشريطية الميكروفيلمية رقم (٨١).

وفيه تقارير ورسائل وبرقيات ومذكرات حكومة فلسطين، وصنفت بين 867 n.01/339 إلى

867 n.01/508 ومن نماذجها:

- 867 n.01/339 15,December,1923

- رسالة من القائم بأعمال القنصل الأمريكي بالقدس تتضمن سياسة الحكومة وإجراءاتها في فلسطين، المعارضون في البرلمان، ردود فعل ومسلك العامة (النصارى واليهود والعرب).

-867 n.01/394 16,December,1923

- رسالة من القائم بأعمال القنصل George Gregg Fuller إلى الخارجية الأمريكية حول أهمية فلسطين العسكرية بالنسبة إلى بريطانيا العظمى.

- 867 n.01/396 31,December,1923

- رسالة من السابق تحلل مستقبل الصهيونية في فلسطين.

- 867 n.01/414 1924

- تلخيصات للأحداث ذات الشأن المتصلة باليهود في فلسطين من الأول حتى٣١ أكتوبر١٩٢٤

- 867 n.01/415 December, 1924

- الحدود بين فلسطين وشرق الأردن.

- 867 n.01/431 12, May, 1925

- مذكرتان مرسلتان إلى المجلس واللجنة الدائمة للانتداب في عصبة الأمم من خلال المندوب السامي في فلسطين، أرسلتهما اللجنة التنفيذية الفلسطينية إلى المؤتمر العربي.

- 867 n.01/439 1925

- تقرير من المندوب السامي في فلسطين عن الإدارة بين ١٩٢٠ و١٩٢٥.

من المجلد الثامن: Volume 8

هو تكملة لما ورد في المجلد السابع، ومن وثائقه:

- 867 n.01/441 26,August,1925

- وصول المندوب السامي الجديد إلى فلسطين الفيلد مارشال البارون بولمر:

Baron Plumer of Bilton

- 867 n.01/463 21,May,1926

- مذكرة عربية إلى عصبة الأمم.

- 867n.01/468 28,December,1926

- زيارة المندوب السامي الفرنسي في سورية لفلسطين، ثم وثائق الجريدة الرسمية ومعاهدات ومواثيق دولية.

من المجلد التاسع : Volume 9

استكمالا لما سبق، وفيه مقالات عن مستقبل الحركة الصهيونية، ومقالات عن هرتزل نشرت في صحف أوروبية وأمريكية، والهدف هو تعزيز دور الحركة الصهيونية، وإظهار عظمة هرتزل في إنشاء الوطن القومي اليهودي (كلها مصورة من الصحف، وتغطي جانبا كبيرا من المجلد).

- 867 n.01/501 1926

- مذكرة حول حقوق المواطنين الأمريكيين في فلسطين، ورعاية مصالحهم، وهم من اليهود الذين يحملون الجنسية الأمريكية وهاجروا إلى فلسطين.

من المجلد العاشر : Volume 10

وهو يحوي: وثائق حكومة فلسطين (Government) وصنفت 867 n.01

وثائق الفرع التشريعي Legislative Branch وصنفت 867 n.03

وثائق الفرع العدلي (القانوني) Judicial Branch وصنفت 867 n.04

867 n.05Mixed (International Courts) قوانين محاكم دولية، مختلفة.

867 n.10Public order, safety, health, and works الأنظمة العامة الصحة والأشغال.

867 n.20Military Affairs الشؤون العسكرية.

867 n.4016Race Problems مشاكل العنصرية.

867 n.4038Music الموسيقى.

ومن وثائقه نقدم النماذج التالية:

March, May, 1923 – - 867 n.1/1 7, November,1921

- وثائق تتصل بدستور العمل بالمجلس التشريعي الذي اقترحه المندوب السامي وتعديلاته لمصلحة اليهود في فلسطين، ورسائل بعث بها القائم بأعمال القنصل الأمريكي إلى وزارة الخارجية الأمريكية، وتقارير عن الأوضاع المحلية في فلسطين، والجنسية الفلسطينية والمواطنة الفلسطينية.

- 867 n.012/2 ,5 ,7 , 19

- رسائل وتقارير من القنصل الأمريكي في القدس بتواريخ مختلفة ١٥ مايو ١٩٢٤، و١سبتمبر ١٩٢٢، ١٤ أكتوبر١٩٢٤، وفيها:

أسماء المواطنين الأمريكيين الذين حصلوا على شهادات مواطنة فلسطينية، والذين منحوا جوازات سفر أمريكية، وقانون الجنسية الذي أصدره هربرت صموئيل بتاريخ ١٤ أكتوبر١٩٢٤ وتعليمات الإقامة لمدة ٦ أشهر كشرط لمنح الجنسية من دون مغادرة فلسطين، وقانون المواطنة

الجديد لسنة ١٩٢٥.

- 867 n.014/1-2 1922

- التغييرات والتعديلات التي جرت على حدود فلسطين في الشمال، القسم الشرقي من الجليل الذي أصبح تابعا لفلسطين، وهذا جلب مكسبا عظيما من الأراضي الخصبة والمياه الصالحة للشرب والري.

1226/582/651922 – E –

- رسالة من اللورد كيرزون إلى Mr. Harvey حول ضم قرى في الشمال ذات أرض خصبة، على الجانب الشرقي من نهر الأردن، فأصبح غرب النهر وشرقه تحت السيطرة الفلسطينية.

- 867 n.03/1 1923

- انتخابات المجلس التشريعي ونشره في الجريدة الرسمية لحكومة فلسطين، وفيها الكثير من التشريعات والقوانين التي تسهل إقامة الوطن القومي لليهود على كل المستويات الاقتصادية والمواطنة والجنسية والإقامة.

- 867 n.04583 1929

- معاهدة بين مصر وفلسطين للحدود.

من المجلد الحادي عشر: Volume 11

- قانون الطرق والسير عليها 30, June,1921 - 867 n. 1233/1

- مواطنون أمريكيون وصلوا إلى فلسطين بتأشيرات مرور، والسماح بالإقامة في فلسطين لمن بحوزته ٢٥٠٠ دولار، ومن بينهم أطباء وجامعيون، ولجنة لإنشاء كلية طب في فلسطين.

آبار المياه في فلسطين 25, July,1922 - 867 n.1291/1

تزويد القدس بالمياه من عين فرح 1929 - 867 n.15/2

تطوير ميناء يافا وتل أبيب ومستلزماته وميزانيته 1929 - 867 n.156/2

تطوير ميناء حيفا ومستلزماته وميزانيته 1929 - 867 n.156/10

قدرات القوات البريطانية في فلسطين 1929 - 867 n.20/6

من المجلد الثاني عشر: Volume 12

ميكروفيلم رقم (٨٣).

ويحوي وثائق أمور دينية وكنسية، ووثائق حائط البراق (حائط المبكى، الحائط الغربي) والادعاءات اليهودية، وتصنيفه: 867 n.404، 867 n.404 Wailing Wall / 270 ومن وثائقه:

- 867 n.404/1-2 13, October,1920

- رسائل من بطريرك أورشليم اللاتيني Hiero Sol mitanus

- من رسائل من بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية Louis Barlassina

- 867 n.404/8 17,January,1923

– نسخة من المراسلات التي تسلمتها سكرتارية عصبة الأمم من الموفد البابوي والحكومة البريطانية بخصوص دستور الأماكن المقدسة في فلسطين.

- 867 n.404/9 31,December,1923

– رأي الكنيسة العربية الأرثوذكسية في دستور الأماكن المقدسة.

- 867 n.404/1 24,September, 1924

– الاحتكاك بين المسيحيين واليهود حول أغنية أوبرا تمس مشاعر المسيحيين الكاثوليك.

- 867 n.404 /21 25,December, 1928

– اضطرابات عند حائط المبكى (حائط البراق) في القدس.

- 867 n.404 Wailing Wall (1-264)

– الدعاية اليهودية لاضطرابات حائط البراق (المبكى)، أشرف عليها Vincent Sheean، وتناولت نشر صور القتلى والجرحى وتقارير الأطباء من اليهود، واستغلال صور بعض القتلى والأيتام في إثارة الرأي العام الأمريكي والأوروبي ضد المجازر الوحشية التي ارتكبها الفلسطينيون العرب.

من المجلد الثالث عشر: Volume 13

ميكروفيلم رقم (٨٤)، وقد حوى:

الكنيسة 867 n.404Church

الأخلاق، السلوك والعادات 867 n.405Manners and Customs

تاريخ 867 n.41History

التسلية والألعاب الشعبية 867 n.4061 Public Entertainment

التعليم 867 n.42 Education

867 n.Special Mention of Palestine, Not otherwise classifiable

تنويه خاص للرعايا في فلسطين غير القابلين للتصنيف (مواطنون أو الجنسية) «البدون».

قواعد التشريف، حق التصدير 867 n.452 Etiquette, precedence,

التسلية في فلسطين (الحفلات) 867 n.46 Entertainment in Palestine

المناخ / الكوارث 867 n.48 Calamities, Disasters

والمجلد الثالث عشر في أغلبيته العظمى خصص لحوادث البراق، حائط المبكى والادعاءات اليهودية والحقوق العربية واللجان التي تشكلت للنظر في الدعاوى والحقوق، وجاء ذلك في ٦٢٦ صفحة من المجلد البالغة عدد صفحاته ٦٥٢ ص.

من المجلد الرابع عشر: Volume 14

تكملة لما ورد في المجلد الثالث عشر، ومن وثائقه:

- 867 n.42/1 12, November,1921

- رسائل من القائم بأعمال القنصل الأمريكي إلى وزير الخارجية، وتدور حول التعليم في فلسطين وأساليب اللغة في التدريس، وفيها إحصائية لعدد الطلبة وهو ١٥٣٥٠، المسلمون ١٣٥٠٠، اليهود ١٨٥٠.

في المدارس الخاصة: ١٨٣٣ مسلما و٨٧٦١ نصرانيا و١٥٦٥٠ يهوديا.

منحة الحكومة لإعانات التدريس:

المدارس العربية منحت ١٣٧٥ جنيها مصريا.

المدارس اليهودية الخاصة٣٣٥٠ جنيها مصريا.

المدارس اليهودية الخاصة، تدرس بالروسية والألمانية والياديش والفرنسي والإنجليزي.

- 867 n.42/2 15, January,1925

- رسالة من القنصل الأمريكي Oscar S. heizer إلى وزير الخارجية حول افتتاح معهد الدراسات اليهودية المرتبط بالجامعة العبرية في القدس، والافتتاح كان في تاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٢٤م.

- 867 n.42/3 27, March,1925

- توقف طلبة دار المعلمين عن الدراسة يوم وصول بلفور إلى فلسطين ومقاطعة المدير خليل طوطح والخواجة حبيب جوري لعدم مشاركتهما التلاميذ في الإضراب والتوقف عن الدراسة يوم ٢٥ مارس ١٩٢٥م.

- نشرة كاثوليكية أسبوعية (رقيب صهيوني).

- 867 n.42/25 1925 - 1926

- تقرير سنوي صادر من حكومة فلسطين، قسم التعليم للسنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ .

- 867 n.48/3 28, January,1924

- رسائل من المفتي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى إلى رئيس لجنة الشرق الأدنى، بنيويورك.

- 867 n.48/8 10, July,1927

- وقوع زلزلة أصابت القدس ونابلس ورام الله والخليل وتسببت في أضرار وخسائر مادية وبشرية.

- 867 n.48/9 22, July, 1927

- امتداد الزلزلة إلى شرق الأردن وقتلى وجرحى، وطلب مساعدات للمتضررين.

المجلد الخامس عشر: Volume 15

ما زال محظورا.

المجلد السادس عشر: Volume 16

رقم الميكروفيلم (٨٥).

ويتضمن الأمور الاقتصادية وتصنيفه: 867 n.50، ويشتمل على مشاكل العمل، وعدد السكان والميزانيات، والجريدة الرسمية، وأرقامها 867 n.50 - 867n.55وأصدرتها الحكومة ومنها:

- 867 n.50/1 16,December, 1923

- تقرير من القائم بأعمال القنصل عن مشاكل الأعمال (المشاريع) في فلسطين.
- وإحصائية السكان، حيث بلغ عدد السكان ٧٦٧١٨٢ .
- وميزانيات حكومة فلسطين.
- أعداد كثيرة من الجريدة الرسمية تغطي أغلبية المجلد.

- 867 n.455 1923

- قانون حماية حقوق المؤلفين

من المجلد السابع عشر: Volume 17

وهو عبارة عن تقرير اللجنة التي عينت من قبل حكومة فلسطين لتقصي أحوال البطريركية الأرثوذكسية في القدس، وكان أعضاء اللجنة (قاضي قضاة سيلان Sir Anton Bertram، ومساعد حاكم القدس Harry Charles Luke)، وتاريخه ١٩٢١.

من المجلد الثامن عشر: Volume 18، والمجلد التاسع عشر: Volume 19

ويتضمنان الأمور الصناعية

867 n.60 Industrial Matters

الزراعة

867 n.61Agriculture

الحيوانات الداجنة

867 n.63 Animal Husbandry

ومن نماذجه:

867 n.6224 – - 867 n.60

النبيذ، الخضراوات، منتوجات الزيوت (زيت الزيتون، زيت السمسم، السمنة، الحلوى، الصابون)، صناعة اللؤلؤ، الجواهر، المعدن وأشغال العاج، الصوف والملابس، الحرير والكتان والطواحين والمخابز والمؤسسات بعد الحرب، الهيدروإلكتريك، والري، ومواد البناء، والتباكو والسجائر، ومنتوجات الطعام، والخشب والأثاث، وأشغال الخشب، والطباعة والصيرفة والبنوك.

المجلد العشرون : Volume 20

ويتضمن:

المعادن والتتجيم

867 n.63

الهندسة

867 n.64

الصناعة والتصنيع

867 n.65

الاتصالات والمواصلات

867 n.70

البحرية والملاحة

867 n.80

والوثائق والتقارير المتصلة بهذه المواضيع صنفت بين الأرقام 867 n.63 و867 n.852

المجلد الواحد والعشرون : Volume 21

ويتضمن الوثائق والتقارير والمشاريع المتصلة بمياه نهر الأردن ونهر اليرموك وفروعهما، من أجل توليد الطاقة، ومشروع بنحاس روتنبرج، 8,March,1926 867 n.6463/838 -

- ومشروع سكة حديد الحجاز والموانئ 3-867 n.801/1 - بالتاريخ نفسه.

المجلد الثاني والعشرون : Volume 22

رقم الميكروفيلم ٨٨، ١٩٢٦.

أمور أخرى محلية. مثل:

- 867 n.901926

منع شراء الأراضي والفتاوى والقوانين والتعليمات الصادرة بشأن ذلك وميزانيات الحكومة.

ومن وثائقه:

- 867 n.9111/ - 22,December,1926

- مقتبسات من الصحافة العبرية وتعليقاتها على الحوادث الجارية والأمور ذات الاهتمام الشعبي في فلسطين، وتغطي ٢٣٩ صفحة من المجلد.

- 867 n.9111/14 20, May,1926

- مراجعات ومعلومات من الصحافة العبرية اليهودية والعربية للفترة من ١مايو - ٧مايو ١٩٢٧، ورسالة من القنصل الأمريكي Oscar S. Heizer إلى وزير الخارجية، وتتوالى

التقارير كل أسبوع لتغطي باقي صفحات المجلد من ٢٤٠ - ٦٠٧، وينتهي المجلد بتاريخ ٢٦أكتوبر ١٩٢٦م.

المجلد الثالث والعشرون : Volume 23

وهو تكملة للتقارير الأسبوعية المقتبسة من الصحافة العربية الفلسطينية والصحافة العبرية اليهودية، ويبدأ من ١٧ ديسمبر ١٩٢٧ وتصنيفه 867 n. 9111/40، ويتناول كل القضايا الاقتصادية، والعلاقات الدولية والأمور المحلية والفتن والاضطرابات والاستيطان والهجرة، والمؤسسات والمصانع وكل الأمور التي تتناولها الصحافة، وتغطي الصفحات من ٦١٠ حتى ١٠١٠ رقم الوثيقة 867 n. 9111/58، تاريخها ١٦ أبريل إلى ٣٠ أبريل ١٩٢٦، وهي مأخوذة من مجلة فلسطين صادرة من اللجنة التنفيذية الصهيونية في فلسطين والصندوق القومي اليهودي (كيرن كاييمت ليسرائيل) Keran Kayemeth Le Israel، وملاحظات واستقصاءات شخصية من قبل نائب القنصل الأمريكي J. Thayer Gilman، وموثقة من القنصل الأمريكي Oscar S. Heizer

- 19,May,1926   867 n.9243/1

- ملاحظات أرصاد جوية في سنة ١٩٢٥م، وهي رسالة من القنصل الأمريكي إلى الخارجية، حيث أرسل نسختين من تقارير الأرصاد الجوية في فلسطين الذي أصدرهما قسم الزراعة والغابات.

- 867 n.9243/2   1928

- ثم تقرير ثان بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٢٧.

- 867 n.9251/1   13,December,1923

- تقرير عن المقاييس والأوزان تاريخه ١٣ ديسمبر ١٩٢٣.

- 867 n.927/-

- تقرير عن الحفريات بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٢٢
وأمور أخرى كانت موضع اهتمام اليهود.

أرشيف وزارة الخارجية الإيطالية (روما)

- وزارة الشؤون الخارجية / الخدمات والحفظ والوثائق

Ministero Degli Affari Esteri /

Servizio Storico E. Document Azione

أمضى الباحث مدة شهرين في أرشيف وزارة الخارجية الإيطالية صيف عام ٢٠٠٤، حيث اطلع على الوثائق المتصلة باليمن وفلسطين، وشيئا من وثائق القرن الأفريقي (إريتريا والحبشة). والأرشيف بصفة عامة غني بوثائقه، وخاصة في المرحلة التي كان موسوليني فيها رئيسا للوزراء، حيث نشط ضباط المخابرات الإيطالية والقناصل في جمع المعلومات الدقيقة عن البلدان التي عملوا بها، ولا سيما أن البعثات الإيطالية كانت ترفد بخبرات علمية وسياسية وطنية متميزة، ذات قدرات على جمع المعلومات، غير أن طريقة حفظ الوثائق وصيانتها وتصنيفها وتنظيمها ما زالت في مراحلها الأولى. فمكتبة الإرشيف لم يدخل إليها التصوير الميكروفيلمي، وإنما تعتمد على الآلات العادية المعروفة. والوثائق تحفظ في دوسيات ومغلفات ولفائف، وهي معرضة للتلف. فإذا ما أضفنا إلى ذلك التعليمات المشددة والرقابة الدقيقة في الدخول إلى الأرشيف والخروج منه، أدركنا عندها أي معاناة يكابدها الباحث المشتغل بوثائق الأرشيف. ومن اللافت للنظر أن الوثائق العربية في أرشيف وزارة الخارجية الإيطالية لا تزال بكرا، إذ إن كثيرا من الملفات، كان الباحث أول من اطلع عليها أو فتحها.

والوثائق محفوظة وفق نظام السنوات، والمتوافر منها في الأرشيف يعود إلى السنوات من ١٩٣١ - ١٩٥٠، بداية الاهتمام الكبير بالشؤون الفلسطينية من قبل إيطاليا وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وانهزام إيطاليا (دول المحور)، وانكفائها على نفسها تداوي جراحها وأما قبل ذلك التاريخ فيعثر عليه في تصنيف وثائق تركيا ووثائق بريطانيا في ملفات الأرشيف.

وكما أشرنا فإن الوثائق تحفظ في دوسيات أو مغلفات Busta، حيث يوجد في الأرشيف «٤٣» Busta مغلفا، ويكون تصنيفها في الدوسيه بحسب الموضوعات، ولكل رأس موضوع رقم، فمثلا في التصنيف Busta N.1 1931:

١ - التقرير السياسي لفلسطين Repporti Politici Palestina رقم ١

٢ - المؤتمر الإسلامي في القدس Congresso Islamico di - Gerusalemme رقم١

٣ - الهجرة اليهودية إلى فلسطين Immigrazione Ebraica in Palestina رقم ١/١

وفي هذه الحالة؛ فإن كل التقارير السياسية لسنة ١٩٣١، موجودة في المغلف، سواء أكانت سنوية أم شهرية أم أسبوعية أم مستعجلة، وكذلك كل المؤتمرات، سواء أكانت عامة لكل المسلمين أم مؤتمرات عقدت في المدن، وكل ما يتعلق بشؤون الهجرة اليهودية من أعداد

المهاجرين وأماكن وصولهم ووسائل الاحتيال للهجرة غير القانونية، وجوازات السفر وتدخلات القنصليات الأوروبية، خصوصا الإنجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرها، لذا قد يتضخم الملف أو المغلف ليصل عدد أوراقه إلى بضعة ألوف أو يصغر ليكون بضع عشرات أو مئات. ومن الجدير ذكره أن المغلفات تحوي صورا شمسية نادرة، كانت لأشخاص وأماكن واحتفالات وأسلحة كان يلتقطها على الأغلب رجال المخابرات، ولما كان البريد العالمي والبرق يمران بإيطاليا آنذاك، فإن كثيرا من البرقيات الصادرة والواردة، وحتى التقارير والرسائل، كانت تفتح وتصور وتودع لدى وزارة الخارجية ويوجد في المغلفات العديد منها، ومن المغلفات الموجودة أيضا، **الملف رقم ٢ / ١٩٣١ (Busta N.(2, 1931)**:

1 - Repporti Politici Congresso Sionista a Basilea 1/3

تقارير سياسية، المؤتمر الصهيوني في بازل

2 - Istituzioni Religiose in Terra Santa 1/4 المؤسسات الدينية في الأرض المقدسة

3 - Sionismo 1/6 الصهيونية

4 - Miscellancea 53 متفرقات

5 - Missioni e missionati 54 المبشرون، الإرساليات التبشيرية

6 - Passaporti 59 جوازات السفر

7 - Pubbicazioni Varir 66 مطبوعات مختلفة

حماية الرعايا الإيطاليين، إعادة التوطين، ٨٣

8 - Protezione Sudditi Italiani - Rimparti 83

9 - Penetrazione Commerciale 84 // ٨٤ التغلغل التجاري،

10 - Ospedali - Ambulatori ecc. 85 // المستشفيات والمصحات

الملف رقم ٣ (١٩٣٢م) / Busta N.3 (1932)

1 - Rapporti Politici in Genere. 1 - تقارير سياسية عامة (١)

2 - Stampa Araba in Paletina. 1 - الصحافة العربية في فلسطين

3 - Stampa locale ebraica in Palestina - الصحافة العبرية (اليهودية) في فلسطين

4 - Congresso Islamica in Palestina 1/1 - المؤتمر الإسلامي في القدس ١/١

الملف رقم ٤ (١٩٣٢م) / Busta N.4 (1932)

1 - Istituzioni religiose in Terra Santa 1/4 - المؤسسات الدينية في فلسطين

2 - Vladimiro Jobotinsky, capa del Movimento Sionista revisionista 1/6

- ملف فلاديمير جابوتنسكي، زعيم الحركة الصهيونية التحريضية - مع صور

3 - Conferenza Mondiale Israelita di genova

- المؤتمر اليهودي (الإسرائيلي) العالمي في جنوة

4 - Agenzia Lloyd a Giaffa - وكالة التأمين لويد في حيفا فرع مدينة تريستا

5 - Stampa - Giornali e giornalisti - صحافة، صحف، صحافيون

6 - Miscellanea 53 - متفرقات

7 - Missioni e Missionari - بعثات تبشيرية، ومبشرون

8 - Onoranze - Onarificenze - الأوسمة والتشريف (التقدير)

9 - Passaporti - جوازات السفر

10 - Eguaglianza di Trattamento Economico in Palestina

- المساواة في المعاملة الاقتصادية في فلسطين

11 - Penetrazione Commerciale - التغلغل التجاري

12 - Scuole Italiane All'estero - مدارس إيطالية في الخارج

الملف رقم ٥ (١٩٣٣م) / Busta N.5 (1933)

1 - Rapporti Politici (1) تقارير سياسية (١)

sf.1 - Traiffe deganali - التعرفة الجمركية

sf.2 - Congresso Arabo di Giaffa - المؤتمر العربي في حيفا

sf.3 - Fascismo in Palestina - الفاشية في فلسطين

sf.4 - Ordinamento Municipi in Palestina - نظام السلطات البلدية في فلسطين

2 - Istituzioni Religiose in Terra Santa1/4 - المؤسسات الدينية في الأرض المقدسة

3 - Sionismo - الصهيونية

الملف رقم ٦ لسنة (١٩٣٣م) / Busta N.6 (1933)

1 - Congresso Sinista a Praga 1/6 - المؤتمر الصهيوني في براغ

2 - Colonizzazione Sionista in Palestina - Banca Agricola in Palestina 1/6

- الاستعمار الصهيوني في فلسطين، بنك الزراعة في فلسطين

3 - Porto di Caifa - ميناء يافا

4 - Rapporti Commerciali R.R.Agenti Al-lestero.4 - تقارير تجارية من العملاء في الخارج

5 - Informazioni - Vertenze ecc. 6 - معلومات وقضايا... إلخ /٦

6 - Appalti 7 - عطاءات / ٧

7 - Ferrovie 8 - سكك حديدية / ٨

8 - Linee di Navigazione. 9 - خطوط نقل بحري / ٩

9 - Fiere - Congressi - Mostre ecc. 10 — معارض، مؤتمرات، مواسم...إلخ/١٠

10 - camere di Commercio 11 — غرف تجارية /١١

11 - Sanita 12 — الصحة / ١٢

الملف رقم ٧ لسنة (١٩٣٣م) / Busta N.7 (1933)

1 - Turismo in Palestina /6 — السياحة في فلسطين

2 - Missioni Scientifiche a mministrative 27 — البعثات العلمية والإدارة

3 - Banche - Circilazione Monetaria 28 — البنوك وتداول العملات

4 - Assicurazioni 32 — التأمين

5 - Acqua - Canalizzazioni ecc, 33 — المياه وقنوات الري... إلخ

6 - Stampa 34 — الصحافة والمطبوعات

7 - censimenti 38 — الإحصاءات

8 - Aviazione 42 — الطيران

9 - Ospedali 52 — مستشفيات

10 - Miscellanea 53 — متفرقات

11 - Scuol e Studenti 54 — مدارس وطلاب

12 - Oronanze - Onorificenze 58 — أوسمة وشهادات

13 - Vaicano e Rapporti Politiei 79 — الفاتيكان والتقارير السياسية (العلاقات)

14 - Uguaglianza di Trattamento in Palestina 83 المساواة في المعاملة في فلسطين

الملف رقم (٨) لسنة (١٩٣٤م) Busta N.8 (1934)

1 - Rapporti Politici 1934 — التقرير السياسي لسنة ١٩٣٤

Sf.1) Consiglio legislative in Palestina — هيئات تشريعية في فلسطين

Sf. 2) Questione del'uso lingua ebrea nei telegrammi

— مسألة تعاطي اللغة العبرية (اليهودية) في البرقيات

Sf. 3) legge Sui Municipi in Palestina — قانون البلديات في فلسطين

2 - Rapporti Politici 1 / TG — تقارير سياسية

Sf.1) Emiro Abdullah - Candidatura al Trono di Palestina - Transgiordania e Siria - Viaggio a Londra ecc. — الأمير عبدالله، وترشيحه لعرش فلسطين وشرق الأردن وسورية (سورية الكبرى). الرحلة إلى لندن... إلخ.

Sf.2) Congresso Arabo Cristiano in Palestina — المؤتمر العربي المسيحي في فلسطين

Sf.3) Contrasti Religiosi in Palestina - Elezione del nuovo Patriarca Greco - Ortodosso.

- الخلافات الدينية في فلسطين، انتخاب البطريرك اليوناني الأرثوذكسي الجديد.

3 - Istituzioni religiose in Terra Santa 1/4 — هيئات دينية في الأرض المقدسة

4 - Sionismo (20 semestre) 1/6 — الصهيونية مجلة (الدورية، الفصلية الثانية)

الملف رقم (٩) لسنة (١٩٣٤م) Busta N.9 (1934)

Fasc. 1 - Sionismo (1934) 1/6 — الصهيونية سنة ١٩٣٤

sf.1) Sionismo in siria — الصهيونية في سورية

sf.2) Conflitto arabo - sionismo - direttive circa la Palestina

- الصراع العربي . الإسرائيلي توجهات بالنسبة إلى فلسطين

sf.3) Colonzzazione sionista in Palestina — الاستعمار الصهيوني في فلسطين

sf.4) Acquisto di una fattoria in Toscana per gli ebrei tedeschi

- شراء مزرعة في توسكانا ليهود ألمان

sf.5) Assassinio Dr. Chaim Arlosaroff. — اغتيال الدكتور حاييم أرلوصروف

sf.6) Situazione in Palestina — الحالة في فلسطين

2 - Ropporti d'indole Commerciale (4) — تقارير ذات طبيعة تجارية

sf.1) Accordo Commerciale franco - britannico — الاتفاق التجاري، الفرنسي - البريطاني

3 - Armi e munizioni (5) — الجيش، الأسلحة والذخائر

4 - Informazioni - Contestazioni d'indole Commerciale (6)

- معلومات، اعتراضات ذات طابع تجاري

5 - Porto di Caifa (7/1) — ميناء يافا

6 - Ferrovie (8) — السكك الحديدية

7 - Linee di navigazione (9) — خطوط الملاحة

8 - Conferenze - Congressi ecc. (10) — المؤتمرات والمجالس... إلخ

9 - Pasca (17) — الصيد

10 - Trattato e accordi vari. (18) — معاملات واتفاقيات وسجلات عدة

11 - Pasta (18) — البريد

12 - Trattato di studio, lauree ecc. (19) — شهادات الدراسة والتخرج

13 - Bancho (28) — البنوك

14 - Fiere (29) — المعارض

15 - Stampa (34) — مطبوعات صحافية

16 - Linee aereee (42 — خطوط الطيران

17 - Marina da Guerra (48) - أسطول الحرب

18 - Miscellanea (53) - متفرقات

19 - Scuole e studenti (5) - مدارس وتلاميذ

20 - Onoranze - onorificenze (58) - أوسمة وشهادات تقدير

21 - passaporti (59) - جوازات السفر

22 - Uguaglianza di trattamento in palestina (83) - المساواة في المعاملة في فلسطين

الملف رقم (١٠) لسنة (١٩٣٥م) Busta N.10 (1935)

1 - Rapporti Politici التقارير السياسية لسنة ١٩٣٥(1935)

sf.1) Traiffe deganali - التعرفة الجمركية

sf.2) Dossier abissino. Sui luoghi santi - ملف إثيوبيا والأماكن المقدسة

sf.3)Consiglio legistativo in Palestina - المجلس التشريعي في فلسطين

2 - Istituzioni Religiose in Terra Santa 1/4 - المؤسسات الدينية في الأرض المقدسة

3 - Sionismo 1/6 - الصهيونية

sf. 1)Scuole professionali di Civitavesshia, iscrizione di giovani eberi.

- المدارس المهنية في مدينة Civitavesshia - ساحل روما - تسجيل الطلبة اليهود.

sf.2) Partito sionista revisionista, congressi ecc.

- مؤتمر الحزب الصهيوني - التصحيحي... إلخ

sf.3) Sionismo - الصهيونية

sf.4) Colonizzazione Sionist in Palestina - الاستعمار الصهيوني في فلسطين

sf.5) Congressi sionisti di Vienna e Lucerna - المؤتمر الصهيوني في فينا ولوكرينا

sf.6) Terza conferenza mondiale ebraica di Ginevva. - المؤتمر الثالث العالمي لليهود في جنيف

sf.7) Sionismo in Siria - الصهيونية في سورية

sf.8) Sionismo - Dott Moses Lehman - الصهيونية، البارون موسى ليحمان

sf.9) Sionismo - Sig. Jaquel Semon - الصهيونية، السنيور جاكويل سيمون

4 - Porto di Caifa 1/7 - ميناء يافا ١ / ٧

الملف رقم ١١ لسنة ١٩٣٥م Busta N.11 (1935)

1 - Rapporti d'indile Commerciale (4) - تقارير ذات طبيعة اقتصادية

2 - Accordo Commerciale franco - Britanoice (4) - الاتفاق الاقتصادي الفرنسي - البريطاني

3 - Strade eforrovie (8) — التجارة والسكك الحديدية
4 - Sanita (12) — الصحة
5 - Convenzioni - accordi vari (18) — محادثات وسجلات عدة
6 - Stampa(34) — صحافة مطبوعة
7 - navigazione aerea(42) — الملاحة الجوية
8 - Micellanea (53) — متفرقات
9 - Onoranze - onorificenze (58) — الأوسمة وتقديرات الشرف
10 - Aviazione (Raids Vari) (78) — السلاح الجوي
11 - Uguaglianza di trattamento in Palestina (83) — المساواة في المعاملة في فلسطين

الملف رقم (١٢) لسنة (١٩٣٦م) Busta N.12 (1936)

1 - Rapporti Politici in genere I — التقارير السياسية العامة
2 - 1 - Rapporti Politici - agitazione araba contro gli eberi I
— التقارير السياسية، الاضطرابات العربية ضد اليهود
3 - Dossier abissino Luoghi santi I/TG — ملف إثيوبيا، الأماكن المقدسة

الملف رقم ١٣ لسنة ١٩٣٦م / Busta N.13 (1936)

1 - Situazione in palestina — الحالة في فلسطين
sf.3) Agenzi Palcor - diffusione di notizie tendenzione — وكالة بالكور، نشر الأخبار الكاذبة
sf.4) Agitazione ebraica in Palestina per I provvedimenti del governo della Libia
— المظاهرات اليهودية في فلسطين بسبب الإجراءات المتخذة من قبل حكومة ليبيا الإيطالية
2 - Consiglio legislative in Palestina 1/TG — (هيئات) المجلس التشريعي في فلسطين
3 - Istituzioni religiose italiane in Terra Santa 1/4
— المؤسسات الدينية الإيطالية في الأراضي المقدسة
4 - Rapporti Politici — التقارير السياسية
sf.1) Sionismo 1/6 — الصهيونية
sf.2) Congresso ebraico mondiale — المؤتمر الصهيوني العالمي
sf.3) Associazione dei ciechi ebrei della Palestina — منظمة المكفوفين اليهود في فلسطين
sf.4) Partito sionista revisionista — الحزب الصهيوني التصحيحي.
sf.5) Scuola Professionale Marittima di Civitavecchia

- مدارس مهنية بحرية في Civitavecchia
- مطبوعات صحافية 5 - Stampa(34)
- متفرقات 6 - Micellanea (53)
- السلاح الجوي 7 - Aviazione (78)
- المساواة في المعاملة في فلسطين 8 - Uguaglianza di uguaglianza in Palestina (83)

9 - Questione dell' Istituto fascista di cultura di Gerusalemme (86)

- مسألة معهد الثقافة الفاشية في القدس

الملف رقم ١٤ لسنة ١٩٣٦م / Busta N.14 (1936)

- مطبوعات صحافية 1 - Stampa

الملف رقم ١٤ لسنة ١٩٣٦م / Busta N.16 (1937) 30 trimestre (*)

الأحوال السياسية في فلسطين (الدورية الثالثة) 1 - Situaziona Politica in Palestina 1/1

الملف رقم ١٧ لسنة ١٩٣٧م / Busta N.17 (1937) 30 trimestre

الأحوال السياسية في فلسطين (الدورية الثالثة) 1 - Situaziona Politica in Palestina 1/1

الملف رقم ١٨ لسنة ١٩٣٧م / Busta N.18 (1937)

1 - Situaziona Politica Palestinese di ottobre 1/1

الحالة السياسية في فلسطين في شهر أكتوبر

1 - Situaziona Politica Palestinese di November 1/1

الحالة السياسية في فلسطين في شهر نوفمبر

1 - Situaziona Politica Palestinese di Dicember 1/1

الحالة السياسية في فلسطين في شهر ديسمبر

الملف رقم ١٩ لسنة ١٩٣٧م / Busta N.19 (1937)

1 - Istituazioni Religiose Italiane in Terra Santa 1/4

المؤسسات الدينية الإيطالية في فلسطين ١/٤

التقارير السياسية 2 - Rapporti Politici

الصهيونية ١/٦ sf.1) Sionismo 1/6

sf.2) Colloquio S.E. Cino con Dr. Nahum Goldman

حديث S.E.Ciano الصحافي مع ناحوم جولدمان

المالية اليهودية والعربية sf.3) Finanze ebraiche ed arabe

المؤتمر اليهودي العشرون في زيورخ sf.4) XX Congresso ebraico di zurigo

sf.5) Scuola Professionale Marittima Civitavecchia مدارس مهنية بحرية في مدينة di Civitavecchia

sf.6) Conversazioni del Comm. Landini (giornalista) حديث صحافي مع القائد Landini

الملف رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٧م / Busta N.20 (1937)

1 - Carta geografiche e topografiche 11 أوراق جغرافية وطبوغرافية

2 - Arresti - Espilsioni (27) ٢٧، اعتقال ونفي

3 - Stampa (34) ٣٤، مطبوعات صحافية

الملف رقم ٢١ لسنة ١٩٣٧م Busta N.21 (1937)

1 - Stampa dal 10 gennaio al 1 Septembre 1931

٣٤، صحافة مطبوعة من ١ يونيو إلى ١ سبتمبر ١٩٣٧

الملف رقم ٢٢ لسنة ١٩٣٧م / Busta N.22 (1937)

1 - Armi e munizioni (5) - الجيش والذخائر

2 - Stampa gennaio - ottobre 1937 (34) - صحافة مطبوعة من يونيو إلى أكتوبر ١٩٣٧

3 - Marina (48) - الأسطول

4 - Miscellanea (53) - متفرقات

5 - Onorificenze (59) - تشريف

6 - Avizaione (78) - سلاح الجو

7 - Questioni di Cittadinanza (82) - مسألة المواطنة

9 - Istituzioni Scolastiche Stramiere in Palestina (86) - المعاهد والمدارس الأجنبية في فلسطين

10 - Archeologia (87) - الآثار

الملف رقم ٢٣ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.23 (1938)

– - Ropporti Politici 1/TG١ - تقارير سياسية

2 - Mercate del Lavora 1/TG - سوق العمل

الملف رقم ٢٤ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.24 (1938)-

- التقارير السياسية

1 - Ropporti Politici (Situazione in Palestina - 1, trimestre)

(الحالة في فلسطين، الدورية، الفصلية الأولى)

الملف رقم ٢٥ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.25 (1938)

- تقارير سياسية، الحالة السياسية في فلسطين، الدورية الفصلية الثانية ١/١

1 - Ropporti Politici (Situazione Politica in Palestina - 2, trimestre)

الملف رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.26 (1938)

- تقارير سياسية، الحالة السياسية في فلسطين، الدورية الفصلية الثالثة ١/١

1 - Ropporti Politici (Situazione Politica in Palestina - 3, trimstre)

- تقارير سياسية، الحالة السياسية في فلسطين، الدورية الفصلية الرابعة ١/١

2 - Ropporti Politici (Situazione Politica in Palestina - 4, trimstre)

الملف رقم ٢٧ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.27 (1938)

المؤسسات الدينية الإيطالية في الأرض المقدسة ١/٤

1 - Instituzione religiose italiane in Terra Santa 1/4

- صحافة مطبوعة

2 - Stampa(34)

الملف رقم ٢٥ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.28 (1938)

1 - Armi (5) — الجيش

2 - Arresti ed espulsioni (27) — الاعتقال والنفي

3 - Stampa (34) — صحافة مطبوعة

الملف رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٨م / Busta N.29 (1938)

1 - Stampa (34) — صحافة مطبوعة

2 - Stampa (34) — صحافة مطبوعة

الملف رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٧ - ١٩٣٨م / Busta N.30 (1937 - 1938)

1 - Documentazione Fondamentale 1/TG — وثائق أساسية (أصلية)

الملف رقم ٣١ لسنة ١٩٣٦ - ١٩٤١م / Busta N.31 (1936 - 1941)

2 - Documentazione varia 1/TG — وثائق مختلفة

الملف رقم ٣٢ لسنة ١٩٣٨ - ١٩٤١م / Busta N.32 (1938 - 1941)

1 - Marina da Guerra (1938)(48) — أسطول الحرب

2 - Miscellanea (53) — متفرقات

sf.1) Propaganda della Spagna Rossa in Palestina (1938) — دعاية إسبانيا الحمراء في فلسطين

sf.2) Razzismo e Mondo Arabo (1938) — العنصرية والعالم العربي

3 - Missioni e missionary (1938) (54) — البعثات التبشيرية والمبشرون

4 - Passaporti (1938) (59) — جوازات السفر

5 - Aviazione (1938) (78) سلاح الجو

6 - Cittadinanza (1938) (82) المواطنة

الملف رقم ٣٢ لسنة ١٩٤١م / Busta N.32 (1941)

1 - Situazione Politica (1941)1/TG التقارير السياسية

2 - Situazione Politica (1941)1/1 التقارير السياسية

3 - Istituzioni religiose in Terra Santa (1941) 1/4 المؤسسات الدينية في الأرض المقدسة

4 - Sionismo (1941)1/6 الصهيونية

5 - Stampa (1941) (34) مطبوعات صحافية

6 - Miscellanea (1937 - 1941) (53) متفرقات من ١٩٣٧ - ١٩٤١

7 - Missioni e missionary (1941) (54) البعثات التبشيرية والمبشرون

8 - Passaporti (1941) (59) جوازات السفر

الملف رقم ٣٣ لسنة ١٩٤١ - ١٩٤٥ / Busta N.33 (1941 - 1945)

1 - Rapporti Politici in gener (1941) 1/1 تقارير سياسية عامة

2) Governo e sua Composizione - Admminstrazione Municipale di Gerusalemme e Tel Aviv (1946) 1

الحكومة وتركيبها، إدارة بلدية القدس وتل أبيب

3 - Servizi telegrafici e radio telegrafonici - Sionismo (1944 - 45) (71)

خدمات التلغراف، والتلغراف بالراديو للصهيونية (١٩٤٤ - ٤٥)

4 - Emigrazione in Palestina (1945) (48) الهجرة إلى فلسطين (١٩٤٨)

الملف رقم ١ لسنة ١٩٤٦م / Busta N.1 (1946)

1 - Questione Palestinese (1) المسألة الفلسطينية

الملف رقم ٢ لسنة ١٩٤٧م / Busta N.2 (1947)

1 - Rapporti Politicie questione Palestinese (1) تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية

الملف رقم ٣ لسنة ١٩٤٧م / Busta N.3 (1947)

1 - La Palestina e l'inchiesta dell. O.N.U. (1) فلسطين ولجنة O.N.U.

2 - La Chiesa Ortdossa (1/2) الكنيسة الأرثوذكسية

3 - Documentazione Varia (26) وثائق مختلفة

الملف رقم ٤ لسنة ١٩٤٨م / Busta N.4 (1948)

1 - Rapporti Politicie e questione Palestinese (I) تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية

الملف رقم ٥ لسنة ١٩٤٨م / Busta N.5 (1948)

1 - Rapporti Politicie e questione Palestinese (I) تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية

2) Rapporti Politicie e questione Palestinese (Sede Consolato) (I)

تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية، مركز القناصل.

الملف رقم ٦ لسنة ١٩٤٨م / Busta N.6 (1948)

1 - Rapporti Politicie e questione Palestinese (I) تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية

الملف رقم ٧ لسنة ١٩٤٨م / Busta N.7 (1948)

1 - Rapporti Politicie e questione Palestinese (I) تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية

الملف رقم ٨ لسنة ١٩٤٨م / Busta N.8 (1948)

1 - Situzaione economica (2) الحالة الاقتصادية

2 - Giornalisti e documentazione (4) صحافة ووثائق

3 - Rappresentanza Ufficiosa d'Israel a Roma (5) التمثيل غير الرسمي لإسرائيل في روما

4 - Relazioni Con Paesi arabo - Islamici (7) العلاقات الخارجية مع الدول الأجنبية

5 - Relazioni Con paesi arabo - Islamici (8) العلاقات مع الأقطار العربية - الإسلامية

6) Conflitto arabo - Palestinese : questioni giuridiche (15)

النزاع بين العرب والفلسطينيين، المسائل القانونية

7 - Riconoscimento del governo Palestinese a Gaza (16)

الاعتراف بحكومة فلسطين بغزة

8 - Miscellanea (53) متفرقات

9 - Tutela interessi italiani in Palestina (83) حماية المصالح الإيطالية في فلسطين

الملف رقم ٩ لسنة ١٩٤٩م / Busta N.9 (1949)

1 - Rapporti politici e questione Palestinese (I) تقارير سياسية والمسألة الفلسطينية

2) Questione Palestinese (documentazione) 1/2 المسألة الفلسطينية، وثائق

3 - Sistema Capitolare in Palestina (29) النظام الاستعماري في فلسطين

الملف رقم ١٠ لسنة ١٩٥٠م / Busta N.10 (1950)

1 - Rapporti Politici (I) تقارير سياسية (علاقات)

2 - Questione dei Luoghi Santi (I) مسألة الأماكن المقدسة

وثائق فلسطين في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية :

كان علي محافظة قد أمضى سنتين (١٩٧٨، ١٩٧٨م)، باحثا في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية من أجل إعداد كتابين يتناولان:

- مواقف ألمانيا وفرنسا وإيطاليا من الوحدة العربية، نشره مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت سنة ١٩٨٥م.

- العلاقات الألمانية - الفلسطينية ١٨٤١ - ١٩٤٥، نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة ١٩٨١م.

وذلك بدعم من مركز دراسات الوحدة العربية، ووزارة ا لخارجية الفرنسية (القسم الثقافي)، ومؤسسة السكندر فون هومبولدت الألمانية.

وقد أفاد الباحث بأن أرشيف وزارة الخارجية الألمانية، قد نظم حديثا تنظيما راقيا من حيث تصوير كل الوثائق على الأفلام الميكروفيلمية والميكروفيش والقاعات المجهزة بشكل بديع، علاوة على تصوير الكثير من الوثائق الألمانية على ورق خالٍ من الأحماض لضمان ديمومتها وعدم تلفها.

وقد ضمَّنَ كتابيه، موجزا مفيدا للوثائق الفلسطينية في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية، وجاء فيه:

الوثائق غير المنشورة :

أ - الأرشيف السياسي في وزارة الخارجية الألمانية في برلين :

تحتوي وثائق هذا الأرشيف على معلومات وافرة عن الشرق العربي بوجه عام وفلسطين بوجه خاص، وهي تقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ويشمل وثائق الفترة الواقعة بين عامي ١٨٧١ و١٩١٨. وتندرج الوثائق الخاصة بفلسطين في هذا القسم تحت عنوان «تركيا» Tuerkei والملفات التي تحمل عنوان: Tuerkei173 تتناول الأماكن المقدسة في فلسطين، كما تحتوي الملفات التسعة عشر التي تحمل عنوان:

Tuerkei177, Der Libanon (Syrien) معلومات جيدة عن فلسطين، أما وثائق الملفات التي تحمل عنوان Tuerkei195 فتعالج وضع ا ليهود في تركيا، بما في ذلك يهود فلسطين، وتغطي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٠ و١٩١٨.

القسم الثاني: فيحتوي على الوثائق التي تعود إلى الفترة الممتدة من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٤٥، وهي مبوبة تبويبا جيدا، إذ قامت وزارة الخارجية الأمريكية بالتعاون مع مؤسسة هوفر Hoover Institution on War, Revolution and Peace بوضع فهرس (كتالوج) مفصل لهذه

الوثائق مؤلف من ثلاثة مجلدات:

- ملف فلسطين في مكتب وزير الخارجية Buerodes Reichsaussenministers ويحتوي على وثائق تتناول الفترة الواقعة بين مارس ١٩٣٧ وفبراير ١٩٤١.
- ملف فلسطين في مكتب مساعد سكرتير الدولة في وزارة الخارجية Buero des Unter-stastssekretaers، وهو بعنوان المسألة الفلسطينية من يونيو ١٩٣٧ حتى أبريل ١٩٣٨ .
- ملف فلسطين في الدائرة السياسية الأولى المعنية بعصبة الأمم Politische Abt.I, Voelker - bund (فبراير ١٩٣٧ - مايو ١٩٣٩).
- ملف الدائرة السياسية الثانية Politische Abt.II، ويتناول العلاقات السياسية بين ألمانيا وفلسطين من مارس ١٩٢٧ حتى سبتمبر ١٩٣٤.
- ملفات الدائرة السياسية الثالثة Politische Abt.III، وتتناول علاقات فلسطين السياسية والتجارية مع ألمانيا وبقية دول العالم بين ١٩٢٢و١٩٣٣.
- ملفات الدائرة السياسية السابعة Politische Abt.VII، وتشمل معلومات غزيرة عن علاقات ألمانيا بفلسطين بين عامي ١٩٣٦ و١٩٤٠.
- ملفات فلسطين في مكتب الوزير المفوض فيل Handakten Wiehl، وتغطي الفترة الواقعة بين مارس ١٩٣٤ وأبريل ١٩٤١.
- ملفات الوثائق السرية Geheimakten، وتتناول علاقات ألمانيا بفلسطين بين عامي ١٩٢٧ و١٩٣٤.
- ملفات فلسطين في مكتب رئيس دائرة الشؤون الأجنبية Buero des Chefs des Aus-landsorganisation، وهي عدة مجلدات تتناول موضوع اتفاقية هعفارا.
- ملف فلسطين في عصبة الأمم والتعويضات Abteilung Voelkerbund und Ruestung (6) أغسطس ١٩٣٧ - ٢٦ مايو ١٩٣٩).
- أوراق الوزير المفوض ريتر Handakten Ritter.
- أوراق الوزير المفوض أيتل Handakten Ettel، وتحتوي على أربعة ملفات ضخمة عن نشاط مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني.

ولا بد من الرجوع إلى الملفات الخاصة بالعراق للاطلاع على سير المفاوضات السرية بين المفتي، في أثناء وجوده في بغداد، والمسؤولين الألمان.

ب - أرشيف الدولة الرئيسي في شتوتجارت Hauptstaatsarchiv

ويحتوي على معلومات واسعة عن نشاط جمعية الهيكل في فلسطين وعلاقاتها بحكومة فورتمبرج.

الوثائق الألمانية المنشورة:

- الوثائق الديبلوماسية لوزارة الخارجية ١٨٧١ - ١٩١٤، ويتناول القسم الأول منها فترة حكم بسمارك (١٨٧١ - ١٨٩٠)، ويحتوي على ستة مجلدات.

Die Diplomatisch Akten des Auswaertiges Amt1871 - 1914, Ein Wegweiser durch das grosse Aktenwerk der deutschen Regierung von Bernhard Schwetfeger, Deutsche Verlaggesellschaft fuer Politik und Geschichte, Erster Teil, Die Bismarck Epoche 1871 - 1890, Bd I - VI, Berlin, 1923.

أما القسم الثاني فيحتوي على ستة مجلدات أيضا، ويغطي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٠ و١٨٩٩، وهو منشور في برلين عام ١٩٢٤.

- الوثائق الألمانية عن نشوب الحرب العالمية الأولى، وهي في أربعة مجلدات

Die deutsche Dokumente Zum Kriegsausbruch 1914, Deutsche Verlaggesellschaft fuer Politik und Geschichte, Berlin, 1924 (4 Bde).

وقد ترجمت إلى الإنجليزية بعنوان:

Official German Documents Relating to the World War, Oxford University Press, London, 1923

- وثائق عن السياسة الخارجية الألمانية: Akten Zurdeutschen auswaertigen Politik

وهي في أربع سلسلات وهي: سلسلة B، وتتألف من أحد عشر مجلدا، وسلسلة C، وتتألف من ثمانية مجلدات، وسلسلة D تتألف من أحد عشر مجلدا، وسلسلة E، وتتألف من أربعة مجلدات.

وجميعها مترجمة إلى الإنكليزية بعنوان: Documents on German Foreign Policy، وصادرة عن المطبعة الرسمية للحكومة الأمريكية في واشنطن، في سلسلتين هما C، وتتألف من خمسة مجلدات (١٩٣٣ - ١٩٣٧) وD تتألف من ثلاثة عشر مجلدا (١٩٣٧ - ١٩٤٥).

أرشيفات الكيان الصهيوني (إسرائيل)

أهم أرشيفات الكيان الصهيوني الإسرائيلي هي:

- الأرشيف الصهيوني المركزي - القدس Central Zionist Archive (CZA)

- وأرشيف دولة إسرائيل - القدس Israel State Archive (ISA)

وما تلاها فهي أرشيفات، فيها وثائق، ولكن ليس بكثافة الأرشيفين الأولين، ومنها:

- أرشيف بن جوريون، سدي بوكر، Ben - Gurion Archive (BGA)

- أرشيف الهاجاناه - تل أبيب The Haganah Archive, Te Aviv

- أرشيف حاييم وايزمن، رحبوت Chaim Weizman Archive (CWA) Rehovot

- أرشيف قوات الدفاع الإسرائيلية، جيفاتلام Israel Defence Forces Archive (IDFA) Givatylm

Labour Part Arhive, Beit Berl, Kfar Saba

- أرشيف حزب العمل، بيت بيرل، كفار سابا

Hashomer Archive (Yosef Nahmani Diary)

- أرشيف هاشومير، يوميات يوسف نحمان (Kfar Filadi) في كفار جلعادي.

هذا بالإضافة إلى عدة أرشيفات أخرى أنشئت بعد إعلان دولة الكيان الصهيوني، وهي مما تخرج عن نطاق بحثنا.

ونظرا إلى أهمية الأرشيفات الأولى، سنلقي المزيد من التوضيحات والشروحات على وثائقها، مما تتوافر لدينا من خلال الأبحاث العلمية والمؤلفات التي اطلعنا عليها، أو تلك التي تمكنا من تصوير بعضها بمساعدة بعض الإخوة العرب الباحثين، ومن نماذجها.

- الأرشيف المركزي الصهيوني Central Zionist Archive (CZA)

- الأرشيف الصهيوني المركزي: القدسCentral Zionist Archive (CZA), Jerusalem

يعتبر من أغنى الأرشيفات المختصة بالحركة الصهيونية ورجالها وأنشطتها، سواء في فلسطين أو بريطانيا أو الولايات المتحدة وأوروبا الغربية والشرقية وبعض البلدان العربية، وفيه ملفات خاصة بالاتصالات مع القيادات العربية منذ ١٩١٧ وحتى ١٩٤٩م. وعلاوة على وثائقه فقد احتوى على وثائق حفظت في ألفي صندوق، في كل واحد منها من ١٠ - ١٥ ملفا، كانت موجودة لدى البلديات والمؤسسات في الضفة الغربية، نقلت بعد حرب سنة ١٩٦٧ إلى الأرشيف الصهيوني المركزي، ثم منها إلى مكتبة دولة إسرائيل، وفيها سجلات ومراسلات وبرقيات وتقارير ومذكرات من قسم تسجيل الأراضي في فلسطين، ومبعوثي الأراضي، وقسم الخدمات مرسلة إلى المندوب السامي البريطاني وتشتمل على الضرائب والعائدات وغيرها من الأمور المتصلة بالبيع والشراء.

ومجموعات السجلات في الأرشيف الصهيوني المركزي مصنَّفة على النحو التالي(*):

A 202: Personal File, Abraham Granott, (Granovsky) ملفات شخصية

A238: Person File, Yehoshua Chankin (Hankin) ملفات شخصية

KKL : Jewish National Fund (Jerusalem) 1922 - 1948

الصندوق القومي اليهودي (كيرن كاييمت ليسرائيل)

L18 : Palestine Land Development Company 1918 - 1940

(*) على الباحث أن يكون شديد الحذر في تعامله مع وثائق الأرشيف الصهيوني، وخاصة المتصلة باللجان والاضطرابات والمحاكم وأساليب حيازة الأراضي واستملاكها بمعونة حكومة فلسطين (حكومة الانتداب البريطاني).

شركة تطوير أراضي فلسطين.

S15: Agricultural Settlement Department (1918 - 1940)

قسم الاستيطان الفلاحي (دائرة الاستيطان)

S25 : Political Department, Palestine, Executive Jewish Agency

الدائرة السياسية، الوكالة اليهودية (اللجنة التنفيذية)

Z 4 : Zionist Organization, Central Office, London 1917 - 1955

المنظمة الصهيونية، المكتب المركزي، لندن: ١٩١٧ - ١٩٥٥

S7 : Central Bureau for the settlement of German Jewish 1933 - 1955 Palestine

الرئاسة المركزية لاستيطان يهود ألمانيا في فلسطين ١٩٣٣ - ١٩٥٥

S21 : Department for the Development of Jerusalem.

قسم تنمية وتطوير القدس

S55 : Office of Arthur Ruppin 129 - 1940, Head of Agriculture Settlement 1948 - 1952

مكتب آرثر روبن، مدير قسم الاستيطان

S44 : Office of David Ben - Gurion 1934 - 1948 , Chairman of the Executive 1935 - 1948

مكتب ديفيد بن جوريون الزراعي

S52 : Office of Yehoshua H. Ferbstein 1932 - 1933 مكتب يوهوشوا

L3 : Zionist Commission, Jerusalem 1918 - 1921

البعثة الصهيونية، القدس

L4 : Zionist Commission, Jaffa, 1918 - 1921

البعثة الصهيونية، يافا

L26 : Immigration Department, Office in Tripoli 1949 - 1951

قسم الهجرة، مكتب طرابلس

L27 : Immigration Department, Office in Aden 1949 - 1951

قسم الهجرة، مكتب عدن

L88 : Immigration Department, Office in Morrocoo 1948 - 1956

قسم الهجرة، مكتب مراكش

L69 : Immigration Department, Office in Tunis 1952 0 1955

قسم الهجرة، مكتب تونس

Jewish National Fund (Keren KayEment Leis Rael) (KKL)

الصندوق القومي اليهودي Le Israel

KKL5 : Head office, Jerusalem 1922 - 1948

المكتب الرئيسي بالقدس

KKL3 : Palestine Agency, Jerusalem 1908 - 1922

الوكالة الفلسطينية بالقدس

أوراق خاصة وتضم أوراق أكثر من ١٢٠٠ شخصية Personal Papers، مرتبة من A - Z، ويرمز لها بالأحرف A - AK، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

AK63 Ben Gurion, David (Collection) : 1886 - 1973

AK474 Ben - Ze'ev, Israel : 1899 - 1980

A 116 Ven - Ze'evi, Yitzhak 1884 - 1963

A377 Daninm Ezra

دنان عيزرا، وكان هذا عنصر الاتصال مع العديد من الزعامات والقيادات والعربية.

A403 Jaffa, Elieser 1882 - 1942

AK10 Weizmann, Chaim (Collection) 1874 - 1952

وملحق بالأرشيف مكتبة تسمى بمكتبة الأرشيف الصهيوني المركزي CZA Library.

ونشير إلى عدد من الوثائق التي أمكن الاطلاع عليها بعد عناءٍ وطول انتظار، حسب تصنيفها في الملفات ومنها:

- CZA. A16/32 dated 22 January 1917

- مذكرة الإدارة المؤقتة في فلسطين، غداة احتلالها من قبل القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي

- CZA L3/91 12 February 1919

رسالة من روث ولشتنستين Ruth Walichtenstein إلى الحاكم العسكري البريطاني في القدس حول الاضطرابات والعربدة والإخلال بالأمن في القدس ضد اليهود

- CZA L3/411 24 January 1919

من المكتب الصهيوني في فلسطين إلى البعثة الصهيونية التي أوفدت إلى فلسطين للعمل مع الجنرال اللنبي، بدعوى تطوير فلسطين ورفع مستوى الحياة، تهيئة الوطن القومي في فلسطين ومن ثم قيام الدولة الإسرائيلية المستقلة.

- CZA A181, L3/655 1 April 1919

انطباعات عن الأوضاع في القدس

- CZA L3/285 30 June 1918

الاستعدادات لتوفير الأموال من المؤسسات والحكومات والدوائر الرسمية للوكالة اليهودية للعمل في فلسطين، وتقرير عن إرسال حاييم وايزمن ١٠٠ جنيه مصري تبرعا لجامعة فؤاد بالقاهرة، وأجرى محادثات في القاهرة بهدف تهدئة رَوْعِ العرب من المنظمة الصهيونية وأهدافها.

- CZA L3/285 25 May 1918

ملف فيه محاضر اجتماعات المنظمة الصهيونية، ويتضح فيه أن الهدف الأساسي هو قيام دولة مستقلة لليهود في فلسطين، ولكن يطلب حاييم وايزمن من الأعضاء الكتمان والتقليل من الحديث عن الدولة لتهدئة روع أهل فلسطين العرب.

وملفات عن محاضر اجتماعات البعثة الصهيونية وتواريخها:

– 21April 1918
– 11 May 1918
– 14 May 1918
– 2 June 1918
– 5 November 1919

- CZA L3/567, Undated (بدون تاريخ)

تقرير من المبعوث الصهيوني إلى فلسطين، وايزمن وإدير Weizmann and Eder.

- CZA L3/ 20.11, 27 February 1920

رسالة من البعثة الصهيونية إلى مناحيم أوسيشكين، رئيس البعثة في فلسطين الذي حلَّ محل مناحيم وايزمن عندما عاد الأخير إلى لندن، وتتناول الرسالة التوترات والاضطرابات التي وقعت بين العرب واليهود في القدس بمناسبة موسم زيارة النبي موسى، سنة ١٩٢٠م.

- CZA L4/25, 31 August 1918

إيدير Eder يكتب إلى حاكم يافا البريطاني حول الاضطرابات في يافا

- CZA L4/28, 16 May 1918

حاييم وايزمن يرأس البعثة الصهيونية للعمل مع الجنرال اللنبي لوضع وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ موضع التنفيذ، والعمل للوطن القومي اليهودي في فلسطين.

- CZA L4/434, 23 Sept. 1918

حاييم وايزمن رئيس البعثة الصهيونية ونشاطات البعثة لتطوير مدينة القدس خاصة، وفلسطين بالتعاون مع الجنرال اللنبي،

- CZA L4/293 , 1 September 1918

محاضر الاجتماع التاسع عشر للبعثة الصهيونية

- CZA L4/297, 14 Aug. 1919

إيدير Eder يطلب من الجنرال ولسون Wilson، حاكم القدس العسكري ضرورة إرساء عقود الإنشاء والتعمير والبناء في المدينة المقدسة على مقاولين يهود، ويطلب شراء مصادر المياه التي تزود المدينة، وقد تمَّ بالفعل تركيب مضخات على برك سليمان وينابيع المياه، وتحكم اليهود بمصادر المياه التي تزود المدينة بمياه الشرب والري وبيع المياه.

- CZA L4/1947, 25 Aug. 1919

تقرير عن الاجتماع بين البعثة الصهيونية ورئيس الإدارة البريطانية في فلسطين.

- CZA L4/738, - 2 April 1920

9 March 1920 –

تقريران استخباريان عن أحداث النبي موسى والاضطرابات بين العرب واليهود.

- CZA L4/769, 2 Feb. 1919

المؤتمر العربي الفلسطيني ومطالبه:

- الاستقلال.
- منع الهجرة اليهودية.
- منع بيع الأراضي، وانتقالها إلى اليهود (أملاك الدولة).

وكانت بريطانيا تسهل وتساعد على انتقال أملاك الدولة (الميري) إلى اليهود لإنشاء المستعمرات والمشاريع.

- CZA L4/966, undated (بدون تاريخ)

- مركز المنظمة الصهيونية في القدس يكتب للبعثة الصهيونية حول ضرورة السيطرة على بعض المشاريع العمرانية في فلسطين.

CZA L4/996, 17 Jan. 1919 –

- مذكرة حول أوضاع اللاجئين في سورية، الذين كانوا قد هربوا من فلسطين بسبب ملاحقتهم من قبل الشرطة البريطانية، وتحميلهم مسؤولية الأحداث وجرائم القتل ضد اليهود.

CZA Z3/74, 1st Jan. 1918 –

- رسالة من فاينباوم Feigenbaum إلى روبن Ruppin حول اعتقال خليل السكاكيني واليهودي الأمريكي Alter Levin في القدس، بتهمة التجسس لأمريكا، وإخفاء السكاكيني له في بيته وكان Levin مطلوبا من قبل القوات التركية، ثم اقتيدا سيرا على الأقدام إلى أريحا، ومن ثم نقلا إلى دمشق حيث سجنا هناك.

- CZA Z4/1392, 21 Oct. 1919

- لقاء بين موسى كاظم الحسيني ومناحيم أوشنسكين، رئيس البعثة الصهيونية تناول الأوضاع في فلسطين.

- CZA Z4/3450 file 6th July 1930

- تقرير عن الأرض والتطوير الزراعي في فلسطين، مقدَّم إلى الجنرال السير حنا هوب سمبسون Sir John Jopesimpson

- CZA Z4/1260 file 1,1919

- مذكرة عن ضرورة العمل، لامتلاك وحيازة الأراضي في فلسطين.

- CZA Z4/771/file 1,1919

- مذكرة حول مسألة الأراضي في فلسطين.

- CZA Z4/6106, March 1930

- مذكرة: شراء الأراضي والمستوطنات الزراعية.

- CZA Z4/1260/file 2,1919

- مشروع مقدم إلى الحكومة البريطانية لحل مسألة الأراضي في فلسطين.

- CZA Z4/3450 file 5

- تقرير عن دائرة الاستيطان الزراعي.

- CZA Z4/14632, 15 Oct. 1941

- الخطوط العريضة للسياسة الصهيونية، قدمه بن جوريون، لطرد العرب بالقوة من فلسطين وإحلال اليهود مكانهم.

CZA Z4/16/15445, 29 Nov. 1920

- رسالة من صموئيل إلى وايزمن.

- CZA Z4/16009, 24 June

- رسالة من بلفور إلى لويس برانديز Louis Brandis حول اتفاقية سايكس بيكو.

- CZA Z4/16004, 20 May 1919

- تقرير مخابرات عن عصابة الكف الأسود في يافا.

- CZA KKL5/Box 536 بدون تاريخ

- قائمة بالأراضي التي تملكها الجمعية اليهودية للاستيطان في فلسطين.

- CZA KKL5/Box 536, July 1930

- مذكرة من جرانوفسكي Granovsky عن زيارة هوب سمبسون.

- CZA KKL5/11878, 10 June 1924

- ملاك الأراضي في فلسطين وأقسام الأراضي وفقا لنوع الملكية عامة (مشاع) أو خاصة، دراسة أعدها أتنجر، وأكيفا Ettinge, Akiva.

بدون تاريخ - CZA KKL5/Box 536

- قائمة بالأراضي التي تملكها الجمعية اليهودية للاستيطان في فلسطين.

- CZA KKL5/Box 536, November 1930

- مذكرة حول تقييدات (حظر) انتقال الأراضي.

- CZA L18/125 file 31, 1919

- مذكرة: الأرض غير محدَّدة الملكية.

- CZA S25/3472, 1937

- قائمة بأسماء الفلسطينيين العرب ذوي المراكز ممن باعوا أراضي لليهود ومواقعها

- CZA S25/7615, 1920

- قائمة بالأراضي التي اشتريت في سهل شارون - مرج ابن عامر بعد سنة ١٩٢٠

- CZA S25/105, 6 August 1945

- رسالة غير موقعة من ساسون حول المحادثات مع زعماء عرب

13 August 1945

- رسالة من شرتوك حول قرض بمبلغ خمسة آلاف جنيه للأمير عبدالله.

18 August 1945

- رسالة من شرتوك إلى ساسون، حول دفع مبالغ مالية للأمير عبدالله ولم يتم دفعها.

- CZA S25/426, 15 March 1948

- محاضر اجتماعات الدائرة السياسية للوكالة اليهودية في تل أبيب، والموافقة على سفر Yehoshuo Palmo إلى أوروبا لمحاولة إعادة الاتصالات مع القادة العرب.

- CZA S25/1543, August 1937

- ملف فيه النصوص الأصلية للكلمات التي ألقيت في المؤتمر العشرين للحركة الصهيونية.

- وثائق تتصل بالاتصالات بين الحركة الصهيونية خلال سنوات الثلاثينيات والأربعينيات وبين أغلبية القادة العرب، سواء في العواصم العربية أو العواصم الأجنبية. وأهم الشخصيات التي شاركت فيها:

سورية: شكري القوتلي، جميل مردم بك، لطفي الحفَّار، فخري البارودي، فايز الخوري، نسيب البكري، وعبدالرحمن شهبندر.

لبنان: إميل إده، بشارة الخوري، خير الدين الأحدب، حسين حمادة، المطران أنطوان عريضة، إلياس حرفوش.

الأردن: الملك عبدالله، محمد الأنسي، تيسير الدوجي، مثقال الفايز.

العراق: نوري السعيد، ناجي الأصيل، جميل المدفعي، حسني جميل.

مصر: عبد الرحمن عزام، محمد حسين هيكل، إسماعيل صدقي، علي علوية باشا.

ومنها، وثائق تتصل بشرق الأردن:

– CZA S25/1961, 22 Aug. 1947

23 Aug. 1947

رسالة من عيزرا دنان إلى إلياهو ساسون – Ezra Danin to Sasson

والرد عليها في اليوم التالي Sasson to Ezra danin

- CZA S25/1696, - 9 September 1947

- 18 September 1947

الأولى: رسالة من شرتوك إلى جولدا مائير Meyerson

والثانية: من جولدا مائير إلى شرتوك، حول عدم اتفاق القادة العرب على خطة المواجهة للعمل في فلسطين.

- CZA S25/1698, 14 Oct. 1947,

20 Oct. 1947

رسالتان: الأولى من شرتوك إلى مائير، والثانية من شيموني Shimoni إلى شرتوك Sher-tok، وفيها الموافقة على دخول قوات الأردن إلى المناطق ذات الكثافة السكانية العربية.

CZA S25/1699, 20 Nov. 1947

رسالة من إلياهو ساسون إلى موسى شرتوك بضرورة زيادة مقدار المساعدة وتقديم الأموال للملك عبدالله.

- CZA 225/3029, 1934

إرسال أموال إلى أهارون حاييم كوهين Aharon Haim Cohen لتحويلها إلى الأمير عبد الله من الوكالة اليهودية.

- CZA S25/3051, 28 Feb. 1932

محاولات توثيق الصلات بين الحركة الصهيونية ورؤساء عشائر شرق الأردن، كُلِّفَ بها تيسير الدوجي، من خلال محادثات أجراها موسى شرتوك.

- CZA S25/3243, 28 June 1936

تقرير من A.H. Cohen عن الاتصالات بين الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية والقصر في عمان، وكان الوسيط محمد الأنسي، الذي قدم من بيروت، وكان يشغل منصب السكرتير الثاني في القصر، يقوم بدور وزير الخزانة الفعلي في شرق الأردن.

- CZA S25/3243, 30 April 1936

مراسلات وتقارير، خاصة من شرتوك إلى الأمير عبدالله بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٣٦، ومن الأمير عبدالله إلى شرتوك بتاريخ ٦ مايو ١٩٣٦م.

- CZA S25/3253, 18 May 1936

رسالة من A.H. Cohen إلى موسى شرتوك وين تسفي، فيها قلق الصهيونية من تأثير إضراب ١٩٣٦ في بريطانيا، مما قد يحملها على إعادة النظر في سياستها تجاه فلسطين.

في الملف معلومات عن الدائرة العربية الرسمية بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٣٦.

- CZA S25/3300, 27 Aug. 1947

رسالة من شيموني Shimoni إلى مائير، ومحادثات مع موسى العلمي في الأمم المتحدة.

- CZA S25/3243, 28 June 1936

- ملف فيه محضر الاجتماع بين المندوب السامي البريطاني وموسى شرتوك بتاريخ الثلاثاء، ٢٨ يوليو ١٩٣٦.

- رسالة من الأمير عبدالله إلى الحاج أمين الحسيني.

- اجتماعات ومراسلات بين القسم السياسي في الوكالة اليهودية والقصر في عمان بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٣٦.

- CZA S25/3384, 16 Feb. 1936

تقرير كتبه A.H. Cohen (أهارون حاييم كوهين) عن الاتصالات الجارية بين القسم السياسي في الوكالة اليهودية والقصر الملكي في عمان.

- CZA S25/3486, 15 May 1937

محادثات بين David Hacohen والأمير عبدالله في لندن.

ملف فيه المحادثات بين محمد الأنسي وبرناديوسف بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٣٧.

- CZA S25/3486, November. 1937

الوكالة اليهودية واحتفاظها بحق الحديث مع أي عربي مهتم بالتوصل إلى تسوية ودية ورصد مبلغ ٧٠٠ و٨٠٠ جنيه فلسطيني لأغراض الدعاية.

ورسالة من A.H. Cohen إلى شرتوك بالتاريخ نفسه.

- CZA S25/3504, 17 Dec. 1943

رسالة من ساسون تتعلق بتقسيم فلسطين وإلحاق الجزء الباقي من فلسطين بشرق الأردن، موجهة إلى جوزيف B.Joseph.

اتفاقية تاريخها Jan. 1933 بين الملك عبدالله وشركة تطوير أراضي فلسطين اليهودية.

- CZA S25/3515, 8 May 1938

تقرير من السيد زقاقي Mr. Zagagi، رئيس الدائرة المالية في الوكالة اليهودية تبيَّن أن محمد الأنسي قد تلقى ٨ دفعات مالية بين أبريل ١٩٣٦ - وأبريل ١٩٣٨، مجموعها ٨٠٠ جنيه فلسطيني.

رسالة من شرتوك برودتسكي Brodetsky تتضمن الاتصالات مع محمد الأنسي تاريخها يونيو ١٩٣٩,

- CZA S25/3539, November 1937

رسالة من A.H. Conhen إلى شرتوك حول الاتصالات مع الأنسي

- CZA S25/3569, - 23 Dec. 1947
- 29 Dec. 1947

رسالتان متبادلتان: الأولى بين Ezra Danin وساسون Sasson، والثانية بين أسسون وعيزرا دنان حول الاتصالات لتهدئة البدو في غزة والنقب من أجل تسهيل إلحاق «النقب» بإسرائيل بعد احتلالها.

- CZA S25/3569, 16 Mar. 1948

رسالة من فوزي القاوقجي بتاريخ ١٦ مارس ١٩٤٨ يبدي رغبته في الاجتماع مع Yena-shuo Polman من أجل تخفيف حدة القتال بين الأطراف العربية واليهودية، والاتفاق على المناطق التي ستدخلها قوات القاوقجي.

- CZA S25/3633, 30 Jan. 1944

رسالة من إلياهو ساسون إلى B. Joseph، موضوعها نوري السعيد ومحاولات عدم إلحاق الجزء المتبقي من فلسطين لشرق الأردن.

- CZA S25/3864, 3 Jan. 1935

ملحق الاتفاقية بين الأمير عبدالله وشركة تطوير أراضي فلسطين

- CZA S25/3885, 23 June 1946

رسالة من جورج وردزوت George Wadsworth إلى واشنطن، محتواها العمل لإنجاح التقسيم وضم الباقي إلى شرق الأردن

- CZA S25/3909, 16 July 1947

محادثات أجراها يوكوف شيموني Yaacov Shimoni مع الشريف فواز الشرف Fawaz Al Saraf

- CZA S25/3960, 21 Aug. 1947

حديث مع الملك عبدالله

- CZA S25/4004, 17 November 1947

عيزرا دنان Ezra Danin، حديث مع الملك عبدالله

- CZA S25/3493, Dec. 1933

ملاحظات على المحادثات مع المندوب السامي أجراها موسى شرتوك

- CZA S25/4141, 3 Jan. 1939

تقرير مخابرات، غير موقع.

- CZA S25/4207, November 1929

روبن آرثر Ruppin Arthur، شراء اليهود للأرض وتأثيره في ظروف المزارع والفلاح.

- CZA S25/4678, 1933 - 36 (1936)

أوستشكين، ملاحظات على ترتيبات حماية المزارعين

تقرير عن لجنة بيل من الوكالة اليهودية - CZA S25/4687, 1936

اقتراحات حول ملكية الأراضي في سورية - CZA S25/6560, 1934

سياسة الأراضي في فلسطين - CZA S25/6918, 1936

سياسة الاستيطان وحماية المزارعين - CZA S25/7453, 1929 - 1930

مذبحة دير ياسين - CZA S25/5634, 12 April 1948

رسالة من رئيس الديوان الملكي في عمان إلى الوكالة اليهودية، تفيد بأن الوكالة اليهودية لا يمكن أن تبرئ نفسها من جريمة مذبحة دير ياسين Deir Yassin

ملف محاضر الاجتماعات مع العرب بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٤٨ .

- CZA S25/6313, 28 Mar. 1938

- زيارة موسى شرتوك للأمير عبدالله.
- ملاحظات على محادثة بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٦ أجراها موسى شرتوك.

- CZA S25/6363, Sep. 1934

ملكية الأراضي كتبها Gurevich. D.

- CZA S25/6644, 23 Aug.1947

اتصالات ساسون مع زئيفي.

- CZA S25/9036, 13 Aug. 1946

رسالة من المنظمة الصهيونية في القدس إلى المكتب الصهيوني في لندن، تتناول موقف الملك عبدالله في أنشاص، ومعارضته استمرار الانتداب بموافقة بريطانيا وأمريكا، والسعي إلى إقرار خطة التقسيم التي اقترحها الملك.

- CZA S25/9013, 14 Sep. 1947

رسالة من Reuvenzalsaniz, Yaacov إلى Shimoni، حول إيفاد عمر الدجاني ليلحق بشاريت من أجل تأسيس جريدة.

- CZA S25/9036, 12 Aug. 1946

الملك عبدالله يبلغ ساسون: إما أن نعمل معا بالاتفاق، وإما أن نفترق ولا تعاون، ولن تجدوا مثلي بعد ذلك.

- CZA S25/9038, 15 April 1948

- وفيه عدة رسائل منها، رسالة من ساسون إلى الدكتور ساطي حول سماح عمان لدخول قوات عربية في ١٥ أبريل ١٩٤٨ إلى فلسطين.

- ورسالة من ساسون إلى الدكتور ساطي حول معاودة الاتصال والاتفاق، ورفض الأردن لتلك الرسالة في ٧ مايو ١٩٤٨.

- اللقاء الأول بين الملك عبدالله وجولدا مائير وسجلات المحادثات في الأردن، بوساطة اثنين من الوسطاء البريطانيين بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧.

- رسالة من ساسون إلى الملك عبدالله بتاريخ ١٩ يناير ١٩٤٨ بشأن القوات الأردنية ودخولها، وتهدئة الأوضاع بين العرب واليهود.

- CZA S25/9096, 19 Aug. 1946

تقرير عن ساسون حول هجرة ١٠٠ ألف سنويا.

- CZA S25/9138, 27 Jan. 1948

رسالة من ساسون إلى مائير، محاولات الاتفاق قبل الحرب، والمساعدة وإمكان ترسيم الحدود مع الأردن.

- CZA S25/9664, 22 April 1948

محاضر اجتماعات مع الطرف العربي من أجل الهدنة.

- CZA S25/9783, 1937

- محمد الأنسي يبعث رسالة إلى A.H. Cohen بأن اللجنة سنة ١٩٣٧ قد تجاهلت الأمير ولم تتصل به.

- CZA S25/10692, 3 March 1946

- رسالة من مريم جلاكسون Miriam Glickson إلى موسى شرتوك.

- اقتراح الملك عبدالله بشأن مشروع تقسيم سورية الكبرى.

- CZA S/100/248,: June 1935

: May 1944

- بروتوكول الاجتماع المشترك بين اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية واللجنة التنفيذية السياسية للمنظمة الصهيونية.

- CZA S1/100/248, June 1935

- بروتوكول الاجتماع المشترك بين اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والقسم السياسي في المنظمة الصهيونية.

- CZA S1/100/248, 17 Jan. 1938

- بروتوكول الاجتماع للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية.

- CZA S25/10097, 10 Aug. 1937

- معلومات من رئاسة الأخبار الفرنسية.

- CZA S25/10250, 1937

- الأهمية السياسية لشراء الأراضي.

- CZA S25/10615, 15 Nov. 1938

تقارير من E. Danin to R. Zaslani من دنان إلى زاسولني، ودنان كان مندوبا لعدة مرات للمحادثات مع الأمير عبدالله.

- CZA S25/10615, 16 Nov. 1938

- تقارير مخابرات حول أعمال التخريب التي يقوم بها العرب وهي غير موقعة.

وهناك ملفات في مكتبة الأرشيف المركزي الصهيوني CZA Library ومن أهمها الملفات التالية:

- ملاحظات من قبل ضابط الأراضي، على مسائل في الأراضي الفلسطينية كتبه Al - Hassid. M. C. سنة ١٩٤١ .

- ملاحظات من قبل الوكالة اليهودية حول تطور الزراعة والاستيطان في فلسطين على تقرير Mr. Lweis French سنة ١٩٣٣ .

- مذكرة سرية لتأجير أرض في شرق الأردن من الأمير عبدالله KH7, 1934

محاضر المحادثات بين بنحاس روتنبرج والأمير عبدالله A406/130, 21Jan.1939

محاضر المباحثات بين بنحاس روتنبرج والملك عبدالله A406/131,28 Dec1938

A406/111, 1933

نسخة الاتفاقية بين الأمير عبدالله، حاكم شرق الأردن وجوشوا فابرستون ومانويل نيومن.
Emanuel Neumann و Joshua Fabrstein

أرشيفات دولة الكيان الصهيوني، القدس Israel State Archive (ISA)

اغتصبت دولة الكيان الصهيوني كل الوثائق والسجلات والملفات والصناديق المحفوظ فيها العديد من الوثائق والملفات العائدة إلى المدن والبلدات والمجالس والقرى الفلسطينية عند اغتصابها لفلسطين سنة ١٩٤٨م. ونقلتها إلى أرشيف الدولة (ISA)، وأكملت اغتصابها لباقي المواد الأرشيفية غداة احتلالها لباقي فلسطين سنة ١٩٦٧م، كما فعلت مثل ذلك بمركز

الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، عند احتلالها لبيروت والجنوب اللبناني سنة ١٩٨٢م. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن عدد الصناديق التي استولت عليها من البلديات والمجالس المحلية للقرى الفلسطينية بلغ ألفي صندوق أودعت في أرشيف الدولة، وقسم منها في الأرشيف الصهيوني المركزي. ومن هذه الوثائق والسجلات التي ما زالت موجودة نورد منها:

- وثائق حكومة فلسطين، مكتب السكرتير (الرئيس):
- Record Group No.2
- سجل حكومة فلسطين وقسم الهجرة ١٩٢٠ - ١٩٤٨، وفيها وثائق تتصل بجوازات السفر والحجاج، ومعلومات عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإحصاءات وشؤون اقتصادية والعمل العبري.
- سجلات تتعلق بالذين طلبوا المواطنة الفلسطينية وهي محفوظة في ٥٠٨ صناديق.

سجل رقم: ١٧، حكومة فلسطين وقوات البوليس والشرطة ١٩٣٣ - ١٩٤٨م، وعدد صناديقها ١٠، زواج وطلاق من ١٩٢٩ - ١٩٤٧ ٧ صناديق.

سجل رقم ٢٢، قوائم بأملاك الانتداب (الأرض الميري التي كانت تعتبر أملاكا سلطانية عثمانية (أملاك دولة). وفيه سجلات أملاك القدس.

سجل رقم ٣٩، الإدارة العثمانية، الأصول والسكان وسجلات النفوس ١٨٨٤ - ١٩١٧ للضريبة والخدمة العسكرية، ويبلغ عددها ٤٥٠ دفترا سجلت فيها النفوس (إحصاءات سكانية).

سجل رقم ٤٧، مجموعة وثائق من القنصلية الألمانية في فلسطين ١٨٤٢ - ١٩٣٩ وتتناول تقارير ومخابرات ورسائل القنصلية الألمانية في القدس ويافا وحيفا، إضافة إلى ملفات شخصية.

سجل رقم ٧٥، سجلات المحكمة الشرعية في القدس، وقد أفردناها مع الوثائق الفلسطينية.

سجل رقم ١/١٢٣، مجموعة من الوثائق من القنصلية البريطانية. جوازات سفر لتسهيل الهجرة، والحماية البريطانية لتسهيل الاستيطان والحيل القانونية لانتقال الأراضي الميرية العثمانية إلى اليهود.

سجل رقم ١٥١، مجموعة وثائق من القنصلية النمساوية في القدس ١٩٠٣ - ١٩٣٧ (جوازات سفر، تأشيرات، قتلى الحرب من النمساويين والمقابر النمساوية في فلسطين).

أوراق خاصة Private Papers:

- من سجل ٧٢ - ١٥٣، وبلغ عددها ٨٢ ملفا أوصندوقا، منها أوراق أبا إيبان، وزير خارجية دولة الكيان الصهيوني، ياكوف هرتزوج، دوف جوزيف.

- كما أصدرت وزارة الخارجية ٤ مجلدات من الوثائق عن السياسة الخارجية لإسرائيل تحت عنوان:

Documents on the Foreign
Policy of Israel (DFPI)
May - September, 1948

ومترجمة إلى اللغة الإنجليزية:

Volume1 : 14 May - 30 September 1948
Edited by Yehoshua Freundlish
Jerusalem, 1981

ويشتمل على ٥٥٨ وثيقة عمل بها:

محرر عام: Yehoshua Frundlish

ومحررون هم كل من:

Joseph Avner
Michel En Gel
Yemima Rosen Thal

وطبع على مطابع هماكور في القدس (١٩٨١)

Government Printer at Hamakor Press (1981)
Volume 2 : October 1948 - April 1949
Jerusalem, 1984
Volume 3 : Armisti Negotiations with the Arab States

مفاوضات الهدنة مع الدولة العربية

December 1948 - July 1949
Jerusalem, 1983
Volume 4 : May - December 1949
Jerusalem 1986

ويتبع أرشيف وزارة الخارجية، ١٩ دائرة، كل دائرة لها أرشيفها ووثائقها، وما يهمنا منها:

١٣٠,١٥: قسم الشرق الأوسط — 130.15: Middle East Division
٤٣: الحاكم العسكري للقدس — 43: Military Governer of Jerusalem

وفي ملفات أخرى لأرشيف الدولة:

ملفات اللجنة التنفيذية العربية، قسم الزراعة والصيادين، قسم تسجيل الأراضي، قسم

الأراضي، قسم الاستيطان (مكتب مندوب منطقة بيسان، مكتب مندوب منطقة الجليل، مكتب مندوب منطقة حيفا، مكتب مندوب جنين) والمقصود المندوب البريطاني.

ومن الوثائق التي تتعلق بالأراضي وانتقالها إلى اليهود، نذكر:

– Bentwich, Norman. Memorandum on Land Transfer for the Military Governors (1919) Box 3314 file 14

مذكرة بشأن انتقال الأراضي لأغراض عسكرية.

Department of Lands Annual Reports, 1922, 1923, 1924, 1926, 1928, 1929, 1931, and 1930 :

تقارير سنوية من قسم الأراضي محفوظة في مكتبة دولة الكيان الصهيوني ISA Library

– Dowson, Ernest : - Notes on Land Tax, Cadastral Survey and Settlement. (n.d.) ISA 065/file 02059

- Preliminary study of Land Tenure in Palestine
(1924) ISA. Box 3571/file

– Land Policy in Palestine (1932) ISA. Box 3552/file 3 Land Tax Committee Report for (1932) ISA Box 3372/file 18/33

– Lowick, F. G. : - Memorandum on Land Settlement in Palestine

مذكرة بخصوص الاستيطان في فلسطين (١٩٢٦)

- Notes on the Drayton (Land Registration) n.o. ISA,
L5274/file 2

مذكرة بشأن تسجيل الأراضي

– Mills, Eric, An Inquiry into Municipal Government in Palestine (1926) ISA. Box. M10.

استقصاء في الشؤون البلدية في فلسطين

– Palestine Land Department, Memorandum on the Reoponing on Land Registries 1919 - 1920, ISA, Box 3314/file 14

– قسم أراضي فلسطين: إعادة فتح تسجيل الأراضي

– Questionnaire for the 1929 Commission of Inquiry on Land Matters (1924 - 1930). ISA : Box 3542/file G12

– استفتاء لبعثة ١٩٢٩ لاستقصاء أمور الأراضي

Report by the committee on state Domain on the Ghor Mudawara Agreement,

2 December 1940 ISA. Box 3548/file 4

- تقرير: عن وضعية ملكية أراضي (غور المدورة)

اتفاقية ٢ ديسمبر ١٩٤٠

- Report of the Committee to Advise on the protection of Agricultural Tenants (1927) ISA. Box 354 file G 612

تقرير: لجنة حماية المستأجرين للأراضي

- Rizk, Amin. Memorandum on the land Transfer, Ordinance to the Director of Land Registry (1921) ISA. Box 3314 file 16

مذكرة: بشأن تحويل الأراضي، تعليمات إلى مدير تسجيل الأراضي

- Remarks on a Note of the Governor of Samaria on werko and Land Registry . (Feb. 1923) ISA. AG Box 755/L3/79/23

إشارات لحاكم السامرة بشأن ضريبة الويركو وتسجيل الأراضي

- StrickLand, C.F. Summary Relief of indebted Cultivators (1933) ISA., Box 3891 file 2.

ملخص فسحة فرج للمزارعين المديونيين

- Stubbs, J.N. Memorandum on Surcoclc(سرسق) Lands (1921) ISA. Box 3544/ file. 21

مذكرة: بشأن أرض آل سرسق

- Memorandum on Land in Palestine (Jan. 1930) ISA, Box 3542 file. G.

مذكرة: بشأن الأرض في فلسطين.

ومن أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، IDFA الوثائق التالية:

- IDFA 500/48/2910, April, 1948

Carmel to brigades districts, 31October1948

- IDFA 5942/49/725, May, 194

- تقرير عن حرب ١٩٤٨ غير موقع من كرمل إلى كتائب المقاطعات.

- IDFA 5245/49/37213, April, 1948

- تقرير عن مذبحة دير ياسين التي وقعت في ٩ أبريل ١٩٤٨

- IDFA 500/48/2910, April, 1948

Report on Conquest of Deir Yassin by Eliezer.

- تقرير عن غزو دير ياسين.

ومن أرشيف الهاجاناه (RG)

- Tzuri to tene (Ayin). 25 May 1948, 105 - 105 - 126

تقرير عن معركة العين في الملف نفسه، تاريخه 17 June 1948

30 June 1948

معركة المالكية مع الجيش اللبناني RG. 105 - 126, 29 May 1948

الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ (الرواية الإسرائيلية الرسمية) ترجمة عن العبرية: أحمد خليفة، وراجع الترجمة، سمير جبّور، نشر، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكويت - جامعة الكويت، ١٩٨٩م.

الرواية مأخوذة من كتاب «تاريخ الهاجاناه» الذي يقع في ثمانية مجلدات (المجلد الثاني، الكتاب الخامس والكتاب السادس من القسم السادس)، الصادر سنة ١٩٦٤م.

يعتبر هذا الكتاب بتفاصيله الدقيقة واستناده إلى وثائق وتقارير أرشيفية رسمية وغير رسمية، وشهادات، وتصريحات للمسؤولين السياسيين والعسكريين الصهيونيين، المرجع الأساسي باللغة العبرية، في ما يتعلق بالنشاطات العسكرية الصهيونية في فترة الانتداب البريطاني في فلسطين.

إن أحداث هذه الفترة (١٩٣٦ - ١٩٣٩) هي التي حسمت مصير فلسطين، ففيها ضُرِبَت الحركة الوطنية الفلسطينية وشُتِّتت قواها السياسية وحُطِمَت قوتها العسكرية، ومن جهةٍ أخرى جرى تعزيز القوة السياسية والعسكرية لمجتمع المستوطنين اليهود في فلسطين، وذلك بسبب الآلة العسكرية الضخمة لبريطانيا، التي استخدمتها للقضاء على الثورة واستخدمت أسلحتها البرية والجوية، ومختلف أنواع السلاح الثقيل والخفيف ضد الفلسطينيين، وفرض العقوبات الجماعية ضد المدن والقرى والبلدات والنفي والتشريد للوطنيين الفلسطينيين، وكان التعاون العسكري بين بريطانيا والحركة الصهيونية تاما، من حيث تسليح اليهود وحماية المستوطنات والمشاركة في الحرب الفعلية ضد الثوار، وسياسة التخريب والتدمير للمرافق الحيوية الفلسطينية، فقد تشكلت لليهود قوات الخفارة، والوحدات الليلية وسرايا الميدان، وأقيمت تشكيلات عسكرية كبيرة، وأصبح مصير البلد محصورا بين مجتمع المستوطنين اليهود المدعوم بكل الوسائل والمساعدات العسكرية البريطانية والشعب الفلسطيني، ولذلك حين أعلنت بريطانيا عزمها على التخلي عن الانتداب والانسحاب من البلد سنة ١٩٤٨، كانت المواجهة غير متكافئة وانتهت بهزيمة الشعب الفلسطيني وقوات الدول العربية في ميدان القتال.

ومن أرشيف بن جوريون، نورد الوثائق التالية:

Ben - Gurion Archive (BGA) Sde Boker

نشر العديد من مقتنيات الأرشيف، ومنها حسب تواريخ نشرها:

«البصيرة والوفاء» Vision and Fulfillment:

(Hebrew) 5 Vol. Tel Aviv, A moved 1958

رسائل إلى بيولا (ابنته) Letters to Paula, London : Vallentine, Mitchell, 1971:

– ذكريات Memoried (Hebrew) 4 Vol. Am ovid, 1971 - 1974 - My Talks with

محادثاتي مع القادة العرب Arab Leaders, Jerusalem, Keter Books, 1972

– تاريخ شخصي. A personal History, Tel Aviv - Saba Book, 1973

– حرب الاستقلال، يوميات الحرب من ١٩٤٨ – ١٩٤٩ (بالعبرية) – : War Diary

محرران 3 Vols., Cershon Rivlin and Elhanan orren,

وزارة الدفاع Tel Aviv, 1982,

The First Prime Minister (Selected Documents) 1947 - 1963

بن جوريون، ديفيد، يوميات الحرب، تحرير غيرشون ريفلين والحانان أورن، ترجمة عن العبرية سمير جبور، بيروت ١٩٩٣.

حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨

«الرواية الإسرائيلية الرسمية»

ترجمه عن العبرية: أحمد خليفة

راجع الترجمة: سمير جبور

بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤م

مأخوذة من مصدرين:

الأول: تاريخ الهاجاناه الذي وضعه في ثمانية مجلدات تغطي الفترة من ١٩١٩ – ١٩٤٨، الكاتب والمؤرخ الصهيوني يهودا سلوتسكي، وأشرف على تحريره هيئة من المؤرخين والخبراء «وقد ترجم الجزء الثامن والجزء التاسع من القسم الثاني، المجلد الثالث، ويبحثان في دور الهاجاناه خلال الحرب والاستعدادات العسكرية والسياسية الصهيونية منذ صدور قرار التقسيم، نوفمبر ١٩٤٨، حتى إعلان قيام إسرائيل مايو ١٩٤٨» (من ص ١١٩٣ – ١٦٠٠).

الثاني: كتاب حرب الاستقلال الذي وضعه فرع التاريخ في الأركان العامة للجيش الإسرائيلي، وقدم له ديفيد بن جوريون، وصدر عن دار النشر معراخوت التابعة للجيش الإسرائيلي، وترجم منه الجزء المتعلق في تفاصيل الحرب وتطوراتها العسكرية منذ يونيو ١٩٤٧ حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ (من ص ١٦٥ – ٣٧٠).

وفيهما الكثير من الوثائق والتقارير الأرشيفية والشهادات والتصريحات للمسؤولين العسكريين الصهيونيين.

الكتاب يورد تفاصيل عديدة لبرامج الصناعة العسكرية والأسلحة، التي كانت تُصنَّع في المصانع المحلية، إضافة إلى الصفقات الضخمة لشراء الأسلحة من الخارج، وأسواق الوطن العربي حتى لا تسقط هذه الأسلحة في الأيدي الفلسطينية، والحيلولة دون تسلم الدول العربية للسلاح الذي تشتريه من الخارج.

ومنها تقارير عن معدات عسكرية من طائرات أرسلت لليهود من أمريكا، و٥٠ مجنزرة من أمريكا بدعوى أنها معدات زراعية، وأسلحة أخرى تتدفق من فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، ومنها شراء ٢٠ طائرة من بريطانيا اشتريت بمبلغ ٨٥٠٠ جنيه.

ومن تشيكوسلوفاكيا: البنادق والرشاشات والذخائر، و٢٥ طائرة ميسرشميدت Messer Schmindt ألمانية، ومدافع مضادة للطائرات من فرنسا، و٥٠ مدفع ميدان، وهذا قليل من كثير.

وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ - ١٩٣٩)

أولا - من أوراق أكرم زعيتر:

أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - ١٩٧٩.

يضم المجلد ٥٦٦ وثيقة، في معظمها مذكرات، وخطابات، واحتجاجات، وردود وعرائض، وإعلانات، ونداءات، ومقابلات، ومقررات، ورسائل، ومطالب، وبرقيات، وبلاغات رسمية، وبيانات، وبلاغات للمجاهدين الثوار (الثورة العربية الكبرى).

- ١٩١٨ مذكرة من الجمعية الإسلامية - المسيحية في يافا، إلى الجنرال اللنبي، احتجاجا على مطامع اليهود وعرضا لمطالب العرب.
- ١٩١٨/٥/٨ خطاب وايزمن في يافا، ورد القاضي راغب أبو السعود الدجاني.
- ١٩١٨/١١/٢ مذكرة من الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا، إلى الجنرال كلايتون، احتجاجا على تصريحات صهيونية وبريطانية.
- ١٩١٨/١١/١٤ مذكرة من الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا، إلى الحاكم العسكري في الذكرى الأولى لدخول الإنجليز للمدينة.
- ١٩١٩/١/١١ مذكرة احتجاج من وجهاء نابلس إلى مؤتمر الصلح في باريس ودول الحلفاء.
- فبراير ١٩١٩ تقرير تاريخي وسياسي من المؤتمر العربي الفلسطيني الأول إلى مؤتمر الصلح في باريس.
- ١٩١٩/٢/٢٣ مذكرة احتجاج من سكان مدينة نابلس، إلى الأمير فيصل في مؤتمر الصلح، على كل اتفاق يعطي اليهود حقوقا في فلسطين.
- ١٩١٩/٤/٢٤ إعلان الحاكم العسكري بشأن إرسال لجنة الاستقصاء والتحقيق (كنغ

- كراين) والتفويض إلى الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس، التحدث باسم السكان أمام اللجنة.
- مايو ١٩١٩ نداء المنتدى الأدبي في القدس من أجل الاحتفاظ بالأرض.
- فبراير ١٩٢٠ مقررات المؤتمر الفلسطيني العام في دمشق.
- ١٩٢٠/٣/٩ الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا تطالب الحاكم العسكري بإنشاء فرقة مسلحة من العرب.
- ١٩٢١ تقرير عن الأوضاع في البلاد إثر اضطرابات يافا.
- ١٩٢١/٢/١٨ قرار أهالي الغور لحماية الأرض في اجتماع وطني خاص.
- ١٩٢١/٥/٢ البلاغ الرسمي الأول عن اضطرابات يافا.
- ٢٣و١٩٢١/٥/٢٧ مذكرة احتجاج من الجمعية الإسلامية في يافا، إلى الحاكم العسكري على وصول عدد من المهاجرين اليهود، وجواب الحاكم.
- ١٩٢١/٦/٢٥ نص المقابلة بين المندوب وأعضاء الوفد العربي الفلسطيني إلى لندن
- ١٩٢١/٨/١٦ وزير المستعمرات يطلب من الوفد العربي الفلسطيني في لندن المحافظة على سرية المقابلات.

٨/١٩ - ١٩٢١/٩/٣ الرسائل المتبادلة بين الوفد العربي الفلسطيني في جنيف واللورد بلفور

- ١٩٢١/٩/١ مذكرة من الوفد العربي الفلسطيني إلى وزير المستعمرات برفض المشاريع المقترحة للمجلس التشريعي.
- ١٩٢١/١٠/١٣ مذكرة احتجاج من الجمعية الإسلامية والنادي العربي في القدس إلى المندوب السامي على تصريح رئيس الجمعية الوطنية اليهودية بالدعوة إلى الحرب.
- ١٩٢٢/٢/١٦ رسالة من الوفد العربي الفلسطيني في لندن إلى وزير المستعمرات بشأن تكرار تهريب اليهود للسلاح.
- ١٩٢٢/٤/١٨ برقية من الوفد العربي الفلسطيني في لندن إلى الرئيس هاردنج في واشنطن.

١٩٢٢/٥/٢٧ قضية جسر المجامع.

- ١٩٢٢/٦/١٤ مذكرة من وديع البستاني، ممثل أهالي غور بيسان إلى المندوب السامي بشأن التعديلات الحكومية على اتفاقية بيسان.
- ١٩٢٢/٧/١٧ مذكرة من الوفد العربي الفلسطيني في لندن إلى مجلس عصبة الأمم يطالب فيها باستقلال فلسطين.
- ١٩٣٠/٤/٣١ البلاغ الرسمي بأحكام الإعدام الصادرة في إثر اضطرابات أغسطس ١٩٢٩ .

- ١٩٣١/٦/٢٩ رسالة احتجاج من رئيس اللجنة التنفيذية العربية إلى المندوب السامي على تسليح اليهود.
- ١٩٣٤/١٢/٤ رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى أكرم زعيتر بشأن لقائه رئيس اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية في جنيف.
- ١٩٣٥/١١/٢٠ البلاغ الرسمي الأول عن معركة يعبد بين جماعة القسام و البوليس البريطاني.
- ١٩٣٥/١١/٢٠ رسالة صحافية عن معركة يعبد يتحدث فيها المجاهد الجريح نمر حسن السعدي.
- ١٩٣٦/٤/١٦ البلاغات الرسمية عن بدء الاضطرابات في أبريل ١٩٣٦.
- ١٩٦٣/٥/٢ رسالة من أمين سر اللجنة العربية العليا إلى اللجان القومية بشأن الامتناع عن دفع الضرائب.
- ١٩٣٦/٥/٢٢ رسالة من الأمير عبدالله إلى المندوب السامي السير آرثر واكهوب.
- ١٩٣٦/٨/٢٦ رسالة من الأمير عبدالله إلى رئيس اللجنة العربية العليا بشأن عزم الملوك والمسؤولين العرب على العمل من أجل القضية الفلسطينية.
- نوفمبر ١٩٣٦ برقية من الملك عبدالعزيز، إلى اللجنة العربية العليا بشأن قراراها بمقاطعة اللجنة المشتركة.
- ٦/ ١/ ١٩٣٧ بيان اللجنة العربية العليا بالاستجابة لوساطتي الملك عبدالعزيز والملك غازي وإعلان الاتصال باللجنة الملكية.
- ١١ - ١٩٣٨/١/١٦ تقارير عن عمليات فصيل طارق بن زياد ضد المستعمرات.
- ١٩٣٨/١/١٩ رسالة من صفد تتضمن تقريرا عن عمليات المجاهدين وأخبارهم في الشمال.
- ١٩٣٨/٢/٢٣ بلاغ المندوب السامي بالمكافآت المالية لكل من يساعد السلطة في القبض على المجاهدين.
- أبريل ١٩٣٨ رسالة وداع من المجاهد السجين عبدالمجيد رجا إلى أبناء وطنه، في إثر صدور الحكم عليه بالإعدام.
- ١٩٣٨/٥/٢٣ بلاغ من القيادة العليا لجيش الثورة الفلسطينية.
- ١٩٣٨/٦/١٠ رسالة من الأردن تتضمن تقريرا عن الإضرابات في مدن عمان والسلط والكرك والطفيلة ومعان استنكارا لقدوم اللجنة الفنية للتقسيم.
- ١٩٣٨/٧/٢٠ رسالة وداع من المجاهدين محمد محمود أحمد حسين إلى والده في إثر تصديق الحكم عليه بالإعدام.
- ٢٥ - ١٩٣٨/٨/٣٠ تقارير عن أعمال المجاهدين في اللواء الشمالي.

- ١٩٣٨/١١/٢٠ بيان آل الخطيب في قرية رأس الأحمر عن قيام السلطة بنسف المنازل والمحلات.
- ١٩٣٨/١١/٢٩ رستم حيدر يرد على وزير المستعمرات بشأن علاقة الملك فيصل بفلسطين.
- ١٩٣٨/١٢/٢٤ رسالة من طولكرم عن الاعتقالات وأعمال المجاهدين.
- ١٩٣٨ - ١٩٣٩ تقرير عن تنكيل القوات البريطانية بقرى المغاربة في الشمال.
- ١٩٣٩/١/٢ بلاغ من ديوان الثورة العربية عن عمليات المجاهدين ضد الدوائر الحكومية والقوات البريطانية.
- ١٩٣٩/٣/١٦ البلاغ الأول من قيادة الثورة العربية الكبرى في شرق الأردن عن عمليات المجاهدين الأردنيين ضد القوات البريطانية في منطقتي إربد وعجلون.
- ١٩٣٩/٥/٣٠ بيان اللجنة العربية العليا ردا على الكتاب الأبيض وفي الملحق.

١٩٤٨ تقرير عن المناطق التي احتلها اليهود من فلسطين.

١٩٤٨/١/٢٥ رسالة من قائد الجهاد المقدس، عبدالقادر الحسيني، يدعو فيها المقاتلين العرب إلى التجمع في مناطق القتال.

- ١٩٤٨/١٠/٢ قرار المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة بالطلب إلى الحكومات العربية بإبقاء جيوشها في فلسطين.
- ١٩٤٩/١٠/١٧ مذكرة احتجاج من حكومة عموم فلسطين إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية على عدم دعوتها إلى حضور دورة المجلس الحادية عشرة.
- ١٩٣٠/٦/١٦ وصية الشهيد فؤاد حجازي قبيل إعدامه.
- ١٩٣٦/١١/٢١ الإعلان الصادر عن قوة بوليس فلسطين بمنح الذين يتقدمون بمعلومات تؤول على إلقاء القبض على المطلوبين بمكافآت مالية.
- ١٩٣٩/١/١١ بيان من القائدين أبو إبراهيم (خليل عيسى) وعبدالرحيم الحاج محمد ضد خروج حزب الدفاع على إرادة الأمة العليا.
- ١٩٤٨/١٠/١ إعلان استقلال فلسطين في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة.

ثانيا: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ - ١٩٣٩

يوميات أكرم زعيتر، بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - ١٩٨٠م

كتب أكرم زعيتر في مستهل يومياته: منذ شرعت أعي ما يُراد لوطني فلسطين العربية من شر، ومنذ شعرت في صدر الفتوة بأن واجبا وطنيا عليّ أن أؤديه، وهو شعور أضمره في نفسي بيت فيه نشأت، ومدرسة وطنية عنها أخذت، وبلد باسل إليه اعتزيت، وبدأ يتجلى دعوة

وعملا، لم أبرح أحتفظ بما وقع في يدي من أوراق تتصل بالقضية التي تملكتني... إلخ.

واليوميات هي وثائق خمس سنوات ١٩٣٥ - ١٩٣٩، منذ عاد صاحب اليوميات من بغداد إلى فلسطين وانخراطه في العمل الوطني، ويعرض في يومياته للرسائل التي تلقاها من شخصيات وطنية أمثال عبدالقادر المظفر ورشيد الحاج إبراهيم وممدوح السخن وواصف كمال وغيرهم، ومن أهم الأحداث التي تسجلها اليوميات:

- ١٩٣٥/٨/١٥ زيارة الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود لمدينة نابلس.
- ١٩٣٥/١٠/١٩ تهريب كميات هائلة من الأسلحة والذخائر الحربية إلى اليهود في شحنة ضخمة من صناديق الإسمنت آتية من بلجيكا إلى ميناء يافا فتل أبيب، وهيجان وغليان في فلسطين إزاء ذلك.
- ١٩٣٥/١١/١ الحفلة التأبينية الكبرى للمصلح الإمام محمد رشيد رضا.
- ١٩٣٥/١١/٣ العزم على الإضراب العام.
- ١٩٣٥/١١/٢٠ الثورة القسامية، استشهاد الشيخ عزالدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين وخطيب مسجد الاستقلال في حيفا.
- ١٩٣٥/١١/٢١ تشييع جنازة الشيخ عز الدين القسام.
- ١٩٣٥/١١/٢٩ زيارة السجن العمومي في عكا والالتقاء بالشباب المعتقل.
- ١٩٣٦/١/٢٤ الإضراب العام في سورية، والدعوة إلى تنظيم المقاومة ضد الاحتلال والانتداب الفرنسي في سورية.
- ١٩٣٦/٤/١٦ شرارة الثورة في فلسطين.
- ١٩٣٦/٤/١٧ بدء الحوادث والاضطرابات، يافا وتل أبيب ونابلس وطولكرم، وتشكيل اللجان القومية.
- ١٩٣٦/٤/٢٠ الإضراب العام حتى تقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- ١٩٣٦/٤/٢٦ تشكيل اللجنة العربية العليا وممارستها لمهامها الوطنية.
- ١٩٣٦/٥/١ مظاهرات الطالبات في نابلس.

اقتراح العصيان المدني.

- ١٩٣٦/٥/١٥ بدء العصيان المدني.
- ١٩٣٦/٥/١٩ وزير المستعمرات أعلن في مجلس العموم البريطاني أن الحكومة البريطانية قررت أن توفد لجنة ملكية للتحقيق في أسباب القلق والاضطرابات والمظالم التي يدعيها العرب واليهود.
- ١٩٣٦/٦/١٣ قانون الطوارئ وملحقاته، ومنه الإعدام أو الحبس المؤبد لمن يتعرض لأي خط أو جهاز تلغراف أو مطار أو ميناء أو سكة حديد.

- ١٩٣٦/٦/١٥ معسكرات اعتقال في عوجا حفير وفي صرفند.
- ١٩٣٦/٦/٢٤ معركة نور شمس بين المجاهدين العرب والقوات البريطانية ومعها القوات اليهودية المتحالفة معها.
- ١٩٣٦/٨/٧ اغتيال ضابط المباحث أحمد نايف الذي ساعد في كشف عصبة القسام، ورفض الصلاة عليه أو دفنه في المقابر الإسلامية.
- ١٩٣٦/٨/٢٢ وساطة نوري السعيد، وزير خارجية العراق، بين العرب والإنجليز.
- ١٩٣٦/٨/٢٧ القوات البريطانية تضرب قرية اليامون بالمدفعية الضخمة.
- ١٩٣٦/٩/٢ فوزي القاوقجي يقود الثورة العربية العامة في سورية الجنوبية وبدء العمليات الحربية.
- ١٩٣٦/٩/١٤ تعيين الجنرال ديل القائد العام للقوات المسلحة في فلسطين وشرق الأردن.
- ١٩٣٦/٩/٢٥ معارك في جبع والخليل.
- ١٩٣٦/٩/٢٧ اعتقالات في لبنان ومصادرة أسلحة من متطوعين لبنانيين حاولوا الوصول إلى فلسطين والالتحاق بالثورة.
- ١٩٣٦/١٠/٨ استشهاد القائد سعيد العاص ودفنه في قرية الخضر.
- ١٩٣٦/١٠/١١ نداءات الملكين عبدالعزيز آل سعود وغازي بن فيصل والأمير عبدالله إلى عرب فلسطين بوقف الإضراب، كل واحد أصدر بيانا خاصا به.
- ١٩٣٦/١٠/١٣ المفتي أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا يبرق للملوك والأمير بوقف الإضراب العام.
- ١٩٣٦/١٠/٢٠ محاكمة عصبة القسام.
- ١٩٣٦/١٠/٢٨ فوزي القاوقجي وبعض معاونيه يصلون إلى شرق الأردن، ويستضيفهم الأمير محمد الصالح في مرابعه على نهر الشريعة ريثما يبت في أمرهم.
- ١٩٣٦/١١/٢٠ ٦ رمضان ١٣٥٥هـ تصديقات من محكمة الاستئناف العليا على أحكام الإعدام بحق الثوار.
- ١٩٣٦/١١/٢٦ شهادة وايزمن أمام اللجنة الملكية البريطانية.
- ١٩٣٧/١/٧ شهادة بن جوريون أمام اللجنة الملكية البريطانية.
- ١٩٣٧/١/١٤ شهادة الحاج أمين الحسيني أمام اللجنة الملكية استجابة لوساطة القادة العرب، ابن سعود وغازي، وشهادة عوني عبدالهادي.
- ١٩٣٧/٢/١٧ الأنباء تنقل ترجمة موجزة لشهادة فلاديمير جابوتنسكي زعيم حزب الإصلاحيين الصهيونيين التي أدلى بها أمام اللجنة الملكية بلندن في ١١ فبراير ١٩٣٧م.
- ١٩٣٧/٢/١١ الأنباء توجز شهادة النائب البريطاني ودجوود، وفيها يوضح أن

الخلاف في فلسطين هو في الحقيقة ليس بين اليهود والعرب إنه بين الرعاة الرحل والمستوطنين، إنه خطومة تيس الماعز للمستوطن.

- ١٩٣٧/٣/٢٠ الإمام يحيى بن محمد حميدالدين، إمام اليمن، ومساعدته للثورة في فلسطين.
- ١٩٣٧/٤/١٥ اغتيال الضابط حليم بسطة، المصري القبطي المعروف بشدة ولائه للإنجليز ومقاومته للحركة الوطنية.
- ١٩٣٧/٦/٢٣ استدعت الحكومة البريطانية مندوبها السامي السير آرثر واكهوب إلى لندن للمشاورة في تقرير اللجنة الملكية قبل نشره.
- ١٩٣٧/٧/٧ تقرير اللجنة الملكية والتوصية بالتقسيم، حيث تقسم فلسطين إلى ولايات ومقاطعات تتمتع كل منها بالحكم الذاتي.
- ١٩٣٧/٨/٢٤ مؤتمر في بلودان ولجان عربية للدفاع عن فلسطين.
- ١٧ - ١٩٣٧/٩/٢٠ خطاب المستر إيدن، وزير الخارجية البريطانية، وعرضه سياسة حكومته في فلسطين، وقبول بريطانيا مقترحات اللجنة الملكية واستعداد بريطانيا لإرسال لجنة فنية خاصة إلى فلسطين لوضع خطة مفصلة لمشروع التقسيم وتخطيط الحدود.
- ١٩٣٧/١٠/١ الثورة الكبرى في فلسطين تتجدد. وهروب الحاج أمين الحسيني إلى بيروت بعد عزله من رئاسة الإفتاء.
- ١٠ - ١٩٣٧/١١/١١ إقامة محاكم عسكرية في فلسطين لمحاكمة الثوار وإعدامات.
- ١٩٣٧/١١/٢٨ ١٤ رمضان ١٣٤٦، إعدام الشيخ فرحان السعدي وهو صائم وقد جاوز الثمانين من العمر.
- ١٩٣٨/١/٩م إعدامات الثوار في سجن عكا المركزي وقوافل الشهداء في السجون الأخرى.
- ١٩٣٨/٣/٧ القنصل البريطاني في البصرة يمنع أكرم زعيتر من دخول الكويت
- ١٩٣٨/٤/٩ وصول الجنرال هينج، قائدا عاما جديدا للقوات البريطانية في فلسطين.
- ١٩٣٨/٥/٩ استشهاد القائد عيسى البطَّاط، قائد ثوار جبل الخليل.
- ١٩٣٨/٧/١٦ إعدامات بالجملة.
- ١٩٣٨/١١/١٠ تقرير سري لـ بن جوريون تاريخه ٢٤ أكتوبر ١٩٣٨ أرسله من لندن إلى حزب العمل اليهودي في تل أبيب حول المساعدات العسكرية والإعداد العسكري لخلق دولة يهودية في فلسطين.
- ١٩٣٩/١/٢ احتلال القوات البريطانية للحرم القدسي الشريف ومنع الصلاة فيه

وحتى الأذان.

- ١٩٣٩/١/١٢ مبعدو سيشل من الوطنيين يصلون إلى بيروت لمنعهم من العودة إلى فلسطين.
- ١٩٣٩/١/١٦ الوفد الفلسطيني لمؤتمر المائدة المستديرة في لندن.
- ١٩٣٩/٣/٥ بلاغ رسمي بريطاني نُشِرَ في الجريدة الرسمية يحظر على أي شخص أن يبيع أو يعرض للبيع أو أن يحمل مسدسا من مسدسات اللعب.
- ١٩٣٩/٥/٢١ نشر خلاصات الكتاب الأبيض الصادر عن الحكومة البريطانية.
- ١٩٣٩/٦/٣٠ لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم تستمع إلى بيان المستر مالكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية حول الكتاب الأبيض الذي أقرَّهُ البرلمان البريطاني.
- ١٩٣٩/٨/٢٢ الثورة في مراحلها الأخيرة، والمجاهدون يهربون إلى العراق ووصول المفتي إلى بغداد في ١٩٣٩/١٠/١٦ (٣ رمضان ١٣٥٨هـ).
- ١٩٣٩/١١/٣ انتهت الثورة قتالا وسلاحا ومعارك وغارات.

ثالثا: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني (١٩١٨ - ١٩٣٩) جمع وتصنيف عبدالوهاب الكيالي

بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، وبغداد، جمعية صندوق فلسطين، ١٩٨٠م

الوثائق اعتمدت بصورة أساسية على ملفات الهيئة العربية العليا التي كانت بحوزة الحاج أمين الحسيني، رئيس الهيئة العربية العليا، وعددها ٢٢٠، ومنها نسخ محفوظة في مكتب السجلات العامة بلندن Public Record office، وبعضها نشر في الصحافة العربية والفلسطينية والجامعة العربية، والبعض الآخر ورد في مؤلفات عربية، ومكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت. ومنها الوثائق التالية:

- ١٩١٨/١٢/١٢ احتجاج الفلسطينيين المنفيين على هيئة مؤتمر السلم العام، ووزارة الخارجية البريطانية على الصهيونية والحالة في فلسطين.
- ١٩١٩ /٢/٣ برقية احتجاج من المؤتمر العربي الفلسطيني الأول إلى مؤتمر السلم العام ضد جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود.
- ١٩١٩/٨/٢٠ مذكرة الجمعية الإسلامية ـ المسيحية إلى الحاكم العسكري البريطاني العام برفض فكرة الوطن القومي اليهودي وفصل فلسطين عن سورية.
- ١٩١٩/١١/٨ عريضة الجمعية الإسلامية – المسيحية في يافا المقدمة إلى الجنرال وطسن المدير العام للبلاط حول الهجرة والنوايا الصهيونية في فلسطين.
- ١٩٢٠/٢/١٥ احتجاج الجمعية الإسلامية على تسليم أراضي عرب يافا إلى اليهود

الصهيونيين المستعمرين لقرية عيون قارة ومساحتها تزيد على أربعين ألف دونم، مع أن أصحابها يملكون سندات طابو تثبت ملكيتهم للأرض ولم يبيعوا منها شيئا.

- ١ مايو ١٩٢١ بيان اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي في فلسطين لمناسبة عيد العمال، وجاء في بعض فقراته:

أيها العمال والفلاحون العرب: يعيش معكم العمال اليهود الذين لم يأتوا لاضطهادكم، بل كي يعيشوا معكم، وهم مستعدون للجهاد بجانبكم ضد هؤلاء الأعداء الماليين من اليهود والعرب والإنجليز!

ويضيف: إن البلاد معطلة، لا زرع فيها ولا عمل، ولكن إذا كانت ملكا للذين يحرثونها ويزرعونها ويستثمرونها، فإنها تكفي الجميع! ويختم ولتحي فلسطين السوفييتية!

- ١٩٢١/٨/١٢ مذكرة الوفد العربي الفلسطيني الأول إلى الحكومة البريطانية حول المطالب الوطنية لعرب فلسطين.
- ١٩٢١/١٢/٢٠ احتجاج الجمعيتين الإسلامية والمسيحية بحيفا على تهريب الأسلحة لليهود المقدم للمندوب السامي.
- ١٩٢٢/٧/١٣ برقية الجمعية الإسلامية - المسيحية بيافا حول الإضراب يوم ١٣و١٤ الجاري، احتجاجا على تأييد السياسة الصهيونية وبعض ما جاء فيها «وقد التجأ الوطنيون إلى معابدهم يتضرعون إلى الله بإنقاذهم من الوعد المشؤوم».
- ١٩٢٢/٩/١ بيان اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الخامس حول مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي واستنكار تنفيذ بريطانيا لسياسة الوطن القومي اليهودي.
- ١٩٢٣/٨/١٥ بيان الوفد العربي على عرض المندوب السامي بتشكيل وكالة عربية على غرار الوكالة اليهودية في فلسطين.
- ١٩٢٣/١١/٢٠ رد اللجنة التنفيذية العربية على عرض المندوب السامي بتشكيل وكالة عربية على غرار الوكالة اليهودية في فلسطين.
- ١٩٢٤/٨/٢٥ احتجاج اللجنة التنفيذية العربية على بيع أراضي قرى العفولة خنيفس وجباتا وشطة وسولم التابعة لقضاء الناصرة من قبل ملاكها آل سرسق للصهاينة.
- ١٩٢٤/١٠/٢٨ رد اللجنة التنفيذية العربية على ملاحظات المندوب السامي حول مذكرة اللجنة المرفوعة إلى لجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الأمم في جنيف.

- ١٩٢٧/٥/١١ تقرير اللجنة التنفيذية إلى لجنة الانتدابات في عصبة الأمم وتناول الهجرة اليهودية وتأسيس الحكم الذاتي، واللغة.
- ١٩٢٨/٧/٢٦ مذكرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني إلى المندوب السامي بطلب الحكم النيابي لفلسطين.
- ١٩٢٨/١٠/٨ موقف المجلس الإسلامي الأعلى بشأن حوادث البراق.
- ١ / ١١ /١٩٢٨ بيان لجنة الدفاع عن البراق الشريف إلى المؤتمر الإسلامي المعقود في القدس.
- ١٩٢٩/٨/١٨ مذكرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السابع إلى القائم بإدارة حكومة فلسطين، بشأن حوادث البراق واعتداءات اليهود وموقف الحكومة.
- ١٩٢٩/١٠/٤ وقائع وقرارات المؤتمر النسائي الفلسطيني الأول.
- ١٩٢٩/١١/١٥ تقرير الجمعية الإسلامية في يافا إلى لجنة التحقيق البريطانية.
- ١٩٣٠/٣/١٧ احتجاج الجمعية الإسلامية بحيفا على تهريب السلاح لليهود.
- ١٩٣٠/٤/٢٧ خطاب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في إحدى قاعات مجلس النواب البريطاني.
- ١٩٣٠/٦/١٦ كتاب الشهداء الثلاثة عطا الزير، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي إلى الأمة العربية.
- ١٩٣٠/١٢/٣٠ بيان اللجنة التنفيذية العربية في الرد على الكتاب الأبيض الإنجليزي الصادر في أكتوبر ١٩٣٠ (٣٧ صفحة).
- ١٩٣١/٣/٢٤ بيان من أمناء سر اللجنة التنفيذية حول وايزمن في خداع العرب.
- ١٩٣١/٨/١٧ قرار اللجنة التنفيذية بإعلان الإضراب العام احتجاجا على تسليح المستعمرات اليهودية.
- ١٩٣٢/٤/٢١ احتجاج لجنة ضريبة الأملاك على قرض جديد وإرساله على المندوب السامي.
- ١٩٣٦/٤/٢٩ كتاب اللجنة العربية العليا إلى المندوب السامي حول مطامع اليهود بفلسطين، وتجاهل الحكومة البريطانية حقوق العرب وكيانهم القومي.
- ١٩٣٦/٥/١ نداء اللجنة العربية العليا للاستمرار في الإضراب.
- ١٩٣٦/٥/٢٥ بيان اللجنة العربية العليا عن المقابلة التي جرت مع المندوب السامي ووجوب الاستمرار في الإضراب.
- ١٩٣٦/٨/٢٨ بيان من قيادة الثورة العربية العامة في سورية الجنوبية فلسطين (فوزي القاوقجي).

- ١٩٣٦/٩/٤ بلاغ من القائد العام للثورة العربية في سورية الجنوبية، فلسطين حول تشكيل محكمة الثورة (فوزي القاوقجي).
- ١٩٣٦/١٠/١٠ بلاغ من القيادة العامة للثورة في سورية الجنوبية، فلسطين حول العلميات العسكرية.
- ١٩٣٦/١٠/١١ بيان اللجنة العربية بالدعوة إلى إنهاء الإضراب استجابة لوساطة الحكام العرب.
- ١٩٣٦/١١/١٢ بلاغ من القيادة العامة للثورة في سورية الجنوبية فلسطين إلى عموم المجاهدين، حول وقف أعمال العنف تلبية لنداء الملوك والأمراء العرب. ونزولا على طلب اللجنة العربية العليا في القدس.
- ١٩٣٦/١١/٢٢ بيان من القيادة العامة للثورة العربية في سورية الجنوبية.
- ١٩٣٧/١/١١ مذكرة اللجنة العربية العليا إلى اللجنة الملكية البريطانية، شهادة المفتي الأكبر محمد أمين الحسيني، جمال الحسيني، عوني عبدالهادي، حسين الخالدي، محمد عزة دروزة، عبد اللطيف صلاح فؤاد سابا، المطران جريجوريوس حجار، جورج منصور، وجيه فراج.
- ١٩٣٨/١/١١ رد اللجنة العربية العليا على كتاب وزير المستعمرات.
- ١٩٣٨ بلاغ رقم ٢ من قيادة الثورة العامة حول العمليات الحربية.
- ١٩٣٨/١١/١٥ رد اللجنة العربية العليا على تقرير لجنة وودهيد وبيان الحكومة البريطانية.
- ١٩٣٩/٢/١١ بيان الوفد الفلسطيني في مؤتمر الطاولة المستديرة المنعقد في قصر سان جيمس بلندن.

رابعا: وثائق وردت في كتاب القيادات والمؤسسات السياسية في القدس

١٩١٧ - ١٩٤٨

إعداد بيان نويهض الحوت، ط بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١، ويضم (٧١) وثيقة، منها:

- ١٢ ديسمبر ١٩١٨ احتجاج الفلسطينيين المنفيين على هيئة مؤتمر السلم العام ووزارة الخارجية على الصهيونية والحالة في فلسطين.
- ١١ أكتوبر ١٩٢٣ الرد على بيان فخامة المندوب السامي الذي تلاه على شخصيات عربية دعاها إلى دار الحكومة.
- ٢٥ يناير الفتوى بشأن بيوع الأراضي والسمسرة صادر عن المؤتمر الأول لعلماء الدين في فلسطين.

- ٢٩ أغسطس ١٩٣٦ رسالة من المعتقلين في صرفند إلى اللجنة العربية العليا حول توسط الملوك العرب لإنهاء الإضراب.
- ١٩٣٧ المفتي محمد أمين الحسيني يروي قصة هروبه من فلسطين.
- ١٩٤٦ قرارات مؤتمر أنشاص.
- ١٩٤٧ دور عصبة التحرر الوطني في المجتمع العربي.
- ١٩٤٧ قرارات مجلس جامعة الدول العربية السرية في عاليه
- ١٧ ديسمبر ١٩٤٧ المقررات السرية للحكومات العربية بشأن التقسيم.
- ١٩٤٨ تقرير أمير اللواء الركن إسماعيل صفوت إلى لجنة فلسطين في جامعة الدول العربية عن تدخلات سماحة المفتي.
- ٢١ أبريل ١٩٤٨ شروط الهدنة التي رفضها عرب حيفا
- ١٩٤٨/٥/١٣ وثيقة تسليم يافا
- ١٥ مايو ١٩٤٨ مذكرة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى الأمم المتحدة بشأن تدخل قوات الدول العربية في فلسطين

خامسا: وثائق أصدرتها الجامعة العربية ووزارة الإرشاد القومي بمصر

وكانت جامعة الدول العربية ووزارة الإرشاد القومي بمصر قد أصدرتا مجموعتين من وثائق فلسطين هي:

- ملف وثائق فلسطين، الجزء الأول، من ٦٣٧م - ١٩٤٩م، إعداد وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، ط القاهرة وقع ١٠٦٧ص.

كتاب الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين:

المجموعة الأولى من ١٩١٥ - ١٩٤٦، إعداد جامعة الدول العربية، إدارة فلسطين، ط القاهرة، ١٩٥٧م، وقع في ٤٧٤ص.

كتاب الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين:

المجموعة الثانية ١٩٤٧ - ١٩٥٠، إعداد جامعة الدول العربية، الإدارة العامة لشؤون فلسطين، ط القاهرة، ١٩٧٤، ٦١٤ .

والناظر فيهما لا يرى شيئا فريدا عمَّا جاء في الوثائق الفلسطينية السابقة، وبعضها أخذ من الوثائق البريطانية.

سادسا: الأوراق الخاصة:

كان مركز الأبحاث الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت يحتفظ بأوراق خاصة لشخصيات وطنية قيادية فلسطينية، طبع القليل منها، والباقي استولت عليه القوات

الصهيونية عند غزوها للبنان سنة ١٩٨٢، وحملتها مع ما نهبت من كتب ودراسات ووثائق وملفات ومذكرات. وما زالت أسيرة عند الغزاة، وما طبع منها:

عوني عبد الهادي: أوراق خاصة، إعداد خيرية قاسمية، ط بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٤ .

ومن الأوراق الخاصة التي ما زالت حبيسة:

محب الدين الخطيب، أوراق خاصة.

عزة طنوس، أوراق خاصة.

نبيه العظمة، أوراق خاصة.

المذكرات:

- مذكرات محمد عزة دروزة ١٣٠٥ - ١٤٠٤هـ / ١٨٨٧ - ١٩٨٤

سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرنٍ من الزمن، ستة مجلدات، بيروت، ١٩٩٣ .

- مذكرات حسني صالح الخفش، حول تاريخ الحرة العمالية العربية الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣ .

- مذكراتي من الثورة الفلسطينية الكبرى إلى حرب ١٩٤٨، ذو الكفل عبداللطيف، مدير إذاعة العرب الأحرار في أثينا وبرلين، كان ضابطا فلسطينيا مظليا أرسل مع مجموعةٍ من الضباط الألمان في الحرب العالمية الثانية، ١٩٤٢م، وهبطوا بالمظلات للعمل خلف خطوط العدو، وأسَرَته القوات البريطانية وبقي في السجن طوال ٥ سنوات، حتى تمكَّن من الهرب.

- مذكرات فوزي القاوقجي، ١٩١٤ - ١٩٣٢، إعداد خيرية قاسمية، ط بيروت، ١٩٧٥م.

- فلسطين في مذكرات القاوقجي، ١٩٣٦ - ١٩٤٨، تأليف خيرية قاسمية، ط بيروت، ١٩٧٥م.

- كذا أنا يا دنيا لخليل السكاكيني، القدس، ١٩٥٥ .

- مذكراتي على هامش القضية العربية لأسعد داغر، القاهرة، ١٩٥٩ .

- مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، أحمد مدري، ط دمشق، ١٩٥٦ .

- مذكرات بهجت أبو غربية، ١٩١٦ - ١٩٤٩، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣ .

- مذكرات عبدالله التل، قائد معركة القدس، ط القاهرة، ١٩٥٩ وفيها وثائق من ١٩٤٨/٤/٦ حتى ٢ أبريل ١٩٤٩ وبيانات وتقارير تعود إلى تاريخ ١٩٤٨/٣/١م.

- مذكرات خاصة، جمال الحسيني، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية، مخطوط.

- يوميات خاصة لعبدالله مخلص من ٢١ يناير ١٩٣١ حتى ٣١ أغسطس ١٩٣٩، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، مخطوط.

- ذكريات صحافي مضطهد، هاشم السبع، القدس، ١٩٥١م.
- مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، تحسين العسكري، جزءان، ط بغداد، ١٩٣٦ - ١٩٣٨م.

وثائق التاريخ الاجتماعي والاقتصادي

- سجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية(*)

مصور على ميكروفيلمات (أشرطة) محفوظة في مركز الوثائق، الجامعة الأردنية وهي

تخص مدن فلسطين الكبرى ومنها:

- أريحا: رقم الشريط ٤٨، سجل (١ - ٦) عقود الزواج من ١٩٢٠ - ١٩٤٩م، دفتر ٣٢ (١٩٤٩م).
- جنين: شريط ٧٢، سجل ٧٣، ١٩٣٤ - ١٩٥٢م

شريط ٧٤، (٣٥ - ٣٨) ١٩٢١ - ١٩٤٢م

شريط ٧٥، (٣٩ - ٥٠)، ١٩٤٣ - ١٩٧٤م

ش٨٠، سجل (١١٢)، ١٩٢٠ - ١٩٢٢

ش ٨٢، سجل (١٣٠)، ١٩٢٧ - ١٩٣١

ش ٨٥، (١٨٥ - ١٨٨)، ١٩٢٠ ١٩٣٣

ش ٨٦، (١٨٩ - ١٩٥)، ١٩٣٣ - ١٩٤٦

- حيفا: وثائق اجتماعية واقتصادية وأحوال شخصية:

أحكام، إعلامات، إيرادات، شركات، أوقاف، مراسلات، إعانات، وصاية

حجج، دعاوى، الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام

ش ١٤١ سجل (١١)، ١٩٢٢ - ١٩٢٦م

ش ١٤٢ سجل (١٢ - ٢٥)، ١٩١١ - ١٩٤٤م

ش ١٤٣ سجل (٢٦ - ٢٩)، ١٩٤٦ - ١٩٤٧م

سجل (٣٥)، ١٩٢٦ - ١٩٢٧م

سجل (٣٦)، ١٩٢٧ - ١٩٢٨م

سجل (٣٧ - ٣٨)، ١٩٢٩ - ١٩٣٤

ش ١٤٤ سجل (٣٩ - ٤٨)، ١٩٢٩ - ١٩٤٥

ش ١٤٥ سجل (٤٥ - ٤٦)، ١٩٤٥ - ١٩٤٨

سجل ٤٧

سجل (٤٧ - ٥٢)، (١٩١٩ - ١٩٣٦م)

(*) «ش» ترمز إلى رقم الشريط الميكروفيلمي.

ش ١٤٥ سجل (٥٣ - ٥٨)، (١٩٣٦ - ١٩٤٦م)

ش ١٤٦ سجل (٥٣ - ٥٨)، ١٩٣٦ - ١٩٤١

ش ١٤٦ سجل ٦٠، ١٩٣٦

سجل (٦٢)، ١٩٣٤ - ١٩٣٥

ش ١٤٧: سجل (٦٣ - ٦٦)، ١٩٣٨ - ١٩٤٧

ش ١٤٧ سجل (٦٧)، ١٩١٩

سجل (٦٨)، ١٩٢١ - ١٩٢٣

سجل (٦٩)، ١٩١٥ - ١٩١٦

سجل (٧١)، ١٩٢٨ - ١٩٤٢

سجل (٧٢)، ١٩٤٦

سجل (٧٤ - ٧٦)، ١٩٤٢ - ١٩٤٧

سجل (٧٨)، ١٩٣٦ - ١٩٣٩

سجل (٨٠)، ١٩٤٩

سجل (٨١)، ١٩٣٦

الخليل:

الأمور العامة والإعلامات والأحكام والحجج والوكالات والطلاق وحصر الإرث وقرارات:

ش ١٥٠ سجل (٢٢ - ٢٦)، (١٩١١ - ١٩١٨)

ش ١٥١ سجل (٢٧ - ٣٤)، ١٩١٧ - ١٩٢٤

ش ١٥٢ سجل (٣٥ - ٤٦)، ١٩٢٢ - ١٩٣٢

ش ١٥٣ سجل (٤٧ - ٥٩)، ١٩٣٢ - ١٩٤٣

ش ١٥٤ سجل (٦٠ - ٧٢)، ١٩٤٣ - ١٩٤٨

طولكرم: عقود زواج:

من ٢٥٠ سجل (١ - ١١)، ١٩٢٢ - ١٩٤٩

عكا: حجج، إعلامات، أحكام، أوقاف، وخاصة التي استولى عليها اليهود

ش ٢٦١ سجل (١ - ٦)، ١٩١٨ - ١٩٢٢

ش ٢٦٢ سجل (٧ - ٨)، (١٩٤٨ - ١٩٤٥)

نابلس: حجج، إعلامات، شركات، إرث، أوقاف، إيرادات، مراسلات، بلاغات، وكالات، وصايا.

ش ٣٣٩ سجل (١١١ - ١١٦)، ١٩٤٧ - ١٩٤٨

ش ٣٣٧ سجل (٤٦ - ٤٧)، ١٩١٣ - ١٩١٦

ش ٣٣٤ سجل (٥٢ - ٥٧)، ١٩١٦ - ١٩٢٣

ش ٣٣٥ سجل (٥٨ - ٩٦)، ١٩٢٢ - ١٩٢٦ - ١٩٢٧

ش ٣٣٦ سجل (٧٠ - ٨٤)، ١٩٢٦ - ١٩٣٦

ش ٣٣٧ سجل (٨٥ - ١٠٩)، ١٩٣٥ - ١٩٤٨

الناصرة وطبريا:

ش ٤١٠، سجل ٤١١ (١٩٢١ - ١٩٥٠)

ش ٤١٦، سجل (١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٦٧) (١٩٣٤ - ١٩٣٧)، ١٩٢٥ - ١٩٤٦

يافا: حجج، إعلامات اللد والرملة، حاصلات، دعاوى، ضبط، نفقات، وصايا، عقود إيجار، إيرادات، مواريث، إدانات، صندوق أموال القضاء/يافا، وخاصة اللد والرملة، أوراق المجلس الإسلامي الأعلى، سجل وثائق ١٣٥١هـ

ش ٤٤٢ سجل (١٦٥)، ١٩١٤ - ١٩١٥

ش ٤٤٣ سجل (١٦٦ - ١٩٢)، ١٩١٤ - ١٩٢٠

ش ٤٤٥ سجل (١٩٣ - ٢٠٤)، ١٩٢٠ - ١٩٢٢

ش ٤٤٦ سجل (٢٠٥ - ٢١٥)، ١٩٢٢ - ١٩٢٥

ش ٤٤٧ سجل (٢١٦ - ٢٢٩)، ١٩٢٥ - ١٩٢٧

ش ٤٤٨ سجل (٢٣٠ - ٢٤٢)، ١٩٢٧ - ١٩٣١

ش ٤٤٩ سجل (٢٤٣ - ٢٥٤)، ١٩٣٢ - ١٩٤٦

ش ٤٥٠ سجل (٢٥٥ - ٢٦٦)، ١٩٣٣ - ١٩٣٧

ش ٤٥١ سجل (٢٦٧ - ٢٧٩)، ١٩٣٧ - ١٩٤٠

ش ٤٥٢ سجل (٢٧٩ - ٢٨٩)، ١٩٤٠ - ١٩٤٢

ش ٤٥٣ سجل (٢٩٠ - ٢٩٧)، ١٩٤٢ - ١٩٤٤

ش ٤٥٤ سجل (٢٩٨ - ٣٠٨)، ١٩٤٣ - ١٩٤٥

ش ٤٥٥ سجل (٣٠٩ - ٢٢١)، ١٩٤٥ - ١٩٤٧

سجلات محكمة القدس الشرعية

شريط (ميكروفيلم يضم ٦٢٦ سجلا)

(٦٢ - ٧٢) ١١ شريطا

ما بين ١٩١٧ و ١٩٤٩

حجج شرعية، وكالات، أحكام، إعلامات، إدانات، صندوق الأيتام، قرارات محكمة الاستئناف، إرث، طلاق.

ش ٦٢ سجل (٤١٥ - ٤١٦)، ١٩١٧ - ١٩١٩

ش ٦٣ سجل (٤١٧ - ٤٢٢)، ١٩١٧ - ١٩٢١

ش ٦٤ سجل (٤٢٣ - ٤٣٠)، ١٩٢١ - ١٩٢١
ش ٦٥ سجل (٤٣١ - ٤٤٠)، ١٩٢٢ - ١٩٢٦
ش ٦٦ سجل (٤٤١ - ٤٥١)، ١٩٢٧ - ١٩٣٨
ش ٦٧ سجل (٤٥٢ - ٤٦١)، ١٩٣٠ - ١٩٣٣
ش ٦٨ سجل (٤٦٢ - ٤٧٣)، ١٩٣٣ - ١٩٣٨
ش ٦٩ سجل (٤٧٩ - ٤٨٥)، ١٩٢٩ - ١٩٤٢
ش ٧٠ سجل (٤٨٦ - ٤٩٧)، ١٩٣٦ - ١٩٤٨
ش ٧١ سجل (٤٩٨ - ٥٠٩)، ١٩٤٣ - ١٩٤٦
ش ٧٢ سجل (٥١٠ - ٥٢٠)، ١٩٤٣ - ١٩٤٨
ش ٧٢ سجل (٥٢١)، ١٩٤٩ - ١٩٥٠

الدول العربية ووثائق القضية الفلسطينية

ما نُشِرَ من وثائق الدول العربية المتصلة بالقضية الفلسطينية لا يعتد به لأسباب لا نحبذ الخوض فيها، فهي معروفة لكل مشتغل بعلم الوثائق، ولعل عدم إدراك بعض القيادات لأهمية فتح الأرشيفات للباحثين والدارسين، وإحكام إيصاد الأبواب بدرجةٍ عاليةٍ من الحذر والخطر يجعل الباحث والدارس ينأى بنفسه عن الاهتمام بما تقتنيه دور الوثائق والأرشيفات العربية.

غيرَ أن بعض الدول العربية وتحت ضغط مثقفيها الذين تخرجوا في الجامعات الغربية الأوروبية والأمريكية أو استكمالا لصورتها كدولةٍ متحضرة، تُقدِّر وتحترم متطلبات ومتغيرات العصر. لذا فقد أنشأت العديد من دور الوثائق وأودع فيها شيء من وثائقها الخاصة، التي غالبا ما نُشِرَت في الصحافة المحلية أو العربية أو الأجنبية. وأما الوثائق السياسية ذات الأهمية القصوى، فقد أضفت عليها طابع السرية أو الغاية في السرية، وظلَّت حبيسة في خزائن الدواوين أو قُيِّدَت بسلاسل أجهزة المخابرات ما أكثرها: أو أنها تلفت أو أُتلِفَت.

إن كل ما حصلنا عليه من وثائق عائدة إلى أنظمة الدول العربية كان من دور الوثائق والأرشيفات الأوروبية باستثناء الدول الأوروبية ذات الأنظمة الشمولية، التي تتساوى أو تتفوق على أنظمة الدول العربية في هذا الجانب. وكذلك عدا بعض الوثائق المحدودة العدد التي أصدرتها المملكة العربية السعودية ومصر على حد علم الباحث، ويظل المنشور مدرجا في باب النادر أو أنه «أندر من الكبريت الأحمر»، كما جاء في الأمثال العربية.

إن عنايتي بهذا النوع من الوثائق ما كان إلا محاولة لفتح الباب أمام الباحثين والدارسين لطرح «موضوع الوثائق» في دور الوثائق والأرشيفات العربية، وكسرا لحاجز الخوف عند القادة

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

والزعماء من الباحثين والدارسين. وعليه فإني سأعرض لوثائق المملكة العربية السعودية التاريخية الخاصة بالقضية الفلسطينية.

وثائق المملكة العربية السعودية (القضية الفلسطينية)

١٣٤٨هـ - ١٣٧٣م (١٩٢٩ - ١٩٥٣م)، طبعت سنة ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

قام فريق عمل من دارة الملك عبدالعزيز بإعداد واختيار وتصنيف ٢٧٦ وثيقة أخذها من مقتنيات مركز الوثائق بالدارة، وبعضها كان من وثائق وزارة الخارجية ومن وثائق وزارة المالية ومن المؤسسات الأخرى والأفراد والأسر داخل المملكة العربية السعودية ومن مراكز الوثائق العربية والأجنبية. ومع أن العمل قام على الانتقاء فإنه يظل مفيدا، وخيرا فعل الفريق بتقديم صور، طبق الأصل للوثائق. إذ يستطيع الباحث، الذي يملك منهجية البحث التاريخي الناقد، الاستفادة بموضوعية مما ورد فيها، ومن نماذجها:

- خطاب موقع من وجهاء حماة بسورية لجانب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. بواسطة صاحب السعادة قنصله بدمشق، تاريخه ١٣٤٨/٣/٢٤هـ، ١٩٢٩/٨/٢٩م (احتجاج واسترحام لوضع حدٍّ للفظائع اليهودية الصهيونية في فلسطين).

- خطاب أرسله الوكيل في وكالة مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في سورية ولبنان إلى وكيل مدير الشؤون الخارجية، رقم ٨٣ خاص - عام ٣٤٤ تاريخه ٣ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ الموافق ٧ سبتمبر ١٩٢٩. يتناول تأثير الدعاية الصهيونية في العالم الغربي وأمريكا في أحداث سنة ١٩٢٩م، ويشير إلى دور اللجنة التنفيذية للجمعيات الإسلامية والوطنية في فلسطين - التي تقيم في شارع المدابغ بالقاهرة - في مقاومة الدعاية الصهيونية والتصدي لها.

- حول تكذيب تصريحات حافظ وهبة حول موقف الملك ابن السعود من فلسطين، نشرت التكذيب جريدة انقلاب الهندية، يوم ١٣٤٨/٤/٩هـ، الموافق ١٩٢٩/٩/١٢م بناء على برقيةٍ تلقاها رئيس تحرير الجريدة من وزير خارجية الحجاز ونجد وفيها: إن الإذاعة (الإشاعة) القائلة إن خطة الملك ابن السعود هي ضد مسلمي فلسطين العرب، فذلك من بواعث الضحك، إن العالم الإسلامي بأجمعه يعطف على أهالي فلسطين ويشاركهم في مصائبهم «كما نشرت التكذيب أيضا جريدة زميندار الهندية وجريدة ملت. وكان الشيخ حافظ وهبة قد قال: «إن هيكل سليمان كان في المسجد الأقصى في القدس».

- دعوة الحاج أمين الحسيني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ومفتي الديار المقدسية للأمير فيصل، نائب جلالة الملك المعظم في ١٢ ربيع الأول ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١/٧/٢٧ لحضور المؤتمر الإسلامي في القدس وكلف يوسف ياسين وفؤاد حمزة لحضوره فاعتذرا وكلفا كامل القصاب، ثم تكرار الدعوة ليوسف ياسين وفؤاد حمزة من قبل الحاج أمين الحسيني بتاريخ ٦ رجب ١٣٥٠هـ / ١٩٣١/١١/١٦م.

- رسالة من فؤاد حمزة إلى خير الدين الزركلي بشأن زيارة الأمير سعود بن عبدالعزيز إلى القدس، والتحضير لها بتاريخ ١٣٥٤/٤/٢٣هـ، ١٩٣٥/٧/٢٣م.

- رسالة من الملك عبدالعزيز إلى كامل القصاب بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦/١١/٣م بشأن دعم الملك لقضية فلسطين «ببذل جميع المساعي للمحافظة على السكينة والهدوء ومنع أي اعتداء لأن بهذا سيكون إن شاء النجاح والتوفيق، وأما من جهتنا نحن فلا نزال نسعى لدعم الحكومة البريطانية بكل ممكن، وأملنا أن تنجح المساعي الحميدة».

- خطاب رئيس اللجنة العربية العليا بفلسطين إلى الملك عبدالعزيز بشأن لجنة التحقيق الملكية البريطانية ١٣٥٥/٩/٦هـ، الموافق ١٩٣٦/١١/٢١.

- الموقف الشعبي السعودي تجاه قرار تقسيم فلسطين ١٣٥٦/٥/١٥هـ، الموافق ١٩٣٧/٧/٢٣ «المظاهرات في طول البلاد وعرضها، الإضراب يشمل جميع المتاجر والحرف والأعمال».

- برقية من الملك عبدالعزيز إلى وكيل وزارة الخارجية السعودي إبراهيم بن معمر تتعلق باختيار ممثلي فلسطين في مؤتمر لندن بالتنسيق مع الحكومة العراقية ومع الحاج أمين الحسيني تاريخ ١٣٥٧/١٠/٧هـ، الموافق ١٩٣٨/١١/٢٩.

- برقية من الملك عبدالعزيز تتعلق بتسديد قيمة أسلحة من ألمانيا اشتراها الفلسطينيون، الصفقة: ألف بندقية، ومليون خرطوشة، وخمسون رشاشة. سدد أهالي فلسطين منها سبعة آلاف جنيه إسترليني، وسيدفعها الملك لأهالي فلسطين والباقي ألفان وخمسمائة ستدفع للشركة البائعة تاريخها ١٣٥٨/٧/٦ هـ، الموافق ١٩٣٩/٨/٢١م.

- خطاب المفوض البريطاني في جدة بشأن موافقة حكومة فلسطين على تعيين المملكة العربية السعودية قنصلا لها في فلسطين، بتاريخ ١٣٥٩/١٢/٧هـ، الموافق ١٩٤١/١/٥م.

- قرار بتعيين يوسف الفوزان قنصلا عاما للمملكة العربية السعودية في فلسطين وتحديد موازنة للقنصلية بلغت ٣٦٠ جنيها استرلينيا شهريا وثمن سيارة، تاريخ ١٣٥٩/١٢/٧هـ، ١٩٤١/١/٥م.

- فيلم «سير الزمان» الأمريكي، من أفلام الدعاية الصهيونية، يسيء للعرب، ويثير احتقار الناس لهم ونفورهم منهم ومن قضيتهم تاريخ ١٣٦٤/١٢/٢٩هـ، الموافق ١٩٤٥/١٢/٣م. ومنع الفيلم من دخول المملكة، مع أنه ليس في المملكة سينما.

- نص الحوار الذي دار بين الملك عبدالعزيز ولجنة التحقيق البريطانية الأمريكية في الرياض حول قضية فلسطين بتاريخ ١٣٦٥/٤/١٦هـ، الموافق ١٩٤٦/٣/١٩م.

- خطاب من القنصل العام السعودي إلى معالي وزير الخارجية بالنيابة، تاريخه ٤ ربيع الأول ١٣٦٦هـ / الموافق ١٩٤٧/١/٢٦م، عن الحالة في فلسطين ويتناول التقرير الفقرات

التالية: مقدمة، تأييد فيصل بن الحسين للسياسة الصهيونية، عدد السكان، مساحة الأرض وما يخص العرب منها واليهود، الثروة العامة، النقد المتداول، الأحزاب عند العرب، الإرهاب عند العرب، قتل المدعو فوزي درويش الحسيني (معروف بميوله للتعاون مع اليهود وكان يسمسر لهم على بيع الأراضي) وقتل محمد الزيناتي المعروف بالمتاجرة مع اليهود، وناصر الدين البشيتي الذي أطلقت النار عليه ونجا، والمنظمات اليهودية، وبيع الأراضي لليهود.

- التقرير الثالث للقنصل العام السعودي لمعالي وزير الخارجية بالنيابة، تاريخ ١٣٦٦/٤/١٢هـ الموافق ١٩٤٧/٣/٥م ويتضمن المواضيع التالية:

الانفجار الذي حدث في بناية بنك باركلس في حيفا، الباخرة أولوه أو حاييم أرلوزروف (رئيس القسم السياسي للوكالة اليهودية) وتهريب مهاجرين يهود، حادث نسف نادي الضباط البريطاني، إعلان الأحكام العرفية. مخبأ للأسلحة والمتفجرات في تل أبيب، التنظيم لدى العرب (إنشاء بيت المال العربي)، تنظيم الاقتصاد العربي، قرار انتزاع أراضي قرية قاقون العربية، الحركة العمالية في فلسطين، الهجرة اليهودية.

- وثيقة الطلب المقدم من المملكة العربية السعودية للأمم المتحدة بشأن إنهاء الانتداب على فلسطين وإعلان استقلالها، تاريخ ١٣٦٦/٦/١هـ، الموافق ١٩٤٧/٤/٢٢، قدمه الوزير المفوض أسعد الفقيه بناء على تكليفٍ من حكومته.

- برقية من يوسف ياسين إلى الملك عبدالعزيز تفيد بأنه تمَّ التفاهم مع النقراشي رئيس وزراء مصر للسماح للمتطوعين السعوديين بالوصول إلى فلسطين عبر السويس، تاريخ ١٣٦٧/٣/١٨هـ، الموافق ١٩٤٨/١/٢٩م.

- برقية من الملك عبدالعزيز إلى يوسف ياسين في الجامعة العربية بشأن إرسال المتطوعين السعوديين وعبورهم إلى فلسطين من شرق الأردن إلى سورية، مع ضمان عبدالله بأنه يسمح لهم ولا يعترضهم، تاريخ ١٣٦٨/٣/٢٨هـ الموافق ١٩٤٨/٢/٨م.

- برقية من الملك عبدالعزيز إلى يوسف ياسين حول أهمية بحث موضوع منع دخول الجيش السعودي إلى فلسطين عبر شرق الأردن تاريخ ١٣٦٧/٤/٧هـ، الموافق ١٩٤٨/٢/١٧م.

أسماء الشهداء السعوديين في وقعة المزرعة ١٩٤٨/٢/١٦م عددهم ٩، وصدر البيان عن القيادة العامة لقوات فلسطين بتاريخ ١٩٤٨/٢/٢٦.

- البيان الذي نشر من قبل الرئيس الأمريكي بشأن اقتراح وضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة، تاريخ ١٣٦٧/٥/١٥هـ، الموافق ١٩٤٨/٣/٢٥م.

- خطاب المفوض السعودي في دمشق للملك عبد العزيز بإبلاغه بالاستعدادات لدى اليهود لإقامة دولتهم في السادس عشر من شهر مايو ١٩٤٨، تاريخ ١٣٦٧/٧/٢هـ، الموافق ١٩٤٨/٥/١٠م.

- وصول القوات السعودية المشاركة في حرب فلسطين إلى القاهرة تاريخ ١٣٦٧/٧/١٣هـ، الموافق ١٩٤٨/٥/٢١م.

- قرار مجلس الأمن في جلسته رقم ٣٠٢، بشأن الهدنة في فلسطين، تاريخ ١٣٦٧/٧/١٣هـ، الموافق ١٩٤٨/٥/٢٢م.

- تقرير عن اجتماع الملك عبدالعزيز بوفد مجلس الشيوخ الأمريكي في الطائف، وما دار بشأن قضية فلسطين وقضايا النفط والإعمار في المملكة تاريخ ١٣٦٧/١٢/١٩هـ، الموافق ١٩٤٨/١٠/٢٢م.

الوثائق المصرية:

الحكومة المصرية كغيرها من الأنظمة العربية تتحفظ على وثائق فلسطين في فترة البحث من ١٩١٤ - ١٩٤٨م، ويتمتع بحساسيةٍ مفرطة، إذ لا بُدَّ من الحصول على موافقة جهاز أمن الدولة قبل الولوج إلى بوابة دار الوثائق المصرية، والقرار لا يستثنى عربيا أو أجنبيا، وما صدر من وثائق مصرية لا يتعدى ملفا للعمليات الحربية سنة ١٩٤٨م، وفيه ملف للشهداء واللوحات والخرائط، وجاء بعنوان الملف:

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الحربية سري جدا ومحظور النشر

القيادة العامة للقوات المسلحة رقم الكود:١١ - ٩

٣١٠

وما كان الملف ليصدر لولا أنه دراسة أمر بها مجلس قيادة الثورة كتحقيق عن العمليات الحربية للقوات المصرية المشاركة في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، حيث تشكلت لجنة من العميد محمد لطفي السعيد، والعقيد محمد رفعت حسنين، والعقيد عبد الحميد المهدي وغيرهم من صغار الضباط، وجاء في الملف:

العمليات الحربية بفلسطين عام ١٩٤٨:

الجزء الأول: مقدمة وبدء العمليات حتى الهدنة الثانية، تقارير وخرائط ومذكرات خطية ورسمية كانت عند الفريق عثمان المهدي، رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري، طوال مدة العمليات.

الجزء الأول:

الباب الأول: الاعتبارات السياسية التي حدثت قبل بدء العمليات.

الباب الثاني: المرحلة الأولى من العمليات.

١٥ مايو حتى ٧ يوليو ١٩٤٨، وفرض الهدنة الأولى بعد ١١ يونيو ١٩٤٨ .

الباب الثالث: المرحلة الثانية من العمليات.

٨ يوليو حتى ١٨ يوليو وفرض الهدنة الثانية.

الجزء الثاني:

الباب الرابع: المرحلة الثالثة من العمليات.

١٩ يوليو - ٥ نوفمبر ١٩٤٨ وكانت في معظمها تمهيدا لاستئناف القتال على نطاقٍ واسع.

الباب الخامس: المرحلة الرابعة من العمليات

٦ نوفمبر ١٩٤٨ حتى ١١ يناير ١٩٤٩م.

حيث توقف القتال نتيجة فرض الهدنة الثالثة، والأخيرة في ٧ يناير ١٩٤٩م.

أما الجزء الثاني من الدراسة (المرحلة الثانية من العمليات، فتناول في فصوله من السادس حتى العشرين):

- عمليات القوات الجوية.
- عمليات القوات البحرية.
- الدروس المستفادة من العمليات.
- ملحق بأسماء الضبَّاط الشهداء.
- تنظيم المعركة للقوات البرية.
- مجمل الحوادث.
- عمليات خرق الهدنة.
- الأوضاع العسكرية قبل استئناف القتال، ١٥ أكتوبر ١٩٤٨ والأيام التالية.
- قوات الفالوجا
- الانسحاب من أسدود والمجدل
- إعادة تنظيم القوات.

المرحلة الرابعة للعمليات:

من ٦ نوفمبر ١٩٤٨ حتى ١١ يناير ١٩٤٩

إجراءات مؤتمر رؤساء هيئة أركان الجيوش العربية لبحث الموقف في فلسطين

ثم الفصل العشرون: الموقف العام بالميدان.

من ١٠ نوفمبر حتى بدء عمليات ٥ ديسمبر ١٩٤٨م

ومحاولات فك الحصار عن الفالوجا، ومعارك في الميدان ثم الهدنة الأخيرة ٢٥ فبراير ١٩٤٩م.

والخاتمة: تناولت الدروس الاستراتيجية المستفادة من حرب ١٩٤٨م وفيها: الدروس الخاصة بالعمليات، الدروس الخاصة بالأسلحة الخفيفة، خرائط للعمليات الحربية.

ومن الاعتبارات السياسية، ركز على مذبحة دير ياسين ٩ أبريل ١٩٤٨م، وقرار الدول

العربية بإرسال قواتها بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٤٨م، لتأديب العصابات الصهيونية وإنقاذ العرب بمجرد إنهاء الانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥م، على أن يتولى الملك عبدالله قيادة القوات، يعاونه ٤ مستشارين عسكريين، وأنشأ مجلس أعلى للدفاع عن فلسطين والجيوش التي سترسل: اللبناني، السوري، العراقي، الأردني، القوات المسلحة المصرية، المتطوعون.

وألحق بالملف:

تقدير موقف بواسطة أحمد عبدالعزيز قائد القوات المصرية الخفيفة، جنوب القدس، بيت لحم بتاريخ ١٨، يونيو ١٩٤٨م.

هذا الملف اعتنى به: رفعت سيد أحمد، وأجرى عليه دراسة، تحت عنوان: وثائق حرب فلسطين (الملفات السرية للجنرالات العرب، والناشر، القاهرة، مكتبة مدبولي، د.ت.).

والملف نفسه كان موضع عناية ودراسة محمد حسنين هيكل في كتابيه:

العروش والجيوش (كذلك انفجر الصراع في فلسطين). قراءة في يوميات الحرب، ط، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨.

أزمة العروش: صدمة الجيوش (قراءة منفصلة في يوميات الحرب، سنة ١٩٤٨). ط. دار الشروق، ٢٠٠٠م.

مع إضافات وثائقية حصل عليها محمد حسنين هيكل بمهارته المعروفة، وكان القائد العام للقوات في فلسطين أحمد محمد المواوي باشا، وحل محله أحمد فؤاد صادق.

والمراحل التي يوثق لها هيكل:

- من ١٥ مايو ١٩٤٨ إلى ١٩٤٨/٧/١٦م.
- برقيات الجيوش عن العمليات ١٤ مايو - ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م
- يوميات الحرب من:
- ١٩ أكتوبر ١٩٤٨ - ٣٠ أكتوبر ١٩٤٨ (في النقب).
- ٣١ أكتوبر - ١٨ ديسمبر ١٩٤٨ (في الفالوجة).
- مرحلة الخطة حوريف ١٩ ديسمبر - ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ .

ويلاحظ اتفاقها مع ما نشره رفعت سيد أحمد مع بعض التوسع المحدود في تواريخ العمليات.

ومن سجلات الكويت : **Records of Kuwait**

1899 - 1961

Selected and Edited by

Ade. L Rush

سجلات الكويت (١٨٩٩ - ١٩٦١) المجلد السادس Vol.6

منتقاة ونشرت بعناية آدي.ل.روش / Foreign Affairs (الشؤون الخارجية)
(منشورات الأرشيف) Archive Editions 1989

6.04

Kuwait - Palestine / Israel situation in Palestine and Kuwait response, recruitment of Palestins; Provision of visas and passports

Anti-Jewish discrimination

See also volume (5)

Suspension of Postal Communications with Israel 1922 - 1956

No. 966 23 December 1922

Memorandum : Palestine Delegation to the Hedjaz against the British Mandate in Palestine by Political Resident in the Persian Gulf. To the Political Agents : Kuwait, Bahrain, Muscat, to know whether people in the Districts take any interest in Palestine Affairs.

مذكرة من المقيم السياسي في الخليج الفارسي: الوفد الفلسطيني إلى الحجاز ومهمته العمل ضد الانتداب البريطاني في فلسطين، ويستفهم إن كان الناس في الكويت والبحرين ومسقط يولون أي اهتمام بالشؤون الفلسطينية أو يبتلعون الدعاية من قبل الوفد، وإذا حصل فيأمل تزويده بالتقارير.

- مفوضية بريطانيا في طهران: ١٧ نوفمبر ١٩٢٢، نشرة دورية:

النشرة تعمم رسالة المندوب السامي في فلسطين إلى القنصل العام في بوشهر. Lt. Col. A.P. Trevor.، التي تتعلق بالوفد الفلسطيني إلى الحجاز، للعمل السياسي ضد الانتداب البريطاني، وتدور مهمة الوفد حول مسجد علي ومسجد عمر اللذين يعمل اليهود على تحويلهما إلى كُنُس. وتدخل الإدارة البريطانية في الوقف الإسلامي في فلسطين، ومصادرة أراضي الفلاحين الفلسطينيين وإعطائها للمستوطنين اليهود.

- رسالة من الوكالة السياسية في الكويت ٣ يناير ١٩٢٣ إلى المقيم السياسي في بوشهر، ومحتواها أن الناس في الكويت يعطون أهمية محدودة للشؤون الفلسطينية ودعاية الوفد الفلسطيني غير شائعة بينهم.

- رسالة من الحاج أمين الحسيني إلى الشيخ عبدالله الجابر الصباح، ٤ أكتوبر ١٩٣٦، حول طلب حكومة فلسطين موافقة المعتمد البريطاني في الكويت على دخول المدرسين، ذو الكفل عبداللطيف وأحمد شهاب الدين وخميس نجم ومحمد المغربي الكويت، ويرجو الشيخ مراجعة المعتمد بشأن ذلك.

- رسالة سكرتير حكومة فلسطين بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٩٣٦ إلى المعتمد البريطاني في الكويت، بشأن دخول المدرسين الذين كانوا يدرسون في الكلية العربية في القدس، ويوصي بدخولهم إلا ذو الكفل عبداللطيف، الذي كان قد ذهب إلى كلية التدريب في بغداد، وطيه تقريرا كتبه نائب مدير المباحث عن نشاطاته.

- رسالة من رئاسة قسم قوات الشرطة، بالقدس، أرسلها H.P.Rice، كتبها نائب المدير العام للمباحث .C.I.D إلى مدير التعليم بشأن ذو الكفل عبداللطيف حيث يشير إلى أن المذكور ذو فكر سياسي، فقد انتخب سكرتيرا لحركة الشباب، وتعرف هذه المنظمة في سورية بذوي «القمصان الحديدية».

- رسالة من الوكيل السياسي في الكويت إلى الشيخ سير أحمد الحاج الصباح، .K.C.I.E بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٣٦، حول إعطاء أذونات سماح للمدرسين الفلسطينيين فيما عدا ذو الكفل عبداللطيف.

- رسالة من الوكالة السياسية في الكويت بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٣٧ إلى المقيم السياسي في الخليج الفارسي، تدور حول طلب الكويت إرسال طلبة للتدريب التقني في فلسطين، جوابا لرسالته رقم No. CF/725، ويفيده بإرسالهم إلى الهند وليس فلسطين.

- رسالة من الكويت تاريخها ٢٠ مايو ١٩٣٩م، مرسلة إلى Trenchard Fowle تتصل بالكتاب الأبيض وردة فعله بين الناس في الكويت، ويشرح في كتابه الأحزاب المؤيدة والأحزاب المعارضة لسياسة بريطانيا، كما جاءت في الكتاب الأبيض.

- سري: رسالة إلى Major A.C. Galloway الوكيل السياسي في الكويت من الوكالة السياسية في البحرين، تقرير الكويت رقم ٣١٦، تاريخه ١١ أبريل ١٩٤١ بالإشارة إلى تلغرافه رقم C/170 تاريخه ٢٦ مارس ١٩٤١، حول كلمة ألقيت في المدرسة تمجد «العرب»، ثم ردد الطلبة نشيدا من تأليف الشيخ محمد بن عيسى، وأشرف عليه المدرس الفلسطيني إبراهيم العيد، والنشيد حول معاناة أهالي فلسطين.

وفي الختام، فإن هذه الوثائق التي عرضنا لها وأماكن حفظها، تقدم مادة جيدة للباحثين في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي، وتظل لمنهجية البحث في الوثائق التاريخية أهميتها وتحديد مدى الاستفادة منها من عدمه، ولا سيما عند إعمال منهج النقد الباطني والنقد الخارجي للوثيقة. وصدق من قال: لا تاريخ بدون وثائق.

آفاق معرفية

- الأيديولوجيا بين الحقيقة والزيف
- أثر الصراع العربي – الإسرائيلي في حركة الترجمة من العربية إلى العبرية
- الأسرة في الوطن العربي : آفاق التحول من الأبوية . . . إلى الشراكة

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

الأيديولوجيا بين الحقيقة والزيف

أ. إدريس هاني(*)

مدخل

«إنما إلى الأيديولوجيا، إلى تلك الميتافيزيقا الغامضة التي إذ تبحث بأرابة عن العلل الأولى تريد أن تقيم على هذه الأسس تشريع الشعوب، بدلا من أن تكيف القوانين مع معرفة القلب البشري ومع دروس التاريخ، وإنما إلى الأيديولوجيا ينبغي أن نعزو جميع المصائب التي تمتحن فرنسا الجميلة»(1).

كان ذلك مقطعا من الخطاب النابليوني التاريخي الذي حمل من السخرية بقدر ما حمل من السخط ضد أولئك الأيديولوجيين الخارجين من فورهم من معطف كوندياك، فكانت بمنزلة رسالة أرَّخت للقطيعة الفورية على إثر شهر العسل الذي لم يدم طويلا، جمع بين نابليون وحزب الأيديولوجيين، قبل أن يتهمهم نابليون بالتواطؤ مع كلود فرانسوا دي مالي في مؤامرته الشهيرة(2). وبذلك سيتحدد الدور الجديد للأيديولوجيين في أقصى اليسار، لتبدأ مسيرة المعارضة على أشدها بين نابليون وأنصاره المحافظين، أنصار «العبقرية المسيحية» لشاتوبريان من جهة، والأيديولوجيين سليلي صالون السيدة هلفسيوس في أوتوي، الضاحية الباريسية التي لا تزال تحتفظ بأنفاس موليير وكوندورسيه ولافونتين وبوالو وذكريات سمرهم الأدبي والفكري من جهة أخرى. أولئك الذين سخروا من السياسة القائمة ومن الدين والرياضيات، حتى كانوا بحق - كما يقال - همزة الوصل بين ميتافيزيقا القرن الثامن عشر والوضعية.

لقد زعم بعض الباحثين أن الأيديولوجيا التي ظهرت أول ما ظهرت كمصطلح لغوي في فرنسا، سرعان ما سيمنحها الألمان قيمة مضافة كي تعود إلى فرنسا بوصفها مفهوما جديدا كل الجدة(3). لكن أيا كان الأمر، فهذا لا يعني أن بعض المواقف من الأيديولوجيا رافقتها منذ

(*) باحث ومفكر من المغرب.

ظهورها الأول كقوة فكرية سياسية في فرنسا. لا، بل لعل الدلالة القدحية التي لازمتها، لم تولد كاملة مع ماركس، بل كما تبين سابقا، هي واضحة في الخطاب النابليوني أعلاه. ففي تعريف مادة «أيديولوجيا» في «دائرة معارف الفلسفة» التي أشرف عليها «بول إدواردز» يقول دافيد برايبروك:

«إن مصطلح الأيديولوجيا لم يبدأ كمصطلح للتهمة، كما أنه في الاستعمال المتداول ينأى بعيدا عن أي مضامين أو تضمينات تفيد معنى التعريض أو الإدانة، فالمصطلح يعادل أو يقابل أي مجموعة مترابطة من المعتقدات السياسية المتسمة ذاتيا. ولكن - وفي منتصف الطريق - ومع ما خلعه كارل ماركس على المصطلح من استعمال، دل مصطلح «أيديولوجيا» على وعي زائف بالحقائق الاجتماعية والاقتصادية، وهم أو ضلال جمعي يتقاسم الوقوع فيه أفراد طبقة اجتماعية معينة، كما يقال في حق التاريخ المرتبط بوضوح بتلك الطبقة، وهكذا لم يصبح المصطلح مصطلح إهانة وإدانة فحسب، بل مصطلحا ضخمت فيه الإهانة بفعل نظرية مثيرة مهيجة لم يقر بها القرار بعد على مستقر فلسفي»[٤].

ولم يفوت دافيد برايبروك الفرصة، للإشارة إلى حقيقة الموقف الماركسي من الأيديولوجيا بوصفه موقفا متأثرا إلى حد ما بالموقف النابليوني البالغ الازدراء.

إن إشكالية الأيديولوجيا، هي فرع لإشكالية أخرى طالما أرقت الفكر الحديث وحاصرته بسؤال العلاقة وسؤال التأسيس بين الفكر والواقع. فبينما ساد الرأي في الفلسفة الألمانية، بتبعية الواقع للفكر أو استجابة الواقع للروح المطلق عند هيجل، كان ثمة من عارض ذلك مجترحا مذهبا جديدا يقول بعكس العلاقة والتأسيس. وهذا الرأي قلب وجه العلاقة بين الفكر والواقع ليجعل الفكر تابعا للواقع وتجليا لظواهره.

غير أن الازدهار الأيديولوجي الذي شهده القرن ١٩ الذي هو بحق - كما وصفه هنري أيكن - بـ «عصر الأيديولوجيا»[٥] شهد تأملات إضافية لمفهوم الأيديولوجيا. يمكننا القول بأن النقد الماركسي للأيديولوجيا هو انقلاب ليس على الهيجلية فحسب، بوصفها رؤية مثالية معكوسة، بل هو أيضا ثورة على المنظور الانعكاسي الذي يرى الأيديولوجيا تعبيرا وفيا لما يجري في الواقع. لقد كان للإعلان عن طبيعتها التزييفية، صدى جعل النظر إليها - فيما بعد - يخرج مهزوما من مستوى بحث ماهيتها الانعكاسية إلى مستوى البحث في بنيتها ووظيفتها، أي علاقتها النسبية المحددة وفق إطار اجتماعي معين. الأمر الذي أضفى تعقيدا جديدا على إشكاليتها، وجعلها أساسا لعلم اجتماع المعرفة بامتياز!

منذ نيتشه وفرويد تلقى الأفكار ازدراء غير مسبوق في أوروبا. إن الأهمية الكبرى التي تسترعي الانتباه فيما قدمه كلاهما، ليست منحصرة، في التهوين البادي، من سلطة العقل الذي أنكرا حقيقته المطلقة، العقيدة المؤسسة لأسطورة العقل المؤله. بل إن الأهمية المضاعفة

لهذا النقد الشرس للعقل تتجلى في ذلك التحجيم إلى حد كبير من وثوقية الفكر الغربي من أحكام العقل بوصفها انعكاسا تاما وصادقا للعالم الخارجي. إذا كان كانط قد استثنى «النومين» من الإمكان العقلي والتف على «الترنسندتالي»(٦) فإن العقل هو نفسه سيغدو ظاهرة من الظواهر الكونية التي لا تمثل سوى ذلك الشرط الضروري للوجود الإنساني كما زعم نيتشه، أو ذلك الجزء الصغير الطافي من الكائن على السطح عند فرويد، وهو في كل الأحوال عاجز عن إدراك الصيرورة التي هي سنة العالم، بما أنه مجعول لإدراك الثابت فقط (= عند نيتشه)(٧). وليس إلا تعبيرا مخاتلا عن حقائق تناقضية تجول في الأعماق السحيقة للإنسان. إنه واجهة مزيفة للعنصر الأهم في طبيعة الكائن، «اللاعقل»! ليست الأفكار والقيم الكبرى في نظر نيتشه سوى اختراع يحمل ختم أولئك الضعفاء الذين بأوهامهم تلك يخفون غلهم وأحقادهم على الأقوياء. إنهم بالأحرى يستبدلون حياة الخيال بالحياة الحقة القائمة على الاستجابة لداعي الغريزة والطبيعة. فالأفكار هي صنيعة أوهام، حيث العقل لا ينتج فكرا حقيقيا إلا إذا عانق الحياة بشروطها المقررة، وتحرر من إيحاءات وحيل الضعفاء(٨).

ليس هذا العقل المنتج للأفكار سوى كتلة من التبريرات التي هي في الوقت ذاته كتلة إشارات تحيل على ذات تخفي خبرة يحتل فيها اللاوعي الجمعي مساحة معتبرة. وليست «الأنا» –Ego– إلا ذلك الجانب المقتطع من «اللاوعي» inconscient، أي الوسيط، أو لنقل كبير المفاوضين الذي نجح في إحراز الحد الممكن من اللياقة الديبلوماسية للتواصل مع الواقع وإكراهاته الخارجية. إن ما يبدو وعيا أو ذاتا «أنا» ليس إلا مساحة صغيرة جدا، قد تطفو بشكل ما إلى سطح الوعي، لكن سكناها الدائمة تظل هي قاع اللاوعي نفسه. إن اللاوعي في نظر فرويد ليس فقط القسم الآخر المكون للذات، بل هو الذات برمتها(٩).

مع كارل ماركس، يأخذ نقد الأيديولوجيا وضعا مختلفا تماما. وذلك لأنه رغم محاولته الموازية بين الضرورة التاريخية – الاجتماعية للتشكل الأيديولوجي، فإن الجانب القدّحي في نقده للأيديولوجيا هو الذي ظل ساريا في الأدبيات الماركسية. إذ لم تستطع التخفيف من وطأته حتى تلك المحاولة اللينينية شديدة الحماس المتوجة بإعلان ميلاد الأيديولوجيا العلمية. ولا يزال لتلك العبارة التي أوردها ماركس في كتابه الشهير «الأيديولوجيا الألمانية» صداها حتى اليوم: «ليس الوعي هو الذي يحدد الحياة، بل الحياة هي التي تحدد الوعي»(١١).

لقد سعى ماركس جهده للتمييز بين الوعي الصحيح أو الصادق من حيث هو وعي مطابق للواقع، وبين الوعي الذي يعكس صورة مزيفة ومضللة للواقع. وقد أطلق وصف «أيديولوجيا» على هذا المستوى الأخير من الوعي.

ليس جديرا بنا الآن بسط نظرية ماركس الكاملة بخصوص «الأيديولوجيا»، لكن يكفينا القول إن ثمة لحظة حاسمة في حياة ماركس، والتي لها صلة ما بحرصه الشديد على قلب

آراء اليسار الهيجلي بخصوص التاريخ، ونقد الرواسب الفلسفية - التي سماها هو أيديولوجية - لعصر الأنوار، والتي لا تزال ثاوية في صلب خطابه الفلسفي. إن الحملة الماركسية على الأيديولوجيا، مثلها مثل الحملة الاقتصادية التي تضاعفت في لجنة الحجاج ضد الاشتراكيات الطوباوية، كانت قد كلفت الأيديولوجيا الماركسية الكثير، إذ جعلتها أيديولوجيا مغلقة وحولتها إلى يوتوبيا رثة. الأمر الذي يفسر حجم القراءات المتتالية التي خضعت لها آراء ماركس بهذا الخصوص. والحال، أن ماركس من ناحية أخرى، اعتبر الأيديولوجيا منظومة أفكار تتحدد أهميتها من خلال ارتباطها بقوى الإنتاج وعلاقاته. إن البنية الفوقية التي هي محل كل العقائد والأفكار والقيم التي يدين بها مجتمع ما هي رهينة البنية التحتية، التي هي محل قوى الإنتاج وعلاقاته. إن كل نظام اقتصادي تلائمه أيديولوجيا معينة وتتغير هذه الأخيرة تلقائيا متى ما تلاشت المصلحة وحصل تطور في مستوى قوى الإنتاج وعلاقاته. وبما أن التطور جارف لكل أشكال الأنظمة الاقتصادية وعلاقات الإنتاج، فإن الأيديولوجيا تبدو في وضع الجوال عديم الإقامة، لكن إذا كانت علاقات الإنتاج الاشتراكية هي خاتمة تاريخ التحولات في الأنماط الاقتصادية وعلاقات الإنتاج المتطورة، فإنه لا غرو أن يكون للأيديولوجيا نهايتها التي تتوقف عندها. وهي بلا شك الأيديولوجيا الملائمة لهذا التطور النهائي المرتقب، لكن ما يهمنا هنا، هو أن ماركس نفسه يعترف بأهمية الأيديولوجيات السابقة ما دامت تعبر عن لحظة وئام ضروري مع قوى الإنتاج وعلاقة الإنتاج، حيث هي الحلقة التاريخية الضرورية في التحويل الحتمي نحو علاقات إنتاج اشتراكية. وهكذا بات ماركس (شأنه شأن كل الليبراليين) داعيا إلى ما يدعون إليه، فهم يفعلون ذلك حماية لنظامهم، بينما هو يفعله تسريعا لقطار التحول. يقول دافيد برايبروك بهذا الصدد: «وقد حكم ماركس بالبطلان على هذه الطائفة من الأفكار، لأنها - شأن سائر الأيديولوجيات - تسيء فهم الوقائع التاريخية العارضة والطارئة لحساب الوقائع الدائمة والثابتة. إلا أن ماركس لا ينكر أنه إذا ما تم التبرؤ من الأيديولوجيا والتخلي عنها فإن بواعث الأخذ بالمذهب الرأسمالي تتلاشى وتزول. فهل كان على الطبقة البورجوازية أن تكدس رأس المال، إن هي لم تعتبر مدخراتها مكاسب متحصلة لها ولأسرتها؟»[11].

صراع الأفكار أم ديكتاتورية الوعي الشقي

إن تاريخ الصراع البشري، هو تاريخ الصراع الأيديولوجي. صدام بين أدعياء المعرفة المطلقة والشمولية. إذا كان الواقع الذي تزعم الأيديولوجيات تمثيله خير تمثيل، فلماذا هذا التناقض والتنافر بين أنماطها وأشكالها المختلفة. هل يمكننا اعتبار ذلك انعكاسا لصراع الواقع الممثول مع نفسه. فلا شك في أن تنامي الصراع الأيديولوجي هو أبرز مؤشر على ضحالة القول بالتمثيل التام الذي تزعمه النظرية الانعكاسية، لكن ما حصل وما يحصل دائما هو ضرب من إرادة السيطرة

يمليها واقع التغالب على مصالح اجتماعية معينة. وبالتأكيد الأيديولوجيون هم أبعد الناس عن إدراك هذه الحقيقة الكامنة خلف الباعث الأيديولوجي. إذا كانت «الأيديولوجيا» تمثل واقعا قائما بذاته له شروطه ويظفر ببنيته، فهي تظل من الناحية الأخرى محاولة الفكر - تلك المحاولة المستحيلة - لتمثيل الواقع على وجه أتم . إنها من هذه الناحية واقع مستقل وليست تعبيرا عن واقع ممثول. إن حربا بين أشكال الأيديولوجيات، هي حرب من أجل فرض وقائع متخيلة على واقع فعلي. أو هي محاولة لاستئصال أيديولوجيات أخرى على سبيل المنافسة للاستئثار بالحكومة على الواقع الفعلي. إنها حرب وقائع مختلفة لكنها، وبملاحظة الواقع الفعلي الذي تمثله، هي أقنعة تبريرية، أو وقائع وهمية كما مر معنا.

بالنسبة إلى هيجل لا يمثل الفكر الحقيقة المطلقة تلك التي لا يتسنى لنا إلا القبض على مرحلة ما من مراحل تطورها، في هذا المسار التاريخي الذي يمثل مجال تكاملها (أي الحقيقة). وعليه، إذا كانت الأيديولوجيا دائما تقدم نفسها بوصفها انعكاسا تاما للواقع المطلق، فإن هذا المستوى من الوعي بالأيديولوجيا وبمطلق الأفكار هو وضيع للغاية. إننا لا يمكننا إدراك شيء سوى الـ «آن». أما الحقيقة فهي آنات في تطور مستمر. إن وعينا الحقيقي لا يتعدى الآن. والحقيقة لا تعدو أن تكون - حسب هيجل - دائما، تجليا لروح التاريخ في حقبة ما. وهذا يفرض علينا تمثل روح كل عصر. لأن الحكم على عصر مهما بلغ في القدم، من خلال فكر معاصر، لا يوصلنا إلى فهم حقيقي، فلكل عصر تجلٍّ خاص به لهذه الروح فهو منسجم مع عصره ومنطقي.

فالتاريخ هو بحث عن الحرية. ومتى ما تطورت هذه الأخيرة وأصبح لها معنى نام كان ذلك إيذانا بتحول جديد. فمن الذي جعل الثورة الفرنسية التي ثمنها هيجل والفلاسفة الألمان، تصبح مع نابليون واقعا ديكتاتوريا أبشع من سلفه. لعل السبب - من المنظور الهيجلي - هو إرادة تطبيق مفاهيم ذهنية على واقع متمنع. وإنزال أفكار العقل المجرد على الواقع المشروط. إنها نتيجة تمنع الواقع المحصور عن الفكر الموسع. وبما أن الفكر يستطيع أن يتعقل أفكارا لا نهائية بينما الواقع بالضرورة نهائي، فإن هذا الاختلاف بين الطموح اللانهائي والشروط النهائية هو منشأ الوعي الشقي[١٢] La conscience malheureuse.

إننا لا نملك أمام هذه التحولات - أو بالأحرى هذه التجليات - إلا الصمت. لعل هذا الموقف، الذي يكاد يبدو عدميا للغاية، يحضر بصورة خفية في الموقف الماركسي بخصوص تثمين الأيديولوجيا البورجوازية بوصفها المنظومة الملائمة للنظام الرأسمالي من جهة، وهذا موقف منطقي - إذ المنطق من المنظور الهيجلي ليس سوى هذه الملاءمة الآنية. ومن جهة أخرى لأنها تمثل الحلقة التاريخية الضرورية في التحويل التاريخي المنشود عند ماركس، وهذا موقف تاريخي. ولو أننا أدركنا الدعوة الهيجلية إلى ضرورة تعليق الوعي المعاصر

لحظة تفكرنا في المجتمعات المختلفة الحقب التاريخية، لعرفنا أنها دعوة للمعايشة والاستئناس بوقائعها قصد القبض على حقيقة الروح التاريخية المتجلية فيها، فإن ضرورات القراءة الهيجلية تفرض على الباحث أن يكون إقطاعيا كالإقطاعيين في المجتمع الإقطاعي، وليبراليا كالليبراليين في المجتمع الرأسمالي، كما لاحظنا ذلك واضحا في الموقف الماركسي من الأيديولوجيا الليبرالية.

واضح تماما أن التطور الذي أحرزه نقد «الأيديولوجيا»، لم يكن سوى محاولات إكمالية أو مخاتلات والتفافات لم تستطع أن تحقق قطائع بحجم المناحي التي سلكتها عمليات نقد الأيديولوجيا، يمكننا فقط الحديث عن ثلاث قطائع حقيقية في مسار نقد الأيديولوجيا:

القطيعة الأولى: حينما قطع الفلاسفة الألمان مع المفهوم الفرنسي للأيديولوجيا بوصفها علما للأفكار، أو كما تراءت لـ «دستوت دي تراسي» واضع كتاب «عناصر الأيديولوجيا» وأحد أبرز المنظرين للأيديولوجيا، باعتبارها علما لدراسة الملكات الإنسانية(١٣)، أصبح للأيديولوجيا معنى انعكاسي.

القطيعة الثانية: حينما قلب ماركس المنظور الهيجلي للانعكاس والتجلي.

القطيعة الثالثة: حينما شكك نقاد الأيديولوجيا ونقاد العقل في إمكان الانعكاس والتمثل، جاعلين من الأيديولوجيا واقعا قائما بذاته.

مؤكد أنه بين هذه القطائع، انتعشت آراء كثيرة وتراكم فكر كثير. سأعود إلى الموقف الماركسي، لكن هذه المرة مع ناقد مغامر، نذر حياته لإعادة عرض الموروث الماركسي على أسس علمية (لا أيديولوجية). لكن كيف وإلى أي حد أمكنه القبض على العلمي في النقد الماركسي للأيديولوجيا. أعني بذلك الفيلسوف الفرنسي المعاصر: «لوي ألتوسير».

لقد ساد الاعتقاد كما بينا سابقا، بأن الأيديولوجيا هي المرادف الطبيعي للوهم. من حيث نظر إليها بوصفها، ليست فقط غير كاشفة عن الواقع، بل بوصفها مزيفة له، إنها بالأحرى بديل وهمي عن الواقع ومنظومة فكرية تصرف الذهن عن الواقع الحقيقي بواسطة التبرير أو التعويض بالوهم. إنهم لم يسلموا لها بالحد الأدنى من هذه الكاشفية ولم يعترفوا لها بأي صلة بالواقع. إنها بالتالي مفارقة أو تقنية مخاتلة لتزييف الواقع والالتفاف على حقائقه. ولكن السؤال الذي يجدر بنا طرحه هنا: إذا كانت الأيديولوجيا حقا، هي صورة مشوهة أو مزيفة للواقع، بوصف هذا الأخير منظوما على نحو سنني منطقي، في حين الأولى منظومة على نحو مغالطي، إذا كان هذا هو الواقع بالفعل، فلماذا كل هذا التأثير الذي تحدثه الأيديولوجيا. وهل في مقدور أحدنا الاستغناء عنها. وهل تأثيرها على الوقائع مصداق تأثير عالم الذهن في الواقع؟

إن الأيديولوجيا هي العلاقة الممكنة بين الفكر والواقع. فهي بهذا المعنى تمثل أهم ابتكارات العقل الإنساني. إذ لعله من المناسب أن نعرف الإنسان مجازا، بذلك الحيوان الأيديولوجي، فيما أن الواقع لا يقدم أشياء بالدقة الممكنة كما نتصورها ذهنًا، فإن الأيديولوجيا تقرب ما بعُد وتدقق ما امتنع عن الدقة. فهي من هذه الناحية نظم إكمالي للواقع. وبما أن العجز عن إدراك الواقع واستحالة تصوره كما هو أمر حاصل، فإن أهمية الأيديولوجيا، وظيفية وليست كاشفية. فإذا نظرنا إليها من حيث وظيفتها، توقفنا عن اعتبارها انعكاسا للواقع، بل هي نفسها تصبح واقعا وإنشاء جديدا، فالذي يبدو أن الأيديولوجيا بوجهيها، هي منظومة أفكار أو لنقل بالأحرى منظومة رموز تحيل على حقائق إخرى ومن هنا، أيا كان وجهها - مزيفة أم مطابقة - فهي صادقة من حيث إنها تحيل على حقائق. على هذا الأساس يتضح مليا أن ماركس أو نيتشه أو فرويد... مهما تحدثوا عن زيف الأفكار ووهميتها، فإن ثمة ما يؤكد أنهم رأوا إليها رموزا محيلة على حقائق باطنة. فالأيديولوجيا الصادقة نفسها - كما تأكد إبستمولوجيّا - لا تقدم الواقع كما هو. بل لعلها تزيفه وتخفيه. فهي بهذا المعنى ليست مناقضة للمعرفة، بل هي عائق من عوائقها. إنها كاذبة بمقدار ما تخفيه أو تزيفه. ولا تختلف عن الأيديولوجيا المزيفة الكاذبة إلا بمقدار كاشفيتها ومرتبة إظهارها للوقائع. لكن يظل شيء ما خفيا ومغلوطا. إذن الأيديولوجيا أيا كان مستوى علميتها - تجوزا - لا يمكن إلا أن تكون مزيفة بملاحظة كاشفيتها.

لكننا إذا نظرنا إليها كوظيفة ومنظومة رموز محيلة على وقائع، فإنها تكون أيديولوجيا صادقة بمقدار ما تمثله من وظيفة. لا بل هي صادقة متى ما اعتبرناها مفتاحا لفهم ما تنطوي عليه في العمق من حقائق. فالأيديولوجيا مهما بلغ زيفها، هي إذن صادقة في العمق، صادقة الوظيفة، ويظهر ذلك بشكل أوضح متى ما اتخذناها موضوعا «للتأويل».

نفهم من ذلك، أن الأيديولوجيا أيا كانت وظيفتها وحقيقتها، هي «شر لا بد منه»[١٤]. بل هي قدرة الكائن بوصفه مفكرا. فحيثما استعصى الواقع وتمنع عن الظهور التام، فإن الفكر لا يسلِّم بهذا الانحصار، بل إنه يعوض ما تمنع من الواقع عن الظهور التام بوقائع وهمية. إن الفكر الإنساني لا يقبل بالفراغ (أو كما قيل إذا غابت الآلهة حلت الأشباح). وإذن لا يمكننا - والحال هذه - أن نتحدث عن الأيديولوجيا كانعكاس تام وتمثل خالص للواقع. فمثل هذا المنظور الميتافيزيقي للأيديولوجيا يجعلها معطى نهائيا غير قابل للتطور أو غير قابل للاتساع والانكماش. في حين تتسع الأيديولوجيا وتنكمش بمقدار كشفيتها للواقع أو قوة وظيفتها. إنها ليست مزيفة للواقع إلا من حيث هي ذات طبيعة تعويضية. بهذا المعنى، نستطيع الإجابة عن السؤال السابق. أي الأيديولوجيا كوظيفة. وهي فضلا عن ذلك تعويض عن الجهل الذي يتربص بالمعرفة، وأداة للاطمئنان. فهل يمكننا - والحال هذه - القول بأن الأيديولوجيا هي مرض اللغة؟!

لوي ألتوسير: الوعي المتخيل... أو في البدء كانت الأيديولوجيا!

القراءة الألتوسيرية للأيديولوجيا، هي في الواقع قراءة التفافية من الطراز الرفيع. فلا يزال هذا الأخير يحمل التصور الماركسي القدحي - التقليدي - للأيديولوجيا. لكأنها أشبه ما تكون بغدة سرطانية تنهك جسم المعرفة. لكن مهما كان الأمر، فإن ألتوسير لا يمكنه البتة أن يجلب الترياق للمفارقة التي وضعهم فيها ماركس بخصوص زيف الأيديولوجيا واستحقاقها الاجتماعي - التاريخي. إنها - كما قلنا سابقا - «شر لا بد منه»!

يتبين الموقف السلبي التهويني الألتوسيري للأيديولوجيا من خلال نعته المتكرر لكثير من الاتجاهات والمذاهب الفلسفية والفكرية بالأيديولوجيا متى ما جرى الحديث عنها في سياق التشكيك في علميتها. كوصفه أفكار ماركس الشاب بالأيديولوجيا. أو نعته البنيوية - التي ظلت سنده الرئيسي في أهم نقوضه على الأيديولوجيا نفسها - بالأيديولوجيا. ومثل ذلك قاله في حق الإثنولوجيا (= إثنولوجيا ليفي شتراوس)(١٥). لكن ما يميز القراءة الألتوسيرية هو هذه القدرة والمرونة على النقائض، ما يوحي بشجاعتها على اقتحام الممنوع وانفتاحها الإشكالي. إذا كانت الأيديولوجيا عند ألتوسير تحمل الخصائص الماركسية التقليدية، بكونها قناعا وإضلالا وتزييفا للواقع، فلماذا كل هذا الالتفاف؟

يبدو أن ألتوسير أدرك عمق نفوذ الأيديولوجيا وحتميتها، وأنها بقدر ما تزيف الواقع تحقق وجودها كضرورة لا مفر منها. فهي كالعنصر أو الهواء الذي نتنفسه(١٦). نتساءل بدورنا، هل التضليل ضرورة أيديولوجية، وشرط اضطلاعها بوظيفتها؟ أجل، هذا ما يؤكده ألتوسير، فالأيديولوجيا هي لازمة للمجتمع الطبقي، وهي نظام من التمثلات يحظى بوجودٍ ما ودور تاريخي معين، فلا يعقل أن يخلو منها مجتمع ما إلا إذا تعلق الأمر بمجتمع طوباوي، فحتى المجتمع الشيوعي - الذي يفترض أن تغيب عنه الطبقات - لا يمكن أن يستغني عن الأيديولوجيا. قد تكون الأيديولوجيا المسيطرة هي أيديولوجيا الطبقة المسيطرة. والحقيقة أن الأيديولوجيا في مثل هذه الحالة تهدف إلى حماية مصالح هذه الطبقة وتوطيد هيمنتها الدائمة، وهي في الآن نفسه مطالبة بإقناع الطبقة الأخرى بالاستمرار في خدمة مصالح الطبقة المسيطرة. إنها تمارس ضربا من الإضلال، لكنه إضلال مقنع لا يمكن للطبقة المهيمنة ذاتها أن تتحرر منه، لا بل ربما لا يمكنها أن تكذبه، لأنها أول من يصدق الأكذوبة الأيديولوجية. فشرط استمرار البنية وشرط الاندماج يقومان على الأيديولوجيا ويتحققان بها.

إذا كانت الأيديولوجيا هي ما يحدد كل شيء في المجتمع وهي ما ينظم ويعيد نظم الاجتماع، فأين دور «الأنا» وأي مجال سيبقى للإرادة الحرة؟

لقد التف ألتوسير بما فيه الكفاية على العامل الاقتصادي، بوصفه المحدد الوحيد والأساسي للنشاط الفكري، لكي يمنح الأيديولوجيا شرف الاشتراك في التحكم بالمجتمع، أي باعتبارها تملك من التأثير ما يفوق بكثير المدى الذي تصوره لها أولئك الماركسيون الذين لم يتحرروا من تأثير المنظور الأيديولوجي. فإنه لم يُقْصِ العامل الاقتصادي بصورة نهائية - وإلا لما كان ماركسيا - بل منحه امتيازا خاصا داخل ثلاثية الفعل المتكامل في نطاق ما أسماه(١٧) Over-determinated حيث يخول العامل الاقتصادي امتيازا أساسيا في عملية التأثير، فالعامل الاقتصادي هو الفاعل الأساسي، أي نعم، لكن تأثيره ذاك لا يتحقق إلا من خلال الجهاز الأيديولوجي. إذا كان ألتوسير - كما ذكرنا - قد التف بما فيه الكفاية على العامل الاقتصادي فلا نفهم من هذا الانفتاح على الأيديولوجية معنى مغازلة النشاط العقلي أو مذهب الفعل، بل لم يكن ذلك الالتفاف سوى عملية معقدة لتعميق المنظور الحتمي في المجال الاجتماعي. ليس للأيديولوجيا تأثير خارج الجهازين السياسي والاقتصادي. فهذا الثالوث يؤلف نسقا متعاضدا، يلعب فيه الجهاز الأيديولوجي دور المنظم. يمكننا القول بأن الأيديولوجيا هي العنصر الناظم والمنظم في آن معا.

ليس غريبا أن يلعب الجهاز الأيديولوجي دور الناظم والمقنن للنشاط الواعي تماما، كالدور الذي حدده سيجموند فرويد لـ «الأنا». فهذا ليس «أنا» خالصا منفكا عن الارتهان Désaliené، بل هو مرسي التوازن من أجل الاندماج. هذا التشاكل يبدو واضحا لما يستعير ألتوسير من جاك لاكان - وهو على كل حال فرويدي المنحى - مفهوم الوعي المتخيل La conscience imaginaire ليفسر من خلاله صورة الأنا وحلول الأنا المتخيل بديلا عنها. واضح هنا التأثير الفرويدي في هذا التصور الألتوسيري للأيديولوجيا. إنها نظام من التمثلات مهما بدت واعية، فهي في حقيقتها محكومة بشروط ومحددات لا واعية(١٨). لكننا نشعر كأننا نحن من يتحكم في تغيير أوضاعنا، في حين أننا لسنا سوى منفذين لأحكام مسبقة. إنه وعي خادع. تماما هو أشبه بـ «الأنا» الخادع، أو تمظهر لذات بواسطة الآخر في المرحلة المرآتية عند جاك لاكان(١٩). يولد الإنسان إذن في عالم ملؤه الأفكار والمؤسسات الجاهزة قبل وجوده. إن الأيديولوجيا توجد قبله من دون شك، وحين ولادته يتعين عليه التكيف مع هذا العالم والخضوع لإشاراته ورموزه وعقائده. ويتولى الجهاز الأيديولوجي مهمة تنميط الكائن وتوجيهه للاندماج بصورة أتوماتيكية في النسيج الاجتماعي. إنه في أفضل حالات ابتكاره وفعله ونشاطه يتوهم أنه حر، وأنه يفكر، في حين ثمة بنية جاهزة تعبر عن نفسها من خلاله، وتظهر أناه من خلالها. يمكننا بناء على ما سبق، القول: في البدء كانت الأيديولوجيا. وكما مر معنا أيضا ندرك أن التزييف لم يعد مرتبطا بالواقع (= الموضوع)، بل بالأنا أيضا ثمة إذن وظيفة إضلالية - وهي مع الأسف وفق هذا المنظور

ضرورية - تمارس على الذات وعلى الموضوع، وتلك هي إذن كبرى المفارقات التي أنتجها النقد الماركسي - الألتوسيري للأيديولوجيا، وذلك المرض العضال الذي لم يزل يتربص بجسم المعرفة!

في بنية الأيديولوجيا: الأيديولوجيا كأسطورة للمجتمع الحديث

إذا كانت الأيديولوجيا حقا إفرازا ضروريا للمجتمع، بها يقوم المجتمع وينتظم ويستمر، وإذا كانت هي التعبير عن مصلحة الفئة المهيمنة في التراتبية الاجتماعية كما يقرر ماركس ويؤكد ألتوسير(٢٠)، وإذا كانت المجتمعات لا تملك الاستغناء عنها حتى لحظة اندكاك الطبقات، كما نفهم من مجازات ألتوسير، فهل يمكننا الحديث عن أيديولوجيا المجتمع الطبيعي (الموسوم في الأنثروبولوجيا الكلاسيكية بالمجتمع البدائي أو الوحشي)؟

هل يمكننا جريا على اصطلاحهم أن نفترض وجود أيديولوجيا «بدائية»(٢١). وإذا كان الجواب بالإيجاب، فأي دور وأي وظيفة تظفر بها في نسق جماعي موسوم باللاتاريخي؟!

من المؤكد أن المنظور الذي تنهض عليه القراءة الـ «شتراوسية» للمجتمع الطبيعي «البدائي» وتأويله لأساطيره، لن يلقى - بأي حال من الأحوال - رضا ألتوسير، بل سيثير اشمئزازه وحنقه تجاه ما أسماه «الأيديولوجيا الإثنولوجية» Idiologie Ethnologique(٢٢). إذا كانت القراءة الألتوسيرية الجارية على وفق المنظور الماركسي - أيا بلغت التفافات ألتوسير على العامل الاقتصادي - ترى في الجهاز الاقتصادي، البنية الأساسية، وأن التحولات التي تجري على المجتمع ما هي إلا تحولات في أفق التراتبية البنيانية نفسها، حيث يحتل الجهاز الاقتصادي فيها دائما وإلى الأبد العنصر الأساس، فإنها بذلك قد استبعدت إمكان قيام مجتمع تاريخي، قديما كان أم حاضرا أم آجلا، على بنية تراتبية مغايرة. لكن ما يغيظ ألتوسير من هذه «الأيديولوجيا الإثنولوجية» - التي أفقدته صوابه إلى حد اتهام شتراوس بالجهل - (٢٣) هو قناعة ليفي شتراوس بتميز المجتمع «البدائي» بنيانيا. فشتراوس لا يتصور المجتمع «البدائي» مسلوبا من بنيته - وهو أحد أبرز البنيويين المعاصرين - بل قصارى ما هنالك، أنه يخالف المنظور الماركسي - الألتوسيري في تراتبية البنى الاجتماعية وماهية «بنية البنى». إن بنية المجتمع «البدائي» هي بنية القرابة. فهذه الأخيرة حلت محل الإنتاج في المجتمع الحديث. إذا كان هناك ما يبرر حكم شتراوس الأخير، لكونه اعتمد مسلك المعايشة وتأويل الأسطورة، فإن ألتوسير، وبناء على مسبقاته الماركسية في تاريخه وكونية النسق التراتبي الاجتماعي والدور الاقتصادي المميز داخله، لن يرى في هذا الحكم سوى محاولة لاستثناء المجتمع «البدائي» من التاريخ البشري والحكم عليه بالبدائية المطلقة. ثمة بلا شك حوار طرشان!

تحت عنوان «بنية الأساطير» من كتابه «الأنثروبولوجيا البنيانية»، ينظر شتراوس إلى أحكام من أسماهم بمؤسسي الأنثروبولوجيا الدينية - تايلور وفريز ودوركهايم - بقليل من الاحتفال. فأحكامهم هي متقادمة واستنادهم إلى المنظور السيكولوجي لم يكن موفقا، وذلك لسبب آخر، أنهم ليسوا نفسانيين بالتخصص. أما شتراوس فإنه يلاحظ أن الأسطورة تهتم بأحداث الماضي وبالنشأة الأولى. ذاك القديم الذي يحضر دائما في الحاضر والمستقبل على أن أهم ما يورده شتراوس في سياق تقريبه لهذا الغموض، أنه «ليس ثمة ما هو أشبه بالفكر الأسطوري من الأيديولوجيا السياسية»[٢٤]. التقريب الذي قدمه شتراوس بهذا الصدد يتعلق بحدث تاريخي كبير: «الثورة الفرنسية». هذه الأخيرة بالنسبة إلى رجل السياسة أو أولئك الذي يصغون إليه - وخلافا للمؤرخ - هي حقيقة من مستوى مختلف، لكونها سلسلة أحداث قديمة، وأيضا نظاما يساهم في تفسير البنية الاجتماعية لفرنسا المعاصرة[٢٥].

الأيديولوجيا إذن، هي أسطورة المجتمع المعاصر، فحتى إن بدت لبعضهم أنها أسطورة وضيعة أو مرضية (= لا بلاتين)، فإنها ستظل تؤدي وظيفتها كاملة وتملأ الشعار الناجم عن غياب - أو لنقل بالأحرى تحول - الأسطورة.

تؤدي الأيديولوجيا وظيفة مزدوجة، ففي المنظور الألتوسيري، تعمل الأيديولوجيا المهيمنة على حماية النسق وضمان استمراريته. وطبيعي أن لهذه الوظيفة هدفين: ضمان مصلحة الفئة المهيمنة التي تعبر عن هذه الأيديولوجيا، وإقناع الفئة المهيمن عليها بالقبول والانصياع لهذه السيطرة وأداء دورها على أفضل وجه، باعتباره يعبر عن مصلحتها أيضا. الأيديولوجيا إذن، بنية تناقضية، وهذا التناقض بين الإيجاب والسلب، الخير والشر، هو في الحقيقة طبيعة في بنية الحداثة نفسها. بهذا المعنى تغدو الأيديولوجيا هُياما فاوستيا أشبه ما يكون ببنية أسطورية منشطرة على نفسها. تقدم الأيديولوجيا نفسها بوصفها بنية منسجمة ووظيفة منطقية. لكن الوجه الآخر لها - الذي عادة ما تفضحه ممارستها - يؤكد أنها بنية تناقضية ووظيفة مزدوجة. ليس غريبا أن تلعب الأيديولوجيا دورا تخريبيا وبنائيا في آن واحد. إن الأيديولوجيا البورجوازية يمكنها أن تكون تخريبا في أوروبا يسيل مداد ماركس ويذكي قريحته الثورية، لكنها - الأيديولوجيا نفسها - قد تحظى بمباركة ماركس، بوصفها أيديولوجيا بناءة في آسيا أو أفريقيا. أو كما عبر عنها: «أمام إنجلترا مهمة مزدوجة تنجزها في الهند. الأولى تدميرية، والثانية توليدية، إزالة المجتمع الآسيوي القديم، ووضع الأسس المادية للمجتمع الغربي في آسيا»[٢٦].

في الحقيقة، إذا لاحظنا التشاكل الممكن الذي أقامه شتراوس بين الأيديولوجيا والأسطورة، سوف ندرك الحقيقة المزدوجة للأيديولوجيا، ليس فقط من حيث كونها وظيفة، بل من حيث كونها بنية على وشك الانشطار التام. يتبين ذلك بوضوح في أفضل مثال عن أسطورة

«الأرنب البري ذي الشفاه الشرماء»[٢٦]. فهو كائن مزدوج، شرير بقدر ما هو عبقري. وسنلاحظ أنها البنية ذاتها تتكرر في أسطورة فاوست الحديثة: نبل الغايات وشرانية الوسائل. الملاك والشيطان المتعايشان داخل الذات الواحدة. التشاكل القائم إذن بين الأسطورة والأيديولوجيا يتعين أن يكون تشاكلا من جميع الجهات. فالبنية التناقضية للأيديولوجيا يمكن تلمسها جليا في الأسطورة أعلاها، التي يقول عنها شتراوس: «إنه أحيانا (أي الأرنب البري) معبود بالغ الحكمة يتولى مسؤولية تنظيم شؤون الكون، وهو أحيانا أخرى مهرج مضحك ينتقل من حظ عاثر إلى آخر»[٢٨].

وبما أن التوأمين (الطيب والشرير)، لم ينقسما نهائيا، فالسمتان ستظلان ثاويتين معا في الشخص الواحد[٢٩].

لم يقف التشابه عند شتراوس بين الأسطورة والأيديولوجيا السياسية من حيث «الوظيفة»، فقد أقام تشاكلا بينها وبين «الموسيقى» من حيث «البنية». إذا كان الجامع بين الأسطورة والأيديولوجيا - بملاحظة الوظيفة - هو التماسك والاندماج الجماعي، فإن الجامع بين الأسطورة والموسيقى - بملاحظة البنية - هو المعنى الكلياني. يقول ليفي شتراوس بهذا الصدد: «علينا بالتالي قراءة الأسطورة وكأننا بهذا القدر أو ذاك نقرأ نص أوركسترا. فلا ندركه مقطعا بعد آخر، بل صفحة كلية بعد صفحة (...) علينا ألا نقرأ من اليسار إلى اليمين، بل نقرأ عموديا في الوقت ذاته، من الأعلى إلى الأسفل. ينبغي أن نفهم كيف تشكل الصفحة الواحدة مجموعا كليا. ومن دون معاملة الأسطورة كنص أوركسترالي - يكتب مقطعا إثر آخر - لن يكون في وسعنا فهمها كمجموع كلي واستخلاص معناها»[٣٠].

إن كان الصوت والمعنى - كما يقرر دوسوسير ويؤكد جاكبسون - هما قوام اللغة، فإن الأسطورة ظاهرة لغوية بامتياز. لا بل إنها كاللاشعور مبنية على شاكلة اللغة. أو ربما ذهبنا بعيدا مع «لاكان» فاعتبرنا كل ما هو بنيوي هو لغة من حيث إنه «لابنية إلا للغة أو باللغة» (= لاكان)[٣١]. فسندرك لا محالة أن المقومين معا (= الصوت والمعنى) حاضران في الأسطورة والموسيقى. والفارق فقط من وجهة نظر ليفي شتراوس هو في درجة التكثيف. حيث يتكثف المعنى في الأسطورة بقدر ما يتكثف الصوت في الموسيقى. إذا أخذنا بعين الاعتبار هذا التشاكل الكبير بين البنيتين، استنتجنا تشاكلا آخر بالتلازم، بين الأيديولوجيا والموسيقى من حيث البنية. لكن ما درجة التكثيف إذن، إن نحن سلمنا بوجود المقومين معا (= الصوت والمعنى) في الأيديولوجيا، من حيث هي مبنية على شاكلة اللغة، إذا كان التكثيف المعنوي في الأسطورة هو مناط تميزها عن الموسيقى ذات التكثيف الصوتي، فما الذي يتكثف في الأيديولوجيا، الصوت أم المعنى، أم أنهما يبرزان على قدر سواء؟

الأيديولوجيا في «منظورية» كارل مانهايم

يدرك بول ريكور خطورة المغامرة التي يخوضها وهو يسعى إلى وضع حل للمشكل الأيديولوجي، مع احتفاظه بالمنظور التهويني ذاته للأيديولوجيا وطبيعتها الإضلالية. وبتأثير من كارل مانهايم يسعى ريكور إلى تركيز نظره على الوظيفة الحقيقية للأيديولوجيا. أجل، إن قراءة ريكور هي في الحقيقة قراءة منوعة ومزيدة في الآن نفسه على منظور كارل مانهايم، كما لخصها هذا الأخير بوضوح في أشهر كتبه «الأيديولوجية والطوبا» تأخذ الأيديولوجيا عند مانهايم - الذي استصحب إلى حد ما الإرث الماركسي - معنيين:

- **المعنى الكلي** (= الأيديولوجيا الكلية) وهو يتعلق بالنسق الفكري في كليته وعلاقته بالوضع الاجتماعي، أو بتعبيره هو: «البنية العامة لروح حقبة تاريخية أو طبقة اجتماعية»[٣٢].
- **المعنى الخاص** (= الأيديولوجيا الجزئية) «التي تنطبق على بعض مزاعم الخصوم وتطرح مشكلا سيكولوجيا»[٣٣]، أو «المنظومات الفكرية الفعالة في الميدان السياسي»[٣٤].

يشير جورج جورفيتش إلى أهم المؤاخذات على نظرية مانهايم المعرفية في ما يلي:

١- أنها بقيت نظرية أسيرة ابتسارات تزعم أن كل أفق سوسيولوجي من شأنه أن ينال من صلاحية المعرفة ذاتها.

٢- تتسم نظريته بهيمنة المسألة الأيديولوجية.

٣- يعتبر أن النخبة المثقفة خليقة بإلغاء المفاعيل الاجتماعية للمعرفة.

٤- حصره الأنواع المعرفية بالمعرفة السياسية المشدودة بدورها إلى المعرفة الفلسفية[٣٥].

لكن ما يبدو هنا، أن كارل مانهايم يملك دفع هذه الملاحظات بمبررات أقرب إلى الوجدان من هذه الاستشكالات، لسبب بسيط، وهو أنه انطلق منها كإشكاليات حاضرة في تحليله للمشكل الأيديولوجي.

لا ينفي مانهايم وجود ذلك المائز الظاهري ما بين الأيديولوجيا والطوبا حتى لو سلم بأنهما معا تشتركان في مجاوزة الواقع أو عدم امتلاكه. فبينما الأيديولوجيا - في نظر خصومها - هي وعد بالمستحيل (= وعد باللاواقع المتوقع).

هكذا، إذا كانت الليبرالية - كأيديولوجيا في نظر الاشتراكيين - تناقض منطق التطور، فإن الاشتراكية - كطوبا في نظر الليبراليين - تناقض منطق الحاضر بمجاوزة الواقع. التهمتان معا صحيحتان، ولإيجاد تفسير لهذه المفارقة، حتى لا تكون الأيديولوجية والطوبا معا تنطويان على معايير ذاتية للترجيح، لا مناص من الاستسلام للمنظور النسبوي. والحق، أن مانهايم سوف يقلب المعادلة، ليقيم فكرته على أساس نسبي يقوم على المنظور وليس العكس. لذا أسمي منحاه بـ : «المنظورية perspectivisme»، متفاديا بذلك تهمة «النسبوية» - التي مع ذلك

اتهم بها كما رأينا. المنظورية تختلف عن النسبية في نظر مانهايم، لأن هذه الأخيرة فيها شيء من الميل إلى الاعتقاد بالحقيقة المطلقة. في حين يقوم المنظور على أساس استحالة امتلاك هذه الحقيقة. وبناء عليه، فإن الأيديولوجية والطوبا كلتيهما صفتان ممكنتان لكل نظام فكري بحسب وضعه التاريخي وإطاره الاجتماعي. ليست الأيديولوجية والطوبا إذن صفتين مطلقتين، بل هما صفتان ممكنتان، قد تخلعان على النظام الفكري الواحد، لكن في أطوار تاريخية وأوضاع اجتماعية مختلفة. وعليه، ليس ثمة مائز حقيقي للأيديولوجيا عن الطوبا في هذا المنظور «المنظوري» عند مانهايم إزاء الواقع سوى ما يفرضه وضعهما التاريخي والاجتماعي. ولكنهما معا يظلان يمثلان وعيا مغشوشا للواقع. إن «المنظورية» في رأي مانهايم - خلافا للنسبوية - كفيلة بأن تقيم العلم في المجال الاجتماعي. فالنزعة الديموقراطية الشديدة عند مانهايم، هي ما دفعه للاستعاضة بالمنظورية عن النسبية، باعتبار تلك أساس تحرر الإنسان. من هنا دور النخبة المثقفة التحررية القادرة على التحرر من الأطر الاجتماعية للمعرفة[٣٦]، والقادرة على ممارسة النقد - لنقل بتعبيرنا - النقد المزدوج الذي بقدر ما يستفيد من النقد البيئي لمختلف المنظومات الفكرية، فإنه لا يتقيد ببداهاتها باعتبار أن كل تلك البداهات والأطر هي عارضة على الواقع، بوصفه متغيرا. والمعرفة الموضوعية إذن تتجلى في عملية إدراك هذه النظم المعرفية بوصفها محددات آنية. فهي في ذاتها تحظى بالقدر ذاته من الانسجام الداخلي. لكن قيمتها النهائية ليست في مدى مطابقتها للواقع، بل بلحظتها التاريخية ووضعها الاجتماعي. وعليه فإن موقف مانهايم من الأيديولوجيا - وإن كان يحمل أختاما هيجلية وماركسية إلى حد ما - يختلف بشكل لافت للنظر مع وثوقيتهما. فنزعته الديموقراطية ستدفعه للاعتقاد بأهمية علم السياسة بالنسبة إلى النخبة المثقفة المتحررة، للذود عن الديموقراطية الاجتماعية[٣٧]. فلم تعد الأيديولوجيا هي البؤرة المهيمنة على نظرية مانهايم، حيث أصبحت أرضية إقلاع مناسبة لعلم اجتماعيات الثقافة، بل سوف تكون بؤرة للعلوم السياسية أيضا.

مع بول ريكور: الأيديولوجيا من منظور أنطولوجي!

بناء عليه، نستطيع استيعاب القراءة الجديدة التي ستنهض على هذا المنظور المانهايمي، أقصد المعالجة التي قدمها بول ريكور ضمن قراءة متعددة الأبعاد.

لقد وسع مانهايم من مفهوم الأيديولوجيا وعمل على تضخيمه ليجعل منه البؤرة الإشكالية في اجتماعيات الثقافة وعلم السياسة. ليس ثمة فكر خارج عن قانون «المنظورية». ما يجعل الأفكار عموما واقعة في مأزق «الزيف» الأيديولوجي مهما اكتسبت هذه الأخيرة من استحقاقات وظيفية تاريخية واجتماعية. وبناء عليه، لا ينوي ريكور إعادة النظر في حقيقة الأيديولوجيا من حيث إنها إضلالية بملاحظة علاقتها بالواقع الذي تزعم التعبير عنه - وليس

بملاحظة تكوينها الداخلي أو معيارها الذاتي - فما هو مهم بالنسبة إلى ريكور في منظورية مانهايم، هي تلك الصفة التي يتعين أن يتحلى بها المثقف الحر أو الإنتلجينسيا المتحررة من ضغوط الأطر الاجتماعية للمعرفة ومحدداتها. طبعا لن يكون في وسع ريكور الاقتناع بالموضوعية المطلقة، لكنه سيحاول أن يفهم الأيديولوجيا من خلال زوايا متعددة. التحرر الممكن الذي يجعل الإنتلجينسيا قادرة على الإمساك بالواقع الموضوعي، ليس من حيث كون الأيديولوجيا انعكاسا له أو تعبيرا عن أشيائه، بل بوصفها هي نفسها - لو صح قولنا - حدثا واقعا. وهذا لا يعدم أن تكون الأيديولوجيا - إذا اعتبرناها نصا - لها أشياؤها وتلك مقايسة منا على موقف ريكور نفسه من النص. النص الذي يملك خاصية الانفكاك وإعادة الانبناء. أي إمكان تجدد التناص بناء عليه، يصبح للنص عالمه الآخر خارج القصود والتمثلات. بل يصبح له أشياؤه les choses du texte[٣٨]، التي يتعين الالتفات إليها. هذا الموقف الريكوري من النص يحضر بشكل أو بآخر في موقفه من الأيديولوجيا - إذا سلمنا بكونها نصا مفتوحا له عالمه المختلف وأشياؤه الممكنة - كمعطى يتعين النظر إليه من زوايا مختلفة.

تطمح هذه المقاربة للأيديولوجيا إلى تحرير المقاربة الماركسية نفسها من الحصر الذي آلت إليه. فالمفهوم الماركسي للأيديولوجيا لم يقطع نهائيا مع الثنائيات المفهومية الميتافيزيقية من قبيل النظرية والممارسة أو الواقع والمتخيل. وهذه العملية - تحرير المفهوم من هذا الحصر - لا تتحقق إلا عبر إيجاد مفهوم ثالث، أي الوسيط الرمزي، الثاوي في الفعل الإنساني، الذي هو خليط من التمثل والخيال. فالجماعة التاريخية حينما تكوِّن صورة عن نفسها، إنما هي تعي وجودها عبر هذه التمثلات، التي يلعب فيها المخيال الجماعي دورا كبيرا. هذا المخيال الجماعي ذو النشاط المكثف والمزدوج هو تارة يحيل على البنية التناقضية للجماعة التاريخية، وتارة أخرى يحيل على الهوية الجماعية المنسجمة.

أي تارة يعمل بصورة مساوقة للأيديولوجيا، وتارة يعمل بصورة مساوقة للطوبا. لكن أيا كان الأمر، فالمنظور التأويلي عند ريكور لا يرى في هذه الصورة سوى تأويل مستمر للحدث أو جملة الأحداث المؤسسة لهوية الجماعة التاريخية. من هنا تغدو الأيديولوجيا نفسها تأويلا. إن لها وظيفة استحضار ونمذجة الحدث - فهي بهذا المعنى مشروع ارتجاع تأويلي - و وصل للذاكرة الجماعية بالحدث المستعاد تأويلا. إن عملية استحضار الحدث المؤسس واستصحاب فعاليته، هو ما يمكِّن الجماعة التاريخية من الاندماج واستمرار هويتها. من هنا تبرز أهمية الوظيفة الأيديولوجية من حيث هي ذاك الوسيط الرمزي الذي تتم من خلاله عملية الإدماج. حضور الحدث أيديولوجيا[٣٩] في الوعي كفيل بتعيين النسق وحفظ انسجامه.

ثمة في منظور ريكور ثلاث وظائف للأيديولوجيا: إدماجية وتبريرية وتزييفية. إذا كانت الأيديولوجيا حقا مثلت ذلك الوسيط الرمزي المسؤول عن وظيفة دمج الجماعة في هويتها

التاريخية وشرعنة وجودها على وفق هذه الصورة، فإن ثمة وظيفة ثالثة محايثة، هي الجانب غير السوي - المرضي - الملازم للوظيفتين: الإدماجية والتبريرية. هذا الوجه الإضلالي الملازم، بل المحايث للوظيفتين، هو ما يدفع بعملية الخداع إلى ما لا نهاية. ما يجعل الأيديولوجيا ذاتها سلطة لا نقدية [٤٠]. وذلك حقا، ما يجعلها منظومة معلقة وجامدة. إن الأيديولوجيا بناء على ما سلف، ستسقط لا محالة في فخ الهيمنة وتصبح هذه الأخيرة أداة فرضها.

مع ريكور سيتضح إلى حد ما المائز الوظيفي لكل من الأيديولوجيا والطوبا، كما أشار إلى ذلك أيضا كارل مانهايم، كما أسلفنا ذلك، لأن الأيديولوجيا سيؤول أمرها إلى تحديد مساحة مقننة للإرغام الفكري، يلعب فيها الخداع دورا بارزا. وذلك استنادا إلى سلطة الإقناع وسلطة الواقع الاجتماعي القائم. في حين تبدو الطوبا ثورة وتهديدا للأوضاع القائمة. إن وجودها في الحقل ذاته الذي تهيمن عليه سلطة الأيديولوجيا، وفي ظل إكراهات الأطر الاجتماعية، يجعلها حقا تمثل تمردا يذكي حلم كيانات مغلقة على كبوتات وإرغامات، الأمر الذي يؤدي إلى قيام خطاب عنفي ودموي[٤١].

ثمة ما يرفضه ريكور في «منظورية» مانهايم، وهو تلك الطوبا الحالمة التي أحاط بها هذا الأخير تصوره لوضعية الإنتليجينسيا المتحررة من إكراهات الوضع الاجتماعية ومحددات الأيديولوجيا المعبر عنه. ومع إدراك هذا الأخير للمشكل الأيديولوجي من الناحية الإبستمولوجية، حيث تعميمها على مطلق الأفكار، قد يسحب من تحت أقدامنا كل أرضية صلبة ممكنة للنظر الموضوعي والمتحرر إلى الأيديولوجيا. إنه من هذه الناحية لا يوافق على إمكان النقد الجذري[٤٢]. لكنه في الوقت ذاته لن يقبل بالنسبة المطلقة أو ما يمكننا نعته بـ «استحالة العلم». فمع تسليمنا بالتناهي الأنطولوجي - الهيدجري - لأن ريكور يرى ضرورة أن يدخل هذا التناهي في صميم بناء المعرفة الاجتماعية، وألا يكون عائقا معرفيا. وهذا كفيل بطرد المحدد الوضعاني لمفهوم العلم - في المجال الاجتماعي - ما يؤدي إلى إمكان العلم - ضمن حدود التناهي - كشرط أنطولوجي - بعيدا عن ادعاء الإحاطة المطلقة والنقد الجذري وبعيدا عن سد الطريق أمام المعرفة والاستسلام إلى دعوة استحالة العلم. إنه تأسيس فقط لإمكان المعرفة التقريبية. فذلك هو المخرج الممكن للمعرفة بناء على الإمكان الأنطولوجي نفسه، من حيث هو إمكان متناهٍ. لقد استطاع ريكور حقا، أن يتفادى مأزق الأيديولوجيا، وتحديد إشكالية الوظيفة الإضلالية لها. متوسلا بالمحدد الأنطولوجي، ليجعل بذلك النقد الأيديولوجي رهين النقد الأنطولوجي. لكن تُرى إلى أي حد استطاع ريكور التحرر من شيطان الأيديولوجيا وخداعها. وإلى أي حد يمكننا اعتبار المحدد الأنطولوجي الهيدجري نفسه واقعا خارج نطاق خداع الأيديولوجيا ومعافى من مرضها المزمن؟!

يمكننا، بعد هذه الجولة المقتضبة حول وجهات النظر المختلفة بخصوص الأيديولوجيا كمفهوم ووظيفة وأهم الإشكالات التي يطرحها النقد الأيديولوجي، أن نخرج بخلاصة مفادها التالي:

- أن للأيديولوجيا وظيفة تؤديها على وجه الضرورة.
- أن للأيديولوجيا علاقة بالأطر الاجتماعية للمعرفة.
- أن زيف الأيديولوجيا هو الوجه المرضي من وظائفها.
- كون الزيف يمثل الوجه المرضي من وظائف الأيديولوجيا، لا يعني إمكان استئصاله، مادامت الوظيفة الإضلالية للأيديولوجيا محايثة لوظيفتها: الإدماجية والتبريرية.
- تنتج عن شمول الأيديولوجيا لكل أشكال التفكير الممكنة، إشكالية زيف المعرفة واستحالة النقد الجذري. والنتيجة: استفحال الاضطراب المعرفي وسريان القلق الفكري.
- تشكل الأفكار الحالمة - الطوباوية - إزعاجا وتهديدا للمجال المهيمن عليه أيديولوجيا. والنتيجة، أن تعلق المجتمع المقموع بهذا الحلم يوشك أن يربك الواقع الاجتماعي بخطاب عنفي أو دموي.
- إن الحديث عن علم مناضل - وعلم بورجوازي مقابله كما ذهب لينين - يجعل من النقد الأيديولوجي الماركسي - كما يذهب ريكور - مجرد أيديولوجيا.
- **فنخلص** أخيرا إلى التساؤل التالي: إذا كانت الأيديولوجيا لازمة الفكر. وإذا كان الضلال جزءا من وظيفتها، أي أن قدر معظم الفكر البشري أن يكون ضلاليا. فمن يصون الحقيقة يا ترى؟ وهل يمكننا اعتبار ذلك أَسَدَّ الأدلة على حاجة البشر إلى معيار لتصحيح الفكر من خطر السقوط في الضلال الملازم واللابُدِّي للفكر الإنساني؟ تلك تساؤلات تفرض على العقل الإنساني مزيدا من العمق وكثيرا من الأناة وقليلا من التسرع في بناء الأحكام، لا سيما حين ندرك أننا جئنا إلى عالم متخم بالملاء الأيديولوجي. فليس من المبالغة في شيء، القول إننا غارقون حتى الأذقان في بحر من الأيديولوجيا. فالأيديولوجيا وجدت قبلنا وستبقى بعدنا. إن قصة الإنسان الحر، هي قصة صمود في وجه الغواية الأيديولوجية. بل هي قصة غرام بين الفكر والأيديولوجيا، ينجح أحيانا وينتهي إلى الفشل أحيانا أخرى. فمن ينقذ الكائن من سكرات الأيديولوجيا؟ أم أن الحل في ألا يفكر الكائن. حيث كلما فكر، فكر أيديولوجيا. أليس ذلك يكفي لأن نقول إن الإنسان كائن أيديولوجي خطاء؟!

الهوامش

1 برهييه، أميل، تاريخ الفلسفة: القرن التاسع عشر، ت: جورج طرابيشي، ص٣٨-٣٩، ط١، أكتوبر ١٩٨٥، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

2 هو كلود فرانسوا دي ماليه، جنرال فرنسي (١٧٥٤ - ١٨١٦) استغل غياب نابليون عن فرنسا، ليعلن وفاته ضمن خطة تآمرية فاشلة، أعدم على إثرها.

3 أيديولوجيا Idéologie، كلمة مركبة من idée تعني الفكر ولوجي logie، بمعنى علم. لذا فهي تحمل معنى «علم الأفكار». وهو المعنى الأول الذي عرفت به. لكنها سرعان ما صارت بمعنى النظام الفكري أو منظومة الأفكار. أو ما يجعل الدلالة نفسها لمفهوم العقيدة.

يقول عبدالله العروي: «إن كلمة أيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية. تعني لغويا، في أصلها الفرنسي، علم الأفكار. لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصيلة». العروي، عبدالله: مفهوم الأيديولوجيا، ص٩، ط١، ١٩٨٣، المركز الثقافي العربي - بيروت.

4 دافيد برايبروك، «دائرة معارف الفلسفة»: Encyclopedia of philosophy، ت: د. أسامة عبدالحليم زكي، مجلة الفكر العربي، مأزق الأيديولوجيا، عدد أبريل - يونيو ١٩٩٢، العدد ٦٨.

5 يقول هنري دافيد ايكن: «إن ما لم يفهم بالوضوح الكافي ربما هو أن العقائد الأساسية لفلاسفة القرن التاسع عشر، هي أيضا أيديولوجيا إلى حد بعيد (...) ولذلك فلا يقتصر رأيي على أن معظم العقائد البارزة والمؤثرة لفلاسفة القرن التاسع عشر هي، في جوهرها، أيديولوجية الطابع فحسب، بل أرى أيضا أنه منذ «كانط» تزايد الوعي بأن المهمة الأولى للنقد الفلسفي لا تمت بصلة إلى «العلم» في أي معنى من المعاني المألوفة لهذا الاصطلاح، بل تمت إلى شيء لا تلائمه غير كلمة «الأيديولوجيا». انظر: عصر الأيديولوجيات، ت: محيي الدين صبحي، ص٦ و٧، ط٢، ١٩٨٢، دار الطليعة - بيروت - لبنان.

6 لم ينف كانط «النومينا» Noumena كواقع مستقل، بل أخرجه من إمكان المعرفة والفهم. فالفهم لا يعالج إلا ما قدمه الحس عن الواقع في صورة ظواهر، أي الموضوعات التجريبية التي تعرض على الفهم، الشرط الوحيد لتحقق المعرفة. هذا ما عنيناه باستثناء كانط للنومين من الإمكان العقلي، أي العقل النظري. أما عن التفافه على «الترنسندنتالي»، فقصدنا به استثناءه الوجود المتعالي من إمكان العقل النظري، شأنه في ذلك كالنومينا. إلا أنه سرعان ما التف عليه مجددا وأقره بالعقل العملي. وهذا الالتفاف لا يعني أن كانط - حقيقة - لم يكن يدرك خطورة المأزق، بل لعله أدرك أنه لا مناص في كونه الإمكان الوحيد المتاح لمعرفة المتعالي، معرفة قائمة على أساس التصديق الأخلاقي، بعد أن خبر عجز العقل النظري على صياغة دليل على هذا الوجود دون أن يقع في دوامة المفارقة، كما حدث مع الدليل الأنطولوجي مثلا. المنشأ الإشكالي لهذا الالتفاف في تصورنا راجع إلى سريان التقليد الأرسطي والمدرسي نفسه في هذا التقسيم العقلي المثنوي مع كانط، لكن أهميته تبقى بالغة، إذا نظرنا بالفعل إلى ذلك كخطوة نقدية أولى على طريق توسيع مجال العقل، حتى لا يكون المعقول قصرا على النظري.

انظر: كانط، إيمانويل: نقد العقل الخالص.

7 هذا بالفعل ما جعله يسخر من مزاج الفلاسفة بقوله: «أن يكون الإنسان فيلسوفا، أن يكون مومياء».

إن «الصيرورة» هي الحقيقة التي يتعين إدراكها. لكن العقل عاجز عن ذلك، بخلاف الحواس التي لا تكذب في نظره، لأنها تكشف عن الصيرورة. أما العقل فهو عاجز أيما عجز عن ذلك. لهذا لا يخفي نيتشه حنقه على

الفلاسفة مسخفا أفكارهم قائلا: «تسألونني عن كل ما يتعلق لدى الفلاسفة بالمزاج، إنه مثلا، غياب الحس التاريخي لديهم. حقدهم على فكرة الصيرورة نفسها، يعتقدون أنهم يمجدون قضية ما بتجريدها من تاريخها، بتحنيطها. كل ما دبره الفلاسفة منذ ألفيات، لم يكن سوى موميات أفكار، لا شيء حقيقيا خرج حيا من بين أيديهم» أفول الأصنام، ص٢٥، ت: حسان بورقية ومحمد الناجي ط١، إفريقيا الشرق، ١٩٩٦.

8 يقول نيتشه: «إن الأخلاق، كما فهمت حتى الآن - كما صاغها شوبنهاور في نهاية المطاف، كـ «نفي لإرادة الحياة» - هذه الأخلاق هي غريزة الانحطاط نفسها...» ص٤١، المصدر نفسه.

9 S.Freud, l'interprétation des rêves, traduit par I.Meyerson et D.Berger p 52, Paris, P.U.F, 1967.

10 K.Marx et F.Engels, l'idéologie allemande, P.51; traduit par Auger, Badia, Baudrillard, Cartelle, editions sociales, Paris.

11 برايبروك، دافيد، المصدر نفسه، ص٣٢.

12 Jean, Hyppolite, introduction à la philosophie de l'histoire de Hegel, P.31, edition du seuil 1983.

13 الأيديولوجيا كما تحدث عنها دي تراسي، تدرس الملكات الإنسانية وتمايزها. انظر، برهييه، إميل، المصدر السابق، ص٤١.

14 لعله من عجيب المصادفات أنني اكتشفت بعد استعمالي لهذه العبارة أن الأستاذ علي حرب كان قد استعملها في مناسبة أخرى. والحق أن مثل هذا التوافق الذي يحدث كثيرا في مثل هذه الموارد يعزز قوة ومصداقية الحكم. إن هذا التعبير الذي جاء في الأثر ويقصد به ذم المرأة - مع أن هذا الذم ليس فقط مناقضا للموقف الأخلاقي من المرأة، بل هو غير ممكن ومستحيل، لأن ذم المرأة لا يتحقق إلا عبر ذم الرجل، فكان أحرى أن نتحدث عن مثالب الرجل ومثالب المرأة، إذن، لكان ذلك أهون - إنما يلحظ في هذا التمثيل ما تملكه الأيديولوجيا من قدرة لا نهائية على فعل الغواية، وما تبديه الأيديولوجيا من استدراج وفتنة وتبرج، يجعل الأيديولوجيين الواقعيين في فخ غوايتها، في حالة من الوله والسكر والهيام. إنهم حقا في حالة المسكون بحب ليلى العذري. والحق أن أمثال هؤلاء المنخطفين بسحر الأيديولوجيا معذورون عذر هؤلاء الهائمين في سحر الغواية أو الحب العذري... قد يفيقون أحيانا وقد يوقعهم الوعي الشقي في فخ الانتحار أحيانا أخرى. فالتعبير أعلاه يلخص النكتة المذكورة في المقام.

15 Althusser, Louis; écrits philosophiques et politiques, tome 2 page 470, éditions - 1995 - STOCK/IMEC.

16 Althusser, Louis; pour Marx, p 238 - éditions la décoverte 1, place, Paul-painleve-ve Paris-1986.

17 Over-determination أو بالتعبير الفرنسي الأصلي Surdetermination. ترجمها البعض حرفيا إلى العربية بـ : الحتمية المفرطة، أو بنية: البنى الكامنة، الترجمتان معا تؤديان جانبا من المعنى. فقد وجد ألتوسير في هذا المفهوم مندوحة للتخلص من موقفين: **الأول** يتعلق بالمنزع الاقتصادي للماركسية الرثة التي ترى أن العامل الوحيد المؤثر والمسؤول عن التحويل الاجتماعي، هو العامل الاقتصادي او التناقضات الجارية في المستوى الاقتصادي. أما الموقف **الثاني**، فهو الموقف التفريطي الذي يكاد يهمل نهائيا العامل الاقتصادي في عملية التحويل هذه. فمن جهة، أعطى الجهازين السياسي والأيديولوجي دورا مؤثرا إلى جانب الجهاز الاقتصادي، إذ إن كل التناقضات الجارية في البنى الأخرى، يرى ألتوسير أن عملية التحويل الاجتماعي هي نتيجة لتناقضات مختلفة، ليس فقط تناقضات اقتصادية، بل أيضا تناقضات سياسية وأيديولوجية. إذن، فما أسماه ألتوسير Surdeterminé يعني تداخل مجموعة مؤثرات في الحدث الواحد.
انظر pour marx, p240-241

18 المصدر السابق ص: ٢٤٠ و٢٤١.

19 المرحلة المرآتية أو Stade du miroire، حسب جاك لاكان، هي لحظة اكتشاف الطفل صورته. هذا الاكتشاف الذي

يتحقق بواسطة الآخر. إذن نفهم من ذلك، أن الذات عاجزة عن التعرف على صورتها إلا من خلال الآخر. مما يجعل الأنا كما يؤكد «لاكانش مرتهنة للخيال. إن الأنا يظهر من خلال الآخر، أي أن علاقته مع صورته هي علاقة مخيالية. من هنا، الأنا المتخيلة، أو الوعي المتخيل. وجدير بالذكر أن جاك لاكان قدم فكرته عن المرحلة المرآتية ضمن ورقة بحث في المؤتمر الدولي للتحليل النفسي - مارينباد، ١٩٣٦، حيث بموجب ذلك انضم إلى هذا المجمع.
Simonelli, thierry: le moi chez freud et chez Lacan (1999)
عن المرحلة المرآتية، انظر: http://dogmd.free.fr/txt/lacan5.htm

20 المصدر السابق Altusser, louis; pour Marx, p239

21 يقول محمد حسين دكروب بهذا الخصوص: «نستطيع القول بصددها إن الأيديولوجيا «البدائية» إذا صح التعبير، «هي أيديولوجيا غير مكتوبة، إنها نص معاش، وهي بهذه الصفة تحديدا عرف وتقليد»، الأنثربولوجيا: الذاكرة والمعاش ص٣٤ دار الحقيقة، بيروت ط٢، ١٩٩١م.

22 Altusser, louis, écrits philosophique et politiques. P470 Tome II

23 المصدر نفسه ص٤٢٥.

24 Levi-Strauss, Claude, Anthropologie structurale p 231, plon 1971. Paris.

25 المصدر نفسه ص ٢٣١.

26 «مجتمعات ما قبل الرأسمالية» نقلا عن، مرشو، غريغوار: أيديولوجيا الحداثة - ط١، ٢٠٠٠، الأهالي - دمشق.

27 ليفي شتراوس، كلود، الأسطورة والمعنى، ت: صبحي حديدي ص٢٥ و٢٦، ط١، ١٩٨٥، دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - سورية.

28 المصدر نفسه، ص٣٠.

29 المصدر نفسه، ص٣١.

30 المصدر نفسه، ص٤١ و٤٢.

31 جون ستروك، البنيوية وما بعدها، ت: د. محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد ٢٠٦، فبراير، ١٩٩٦م، ص ١٧٨، الكويت.

32 العروي، عبدالله، مفهوم الأيديولوجيا، ص٧١، سبق ذكر المصدر.

33 Gazenneuve, Jean, dix grandes notions de la sociologie p.66, éditions du seuil, 1976

34 العروي، عبدالله، المصدر السابق، ص٤٦.

35 جورفيتش، جورج، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ت: د. خليل أحمد خليل ص: ٦٦ و٦٧، ١٩٨١ - المؤسسة

36 الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت.
Gazeneuve, Jean, dix grandes notions de la sociologie p.66

37 العروي، عبدالله، مفهوم الأيديولوجيا، ص٤٩.

38 Ricoeur, Paul, du texte à l’action p.368 édition du seuil 1986

39 هذا يعني أن الحدث الماضي المستعاد، يحضر في صورة أيديولوجيا يلعب فيها المخيال دورا رئيسا.

40 المصدر نفسه، ص٣٠٨.

41 المصدر نفسه، ص٣٠٩.

42 المصدر نفسه، ص٣٨٠.

أثر الصراع العربي - الإسرائيلي في حركة الترجمة من العربية إلى العبرية

د. محمد أحمد صالح حسين(*)

الترجمة إثراء للثقافات ونافذة على الآخر

يضع الباحثون تعريفات عديدة ومتنوعة للترجمة، تتفق والزاوية التي ينظرون إليها منها والأهداف والمقاصد المنوط بها تحقيقها، فالترجمة «تعبر عن منظور وغايات من يقوم بها»[1].

والترجمة في معناها القريب والمباشر والأولي هي نقل من لغة إلى لغة بدقة وأمانة، وهي أيضا علم باللغتين المنقول منها والناقلة، ومعرفة بالمادة التي تشكل موضوع الترجمة واشتغال المترجم. والترجمة بهذا الشكل تعني قراءة لنص بغير لغته. وكل قراءة بناء. فهي إذن، وللغتها الخاصة، إعادة بناء نص سجل نفسه على نحو مغاير ومختلف. من هنا تصبح الأعمال المترجمة «جزءا من الثقافة المستقبلة، وذلك بعد أن تنتقل من اللغة المصدر، لغتها الأصلية، إلى اللغة الهدف»[2].

ومع تحول الترجمة إلى علم يتمتع بالمنهجية والاستقلالية، بعد أن كانت محاولات فردية أو جماعية، بات هذا العلم يبحث في الأنظمة والبنى والأنساق والسياقات اللغوية والإشارية، بالإضافة إلى اشتغاله بعلوم أخرى متممة له ومكملة مثل: علم الاشتقاق وعلم التركيب وعلم المصطلح، فضلا عن علم الخطاب التواصلي، الذي يمثل عماد الترجمة الفورية، وعلم الخطاب الأدبي وغير ذلك من العلوم[3].

والترجمة في معناها البسيط أيضا هي تفاعل متصل ونشط بين مجتمعات وحضارات مختلفة، لتمثل صلة مباشرة بين الحضارات لجميع مجالات المعرفة في العلوم الإنسانية. لهذا أصبحت الترجمة عنصرا أساسيا في التعامل بين الشعوب والحضارات، ونافذة على تراث

(*) أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود - كلية اللغات والترجمة - برنامج اللغة العبرية المملكة العربية السعودية.

الأمم ونتاجها الفكري ومجمل نشاطها الإنساني، تنقله وتقتبسه وتنشره وتوطنه وفق احتياجاتها المعرفية والحضارية والتقنية والاقتصادية والسياسية[٤]. والترجمة بهذا المعنى تعني انفتاح البشر على بعضهم: علما وثقافة وأدبا وفلسفة وفكرا ودينا. وهي من هذا المنظور تساعد على تواصل البشر بعضهم مع بعض، وتساهم في بناء حضارة الإنسان. ولهذا تدل الترجمة على المستوى الحضاري وعمق الانفتاح الفكري والثقافي الذي تبلغه أمة من الأمم، وتدل أيضا على حيوية المجتمعات وتفاعلها مع ما يجري في مناطق أخرى في العالم[٥]، خاصة أن العالم يعيش في عصر صار فيه تعارف الأمم وإدراكها لحضارات وثقافات وطرق تفكير بعضها البعض أمرا ضروريا ومهما أكثر من ذي قبل. من هنا أبدت منظمة الأمم المتحدة - كما يشير سعيد إبراهيم عبد الواحد - اهتماما بهذا الشأن، فأنشأت مدرسة للترجمة في فيينا بالنمسا[٦].

وعلى المستوى الاجتماعي ينظر إلى الترجمة على أنها نشاط اجتماعي لاستيعاب وفهم المعرفة المطلوب توظيفها في النشاط المادي والمعنوي، أي الإنتاج الثقافي والعلمي، لدفع الحراك الاجتماعي وإعادة هيكلة بنية المجتمع ووعيه[٧]. فالترجمة على هذا المستوى تعبر عن قوة المجتمع في استيعاب أكبر قدر يعينه باختياره وإرادته من حصاد المعارف الإنسانية، سلاح الإنسان للتقدم. وبذلك تغدو الترجمة أداة للتعامل مع جديد العلوم الإنسانية والفنون. لذا باتت الترجمة ضرورة قياسا إلى التقدم العلمي المذهل الذي تنعم به البشرية، خاصة مع وجود وسائل اتصال قوية وفورية سهلت تقارب الشعوب وتواصلها. وهي بهذا تمثل الرابط بين الثقافة المحلية بتيارات الثقافة العالمية. فلقد لعبت الترجمات دورا مهما في نهوض المجتمعات على مر الحقب التاريخية المختلفة. فالترجمة حركة أخذ وعطاء، وحركة تبادل في جميع المجالات، تتيح اللقاء بين الثقافات والتفاعل بينها، وينتج عنها أن يشارك بعضها البعض في الاكتشافات العلمية والتكنولوجية والتراث الثقافي الإنساني[٨]. أي أن الترجمة، كنشاط اجتماعي، غدت أداة المجتمع للتعامل مع الجديد في العلوم والفنون والإنسانيات. وتمثل عاملا أساسيا - ضمن مجموعة عوامل متكاملة - للتقدم الحضاري. فهي أداة الأمة على صعيد المنافسة الحضارية لتكون سابقة في العصر، وأيضا مرجعا للثقافة العالمية تنهل منها الأمم الأخرى[٩].

ولقد أخذت الترجمة تلعب دورا مهما وحيويا في رسم العلاقة مع الآخر والوعي به. لقد أصبحنا - كما يقول الكاتب محمد الحوراني - نعيش عصرا بات فيه تمثُل الآخر أو الاعتراف به يشكل جانبا مهما في ظل الحضور الكثيف والفاعل للرأي والرأي الآخر، وفي لحظة زمنية واحدة على مسرح الحياة اليومية في عالم باتت تحكمه نظرية العولمة. فلم يعد تمثُل الآخر أو الاعتراف به ترفا فكريا، بل أصبح لازمة من لوازم الفكر الإنساني. فنجاح أي حوار اختياري أو إجباري لا يمكن أن يتم من دون احترام الآخر والإقرار له بحق الدفاع عن رأيه وفكره، والإتيان بالحجج والبراهين والأدلة بكل حرية. كما أن نظرية قبول الآخر كانت وما زالت جزءا

من ثقافتنا وحضارتنا. كما بات ضروريا تعميم ثقافة الآخر والتعايش معه والدفاع عن حقه في التعبير عن نفسه، مادام هذا الآخر يلتزم بقانون التعايش والحوار على أسس دينية وإنسانية واجتماعية(١٠). من هذا المنظور تمثل الترجمة أداة الإنسان وسبيله للتواصل مع الآخر، للخروج من قوقعته ومحليته وذاته نحو الآخر، المقيم هو أيضا في قوقعته ومحليته وذاته.

وهكذا تمثل الترجمة بشكل عام، والترجمة الأدبية بشكل خاص، قناة مهمة من قنوات الاتصال مع الآخر، وفعلا ثقافيا متقدما يستهدف محاورته وتنمية الوعي به. أي أنها تمثل تواصلا معه، ومجالا يمارس تأثيره فيه، ووسيلة نستدل بها على توجهاته. والترجمة على هذا النحو ليست مجرد نقل من لغة إلى لغة أخرى، بل حوار يقوم على وجود اعتراف متبادل بين قطبي الحوار، اعتراف بالحضارة والثقافة واللغة(١١). وعلى هذا النحو فهي تشكل أداة معرفية مهمة للوعي بالآخر والتعرف على فكره وثقافته وإمكاناته. أضف إلى ذلك أن الترجمة فعل ثقافي لا يظهر إلا في اللحظة التي تدرك فيها الجماعة مدى احتياجها لثقافة الآخر(١٢). وهنا يأتي دور المترجم الذي يجب أن يكون حساسا لما يقوم بترجمته من لغة إلى أخرى، فهو يختار من اللغة الأخرى ما يساهم في تطوير رؤية الآخر، والتحاور معه(١٣).

يتضح بعد هذا العرض لبعض تعريفات الترجمة والأهداف المنوطة بها أن الترجمة أصبحت نشاطا إنسانيا ضروريا، مادام الناس في هذا العالم يتحدثون ما يزيد على ٢٥٠٠ لغة، في كل واحدة منها ثروات فكرية وأدبية وعلمية، يجب أن يطلع عليها وينتفع بها متكلمو اللغات الأخرى. وعلى الرغم من هذا الإجماع على أهمية الترجمة وضرورتها وحيويتها، بحيث باتت تشكل مكسبا كبيرا وإغناء عظيما لأي ثقافة، فإننا نجد من يحكم عليها سلبا، فيرى فيها «تكريسا للغربة الثقافية، وخطرا على الثقافة الوطنية، وأداة في يد الاستعمار الثقافي»(١٤).

الترجمة من العربية إلى العبرية بين التقارب والصراع

تمت حركة الترجمة من العربية إلى العبرية في حقبتين تاريخيتين مختلفتين: الحقبة الأولى كانت في العصور الوسطى، إبان الحكم الإسلامي في الأندلس، والثانية في العصر الحديث، خلال المراحل المختلفة التي مر بها الصراع العربي الإسرائيلي. جرت حركة الترجمة في الحقبة الأولى في ظروف تاريخية تختلف تماما عن الظروف التاريخية للحقبة الثانية. كما اختلفت أيضا نظرة المترجمين اليهود في الحقبتين إلى الشخصية العربية: واقعها وثقافتها وحضارتها. كما اختلفت خلالهما دوافع حركة الترجمة من العربية إلى العبرية.

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة تركز في الأساس على الحقبة الثانية، التي شهدت مراحل الصراع العربي الإسرائيلي وتداعياته، لكنها ستلقي الضوء على الحقبة الأولى، لما تحمله من أهداف عدة تمثلت في التقارب، أي التأثر بالثقافة العربية والإسلامية، ونظرا للبعد المهم الذي لعبته هذه الترجمات في الحفاظ على التراث الثقافي والعلمي والحضاري للعرب

والمسلمين خلال هذه الحقبة. فقد تعرفت أوروبا على عدد كبير من المؤلفات الفلسفية العربية من خلال ترجماتها العبرية(١٥).

أولا: حركة الترجمة من العربية إلى العبرية في العصور الوسطى في اتجاه التقارب

ازدهرت أحوال اليهود تحت مظلة الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، فتطورت ونمت أحوالهم الفكرية والدينية والثقافية، ليطلقوا هم أنفسهم على هذه الفترة «العصر الذهبي» (تور هزاهاف). وتعكس ذلك بجلاء المؤلفات والترجمات العبرية التي وصلتنا من هذا العصر، التي حاكي فيها مؤلفوها اليهود الثقافة واللغة العربية وآدابها(١٦).

فقد تَشرَّب اليهود الحضارة العربية الإسلامية، وتَحسنت أحوالهم المعنوية والروحية والمادية، فعرَّبوا أسماءهم ولغتهم ورؤيتهم، وَتأثّرت آدابهم الدنيوية والدينية بالتراث العربي الإسلامي. وقد وصل اليهود في الفترة نفسها إلى مكانة عالية رفيعة، فعملوا في الوظائف الإدارية والمالية، حيث كان بعضهم يعمل في وظيفة يهود البلاط، واشتغلوا بالتجارة وبعض الحرف، مثل الصباغة والزراعة. وقد برز اليهود في وظائف بعينها مثل التجارة الدولية والترجمة بسبب وضعهم وثقافتهم، فقد كانوا يجيدون العربية والعبرية وبعض اللغات الأوروبية، الأمر الذي حوَّلهم إلى حلقة وصل بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

ووصل بعض اليهود - خلال هذه الحقبة - إلى أعلى الوظائف الحكومية، مثل الوزير حسداي بن شفروط الذي عمل طبيبا ودبلوماسيا في بلاط عبد الرحمن الثالث (٩١٢م - ٩٦١م)، والحكم الثاني (٩٦١م - ٩٧٢م). كما تحوَّلت الأندلس إلى أهم مراكز اليهودية في العالم. وتمثّل هذا في قيام عدة حلقات دراسية دينية مستقلة عن العراق في قرطبة وغرناطة وطليطلة وأشبيلية. وقد اندمجت النخبة اليهودية في محيطها العربي تماما، واستوعبت أعدادا كبيرة منها الفلسفات العقلانية والدنيوية التي كانت الأندلس تربة خصبة لها. وحتى مع تفكك الخلافة الأموية في إسبانيا، وظهور حكم الطوائف استخدم الأمراء عددا من اليهود مثل صمويل بن نغريلة وزير أمير غرناطة. كما كان اليهود يعملون أيضا مستشارين ماليين وسياسيين، وفي البعثات الخارجية للدول، ويهود بلاط، وملتزمي ضرائب(١٧).

وتردد الكتابات اليهودية أن العصر الإسلامي في الأندلس كان يمثل العصر الذهبي لليهود. إذ ازدهر الفكر اليهودي الديني والفلسفي نتيجة الاحتكاك بالمسلمين العرب. واكتسبت اللغة العبرية أعماقا جديدة من خلال علاقتها بالعربية، ودخلت عناصر الحياة على الشعر العبري كما هو واضح في أشعار يهودا اللاوي وموسى بن عزرا وغيرهما. وكتب المؤلفون اليهود موشحات لم تكن تحاكي الموشحات العربية فحسب، وإنما قلدت موشحات عربية بعينها من

دون تعديل أو تحوير. كما أدخل دوناش بن لبراط بحور الشعر العربي في الشعر العبري، ونشأ فن المقامة في العبرية، وتُرجمت مقامات الحريري وكليلة ودمنة، وظهر موسى بن ميمون أهم المفكرين الدينيين اليهود. كما انطلقت اللغة العربية على أفواههم رويدا رويدا، إلى أن أصبحت بالنسبة إليهم لغة الحديث والكتابة. كما كتبوا بها العديد من الأعمال؛ لأن العبرية - آنذاك - لم تكن قادرة على الوفاء بما يحتاجون إليه، وإن كتبوا بها «الشعر الديني» (بيوطيم)(١٨).

هكذا كان للمسلمين في الأندلس الهيمنة والسطوة السياسية والفكرية والحضارية على اليهود وثقافتهم، الأمر الذي جعل الشخصية العربية مثار إعجاب اليهود، لما تتمتع به من عمق فكري وحضاري وعلمي، رغم الخلاف الديني، فراحوا يترجمون عنها ويتأثرون بها، الأمر الذي عاد بالكثير على الثقافة اليهودية، فسميت هذه الفترة بـ «العصر الذهبي». وبهذه الأنشطة في مجال الترجمة أراد المترجمون اليهود أن يعلوا من شأن أنفسهم، وأن ينفوا عن أنفسهم اتهامهم بالجهل والتخلف مقارنة بالحضارة العربية الإسلامية آنذاك(١٩). من هنا نجد عائلتين كاملتين، لأكثر من ثلاثة أجيال، تخصصتا في أنشطة الترجمة من العبرية إلى العربية، وفي كل المجالات، وهما عائلتا تبون وقمحي.

وقد شملت حركة الترجمة في هذه الحقبة التاريخية كل المجالات، فشملت الفلك والطب والرياضيات والموسيقى والسحر والفلسفة. ففي مجال الفلك - على سبيل المثال - ترجمت «مقالة في هيئة العالم» لأبي علي الحسن بن الهيثم، التي ترجمها يعقوب بن مخبر بعنوان «مأمار بتخونا» (مقالة في علم الفلك)، وكتاب «في عمل الأسطرلاب» لأبي القاسم أحمد بن الصفار وترجمه يعقوب بن مخبر «سيفير بيروش هاإصطرلاب» (كتاب شرح الأسطرلاب)، وكتاب «رسالة مختصرة في المواليد» وترجمه قلونيموس بن قلونيموس بعنوان «إيجيريت بكيتسور همأمار بمولدوت» (رسالة في اختصار المقالة في المواليد). وفي مجال الطب كتاب «مقالة في النسيان وأسباب التذكر» لأحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الجزار وعنوان الترجمة «مأمار بشيخحا أوفما شيوليد هزيخارون» (مقالة في النسيان وما يؤدي للتذكر)، وكتاب «التصريف» لأبي القاسم الزهراوي الذي ترجمه مشولام بن تونا بعنوان «سيفير هحيفيتس هشاليم» (كتاب الشيء الكامل)، وقام المترجم نفسه بترجمة كتاب «مقالة في ضعف الباه» لمؤلفه عبيد بن علي جراجي بن خلوف الحكيم بعنوان «مأمار بميعوت همشجال» (مقال في ضعف الجماع). وفي مجال الرياضيات ترجم مردخاي فينيري كتاب «طرائق الحساب» بعنوان «سيفير أبو كامل بتحبولوت» (كتاب أبي كامل في الحيل). وفي الموسيقى نقل يهودا بن إسحاق كتاب «الفن الرابع من القسم الثاني في علم الموسيقى» لأمية بن عبد العزيز أبو الصلت إلى العبرية تحت العنوان نفسه «هاأوفين هرفيعي من هحيليق هشيني بحوخمات هموسيقا». وفي السحر تمت ترجمة كتاب «الثمار» لأبي أملح السرقسطي بعنوان «سيفير هتماريم» (كتاب التمور)(٢٠).

وفي مجال الفلسفة والفكر وبعض العلوم تم نقل معظم أعمال الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي إلى العبرية. فمن أعمال الفارابي ترجم موشيه بن تيبون كتاب «السياسة المدنية» أو «مبادئ الموجودات» بعنوان «سيفير ههتحالوت» (كتاب البدايات). وكانت أعمال ابن سينا من أكثر الأعمال التي حظيت باهتمام المترجمين اليهود الذين نقلوا إلى العبرية «كتاب النجاة» الذي ترجمه تدروس تدروس بالعنوان نفسه «سيفير ههتسالا»، وكتاب «الشفاء» الذي ترجمه ناتان هماتي، و«أرجوزة في الطب» الذي ترجمه موشيه بن تبون[٢١]. ولم يقل اهتمام المترجمين اليهود بأبي حامد الغزالي عن ابن سينا، فترجموا له «مشكاة الأنوار»، و«تهافت الفلاسفة»، و«التوحيد»، و«مقاصد الفلاسفة»، و«ميزان العمل».

وهكذا وجد اليهود لدى المسلمين ما يقبلون عليه وينهلون من فيضه ويترجمونه إلى لغتهم ثم ينقلونه بعد ذلك إلى اللغات الأوروبية، خاصة اللاتينية، حتى إن كانوا يمارسون هذا العمل بصفتهم جماعة وظيفية تلبي حاجات واهتمامات العالم الأوروبي المسيحي بهذه الترجمات، ليقوموا هم أيضا بنقلها إلى اللغة اللاتينية. ولقد لاقت ترجمات اليهود لتراث العرب ونتاجهم الحضاري في هذا السياق استحسان الأوروبيين؛ لأنهما ترجما عبر لغتين كانتا كلغة أم للمترجم. فاليهودي الذي ترجم من العربية إلى العبرية كان يتقن اللغتين، واليهودي الذي ترجم من العبرية إلى اللاتينية كان يتقن اللغتين أيضا[٢٢].

وهكذا ساهمت حركة الترجمة التي اضطلع بها اليهود فيما بات يعرف بـ «المثاقفة». فقد أثرت الثقافة العربية والإسلامية كثيرا في الثقافة والفكر اليهوديين، لتلعب الترجمة دور التفاعل المتصل والنشط بين الثقافات والحضارات المختلفة، لتمثل صلة مباشرة بين الحضارات لجميع مجالات المعرفة في العلوم الإنسانية.

ثانيا: حركة الترجمة من العربية إلى العبرية في العصر الحديث في اتجاه الصراع

ارتبطت حركة الترجمة من العربية إلى العبرية في العصر الحديث بظهور الحركة الصهيونية على مسرح الأحداث. من هنا كانت هذه الحقبة في مجال الترجمة من العربية إلى العبرية مختلفة كل الاختلاف عن الحقبة الأولى في العصور الوسطى من حيث أهداف حركة الترجمة واتجاهاتها، والظرف التاريخي الذي يقف وراءها، والموقف من الشخصية العربية، ثقافتها وحضارتها، ومن اللغة العربية أيضا وتعليمها. ومن الأهمية بمكان أن نلقي الضوء على موقف الحركة الصهيونية من الشخصية العربية ودوافع تعاملها معها.

أ – موقف الحركة الصهيونية من الشخصية العربية:

حرصت الأدبيات الصهيونية على تغييب الشخصية العربية استنادا إلى مقولة صهيونية هي «الحقل المهجور» (هساديه هناتوش). فلقد عمد المفكرون الصهاينة إلى تشبيه حلمهم في احتلال فلسطين والسيطرة عليها بعودة صاحب الحقل إلى حقله بعد أن هجره زمنا طويلا. وبالتالي فهي تحت السيادة الفلسطينية أرض متخلفة ومتدهورة، جاء الصهاينة لينهضوا بها ويكسبوها ثوب الحضارة والتقدم(٢٣). ولتبرير عمليات الطرد والتطهير يتم الربط بين تطهير هذا الحقل المهجور وعدمية آدمية الإنسان العربي، الذي اكتسب – وفق زعمهم – من الأرض تخلفها وتوحشها، الأمر الذي يترتب عليه عدم إحساس اليهودي بوجود هذه الشخصية، أو عدم الإحساس بأي نوع من أنواع الشفقة، وهو يقضي عليها في أثناء قيامه بعملية التطهير ليقيم مجتمعه العنصري الخالص، فتطهير هذه الأرض مرتبط بالقضاء على هذه الشخصية أو تغييبها أو على الأقل تشويهها(٢٤).

تتعامل الأيديولوجية الصهيونية مع الشخصية العربية من عدة منطلقات أساسية. يتعامل المنطلق الأول الخاص بالديانة اليهودية مع شخصية العربي على أنها من «الأغيار» (جوييم) من منظور عقيدة الاختيار، التي جعلت اليهودي يشعر بأفضليته على بقية البشر. لذا كان مصطلح «جوي» في التراث الديني اليهودي ينطبق على الشخصية العربية بالقدر نفسه الذي ينطبق على الشخصية غير اليهودية، لتصبح بالتالي مرفوضة دائما من جانب الأيديولوجية الصهيونية. ويتعامل المنطق الثاني الخاص برؤى ومفاهيم الاستعمار الغربي مع الشخصية العربية من منظور تقسيم الاستعمار الغربي للعالم إلى قسمين لا ثالث لهما هما: غربيون متحضرون متقدمون، وشرقيون متخلفون رجعيون. يحتل الغربيون المتحضرون المكانة الأولى؛ لأنهم هم الذين ينقلون الحضارة والمدنية إلى الشرق المتخلف. واليهود – وفق المنظومة الصهيونية ووفق التقسيم الاستعماري – هم الذين يحتلون مكان الغربيين المتقدمين المتحضرين، والعرب بشكل عام هم الشرقيون المتخلفون، ومن هذه الزاوية يصبح من حق الصهاينة التمتع بمزايا أعضاء الجنس الغربي المتقدم. ويتعامل المنطق الثالث الخاص بالإحساس بالاضطهاد بشكل عام، أو ما تسميه الكتابات الصهيونية «المعاداة للسامية»، والمرور بتجربة «أحداث النازي» بشكل خاص، مع الشخصية العربية من خلال رؤية مفادها أن الشخصية العربية ما هي إلا صورة من صور الاضطهاد عامة، وأحداث النازي خاصة، الموجهة إلى الشخصية اليهودية، بحيث ينظر إليها في هذا السياق على أنها «معادية للسامية»، على رغم ما في هذا التعبير من مغالطة وقلب للحقائق وتشويه للوقائع. ويتعامل المنطلق الرابع الخاص بالحروب بين إسرائيل والدول العربية مع الشخصية العربية على أنها عدو محدد المعالم، له هدف واحد يتمثل في القضاء على هذه الدولة ومواطنيها الذين يحتمون فيها من عالم الأغيار الذي يريد الفتك بهم. من هنا كان لابد أن تستعد

هذه الدولة بالسلاح والعتاد لمواجهة الشخصية العربية التي تود - حسب مزاعمها - أن تسلبها آخر ملاذ لها بل وتعتدي عليها.

وقد شهدت الحركة الصهيونية في بداياتها العديد من المواقف المتباينة من الشخصية العربية، تبدأ من التصالح معها، مع الاحتفاظ بالوجود الصهيوني على أرض فلسطين، وتنتهي بالعداء الشديد لها ومحاولة القضاء عليها. ويمكن عرض المواقف الصهيونية تجاه الشخصية العربية على النحو التالي:

الموقف الأول: ربط بين مستقبل الصهيونية بالتعاون الوثيق بينها وبين الأغلبية المسلمة في فلسطين، انطلاقا من أن الشعب العربي المسلم هو أقرب الشعوب إلى اليهود، وأن اليهود في ظل الحكم الإسلامي تمتعوا بالأمن والاستقرار، وبالتالي فإن إمكان التعايش ليس مستحيلا[٢٥]. وعرف هذا الموقف بأنه الموقف الليبرالي الاشتراكي المتنور، الذي تبنى بشكل أو بآخر ما عرف آنذاك بـ «أخوة الشعوب». ويرى أصحاب هذا الموقف أن المشكلة اليهودية ليست مرتبطة بسلبيات اليهود الناتجة عن تصرفاتهم، بل هي مشاكل اجتماعية وطبقية، ويمكن إصلاح هذه السلبيات بالتحلي بالإرادة وحسن النوايا. وكان البروفيسور ماجنس - مؤسس مدرسة الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية - خير من مثل هذا الموقف، فقد كان يرى أن للعرب حقوقا طبيعية لليهود في فلسطين، وأن لليهود حقوقا تاريخية فيها.

الموقف الثاني: تبنى أصحاب هذا الموقف شعار «نحن سادة البلاد» و«أرض إسرائيل» ملكنا وسنصبح أكثرية ونمنح العرب حقوق الأقلية. أي أن هذا الموقف يرى أن المشكلة وجودية لا أيديولوجية، وينظر إلى العرب على أنهم كابوس وينبغي أن يفيق اليهود من الوهم الساذج بأن أخطاءهم مهما كانت، صغيرة أو كبيرة، هي التي تحدد علاقاتهم مع العرب في المستقبل[٢٦]. بل وصل الأمر بأصحاب هذا الموقف أن نادوا بأنه لا تحاور مع العرب مادام اليهود ليسوا متساوين معهم في القوة. من هنا كانت الدعوة إلى تدفق الهجرات اليهودية إلى فلسطين حتى يصبح اليهود أغلبية.

الموقف الثالث: سعى هذا الموقف إلى التوصل إلى حل وسط بين الموقفين السابقين. فرأى ضرورة إيجاد وسيلة لتطوير المشروع الصهيوني في فلسطين من خلال دفع تعويضات للعرب ومحاولة التحاور معهم.

تغلب في النهاية - وكما أثبتت مجريات الأحداث لاحقا - الموقف العنصري والمتشدد، الرافض للشخصية العربية، وباتت بصمات أصحاب هذا الموقف واضحة على مناحي الحياة المختلفة قبل عام ١٩٤٨م وبعده، أي قبل نشأة الكيان الصهيوني وبعده.

وفي ضوء ما سبق يبرز سؤال مهم يطرح نفسه بقوة وهو: كيف انعكست منطلقات الصهيونية في التعامل مع الشخصية العربية ومواقفها منها في دراسة اللغة العربية وآدابها وتراثها الفكري؟

ب - تدريس اللغة العربية ودراسة آدابها وتراثها الفكري في إسرائيل

كان اهتمام الصهاينة بتدريس اللغة العربية ودراسة آدابها وتراثها الفكري جزءا لا يتجزأ من مخططها لاستكشاف المنطقة التي ستشهد إقامة كيانها الجديد. وقد بدأ هذا الاهتمام مبكرا ضمن مدارس الاستشراق الغربية وتحت عباءتها. فقد برز مستشرقون غربيون يهود معنيون بدراسة كل ما هو عربي وإسلامي، ويسير في ركاب حركة الاستشراق الغربي ويحقق أهدافه من ناحية، ويلبي متطلبات الحركة الصهيونية ومقاصدها من ناحية أخرى. فالاستشراق اليهودي هو الذي بلور وحدد ملامح التصور الصهيوني عن الثقافة العربية والإسلامية والعالمين العربي والإسلامي. وأصبح القاسم المشترك بين الاستشراق الغربي الأوروبي والاستشراق اليهودي - منذ ظهور الاستشراق كعلم مستقل له أهدافه وأساليبه - هو كيفية معرفة الحضارة العربية والإسلامية. وقد تنوعت دراسات المستشرقين اليهود وشملت مجالات عديدة من الحضارة العربية والإسلامية. فهناك فريق يقوم بدراسات وأبحاث القرآن الكريم وتفسيره وأحكامه وعلومه، وآخر متخصص في علم الحديث الشريف والسيرة النبوية وصدر الإسلام، وفريق آخر يعمل في حقل التاريخ الإسلامي وحضارته، وهم مقسمون حسب العصور والفترات. وهناك دارسو الفلسفة الإسلامية بجميع أقسامها وفتراتها وتوجهاتها ونزعاتها، من علم الكلام إلى الفرق الإسلامية القديمة، حتى الوصول إلى أيديولوجيات الفرق المعاصرة والأحزاب والجماعات الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي. ولديهم أيضا متخصصون في علم اللغات والأدب العربي بجميع عصوره وأجناسه، قديمه وحديثه، كما يهتمون أيضا بعلوم الجغرافيا والرحلات والآثار والاقتصاد والقانون الإسلامي[٢٧].

وعلى أرض الصراع، أرض فلسطين، كان الاهتمام باللغة العربية - درسا وتدريسا وبحثا - متزايدا بشكل كبير، وذلك في ضوء الأهداف التي رسمتها الصهيونية لنفسها. من هنا كانت مدرسة الدراسات الشرقية - المعنية بدراسة الحضارة العربية والإسلامية بشتى مظاهرهما - هي أولى الأكاديميات التي أنشأت في الجامعة العبرية في القدس - أول جامعة يهودية في فلسطين - بعد مضي عام واحد فقط على إنشائها. وتعكس الفترة التاريخية المتقاربة التي شهدت تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية بالقدس وتأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن عام ١٩١٧م تطابق الأهداف الاستشراقية الاستعمارية للمدرستين، ليتأكد الارتباط التام بين الاستشراق والسياسة، ولتتعزز المقولة الثابتة «المعرفة سلطة»[٢٨]. وتوجد الآن في الجامعات الإسرائيلية الكبرى أقسام لدراسة اللغة العربية وآدابها وإرثها الحضاري والتاريخي.

وقد نظر بعض المستشرقين اليهود إلى الاهتمام باللغة العربية وآدابها - إلى جانب الأهداف التي يمكن أن تخدم الصراع مع العرب - على أنه رافد مهم من روافد الثقافة

اليهودية ليهود الدول العربية. فقد عاشت جماعات يهودية في المجتمعات العربية والإسلامية وتأثرت بالاتجاهات الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية السائدة فيها، قديما وحديثا، وأفرزت ثقافتها داخل هذه المنظومة الحضارية. أي أن دراسة اللغة العربية وآدابها يمكن أن تشكل من ناحية أخرى دراسة لبعض المؤثرات على ثقافة يهود الدول العربية والإسلامية. كما نظر البعض إلى هذا الاهتمام على أنه يتم في إطار ما يمكن أن يحدث مستقبلا، ألا وهو احتمالات التعايش وقبول «إسرائيل» في المنطقة. فهذا الاهتمام يجعلها مؤهلة للانخراط والاندماج في المنطقة العربية والإسلامية المحيطة بها.

بدأت الدراسات الإسرائيلية الاهتمام باللغة العربية - تحت إشراف بعض الباحثين الذين تبنوا نهج التصالح والتعايش مع العرب مثل ماجنس - بدراسة التراث العربي القديم ونشره. فصدرت أعمال عن الأدب العربي والتراث الفكري القديم، التي تخصص فيها الأساتذة بانيت وجويتاين وأشنور وشنعار وإيلون وبلاو وغيرهم. فنجد الجامعة العبرية - على سبيل المثال لا الحصر - تعيد طباعة وتحقيق كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري، بأجزائه الأربعة. كما حقق باحثون من الجامعة ذاتها كتاب «أدب المريدين» لأبي نجيب عبد القاهر السهروردي، و«حوار مع أدب الصوفية - عيوب النفس ومداواتها» لأبي عبد الرحمن السلمي، و«فضائل بيت المقدس» لأبي بكر محمد بن محمد أحمد الواسطي، و«ذم الدنيا» لأبي الدنيا، و«الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان» لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي[٢٩].

لكن أصحاب الموقف الصهيوني المتشدد رأوا أن هذه النوعية من الدراسات لا تفي بالغرض المطلوب ولا تحقق الهدف المنشود، وهو استكشاف المنطقة على وضعها الراهن، وإن كانت هذه الدراسات تساعد على معرفة الدوافع الفكرية والدينية للمجتمعات العربية المعاصرة. من هنا بدأت الدراسات الإسرائيلية تتجه لدراسة الفكر العربي الذي تفرزه المجتمعات العربية المعاصرة، وكيف يمكن أن تساعد مثل هذه الدراسات في تحليل هذه المجتمعات والوقوف على مشاكلها والتعرف على قضاياها.

من هنا كانت أقسام اللغة العربية بالجامعات الإسرائيلية تقوم بالعديد من الدراسات عن الفكر والأدب العربي والإسلامي، ثم تقوم مجموعة أخرى من مراكز الأبحاث المتخصصة في دراسات الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي بإجراء دراسات أخرى عليها تفيد في الكشف عن العقلية العربية والحياة السياسية والثقافية والفكرية والاجتماعية والدينية للمجتمعات العربية. وعن دور الأكاديميات الإسرائيلية في الصراع العربي الإسرائيلي يقول الباحث محمد حمزة غنايم: «تطور تأثير الأكاديمية الإسرائيلية في مجتمعها إلى حد أننا بتنا نقرأ أبحاثا ترسم سياسات في بعض الوزارات الحكومية، بل إن جنرالات في الجيش أو ساسة من الصف الأول لم يترددوا أخيرا في التجول في ميادين البحث الأكاديمي المغرض... مثلما

قام به البروفسور أرنون سوفير من جامعة حيفا بدراسة عن «الخطر الديموغرافي» المهدد بقلب حسابات الدولة العبرية رأسا على عقب»[٣٠]. ومن أهم المراكز الإسرائيلية المتخصصة في هذه الدراسات: مركز هشيلوح ومركز الدراسات الاستراتيجية باسم جافي يافيه بجامعة تل أبيب ومركز ترومان وفان لير وقسم الدراسات الإسلامية والشرق الأوسطية في الجامعة العبرية بالقدس، والمركز اليهودي العربي ومعهد العلاقات الإنسانية في جامعة حيفا، ومعهد الدراسات العربية في جفعات حفيفا وغيرها.

وقد أنشأت بعض الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث المتخصصة برامج دراسية لتدريس الترجمة من العربية إلى العبرية والعكس، لتضمن وجود مجموعة من المترجمين القادرين على الإيفاء بالغرض المطلوب. وكانت الجامعة العبرية أولى الجامعات الإسرائيلية التي اهتمت بتدريس الترجمة من العربية إلى العبرية والعكس، فكانت تمنح شهادة في الترجمة بعد دراسة لمدة عامين. وفي مرحلة لاحقة كانت تمنح الماجستير في تخصص الترجمة. وكانت جامعة بر إيلان أيضا تمنح منذ عام ١٩٧٢م شهادة في تخصص الترجمة من العربية إلى العبرية والعكس بعد دراسة لمدة عامين. وبدءا من عام ١٩٩٤م تطور برنامج إعداد المترجمين من العربية إلى العبرية في كلية بيت بيرل في الترجمات الأدبية وغير الأدبية. كما كانت الكلية تنظم برنامجا دراسيا في الترجمة لفصل دراسي واحد[٣١].

ويعكس تعدد مراكز الدراسات والمؤسسات البحثية على هذا النحو، واهتمام بعضها بتدريس الترجمة من العربية إلى العبرية والعكس مقدار الأهمية التي توليها إسرائيل لمعرفة المجتمعات العربية لإيجاد علاقات ارتباط بين الواقع وتصور الذهنية التي يسعون إلى ترسيخها، كما يعكس هذا العدد، من ناحية أخرى، رغبة إسرائيلية في امتلاك المزيد من عناصر القوة الثقافية إلى جانب القوتين العسكرية والاقتصادية في الصراع[٣٢].

وتبدي المؤسسة العسكرية في إسرائيل - الجيش والاستخبارات - اهتمامها بتدريس العربية، لتصبح إحدى أهم المؤسسات المستفيدة من تدريس هذه اللغة وبحث آدابها وتراثها. وقد أكد ما نشرته المدرسة الثانوية التي تحمل اسم «حاييم هرتزوج» في موقعها على شبكة المعلومات الدولية العلاقة الوثيقة والارتباط القوي بين اللغة العربية ودراسة أدبها وتراثها والمؤسسة العسكرية في إسرائيل: «يدرس الطالب ضمن مناهج اللغة العربية: النحو والأدب القديم والحديث والصحافة والقرآن، مع خلفيات عن تاريخ العرب والإسلام، والعربية المعاصرة ولهجاتها. ويكلف دارسو اللغة العربية في المدرسة بمهام في الجيش الإسرائيلي، فهناك مهام متنوعة وعديدة أمام الطالب في سلاح الاستخبارات، سواء في الخدمة العسكرية الإجبارية أو الخدمة الدائمة. هذا إلى جانب أعمال تدريس العربية بتمويل من الجيش الإسرائيلي. كما تتاح للمدرسات المجندات فرص عمل عديدة في الحياة المدنية والعسكرية

والتدريس ووسائل الإعلام والوزارات المختلفة. ويمكن للطلاب أن يتخذوا من البروفسور إيتمار رابينوفيتش، سفير إسرائيل السابق في الولايات المتحدة، وشمعون شامير سفير إسرائيل السابق في مصر نموذجا لمجالات عمل من يدرس الاستشراق»[٣٣].

لقد كانت الترجمات من العربية إلى العبرية أحد أهم المجالات التي أوكلت إلى أقسام اللغة العربية في الجامعات الإسرائيلية وبعض دور النشر؛ لتساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في إثراء الدراسات الإسرائيلية عن الثقافة العربية والإسلامية، بما يحقق لإسرائيل أهدافها ومقاصدها في الصراع العربي الإسرائيلي.

ثالثا: اتجاهات حركة الترجمة من العربية إلى العبرية في إسرائيل

تجدر الإشارة في البداية إلى أن هناك حركة ترجمة تمت داخل المؤسسة الأمنية الإسرائيلية - الجيش والاستخبارات - لتلبية احتياجات هذه المؤسسة عن واقع الجيوش العربية والأيديولوجيات التي تحركها، لكن معظم هذه الترجمات لم تنشر ولا يسمح لأحد بالاطلاع عليها؛ لأنها تتم داخل جدران هذه المؤسسة، ومن ثم قلما نجد عملا عربيا مترجما خارج إطار الأعمال الفكرية والأدبية والثقافية العربية. ومن هذه الأعمال القليلة جدا كتاب «فلسفة الثورة» لرئيس مصر الأسبق جمال عبد الناصر[٣٤]، وميثاق منظمة التحرير الفلسطينية وغير ذلك.

أما حركة الترجمة من العربية إلى العبرية المنشورة والمعلنة فقد سارت في اتجاهين متلازمين، قد يطغى أحدهما على الآخر، أو يضعف حسب تطورات حركة الصراع العربي الإسرائيلي، وحسب المتطلبات التي تحققها هذه الترجمة. وقد تمثل هذان الاتجاهان في ترجمة كتب التراث الديني والفكري للعرب ليمثل الاتجاه الأول. أما الاتجاه الثاني فيمثل ترجمة الأدب العربي الحديث بمختلف أجناسه، بما يرسم صورة واقعية تحليلية للمجتمعات العربية المشاركة في الصراع العربي الإسرائيلي.

الاتجاه الأول: ترجمة التراث الديني والفكري العربي

ارتأت المؤسسات الأكاديمية والثقافية الصهيونية ضرورة معرفة الجذور التي تغذي واقع الشخصية العربية والإسلامية وتحدد رؤيتها في الحاضر من ناحية، وتساعد في الكشف عن خصائص هذه الشخصية من ناحية أخرى. أي كثفت إسرائيل جهودها العلمية لرصد وتسجيل وتحليل المفاهيم الإسلامية المؤثرة في الصراع العربي الإسرائيلي، كأحد أبرز وجوه العناصر البنائية للذهنية العربية[٣٥]. وقد كانت الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم من أولى هذه الترجمات التي يمكن أن تساعد في تحقيق هذا الهدف.

الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم

لما كان القرآن الكريم يمثل المحور الرئيسي والعمود الفقري للثقافة العربية والإسلامية؛ فقد كان من الضروري أن يحظى هذا الكتاب المقدس الأول لدى المسلمين بعدة ترجمات، تسعى كل ترجمة منها إلى إضافة شيء جديد أو رؤية جديدة يراها المترجم. ولقد حظيت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى العبرية كاملة بخمس ترجمات، لكن معاني بعض آيات القرآن قد ترجمت متفرقة في العصور الوسطى ضمن كتب الجدل الديني، أو في إطار جهود اليهود خلال هذه الفترة لترجمة أعمال الفلاسفة والمفكرين العرب إلى اللغة العبرية. ونجد هذا الأمر واضحا في الترجمات العبرية للاستشهادات القرآنية في بعض أعمال الغزالي وابن رشد.

يعود تاريخ أقدم ترجمة عبرية لمعاني القرآن الكريم إلى القرن السادس عشر، وقام بترجمتها الحاخام يعقوب بن يسرائيل[٣٦]. ولم تحظ هذه الترجمة حتى الآن بالطبع والتداول، إذ مازالت مخطوطا توجد نسخ منه في العديد من المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس الأمريكي ومكتبة المتحف البريطاني. ويتكون هذا المخطوط من ثلاثة أجزاء. تناول المترجم في الجزء الأول منه بإيجاز شديد حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتاريخ الإسلامي حتى نهايات العصر الأموي. أما الجزء الثاني فتضمن ترجمة معاني سبع وعشرين سورة، أما الجزء الثالث فاحتوى على ترجمة معاني إحدى وتسعين سورة. ويدل ما جاء في مقدمة المترجم أن هذه الترجمة لم تكن في الأصل عن العربية وإنما عن ترجمة إيطالية لمعاني القرآن الكريم. وتتكون مقدمة هذه الترجمة من اثنى عشر فصلا تناول فيها قصة الخلق، وآدم وحواء، والسيرة النبوية، وتاريخ انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وخارجها. وزعم المترجم – زورا وبهتانا – أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي «ابتدع هذه الديانة»، لذا خصص جزءا كبيرا من مقدمته لبحث زعمه القاضي بتأثير اليهودية والمسيحية في الإسلام[٣٧]. ويمكن القول إن هذه الترجمة قد تمت قبل أن تتبلور ملامح الحركة الصهيونية وأيديولوجيتها، وقبل أن يظهر الاهتمام باللغة العربية لخدمة الأهداف الصهيونية. من هنا لم تتم الترجمة عن العربية وإنما عن الإيطالية.

قام المستشرق الألماني اليهودي ريكندورف – أستاذ اللغات السامية في جامعة هايدلبرج بألمانيا – في القرن التاسع عشر بالترجمة العبرية الكاملة الثانية لمعاني القرآن الكريم، فصدرت عام ١٨٥٧م، معتمدا هذه المرة على الأصل العربي، وكان عنوان الترجمة «المقرا والقرآن» (همقرا فهقورآن). وقد تبنى هذا المترجم أيضا موقفا معاديا، فقدم صورة مشوهة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم. كما جاءت ترجمته أيضا بعيدة عن معاني القرآن الكريم، زاعما أن المصدر الرئيس للقرآن هو التوراة.

قدم المترجم يوسيف يوئيل رفلين الترجمة العبرية الثالثة الكاملة لمعاني القرآن الكريم. وقد كان رفلين متمكنا من اللغة العربية، الأمر الذي جعل ترجمته أفضل وأقرب الترجمات العبرية الكاملة إلى معاني القرآن الكريم، وإن كانت لا تخلو من تحامل على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم. وقد صدرت ترجمة رفلين عام ١٩٣٦م، وأعيد طبعها عام ١٩٦٣، ثم أعيد طبعها بعد ذلك ثلاث مرات أخرى. أما الترجمة العبرية الرابعة فقد قام بها أهارون بن شيمش عام ١٩٧١م. وقد اكتفى بن شيمش في هذه الترجمة بتقديم المعنى الكلي لخمس آيات من دون الحفاظ على تسلسل الآيات القرآنية، مما جعل ترجمته بعيدة بشكل كبير عن معاني القرآن الكريم. وقد ركز هو أيضا على كون القرآن كتابا مؤلفا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم «تلميذ انقلب على أساتذته اليهود»، فعرف الإسلام على أنه «يهودية عربية»[٣٨]. أما الترجمة الخامسة والأخيرة فقد صدرت عام ٢٠٠٥م وقام بها الأستاذ الدكتور أوري روبين أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة تل أبيب. وتتميز هذه الترجمة ببساطة لغتها العبرية وسهولتها، حتى تصبح ميسرة أمام القارئ الإسرائيلي العادي، وإن شابها كثير من الأخطاء والمغالطات[٣٩].

والحقيقة هي أن الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم استهدفت تحقيق مقصدين أساسيين: الأول هو دراسة الشخصية العربية والإسلامية من واقع أقدس الكتب لديها وهو القرآن الكريم. أما المقصد الثاني فهو تشويه هذا الدين وصورة نبيه صلى الله عليه وسلم، من خلال الزعم بأن القرآن الكريم ما هو إلا إعادة صياغة لما جاء في التوراة والإنجيل. أي أنهم يحاولون إظهار ما يزعمون أنه قصور وعيب في القرآن الكريم، وفي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكذيب نبوته ورسالته للنيل من الإسلام والمسلمين.

وقد برز هذا الأمر جليا في ترجمة الاستشهادات القرآنية في بعض الكتب، وفي مقدمات بعض هذه الترجمات. فنجد مترجم الاستشهادات القرآنية في كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» لابن رشد يتعمد عدم ترجمة إشارات المؤلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى مستوى الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم نجد الحاخام يعقوب بن يسرائيل يتناول في مقدمة ترجمته قصة الخلق وقصة آدم وحواء، مشيرا إلى أنها قصص توراتية في الأساس وحاكها القرآن الكريم، كما أفرد جزءا كبيرا من مقدمته لما يزعم أنه تأثير لليهودية والمسيحية في الإسلام. أما ريكندورف في ترجمته فكان عدائيا تجاه الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم إلى درجة لا تحتمل. فيترجم في مقدمته قصيدة رثاء في أبيه بعنوان «أبي الغالي»، زاعما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أميا وإنما تعلم من علماء اليهود خلال رحلاته التجارية. ويطلب المترجم في مقدمته الصفح والغفران من ربه لأنه قام بترجمة القرآن للعبرية، تلك اللغة التي يعتبرها مقدسة. ويعلنها صراحة في ترجمته أن الهدف من هذه الترجمة هو إبراز سمو العبرية على العربية، وأن

يدرك قراء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى أي حد تأثر هذا الكتاب بما جاء في التوراة. وبذلك - على حد زعم المترجم - «ستزداد في عينيه مكانة إيماننا المقدس، إذ إن قيمة الخير والحقيقة لا تعرف إلا من خلال معرفة الكذب»(٤٠).

وتنسجم هذه المزاعم المعادية للإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم وغيرها مع ما يردده بعض المستشرقين الغربيين في عدائهم للإسلام، وربطه ربطا تعسفيا باليهودية والمسيحية، استنادا إلى قائمة التأثير والتأثر، مستدلين في ذلك ببعض وجوه التشابه بين الإسلام من ناحية والديانتين اليهودية والمسيحية من ناحية أخرى. الأمر الذي أدى إلى القول بالتأثير اليهودي - المسيحي، والاعتقاد في عدم استقلالية الإسلام كدين، وإنكار الوحي القرآني، وإنكار التأثير الإسلامي في اليهودية والمسيحية. والحقيقة - كما يقول أ.د. محمد خليفة حسن أحمد - هي أن الإسلام ليس على صلة تاريخية أو دينية باليهودية والمسيحية في الزمان والمكان، والتشابه في المعتقدات ليس نتيجة اتصال الإسلام بالديانتين السابقتين عليه، بل هو نتيجة وحدة المصادر والنزعة التصحيحية النقدية التي أولاها الإسلام - كديانة توحيدية خالصة - للديانتين السابقتين عليه، اللتين خرجتا على التوحيد الخالص من وجهة النظر القرآنية الإسلامية(٤١).

استمرت الترجمات العبرية لأمهات كتب التراث الديني والفكري العربي والإسلامي لتحقق الهدف الصهيوني، وهو مزيد من التعرف على هذا التراث، ومحاولة العبث به أحيانا تحت عباءة البحث الأكاديمي؛ فنجد على سبيل المثال لا الحصر يوسيف يوئيل رفلين يترجم «سيرة الرسول» لابن هشام. كما نشرت «مكتبة الترجمة» التابعة لمعهد الدراسات الأفروأسيوية بالجامعة العبرية، الترجمة العبرية لكتاب «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي، الذي ترجمته حافا ليزروس. كما قام عمنوئيل كوبوليتش بترجمة «مقدمة ابن خلدون» عام ١٩٦٦م، كما ترجمت الجامعة العبرية أيضا «مختصر تاريخ مصر» للجبرتي.

وعند الاطلاع على هذه الأعمال وغيرها التي ترجمتها إسرائيل إلى العبرية نلاحظ مدى الجدية التي تعامل بها الاستشراق الإسرائيلي مع التراث العربي والإسلامي. ولا شك في أن هذه الجهود التي قامت بها الجامعات الإسرائيلية لدراسة هذا التراث وترجمته قد ساعدت في تعريف إسرائيل عن كثب على العقلية العربية الإسلامية(٤٢).

الاتجاه الثاني: ترجمة الأدب العربي القديم والحديث والمعاصر إلى العبرية

يمثل الإبداع الفكري والثقافي والفني لأي مجتمع من المجتمعات أحد أهم ملامح الهوية. فشخصية المجتمعات تتكون عبر مراحل التاريخ، بما مر بها من أحداث، وبما تصدره من ردود أفعال تجاهها من خلال ما يبدعه العقل الجمعي من إبداعات في ميادين الحياة والأنشطة الإنسانية المختلفة. من هذا المنطلق نظرت المؤسسة الصهيونية الإسرائيلية إلى الأدب العربي على أنه أحد المجالات المهمة والوسائل الحيوية التي يمكن أن تساعد في

التعرف على المجتمعات العربية ودراسة التحولات الاجتماعية فيها. فالأدب بمختلف أجناسه يعكس التحولات والتطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تشهدها المجتمعات التي أنتجت فيها. فالأدب «يمثل أحد أهم وأوثق السجلات المعرفية التي يمكن الاستناد إليها في استقاء المعلومات عن التكوينات الباطنة في مجتمع من المجتمعات، التي يصعب في أحيان كثيرة رصدها عبر سائر المصادر المعرفية المباشرة من كتابات سياسية واجتماعية وفلسفية وما شاكلها»(٤٣)؛ لأن الأدب إنشاء اجتماعي، فعل اجتماعي، يؤدي دوره في المجتمع، يقوم به منتج هو الكاتب، ويتلقاه مستهلك هو القارئ، في إطار من العلاقات التي ينظمها هذا المجتمع، الذي يضم المؤسسات التربوية والجامعية والثقافية والإعلامية وغيرها. من هنا يقدم الأدب صورة عن المجتمع الذي أنتج فيه، فتتم دراسة الأعمال الأدبية بوصفها وثائق اجتماعية(٤٤). وحول هذا كتب رينيه ويليك: «لا شك أنه في الإمكان استخلاص بعض الصور الاجتماعية من الأدب، وفي الواقع إن هذا العمل كان أقدم استخدام للأدب قام به دارسوه المنهجيون»(٤٥).

وهكذا يمكن القول إن اهتمام المؤسسة الصهيونية بترجمة الأدب العربي يهدف - ضمن أهداف أخرى - إلى رصد العمليات الاجتماعية والفكرية التي تصاحب التغير الاجتماعي، وتلقي الأضواء عليها وعلى مساراتها المتعددة بصورة أكثر بروزا ووضوحا وحيوية من كثير من البحوث العلمية. من هنا اهتم الباحثون الإسرائيليون بترجمة وتحليل مضامين الأعمال الأدبية العربية ليضعوا أيديهم على مفاتيح التغير في المجتمع وآثاره(٤٦). ويتأكد هذا التوجه القاضي بتوظيف ترجمة الأدب العربي ودراسته للتعرف على المجتمعات العربية فيما ذكره الباحث الإسرائيلي ساسون سوميخ قائلا: «إن مطالعة الأدب العربي الحديث ضرورة حياتية لكل مثقف إسرائيلي ولكل قارئ إسرائيلي نبيه، إذ من دون إطلاعه على التيارات الأدبية فإن معلوماته عن الإنسان العربي وعن عالمه ستكون مشوهة، ومرتكزة على المعلومات الصحافية اليومية غير العميقة، ويتعلم القارئ الإسرائيلي عن طريق مطالعة الأعمال الأدبية العربية في مجال الرواية والمسرح والشعر كثيرا من المفاهيم النفسية للإنسان في القاهرة وفي دمشق وفي بيروت وبغداد، حتى في الريف المصري واللبناني والسوري وهلم جرا، ويتعرف بهذه الوسيلة على مشاكل ومتاعب الأديب العربي والإنسان العادي في الوقت نفسه»(٤٧). من هنا ليس مستغربا أن نجد من بين الإسرائيليين من حصل على رسائل جامعية في موضوعات أدبية وفكرية وغيرها، ويُستَفاد منهم ويُستعان بهم في تنسيق أنشطة الاحتلال في الأراضي المحتلة(٤٨).

ويمكن القول في هذا السياق إن حركة الترجمة من العربية إلى العبرية عكست ما وصلت إليه عملية تعليم اللغة العربية في إسرائيل من ناحية، وما يمكن أن تستفيد منه المؤسسات الإسرائيلية من هذه الترجمات في خدمة الصراع من ناحية أخرى. فحركة الترجمة من

العربية إلى العبرية في العصر الحديث واكبت ظهور الصهيونية، حيث كانت تنشر بعض الدوريات التي تشرف عليها المدارس الاستشراقية اليهودية في فلسطين ترجمات عن الأدب العربي بمختلف عصوره وأجناسه.

أ - ترجمة الأدب العربي القديم إلى العبرية

بدأت المؤسسات الصهيونية الإسرائيلية ترجماتها المنظمة والممنهجة إلى العربية لأمهات الكتب الأدبية العربية في العصور المختلفة السابقة على العصر الحديث. فبدأت في ترجمة ودراسة الأدب الجاهلي والعباسي والأموي، وذلك ضمن الرؤية التصالحية التي تبناها بعض الصهاينة في احتمالية التعايش والبحث عن الجذور الثقافية المشتركة من ناحية، ومن ناحية أخرى إضفاء طابع أكاديمي ظاهري على هذه الدراسات يخفي أهدافا صهيونية أخرى. وقد ترافق البحث في الأدب العربي القديم مع اهتمام المؤسسة الصهيونية بترجمة ودراسة الفكر العربي القديم أيضا. فهذه الدراسات والترجمات يمكن أن «تساعد في تحديد وبلورة الطابع القومي لشخصية شعب من الشعوب»[٤٩].

لذا ترجم يوسيف يوئيل رفلين عشرات القصائد العربية القديمة، منها أشعار عنترة بن شداد. كما قام المترجم نفسه بترجمة «ألف ليلة وليلة» في ثلاثين مجلدا خلال السنوات ١٩٤٧م-١٩٧٠م. كما ترجم إبراهيم المالح كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع، ليصدر في طبعتين. كما قام أشير جورين بترجمة مختارات من المعلقات وقصائد من الشعر الجاهلي والأموي والأندلسي والعباسي، إلى جانب قصائد من «ألف ليلة وليلة». وقد صدرت هذه المختارات عام ١٩٧٠م بعنوان «أشعار العرب» عن سلسلة «مكتبة الترجمة» التي تصدرها الجامعة العبرية. وقد نشرت الترجمة العبرية في هذه المختارات تقابل الأصل العربي، مع محاولة المترجم المحافظة على أوزان القصيدة العربية في ترجمته العبرية[٥٠]. وهناك أعمال أخرى ترجمت إلى العبرية تنتمي إلى الأدب العربي القديم بمختلف عصوره نشرت في دوريات متخصصة في الدراسات الاستشراقية.

ب - ترجمة الأدب العربي الحديث إلى العبرية

جاءت حركة ترجمة الأدب العربي الحديث إلى العبرية ضمن رؤية المؤسسة الصهيونية بأن هناك حاجة ملحة لاستكشاف حاضر المجتمعات العربية وواقعها الراهن، وأن الدراسات التي تنصب على الأدب العربي القديم لا تؤدي هذا الدور بالشكل الكافي. من هنا بدأت حركة ترجمة الأدب العربي الحديث بمختلف أجناسه وفي العديد من الدول العربية، لمتابعة تطوراته وما يعكسه من توجهات فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ودينية. ويكفي أن نشير هنا إلى الدراسة التي أعدها يهوشافاط هركابي - أستاذ الدراسات السامية ورئيس جهاز الاستخبارات الإسرائيلي السابق - مستعينا فيها بدراسة القصة العربية الحديثة،

ليدلل على أن ضعف الروابط الاجتماعية بين العرب وانعدام تماسكهم الاجتماعي - على حد زعمه - هو السبب الذي أدى إلى هزيمتهم على أرض المعركة في حرب يونيو عام ١٩٦٧م. فيشير إلى أن انعدام روح الفريق بين العرب، وسيادة روح الفردية التي انتقلت إلى ميدان القتال، كانت سببا رئيسا في هزيمتهم. وقد استدل على ذلك بصورة البطل في القصة العربية الحديثة، مستنتجا أن هذا البطل اتسم بالانعزالية، وهيمن عليها شعور بالاغتراب(٥١). كما أعد الباحث «جبريئيل بئير» دراسة عن الآثار الاجتماعية والتداعيات السياسية لقانون الإصلاح الزراعي في مصر، الذي طبقته ثورة عام ١٩٥٢م، معتمدا على رواية «يوميات نائب في الأرياف» للكاتب توفيق الحكيم(٥٢).

بدأت وتيرة ترجمة الأدب العربي الحديث للعبرية بطبيعة الحال قبل قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م، ثم بدأت هذه الوتيرة تتسارع بعد قيام هذا الكيان، وبعد أن برزت الحاجة الملحة إلى مزيد من المعرفة ودراسة المجتمعات العربية المعاصرة. ولقد كانت رواية «الأيام » للكاتب المصري طه حسين، التي ترجمها مناحيم كابليوك، الصادرة عام ١٩٣١م عن دار نشر أمانوت، أول عمل أدبي عربي حديث يترجم إلى العبرية، كما كانت الترجمة العبرية أول ترجمة تصدر لهذه الرواية(٥٣).

حظيت الرواية، كجنس أدبي يقدم صورة بانورامية شاملة ومفصلة عن الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري، باهتمام المؤسسة الإسرائيلية المعنية بترجمة الأدب العربي؛ فنشرت ترجمات العديد من الروايات. وكان للترجمات من الرواية المصرية نصيب الأسد، لما لمصر من دور محوري في الصراع العربي-الإسرائيلي من جهة، ودورها الكبير أيضا في عملية الإبداع الأدبي العربي من جهة أخرى.

ترجم مناحيم كابليوك عام ١٩٤٥م رواية «يوميات نائب في الأرياف» للكاتب توفيق الحكيم، لتصدر عن دار نشر «عام عوفيد». كما ترجم شموئيل ريجولانت عام ١٩٥٧م رواية «عودة الروح» للكاتب نفسه، لتصدر عن دار نشر «عاينوت»، وحملت الترجمة عنوان «وكانت روح أخرى» (هيتا رواح أحيريت). وترجم يتسحاق شرايبر رواية «زقاق المدق» للكاتب نجيب محفوظ عام ١٩٦١م، لتصدر عن دار نشر «عام عوفيد»، وقد حملت الترجمة عنوان «حارة في القاهرة» (سيمتا بكاهير). كما ترجم مناحيم كابليوك رواية «اللص والكلاب» عام ١٩٧٠م، لتصدر عن دار نشر «سفريات بوعاليم»، كما ترجم يوآف جفعاتي رواية الكاتب نفسه «الحب والمطر» عام ١٩٧٧م، لتصدر عن دار نشر «تموز»، أما حنيتا برند فترجمت روايته «الشحاذ» عام ١٩٧٨م، التي صدرت عن دار نشر «ببيروس»، كما ترجم سامي ميخائيل الجزء الأول من ثلاثيته عام ١٩٨١م، وصدرت عن دار نشر «سفريات بوعاليم» بعنوان «بيت في القاهرة» (بايت بكاهير)، وترجم ميخائيل سيلاع عام ١٩٨٢م روايته «ثرثرة فوق النيل»، التي صدرت عن دار

نشر كيتير في القدس لأول مرة، وترجم يتسحاق شنيبوايم عام ١٩٨٣م روايته «ميرامار» لتصدر عن دار نشر تموز. وترجم سامي ميخائيل عام ١٩٨٤م الجزء الثاني من ثلاثيته «قصر الشوق» عن دار نشر سفريات بوعاليم، وحملت الترجمة عنوان «بيت في القاهرة، الجزء الثاني... كمال» (بايت بكاهير، حيليك بـ... كمال). وقام المترجم نفسه بترجمة الجزء الثالث من الثلاثية «بين القصرين» لتصدر عن دار نشر سفريات بوعاليم بعنوان «بيت في القاهرة، الجزء الثالث... الجيل الثالث» (بايت بكاهير، حيليك ج... دور شليشي). وترجم عامي إلعاد بوسكيلا رواية الأديب فتحي غانم «الجبل» لتصدر ضمن سلسلة «بدايات» عن دار نشر كيتير بالقدس. وترجمت راحيل حلبا رواية «الحرب في بر مصر» للكاتب يوسف القعيد عام ١٩٨٨م عن دار نشر «مفراش»، وترجم للمؤلف نفسه زئيف كلاين روايته «يحدث في مصر الآن» عام ١٩٩٠م عن دار نشر كيتير ضمن سلسلة «بدايات». كما ترجم دوج سجيف رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ عن دار نشر عام عوفيد ضمن سلسلة «المكتبة للشعب» (هسفريا لاعام)، كما ترجمت راحيل حلبا رواية «الإله يرقد على عرش النيل» للكاتبة نوال السعداوي عام ١٩٩١م، عن دار نشر مفراش، وترجمت لها المترجمة نفسها «سقوط الإمام» عام ١٩٩١م، التي صدرت عن دار النشر ذاتها. كما تُرجمت عدة روايات أخرى مثل رواية «أيام الإنسان السبعة» للكاتب عبد الحكيم قاسم، و«الشرف» للكاتب صنع الله إبراهيم، و«العيب» للكاتب يوسف إدريس.

لم تهمل حركة ترجمة الأدب العربي إلى العبرية الروايات العربية الصادرة في دول عربية أخرى، فترجمت عنها، ولكن بقدر لا يتفق ومعدل حركة الترجمة عن الرواية المصرية. فقد ترجم يهوشواع حلميش رواية «أنا أحيا» للكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي عام ١٩٦١م عن دار نشر «ديشيه»، كما ترجم موشيه حاخام عام ٢٠٠٣م رواية «باب الشمس» للكاتب اللبناني إلياس خوري، عن دار نشر «أندلس». كما ترجمت توفا شيموش رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للكاتب السوداني الطيب صالح عام ١٩٧٣م عن دار نشر عام عوفيد. وترجمت راحيل حلبا روايته «عرس الزين» عام ٢٠٠٤م عن دار نشر الأندلس، وتعكف المترجمة ذاتها على ترجمة روايته «بندر شاه» لتصدر عن دار النشر ذاتها. أما المترجم سلمان مصالحة فترجم رواية «الصبار» للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة عن دار نشر جاليليو، وترجمت دانييلا برفمان وياني دميانوس رواية «رجال تحت الشمس» للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني عام ١٩٧٩م لتصدرا في كتاب واحد عن دار نشر مفراش. وترجمت راحيل حلبا أيضا رواية «الموت في بيروت» للكاتب اللبناني توفيق يوسف عوادة عام ١٩٨٣م عن دار نشر مفراش. وترجم رفيف أنين عام ٢٠٠٤م رواية «البئر الأولى» للكاتب جبرا إبراهيم جبرا عن دار نشر الأندلس. وترجم أنطون شماس عدة روايات للكاتب إميل حبيبي، فترجم عام ١٩٨٤م رواية «المتشائل» عن دار نشر مفراش، وحملت الترجمة عنوان «المتشائل - الحكاية الغريبة لاختفاء سعيد أبو النحس

المتشائل» (هاأوبتميست - هكرونيكا هموفلائا شسل هيعلموت سعيد أبو النحس المتشائل)، وترجم عام ١٩٨٨م رواية «أخطية» عن دار نشر عام عوفيد، ضمن سلسلة «نثر آخر» (بروزا أحيريت)، وترجم رواية «سريا بنت الشيطان» عام ١٩٩٣م عن دار نشر «هسفريا هحداشا». وقامت المترجمة راحيل حلبا بترجمة رواية «دوار الشمس» للكاتبة سحر خليفة لتصدر عن دار نشر مفراش. وقامت المترجمة ذاتها بترجمة رواية «الطريق الجبلي: سيرة ذاتية» للكاتبة الفلسطينية فدوى طوقان عن دار نشر مفراش. ومن الرواية المغربية قام نواف عثامنة عام ٢٠٠٤م بترجمة رواية «الخبز الحافي» للكاتب محمد شكري عن دار نشر الأندلس، وحملت الترجمة عنوان «الخبز فقط» (راك ليحيم).

صدرت إلى جانب ترجمة الروايات ترجمات أخرى لقصص قصيرة وطويلة (نوفيلة) تنتمي إلى عدد من الدول العربية. نذكر منها المجموعة القصصية ليوسف إدريس التي ترجمها توفيق شموش، وتضمنت اثنتي عشرة قصة قصيرة تعكس واقع الحياة في مصر داخل الريف والمدينة. ومن القصص التي تضمنتها هذه المجموعة: «أرخص الليالي»، و«الناس»، و«طبلية من السماء»، و«نظرة»، و«مارش الغروب»، و«جمهورية فرحات». كما ترجم إسحاق شموش وباروخ مورين مجموعة من القصص المصرية تحت عنوان «سلة مصرية» (كفيفا ميتسريت)[٥٤]. ضمت هذه المجموعة بين دفتيها ستا وعشرين قصة قصيرة، تمثل مختلف التيارات والمدارس الأدبية لعدد من الأدباء المصريين الذين يمثلون أجيالا واتجاهات مختلفة ومتباينة مثل: تيمور ولاشين والمازني ونجيب محفوظ وغيرهم. كما نجد ضمن هذه المجموعة قصصا لسيد قطب، أحد زعماء حركة الإخوان المسلمين، والشرقاوي صاحب النزعة اليسارية، وقصصا للتيار النسائي مثل أمينة السعيد وبنت الشاطئ وغيرهما. كما ترجم مناحيم ميلسون وشموئيل ريجولانت عددا من القصص المصرية باسم «في الشاطئ المقابل» (عل هحوف شمنيجيد)[٥٥]. كما حرر عامي إلعاد بوسكيلا ترجمة عدة مجموعات قصصية مصرية، مثل المجموعة التي تحمل عنوان «بعيدا عن الأفق القريب» (معيفير لأوفيك هكاروف)[٥٦]، كما حرر أيضا ترجمة مجموعة قصصية مصرية أخرى تضم تسع عشرة قصة من واقع الحياة المصرية المعاصرة، تصور نمط الحياة والحاضر في مصر الحديثة. ومن مضامين هذه المجموعة القصصية وضع المرأة في المجتمع والختان وضرب المرأة وغير ذلك. وقد ضمت هذه المجموعة القصصية - التي صدرت تحت عنوان «بيت على شاطئ النهر» (بايت لحوف هناهار) - قصصا لنوال السعداوي وأليفا رفعت وغيرهما[٥٧].

وعلى مستوى القصص العربي، في الدول العربية الأخرى، صدرت بعض الترجمات للنثر القصصي العراقي في المجلات والصحف الأدبية. فنشرت ترجمات لقصص قصيرة من تأليف ذي النون أيوب وعبد الملك نوري وغائب طعمة فرمان وفؤاد التكرلي ومحمد خضير جاسم

وغيرهم، كما نشرت ترجمات من القصص السوري الحديث، مثل بعض أعمال القاص زكريا تامر. كما قام الأديب والمترجم شمعون بالاص بترجمة مجموعة قصصية فلسطينية أسماها «قصص فلسطينية» صدرت عام ١٩٧٠م. وقد ضمت هذه المجموعة خمس عشرة قصة لأدباء ينتمون إلى الجيل السابق والحالي من الكتاب الفلسطينيين. وتحتل القضية الفلسطينية مكان الصدارة في هذه المجموعة، ليبرز فيها أدب المقاومة، فشملت قصصا للأديبة سميرة عزام وغسان كنفاني وغيرهما. كما ترجم موشيه حاخام مجموعة قصصية فلسطينية بعنوان «قصص فلسطينية» (سيبوريم فلسطينيم)[٥٨]. وحرر بوسكيلا ترجمة ثلاث قصص فلسطينية بعنوان «الغرف الأخرى» (هحاداريم هاآحيريم)[٥٩].

كما صدرت العديد من الترجمات لتشمل العديد من القصص العربية المترجمة دون تحديد قطر عربي بعينه. فحرر بوسكيلا ترجمة بعض القصص التي كتبتها قاصات عربيات تحت عنوان «حذاء بلا كعب» (نعالايم للو عكافيم)[٦٠]. كما ترجم وحرر يوسيف جفعوني بعض الأعمال القصصية منها «مكان على سطح الأرض» (ماكوم عل بناي هاآداما)[٦١]، وترجم موشيه بن حاييم عددا من القصص العربي تحت عنوان «حكمة الثور» (حوخماتو شيل هشور)[٦٢].

واهتمت المؤسسة الثقافية الإسرائيلية بترجمة بعض الأعمال الشعرية لمتابعة الاتجاهات والحركات الأدبية في العالم العربي من ناحية، ولأن الشعر معروف بقدرته الأسرع على التفاعل مع الأحداث والتعبير عن الوقائع الآنية التي تقع على أرض الواقع، بخلاف الأجناس الأدبية الأخرى التي تستغرق عملية الإبداع فيها وقتا أطول وبنية أعقد من ناحية أخرى. من هنا نجد المؤسسة الثقافية الإسرائيلية تتابع حركة الشعر الحر في العراق، التي نادت بالتحرر من القالب التقليدي لشعر الوزن والقافية، والاتجاه التجريبي الجديد لدى الشعراء اللبنانيين والسوريين[٦٣]. وعلى الرغم من أن هذا التوجه يبدو في ظاهره أكاديميا بحتا، يسعى إلى متابعة كل ما هو جديد، فإنه في باطنه يرصد المتغيرات والتحولات الفكرية والاجتماعية. وحول هذه يقول د. السيد يس: «لا يمكن تحليل التحولات الكبرى في أدب ما وفهمها وتفسيرها بمعزل عن التحليل الاجتماعي للعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية»[٦٤].

لكل هذا كان اهتمام المؤسسة الثقافية الإسرائيلية بدراسة الشعر العربي. ولكن ترجمات الشعر العربي ركزت على الأعمال الشعرية لشعراء من دول الشام والعراق، أكثر من تركيزها على الأعمال الشعرية في مصر، التي كان لها النصيب الأكبر في النثر القصصي والروائي. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن يهود العراق لعبوا دورا كبيرا في عملية الترجمة، وكانت تربطهم ببعض الشعراء العراقيين الكبار علاقات وطيدة قبل أن يهاجروا إلى إسرائيل، لهذا كانوا على دراية باتجاهات الحركة الشعرية في هذه البلاد. من هنا ترجمت إلى العبرية بعض الأعمال الشعرية لشعراء عراقيين مثل: عبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة

وغيرهم. كما ترجمت بعض الأعمال الشعرية لشعراء لبنانيين مثل: يوسف الحاج وأنس الحاج وأدونيس، الذي ترجم له شموئيل موريه ديوانه «كتاب التحولات والهجرة في إقليم الليل والنهار»، وترجم له نعيم عرايدي ديوانه «بدايات»(٦٥). كما ترجمت بعض أعمال الشعراء السوريين مثل: نزار قباني ومحمد الماغوط، الذي ترجم له شموئيل موريه أيضا ديوانه «حزن في ضوء القمر». وترجم ساسون سوميخ عددا من الأعمال الشعرية من الشعر السوري واللبناني المعاصر(٦٦)، كما ترجمت بعض أعمال الشعراء الفلسطينيين مثل معين بسيسو وفدوى طوقان ومحمود درويش وسهام داود وغيرهم(٦٧).

حظي الشاعر محمود درويش بأكبر عدد من الترجمات العبرية. فقد ترجمت له ثلاثة دواوين كاملة ومختارات من شعره، وبذلك يكون قد صدرت له أربعة أعمال مترجمة إلى العبرية. فقد ترجم سلمان مصالحة عام ١٩٨٩م ديوانه «ذكرى للنسيان»، ليصدر عن دار نشر «شوكان». وترجمت حنا عميت كوخافي الرسائل التي تبادلها الشاعر محمود درويش مع الأديب سميح القاسم تحت عنوان «بين شطري البرتقالة» (بين شناي حتسائاي هتافوز) عن دار نشر مفراش عام ١٩٩١م. وترجم محمد حمزة غنايم ثلاثة دواوين له؛ الأول عام ٢٠٠٠م بعنوان «عرش الغربة» عن دار نشر بابل، والثاني «لماذا تركت الحصان وحيدا» عام ٢٠٠٠م، عن دار نشر الأندلس، والثالث عام ٢٠٠٣م بعنوان «فرسكو» عن دار النشر ذاتها.

وصدر العديد من الكتب والدراسات التي تتضمن ترجمات عبرية للكثير من الأعمال الشعرية من دون تحديد قطر عربي بعينه، مثل «مختارات من الشعر العربي» (مفحار هشيرا هعرفيت)(٦٨)، «نخيل وتمور» (دكاليم أوتماريم)(٦٩)، و«من شعر العرب» (مشيرات عاراف)(٧٠)، و«العودة إلى القبيلة» (هحازارا إل هشيفيت)(٧١)، «نافذة على الشعر الحديث» (شاعار لشيرا حداشا)(٧٢)، و«للحالمين في ليلة ممطرة» (لحولميم بليل جيشيم)(٧٣).

حظيت المسرحية العربية - كجنس أدبي - باهتمام محدود على مستوى الترجمات إلى العبرية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن المسرح يعكس أفكارا تتحاور وتتصارع، ولا يعكس واقعا معيشا، ولا يرسم علاقات اجتماعية واضحة بالتفاصيل والدقة أنفسهما، التي يرد فيها في الرواية والقصة. فالمسرح مرتبط بمكان محدود، يحد من قدرة الكاتب على تقديم تفاصيل. فقد ترجم مناحيم كابليوك للكاتب توفيق الحكيم مسرحية «الزمار» و«طعام لكل فم»، التي كانت تجري الاستعدادات لعرضها على مسرح «هبيما» لولا اندلاع حرب عام ١٩٤٨م، الأمر الذي حال دون ذلك. وترجم موشيه حاخام مسرحية «عندما يلعب الرجال» للكاتب سعدالله ونوس عام ١٩٩٤م، ونشرت في دورية «باما» المعنية بدراسات المسرح وترجماته. كما ترجم جبرائيل روزنباوم عام ١٩٩٨م مسرحية «كوميديا أوديب - أنت اللي قتلت الوحش» للكاتب علي سالم؛ لتصدر عن دار نشر «جمير». وترجم المترجم نفسه،

بمشاركة إبراهيم حكيم، مسرحية «سعدون المجنون» للكاتب لينين الرملي عام ١٩٩٨م، لتصدر عن دار النشر ذاتها.

ولم يكن الأدب الشعبي (الفولكلور) أيضا بمنأى عن اهتمام المؤسسة الأكاديمية والثقافية الإسرائيلية. وقد استهدفت دراسة هذا الأدب وترجمته أمرين: الأول هو التعرف على العقلية العربية من خلال أمثالها وحكمها وتجربتها الشعبية، والثاني هو التأكيد على وجود دور يهودي في بلورة هذا التراث الشعبي العربي وتشكيله. من هنا نجد الكثير من الدراسات الإسرائيلية تتحدث عن دور يهودي في التراث الشعبي العربي مع ترجمة الكثير من الأمثال والحكم العربية. فحينما أعد ديفيد سجيف كتابا عن الأمثال والحكم العربية قدمه في شكل ترجمة إلى العربية(٧٤)، كما ترجم موشيه بن حاييم «ألف مثل ومثل» من العربية(٧٥).

وصدرت بعض الترجمات للأشعار الشعبية لكل قطر من الأقطار العربية أو بعضها معا. فترجم حاخام موشيه ألف حكمة ومثل ليهود بغداد(٧٦)، كما نجد مئيري يهوشوع يدرس أمثال يهود بابل ويترجم العشرات منها(٧٧)، وأعد يتسحاق أفيشور كتابا عن الأمثال الشعبية ليهود العراق، فيضمنه ترجمات من الأمثال العراقية(٧٨). كما ترجم عزرا مراد أشعارا شعبية من اللهجة البدوية العراقية(٧٩). وألف بن عامي يساسكر كتابا عن أمثال يهود المغرب، فضمنه ترجمات للكثير من الأمثال والحكم(٨٠). وترجم يوسيف بوحنيك أمثالا وحكما ليهود ليبيا وتونس(٨١)، وحينما أعد قيسيم ناكوت بحثه عن الشعر البدوي في سيناء والنقب قدم العديد من الترجمات لهذا الشعر(٨٢)، وأعد مردخاي يتساهري كتابا عن الأمثال والحكم اليمنية ضمنها الكثير من الترجمات(٨٣).

هكذا شملت حركة ترجمة الأدب العبري الحديث جل الأجناس الأدبية من رواية وقصة وشعر ومسرحية وفولكلور وغير ذلك، لكن الرواية كان لها النصيب الأكبر؛ لأنها تحقق لقارئ الترجمة والمستفيد منها ما يبتغيه.

رابعا: الانتقائية وحركة الترجمة من العربية إلى العبرية

اعتمدت عملية ترجمة الأدب العربي الحديث إلى العبرية على الانتقائية، وذلك للكشف عن جوانب ومواقف وأفكار غير معلنة رسميا من الجانب العربي. فبينما تقوم أجهزة بعينها - مثل الجيش والاستخبارات - بمتابعة ما يحدث على الجانب العربي من أحداث جارية، لا تعتمد المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية - باعتبارها جزءا من بنية المؤسسة السياسية - على متابعة هذه الأحداث الجارية، وإنما تقتصر على دراسة ما وراء هذه الأحداث من عقلية تتحكم فيها.

برزت درجة الانتقائية بشكل واضح وجلي في الأدباء والكتاب الذين تُرجمت أعمالهم والأعمال المترجمة ذاتها. فإذا نظرنا إلى الأدباء وجدنا أنهم أدباء عرفوا بتمردهم الكبير على

مسلمات مجتمعاتهم السياسية والاجتماعية والفكرية، والدينية والأخلاقية أحيانا. فالاهتمام بالأديب المصري طه حسين وترجمة روايته «الأيام» لا يمكن التعامل معه بمعزل عن قضية كتابه «في الأدب الجاهلي»، الذي أثار عاصفة قوية في المجتمع العربي بشكل عام والمصري بشكل خاص، لتصل أصداء هذه العاصفة إلى البرلمان المصري في حينه، وذلك في ضوء الأفكار والآراء التي كان يحملها بين دفتيه. وفي إطار هذا المستوى من التمرد يمكن النظر من هذه الزاوية إلى الأدباء الذين ترجمت أعمالهم بدءا من طه حسين، مرورا بنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، وانتهاء بيوسف القعيد وعلي سالم ونوال السعداوي وغيرهم. فهؤلاء الأدباء وغيرهم يتعرضون للقضايا والمواقف والأفكار التي يتمردون عليها، وهم بذلك يقدمون وصفا تفصيليا دقيقا لهذه المواقف والآراء، وأحيانا عرضها بشكل سلبي ليتسنى إصلاحها وتبني موقف الأديب منها. وبطبيعة الحال تتباين درجة التمرد من أديب إلى آخر حسب القضية التي يتناولها كل منهم، وحسب الموقف الذي يتبناه. ويمكن أن نجد هذه الانتقائية واضحة لدى المترجم جبرائيل روزنباوم، الذي يكتب في مقدمته للترجمة العبرية لمسرحية «كوميديا أوديبوس - أنت اللي قتلت الوحش» لمؤلفها علي سالم بقوله: «يعد علي سالم أحد الكتاب المسرحيين الذين انتقدوا السلطة بعد حرب الأيام الستة (حرب عام ١٩٦٧م)، رمزا وتلميحا؛ خوفا من بطشها. وقد جعلته مسرحياته، التي انتقد فيها الظواهر السلبية في المجتمع المصري، أحد أبرز الكتاب الساخرين في مصر»[٨٤].

كما برزت درجة الانتقائية ذاتها في الأعمال الأدبية المترجمة، فإلى جانب أنها علامات فارقة في جنسها الأدبي من ناحية، والأدب العربي الحديث بشكل عام من ناحية أخرى، فإنها تكشف إلى حد كبير عن مثالب وعيوب المجتمعات التي كتبت فيها، وتكشف أيضا عن صراع الطبقات فيها، وترسم صورة دقيقة للأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية. ففي رواية «الأيام» نرى الجهل الذي أودى بنعمة البصر لدى البطل، الذي يمثل الكاتب، كما نجد الخرافات التي تسيطر على الأفراد وغير ذلك. ونجد أيضا كيف قدم توفيق الحكيم أحوال القرية والفساد المستشري فيها، وبين موظفي الدولة في رواية «يوميات نائب في الأرياف». والأمر نفسه نجده في رواية «اللص والكلاب»، حيث صراع الطبقات والفساد الإداري والأخلاقي المسيطر على المجتمع في حقبة تاريخية مهمة من تاريخ مصر الحديث. كما تكشف رواية غسان كنفاني «رجال تحت الشمس» روح المقاومة الفلسطينية والبطولة، وغير ذلك من الأعمال الروائية، التي تكشف بجلاء عن الكثير من المظاهر الفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية لواقع البلاد العربية. ونجد مظاهر هذه الانتقائية واضحة في مقدمة الترجمة العبرية لمسرحية «سعدون المجنون»، للكاتب لينين الرملي، فقد كتب المترجم: «تقدم المسرحية مواجهة بين مصر الستينيات ومصر

التسعينيات، لتشكل أمام القارئ نافذة ينظر من خلالها إلى أحداث مهمة في التاريخ المصري، وأحداث أخرى مشتركة في تاريخ الشعبين»(٨٥).

ويكشف تعدد دور النشر، التي قامت بنشر الأعمال الأدبية العربية، عن توجهين: الأول أن هناك اهتماما متزايدا بالواقع العربي، سواء على مستوى المؤسسات أو على مستوى الأفراد، في ضوء نتائج حرب عام ١٩٧٣م واتفاقيات السلام مع بعض الدول العربية. أما الاتجاه الثاني فيتمثل في توسيع دائرة اهتمام دور النشر المؤسساتية إلى دور نشر لا تخضع لمؤسسات السلطة؛ فالأعمال الأدبية الأولى التي نشرت كانت تقوم بها دور نشر، إما تابعة للجامعات مثل الجامعة العبرية، وإما دور نشر مؤسساتية تشرف عليها الأحزاب الصهيونية العمالية، مثل عام عوفيد وسفريات بوعاليم، وكانت تل أبيب - العاصمة - هي مقر هذه الدور في الغالب. ومع تزايد وتسارع الاهتمام بالمجتمعات العربية تعددت دور النشر وتنوعت، وتعددت بالتالي أماكنها. فإلى جانب دور النشر السابقة وجدنا دور نشر أخرى مثل «عاينوت»، و«تاموز»، و«ببيروس»، و«هسفريا هحادشا»، و«مفراش»، و«الأندلس» في تل أبيب، و«جاليليو»، و«مفراش»، و«كيتير» في القدس، و«مفراش» أيضا في حيفا.

خامسا: المترجمون - اتجاهاتهم وأهدافهم

اعتمدت عملية ترجمة الأدب العربي الحديث إلى اللغة العبرية على عدد كبير من المترجمين، تنوعت أصولهم واتجاهاتهم، وبالتالي أهدافهم. فقد شاركت في هذه العملية عدة مجموعات من المترجمين: مترجمون يهود، ومترجمون إسرائيليون، ومترجمون يهود من أصول عربية، ومترجمون من فلسطينيي ١٩٤٨م.

اعتمدت عملية الترجمة في بدايتها على المستشرقين اليهود، الذي عملوا تحت عباءة الاستشراق الغربي، ونذكر منهم شموئيل ريجولانت وريكندروف ومناحيم كابليوك وغيرهم. ثم ظهرت على السطح مجموعة من المترجمين اليهود الذي هاجروا من بعض الدول العربية، خاصة يهود العراق، فقد حملت هجرة يهود العراق إلى فلسطين عددا كبيرا من المثقفين الذين أتقنوا عدة لغات منها الإنجليزية. لهذا كان لهؤلاء اليهود أثر واضح في الساحة الثقافية الإسرائيلية، ليصبحوا من المساهمين الحقيقيين في حركة الثقافة الإسرائيلية بشكل عام، والترجمة من العربية إلى العبرية بشكل خاص. ومن أبرز الأسماء التي حملتها هذه الهجرة سمير نقاش وساسون سوميخ وشمعون بالاص وسامي ميخائيل وشموئيل موريه وديفيد تسيمح وروني سوميك وإسحق بر موشيه وغيرهم.

بدأ نشاط هذه المجموعة في الترجمة في إطار الدفاع عن الثقافة التي قدموا منها لمواجهة التمييز ضدهم - كيهود شرقيين (سفارديم) - من قبل اليهود الغربيين (إشكنازيم)، لكونهم

ينتمون إلى ثقافة الشرق وحضارته، الذي نظر إليه اليهود الغربيون نظرة سلبية. وهذا الصراع بين اليهود الشرقيين (سفارديم) واليهود الغربيين (إشكنازيم) مازال يطل برأسه حتى الآن، وما زال أواره مشتعلا في المجتمع الإسرائيلي، والمعروف باسم «الحرب الطائفية». لهذا، وفي إطار الدفاع عن الثقافة التي قدموا منها شكل بعض المثقفين من اليهود العراقيين، مثل ساسون سوميخ وشمعون بالاص وديفيد تسيمح، «ندوة أنصار الأدب العربي» عام ١٩٥٤م، التي ضمت أيضا أدباء فلسطينيين وعراقيين في وقت كان الاتصال فيه بين الفلسطينيين واليهود سببا للشبهات من الجانبين. وضمن أنشطة هذه الندوة ترجم بعض أعضائها العديد من الأعمال الأدبية العربية لإظهار مدى ثراء الثقافة العربية التي قدموا منها[٨٦]. وحول هذا يقول الكاتب شمعون بالاص في لقاء بجامعة نيويورك: «لم أعرف العبرية عندما نزحت إلى إسرائيل، ولم يخطر ببالي في السنوات الأولى أنني سأكتب ذات مرة بهذه اللغة. آمنت آنذاك بأن الأديب لا يستطيع الإبداع إلا بلغته الطبيعية. كتبت بالعربية. بذلنا أنا ورفاقي ما في إمكاناتنا المتواضعة لتقديم صورة أخرى عن حياة الثقافة العربية من خلال تأسيس الندوة. وقد أجرينا في نطاقها لقاءات بين أدباء عبريين وعرب، وقدمنا محاضرات عن الأدب العربي، كما ترجمت منه للعبري. وهنا لابد من أن أضيف أن موقف المؤسسة المتعالي تجاه العالم العربي انعكس أيضا في نظرتها التسلطية تجاه المهاجرين من هذا العالم»[٨٧].

استشعرت المؤسسة الصهيونية الإشكنازية الخطر القادم، المعني بالثقافة العربية، فسعت بشتى السبل إلى استمالتهم، الأمر الذي دفع كثيرين منهم إلى التخلي عن مواقفهم السابقة، فاندمجوا في تيار الحياة الأدبية الإسرائيلية ذات التوجه الإشكنازي، وتوقف كثيرون منهم عن استخدام العربية، لغة للإبداع، مستعيضين عنها باللغة العبرية، عبر عملية قمع للذات الثقافية الخاصة، تمهيدا للانتماء إلى ثقافة أخرى جديدة. وقد تجلى هذا الأمر في تغيير اسم الندوة التي أسسوها من قبل، لتتغير بالتالي مضامينها وأهدافها، فأسس بعضهم جمعية أخرى عام ١٩٧٦م باسم «جمعية تشجيع الأبحاث والآداب والفنون ليهود العراق»، كما أسسوا أيضا اللجنة العلمية لـ «مركز تراث يهود العراق». ومع استبعاد صفتي «العربية» عن الجمعيتين السابقتين يتأكد انفصال هؤلاء عن الثقافة العربية التي شكلت وجدانهم الثقافي[٨٨]. ومما سبق يمكن القول إن هؤلاء كانوا يترجمون في البداية من الأدب العربي لإثبات وجودهم كجماعة شرقية في مواجهة هيمنة جماعة غربية إشكنازية، ثم سرعان ما أخذت ترجماتهم تتم لتحقيق الأهداف الصهيونية وتسير في ركاب الحركة الثقافية الإسرائيلية.

أما المجموعة الثالثة، فهي المجموعة التي لم تجد لنفسها مكانا سوى ما يسمى إسرائيل، فعلى أرضها ولدوا، وبعبريتها تحدثوا، فكانت لغتهم الأم. ولم يمر هؤلاء بمرحلة الانتقال اللغوي والثقافي التي يمر بها المهاجرون عادة. وكانت أهداف هؤلاء من الترجمة هي نفسها أهداف

المؤسسة الإسرائيلية. ونذكر منهم: يوآف جفعاتي، وحنيتا برند، ودانيلا برفمان، ويااي دميانوس، وراحيل حلبا، ويتسحاق شبنبويم، وزئيف كلاين، وجبرائيل روزنبناوم وغيرهم.

أما المجموعة الرابعة والأخيرة فهي فلسطينيو عام ١٩٤٨م، الذين أخذ معظمهم على عاتقه مهمة دور الوسيط بين الثقافتين أحيانا، إما لأنهم أقلية لها ثقافتها الخاصة وهويتها اللغوية الخاصة وتسعى إلى الحفاظ عليها والدفاع عنها، أي أنها نوع من أنواع المقاومة، وإما لأنهم يؤدون دور الجماعة الوظيفية التي تعيش في ظل ثقافة محتل مسيطرة، تحمل توجهات مغايرة ولغة مختلفة. وما يعنينا في هذا السياق هو دور هذه الجماعة في الترجمة من العربية إلى العبرية. ومن مترجمي هذه المجموعة محمد حمزة غنايم وأنطون شماس وسلمان مصالحة وغيرهم.

سادسا: دار نشر «الأندلس» وقضية ترجمة الأدب العربي الحديث بين التطبيع وتجميل الذات

أثارت دار نشر «الأندلس» قضية مهمة ومحورية شغلت المفكرين والمبدعين والمثقفين العرب، فألقت بحجر كبير في المياه الراكدة بشأن ترجمة الأدب العربي الحديث والمعاصر إلى اللغة العبرية، التي ما زال الكثيرون ينظرون إليها على أنها لغة للعدو. فهل الترجمات في هذا الصدد تطبيع أم مقاومة أم تجميل للصورة؟ وما هي «دار الأندلس» وأهدافها؟ ولماذا هذه الضجة التي أثيرت حولها بين المثقفين العرب في هذا التوقيت؟

ودار الأندلس – كما جاء على موقعها على شبكة المعلومات الدولية[٨٩] – دار نشر متخصصة في نشر الترجمات من الأدب والفكر العربيين إلى اللغة العبرية. وتبرر دار النشر اختيارها لاسم «الأندلس» على أنه يعني اللغة والمكان. فاسم الأندلس يعني – على حد قولها – «العصر الذهبي» للثقافة العربية والعبرية، الإسلامية واليهودية. وتقدم دار النشر لدورها بأن القارئ الإسرائيلي غير مطلع على الثقافة العربية: فكرا وأدبا. فلا يوجد في العبرية أدب يفتح نافذة على فهم المجتمع العربي والمواطن الذي يعيش فيه. وتتحدث دار النشر عن عدم وجود مجال للمقارنة بين الترجمات من اللغات الأوروبية إلى العبرية ومن العربية إلى العبرية، فتورد شبه إحصائية مفادها أن ما تُرجم من الأدب العربي الحديث والمعاصر منذ الثلاثينيات حتى الآن لا يتجاوز أربعين عنوانا.

وفي ضوء هذه المبررات التي تقدمها دار نشر الأندلس، تحدد دورها بأنه ملء هذا الفراغ من خلال نشر ترجمات تغطي جوانب عديدة من الثقافة والإبداع العربيين في مجال الأدب والشعر والفلسفة وفي كل الاتجاهات: الأدب الحديث والكلاسيكي، والكتابة الوثائقية، والفن،

والشعر، والمسرحية، والأدب الساخر، والفكر، والنقد. وتؤكد دار النشر أن الاطلاع على الأدب العربي - إلى جانب أهميته الجمالية - يمثل فرصة مهمة للقارئ الإسرائيلي ليتذوق الإبداع العربي الفني المتميز الذي لم يتح له بالقدر الكافي.

وقد برزت قضية دار نشر الأندلس حينما وسّطت صاحبتها ياعيل ليرر - الناطقة الرسمية السابقة باسم عضو الكنيسيت الفلسطيني عزمي بشارة والمعروفة بمساندة وتأييد حقوق الشعب الفلسطيني - الكاتب المغربي محمد برادة ليطلب من بعض الكتاب العرب موافقتهم على ترجمة بعض أعمالهم إلى العبرية. فأثيرت الضجة وانقسمت الآراء بشأن هذه القضية إلى ثلاثة:

الرأي الأول: يرى أصحاب هذا الرأي أنه لا مجال لترجمة الأدب العربي إلى العبرية لأكثر من سبب؛ الأول: أن العبرية لغة ميتة، ولن تفيد الترجمة إليها الأدباء العرب. الثاني: أن الترجمة بهذا الشكل - أي بموافقة الطرفين - تعد تطبيعا، وهو أمر مرفوض من قبل كثيرين من الأدباء والمثقفين، حتى إذا أقدمت هذه الدار على ترجمة بعض هذه الأعمال سطوا فإن أصحابها لن يقيموا ضدها أي دعاوى قضائية لسطوها على أعمالهم؛ لأن المقاضاة في حد ذاتها نوع من التطبيع.

الرأي الثاني: يرى أصحاب هذا الرأي أنه لا ضير من ترجمة الأدب العربي عبر هذه الدار أو غيرها؛ لأن هذه الترجمات تساهم في تفتيح العقلية الإسرائيلية على حقيقة ما يجري في المنطقة العربية، وتحاول إصلاح ما أفسده المستشرقون الغربيون بشكل عام، والمستشرقون اليهود بشكل خاص، والباحثون الإسرائيليون بشكل أخص، من تشويه الشخصية العربية وتحريف حضارتها وثقافتها. وقد أكد أصحاب هذا الرأي أن القائمين على هذه الترجمات سيكونون من فلسطينيي عام ١٩٤٨م.

الرأي الثالث: يرى أصحاب هذا الرأي ضرورة ترجمة الأدب العربي الحديث إلى العبرية، ولكن ليس من جانب دار نشر إسرائيلية، بل من جانب دور نشر عربية، ويقوم عليه مترجمون عرب، على درجة وعي عالية بالصراع العربي - الإسرائيلي، ويدركون جيدا كيف يمكن لهذه الترجمات أن تساهم في تغيير صورة العربي وثقافته وحضارته في ذهن المتلقي الإسرائيلي، على أن تتبنى هذا المشروع مؤسسة عربية كبرى لا تسعى وراء الربح والمكسب، وإنما مسعاها هو تحقيق مكسب معنوي يخدم واقع العرب السياسي والاجتماعي والثقافي.

كان الرأي الثالث أقرب هذه الآراء إلى الواقعية والموضوعية التي يمكن أن تفيد العرب في طرح أدبهم أمام قارئ له ثقافة مغايرة، إن لم تكن معادية، ولغة مختلفة. والحقيقة أن هذه الترجمة يمكن أن تفيد في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن العربي، الذي اختُزلت حضارته وثقافته في ذهن الإسرائيلي في مجموعة من الرموز مثل الجمل والنخلة والخيمة والصحراء،

علما بأن الحضارة العربية لها رموز ومظاهر أخرى عديدة ومتنوعة، وتتسم بالثراء والتنوع. وترجمة هذه الأعمال إلى العبرية تعكس أن المجتمع العربي ليس مجتمعا أحادي التوجه والنزعة والثقافة، بل هو يسمح بالتعددية، يسمح بالرأي والرأي الآخر، يسمح للأديب والكاتب بأن يخالف البعض الرأي ليقدم رأيا مختلفا يراه صحيحا في مصلحة مجتمعه.

وقد ترجمت دار الأندلس خلال السنوات الأربع الأخيرة ما يقرب من عشرة أعمال روائية وشعرية عربية. فقد نشرت ترجمة رواية «باب الشمس» للكاتب اللبناني إلياس خوري، و«عرس الزين» للكاتب السوداني الطيب صالح، وهناك ترجمة أخرى على وشك الصدور لرواية أخرى للكاتب نفسه هي «بندر شاه»، ورواية «البئر الأولى» للكاتب الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا، و«الخبز الحافي» للكاتب المغربي محمد شكري، و«زهرة» للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة. كما نشرت ديوانين شعريين للشاعر الفلسطيني محمود درويش: الأول «حالة حصار»، والثاني «لماذا تركت الحصان وحيدا» وغير ذلك.

ويمكن الوقوف على عدة ملاحظات حول هذه الأعمال المترجمة:

١- جاء انتقاء الأعمال ليتسق ورؤية المتلقي الإسرائيلي إلى حد ما. فقد وقع الاختيار على أعمال تعكس مضامينها قضايا تنطوي على تمرد على مجتمعاتها من ناحية وتتسق ورؤية المتلقي الإسرائيلي من ناحية أخرى.

٢- مهدت دار النشر في مقدماتها عن الأعمال المنشورة الطريق إلى المتلقي الإسرائيلي من خلال التأكيد أن بعض هذه الأعمال أصبحت مقبولة في الثقافة العالمية، فقد ترجمت بعضها إلى عدة لغات، وبيع من بعضها ما يزيد على مليون نسخة. نجد هذا الأمر واضحا عند الحديث عن رواية «الخبز الحافي» للكاتب المغربي محمد شكري. فتشير المقدمة إلى أن الرواية أثارت ردود فعل حادة في العالم العربي وحظيت بتعاطف عالمي، وترجمت إلى خمس عشرة لغة، وبيع منها أكثر من مليون نسخة. وعند تقديم ديوان «حالة حصار» للشاعر الفلسطيني محمود درويش يؤكِّد أنه حصل عام ٢٠٠١م على جائزة (Prize for Cultural Freedom) التي يمنحها «صندوق لانان» (Lannan Foundation). وتشير إلى أن الشاعر أصدر حتى الآن ثلاثين عملا شعريا وقصصيا، وترجمت أعماله إلى حوالي خمس وثلاثين لغة. وعند التقديم لرواية «باب الشمس» للكاتب إلياس خوري، يشار إلى أنها ترجمت إلى الفرنسية وحققت نجاحا كبيرا، كما ترجمت إلى عدة لغات أخرى.

٣- لم تقتصر مشاركة المترجمين - كما أعلن - على مترجمين من فلسطينيي ١٩٤٨م، مثل محمد حمزة غنايم وأنطون شماس ونواف عثامنة فقط. فقد ترجم رفيف أنين رواية «البئر الأولى» للكاتب جبرا إبراهيم جبرا، وترجم موشيه حاخام رواية «باب الشمس» للكاتب إلياس خوري، وترجمت راحيل حلبا رواية «عرس الزين» للكاتب الطيب صالح.

٤- مشاركة جهات إسرائيلية أكاديمية في نشر بعض الأعمال، رغم نفي دار النشر في رسالتها للأدباء العرب بأنها لن تعمل تحت مظلة رسمية أو غير رسمية، حتى لا تستغل كدعاية للتطبيع. فقد نشرت الدار نفسها الترجمة العبرية لرواية «البئر الأولى» بمشاركة مركز أبحاث المجتمع العربي في إسرائيل ومعهد «فان لير» بالقدس.

وفي ضوء الملاحظات السابقة تبرز الحاجة الملحة إلى تشكيل مؤسسة عربية لترجمة الأدب العربي الحديث والمعاصر إلى اللغة العبرية. فترجمة هذه الأعمال الإبداعية ستخضع لانتقائيتنا نحن، بحيث ننتقي ونختار ما نراه في مصلحتنا ويعكس واقعنا الثقافي والحضاري بشكل جيد ومناسب، ويصلح الصورة المشوهة التي زرعتها المؤسسة الثقافية الإسرائيلية في أذهان قرائها عن العرب وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم ودينهم.

سابعا: الخاتمة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج تتعلق بحركة الترجمة من العربية إلى العبرية في إسرائيل سواء كان وراءها مؤسسات أو أفراد:

- تلعب الترجمة دورا مهما وفاعلا في تفاعل الثقافات والحضارات والمجتمعات، فتفتح نافذة واسعة لمعرفة الآخر: فكرا وثقافة ومجتمعا. وقد تجلى هذا الدور المحوري للترجمة في حركة الترجمة من العربية إلى العبرية في العصور الوسطى في الأندلس، حينما انكب بعض المترجمين اليهود على ترجمة التراث الفكري والديني العربي الإسلامي إلى العبرية، ومن ثم ترجمته إلى اللاتينية لتستفيد به أوروبا المسيحية في نهضتها المقبلة.

- حافظت هذه الترجمات - التي قام بها بعض المترجمين اليهود - على التراث العربي والإسلامي الذي خلفه المسلمون في الأندلس، فهناك العديد من هذه الترجمات فقدت أصولها العربية، ولم يتبق منها سوى ترجماتها العبرية أو اللاتينية التي ترجمت عن العبرية.

- تمت ترجمة التراث العربي - أدبا وفكرا وثقافة - في العصر الحديث ضمن حركة الاستشراق اليهودية، التي خرجت بطبيعة الحال من عباءة الاستشراق الغربي. لكن الاستشراق اليهودي الصهيوني وظّف توجهات ومناهج الاستشراق الغربي ووجهه بشكل أكثر تركيزا لاستكشاف المنطقة التي ستشهد إقامة الكيان الصهيوني الجديد.

- وقد تشكلت الحقبة الثانية من حركة الترجمة من العربية إلى العبرية على خلفية نشأة الحركة الصهيونية، ومخططها الحثيث وهدفها الواضح لإنشاء «وطن لليهود في فلسطين». من هنا تبلورت حركة الترجمة وتحددت ملامحها في ظل صراع أيديولوجي وعسكري وسياسي وثقافي، انطلاقا من أن الصراع - كما يرى البعض - ليس صراع حدود وإنما صراع وجود.

- ألقى هذا الصراع بظلاله الكثيفة على حركة الترجمة من العربية إلى العبرية. فلم تؤد الترجمة دورها في تفاعل الثقافات والحضارات والمجتمعات، واقتصر دورها على أن تكون الترجمات مجرد وثائق دينية أو اجتماعية. فتمت ترجمة معاني القرآن الكريم لأكثر من أربع مرات، وبعض كتب السيرة النبوية والتراث الديني، بهدف رصد وتسجيل وتحليل المفاهيم الدينية المؤثرة في الصراع العربي الإسرائيلي من ناحية، ومحاولة إظهار تأثير اليهودية في الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ناحية أخرى.

- لم تختلف ترجمة الأدب العربي القديم والحديث في أهدافها عن أهداف ترجمة الكتب الدينية الإسلامية. فقد كان الهدف منها يصب في الرؤية الإسرائيلية للصراع العربي - الإسرائيلي. فدراسة الأدب العربي القديم تساعدهم في بلورة وتحديد الطابع القومي للشخصية العربية. أما الأدب العربي الحديث فكان بالنسبة إليهم مجالا مهما ووسيلة حيوية تساعد في التعرف على المجتمعات العربية الحديثة والمعاصرة ودراسة التحولات الاجتماعية فيها. ولم تكتف المؤسسة الثقافية الإسرائيلية بالترجمات، بل أجرت دراسات على الأعمال الأدبية المترجمة لمتابعة الحركة الأدبية واستشراف اتجاهاتها في المجتمعات العربية؛ لأن هذه المؤسسة تدرك استحالة دراسة الحركة الأدبية في هذه المجتمعات وفهمها وتفسيرها بمعزل عن التحليل الاجتماعي للعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية.

- كشف الموقف من تدريس بعض قصائد محمود درويش في المناهج الدراسية في إسرائيل أن ترجمات الأدب العربي إلى العبرية لم تلعب أي دور آخر، كتذوقه كأدب إنساني، سوى كونها وثائق أدبية تساعد في التعرف على المجتمعات المعادية. فمحمود درويش، الشاعر الفلسطيني القومي، حينما تعامل مع الفرد الإسرائيلي على أنه إنسان تخطئ في توجيهه قيادته السياسية والعسكرية، بحيث يكون هذا الفرد ضحية لسياسات قادته، قبلته المؤسسة الثقافية الإسرائيلية في هذا الإطار ولكن ضمن حدود ترسم هي خطوطها الحمراء. وعندما تجاوز درويش هذه الخطوط - حينما عبر عن حضور فلسطينيته، التي تعني غياب كل ما هو إسرائيلي، في قصيدته المعروفة «عابرون في زمن عابر» - قامت الدنيا في إسرائيل ولم تقعد، ووصلت أصداء هذه القضية إلى الكنيسيت. وكانت النتيجة استبعاد درويش، ليس فقط على مستوى إدراج بعض قصائده غير الوطنية ضمن المناهج الدراسية، وإنما على مستوى بعض دوائر المثقفين، الذين تعاطفوا معه في السابق أحيانا من خلال شعور زائف بالذنب.

- أظهرت قضية دار نشر الأندلس ضرورة أن تتشكل مؤسسة عربية لترجمة الفكر والأدب العربيين، وفق انتقائية عربية تكشف للقارئ الإسرائيلي كل ما هو جيد ومشرق عن الحضارة العربية والإسلامية، بعيدا عن الانتقائية الإسرائيلية، التي ربما تكشف عن وجوه مظلمة وسلبية في الثقافة العربية، حتى إن اتفقت مع توجهات القارئ الإسرائيلي، ويمكن لهذا القارئ أن يعمم هذه الجوانب الاستثنائية على المجتمعات العربية.

الهوامش

1 عامر، فتحي، خيانة النص مشكلة المترجم الذي يجهل السياق الثقافي للمؤلف، البيان (صحيفة يومية تصدرها مؤسسة دبي للإعلام)، ٢٦/١١/٢٠٠٠م.

2 عبود، عبده، الترجمة والحاجات الحضارية: دعوة إلى فتح ملف ثقافي عربي، الموقف الأدبي (مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق)، العدد ١٨٥، أيلول ١٩٨٦م.

3 عياشي، منذر، الترجمة ضرورة حياتية، الموقف الأدبي، العدد ٣٣٤، شباط ١٩٩٩م.

4 درويش، علي، الترجمة العربية بين الاختلاق والحضارة الزائفة: إشكالية التوطين والمحاكيات الحضارية، متاح في: www.al-manac.com/kutta_almanac تاريخ الدخول: ١١/١١/٢٠٠٤م.

5 حزين، صلاح، ٥٠ عاما لم تشهد إلا خطبهم وقصائدهم الحماسية: الانتفاضة تكشف غياب المثقفين، أخبار الأدب (صحيفة أسبوعية تصدرها دار أخبار اليوم بمصر)، ٢٤/١١/٢٠٠٢م.

6 عبد الواحد، سعيد إبراهيم، الترجمة إثراء للثقافات المختلفة، دنيا الوطن (صحيفة يومية تصدر في غزة)، ٢٢/٩/ ٢٠٠١م.

7 عبده، حازم، الترجمة وتفاعل الثقافات... خطوة ما نحو مشروع عربي موحد للترجمة، الموقف الأدبي، العدد ٤٠٠، آب ٢٠٠٤م.

8 عبد المعطي، عفاف، الترجمة عوائق ومحاولات للحلول، متاح في: www.arabworldbooks.com/ Articlesتاريخ الدخول: ١٥/١١/٢٠٠٤م.

9 محمد، شوقي جلال، الترجمة في الوطن العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٩٣ .

10 الحوراني، محمد، مفاهيم ينبغي أن تصحح، الأسبوع الأدبي، العدد ٨٠٢، ٦/٤/٢٠٠٢م.

11 عبده، حازم، الترجمة وتفاعل الثقافات ... خطوة ما نحو مشروع عربي موحد للترجمة.

12 الرفاعي، جمال أحمد، منهج يهود العصور الوسطى في ترجمة التراث العربي: دراسة في مشكلات ترجمة «ميزان العمل» إلى اللغة العبرية، رسالة المشرق (مجلة علمية ربع سنوية محكمة يصدرها مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة) العدد ١-٤، ٢٠٠١م، ص١٤٩ .

13 ظاهر، ناجي، ما هو دور الترجمة: ماذا نترجم وكيف؟، متاح في: adabatfal.com/modules، تاريخ الدخول: ١٤/٩/٢٠٠٤م.

14 عبود، عبده، الترجمة والحاجات الحضارية: دعوة إلى فتح ملف ثقافي عربي، الموقف الأدبي، العدد ١٨٥، سبتمبر ١٩٨٦م.

15 الرفاعي، جمال أحمد، منهج يهود العصور الوسطى في ترجمة التراث العربي: دراسة في مشكلات ترجمة «ميزان العمل» إلى اللغة العبرية، ص١٥٠ .

16 الشامي، رشاد، تطور وخصائص اللغة العبرية: القديمة والوسيطة والحديثة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٦٧ .

17 المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، الجزء الثالث، ص ٢٣٦ .

18 الشامي، رشاد، تطور وخصائص اللغة العبرية: القديمة والوسيطة والحديثة، ص٦٩ .

19 الرفاعي، جمال أحمد، منهج يهود العصور الوسطى في ترجمة التراث العربي: دراسة في مشكلات ترجمة «ميزان العمل» إلى اللغة العبرية، ص١٥٠ .

20 شحلان، أحمد، ابن رشد والفكر العبري الوسيط: فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري

اليهودي، مراكش، ١٩٩٩م، ص٢٥٠ .

21 Encyclopedia Judica , Jeruslem, vol. 3, p. 95.

22 العمامي، محمد عقيلة، الإمكانات الأدبية العربية المهاجرة . . ومخاطبة الآخر، متاح في: www.almotamar.com تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/٢١م.

23 صميدة، محمود، إستراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، (سلسلة نحن وهم، العدد رقم ٢)، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٨ .

24 حسين، محمد أحمد صالح، الشخصية العربية في المسرحية العبرية بعد حرب أكتوبر: دراسة في مسرحية «نعيم» للكاتب أ. ب. يهوشوع، رسالة المشرق، المجلد ١١، الأعداد ١–٤، ٢٠٠٢م، ص١٢٢.

25 وهب الله، عبدالوهاب محمود، المسرح العبري في الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٥٦م، مع دراسة نقدية للشخصية العربية في مسرحياته، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٥١.

26 ين عيزير، إيهود، بورتسيم فنيتسوريم: عيونيم بسيفروت هيسرائيليت هتسعيرا (محاربون ومحاصرون: دراسات في الأدب الإسرائيلي المعاصر)، دورية قيشيت، السنة العاشرة، العدد ٤، القدس، ١٩٨٦م، ص١٤.

27 أبو هاشم، عبداللطيف زكي، الاستشراق اليهودي، متاح في: www.bahethcenter.org/arabic، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/٥م.

28 جاسم، ناصر عبدالرزاق الملا، تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، مجلة رؤى، (٨–٩)، متاح في: www.adabihail.gov.sa، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/٨١م.

29 عبدالكريم، إبراهيم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل، عمان: ١٩٩٣م، ص١٩٢–١٩٣.

30 غنايم، محمد حمزة، من يحكم إسرائيل الآن، بعد أفُول طبقة الزنابير؟ متاح في: www.almash-had.org، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/١٩م.

31 Amit-kochavi, hanna, Translation from Arabic into Hebrew in Israel - An overview, 1997, in: http://`www.google.co.ii\1-11-2005. 001883ar.pdf+Study+of+Arabic+in+Israel+&h1=en&ie=UTF-

32 سعيد، كرم، الاهتمام الإسرائيلي بترجمة الأدب العربي: الدوافع والاهتمامات، مختارات إسرائيلية (نشرة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام)، العدد ٩٣، سبتمبر ٢٠٠٢م، ص٨٧ .

33 http://herzog.eteacher.co.il/main.htm

34 عبدالناصر، جمال، هفيلوسفيا شيل همهبيخا (فلسفة الثورة)، نقله عن العربية حاييم أرفيف وشلومو بوكاي، دار نشر بفري جديش، تل أبيب، ١٩٥٩م.

35 الجراد، خلف محمد، الأبعاد الفكريّة والعلميّة –التقنيّة للصراع العربي الصهيوني، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م، ص١٥٧ .

36 Encyclopedia Judica , Jeruslem, vol.10 , p. 1199.

37 الرفاعي، جمال أحمد، دراسة في مشكلات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، كلية الألسن، القاهرة: ١٩٩٤م، ص٩٩.

38 حميدة، أحمد فوزي، حول ضرورة ترجمة القرآن الكريم للعبرية، متاح في: www.islamonline.net/Arabic، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/١٢.

39 القرآن، ترجمة للعبرية أوري روبين، دار نشر جامعة تل أبيب، تل أبيب، ٢٠٠٥م.

40 ريكندورف، ر. همقرا فهقورآن (التوراة والقرآن)، ليفتسيج، ١٨٥٧م، ص xlv.

41 أحمد، محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، (سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات العدد ٣)، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٧ و٨.
42 الرفاعي، جمال أحمد، دراسة في مشكلات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، ص٨٦.
43 البحراوي، إبراهيم، الأدب الصهيوني بين حربي يونيو ١٩٦٧م - أكتوبر ١٩٧٣م، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٧ .
44 أصطيف، عبدالنبي، المنهج الاجتماعي في الدراسة الأدبية، الموقف الأدبي، العدد ٢٦٨، أغسطس ١٩٩٣م.
45 ويليك، ر. أرين، وستن، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.
46 يس، السيد، التحليل الاجتماعي للأدب، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص١٦٠.
47 سوميخ، ساسون، الأدب العبري والقارئ العبري، ترجمة محمود عباسي، مجلة المشرق، المجلد ١، العدد ٢، ١٩٧٢م، ص٥٨.
48 سعيد، كرم، الاهتمام الإسرائيلي بترجمة الأدب العربي: الدوافع والاهتمامات، ص٨٨.
49 يس، السيد، التحليل الاجتماعي للأدب، ص١٦٠.
50 سوميخ، ساسون، الأدب العبري والقارئ العبري، ص٥٧.
51 Harkabi,y, Basic Factors in the Arab Collapse during the Six-day war, orbis, 1967, (2) 3.
52 Baer, Gabriel, A History of landownership in Modern Egypt, 1900-1950, Oxford University Press, London, 1962.
53 سوميخ، ساسون، الأدب العبري والقارئ العبري، ص٥٨.
54 كفيفا متسريت: مفحار سيبوريم متسرايم (سلة مصرية: مختارات من القصص المصرية)، ترجمها وحررها يتسحاق شموش وباروخ موريه، دار نشر م.نويمان، تل أبيب، ١٩٤٥م.
55 عل هحوف شمنيجيد: مفحار سيبوريم متسرييم مودرنييم (على الشاطئ المقابل: مختارات من القصص المصرية الحديثة)، إعداد وترجمة مناحيم ميلسون وشموئيل ريجولانت، دار نشر عيدانيم، القدس، ١٩٨٠م.
56 معيفير لأوفيق هكاروف: سيبوريم عرفييم بناي يمينو (في الأفق القريب: قصص عربية معاصرة)، ترجمة عامي ألعاد وآخرين، دار نشر كيتير، القدس، ١٩٨٩م.
57 إلعاد بوسكيلا عامي، بايت لحوف هناهار: سيبوريم متسرييم مشنوت هشمونيم فهتشعيم (بيت على شاطئ النهر: قصص مصرية من الثمانينيات والتسعينيات)، ترجمها عن العربية رفيف أنين وأهود هوربيتس ويتسحاق شنيبويم، دار نشر يديعوت أحرونوت فسفراي حيميد، تل أبيب، ١٩٩٦م.
58 سيبوريم فلستينييم (قصص فلسطينية)، نقلها عن العربية موشيه حاخام، دار نشر ي.جولان، تل أبيب، ١٩٩٧م.
59 هحادريم هاآحاريم: شالوش نوفيلوت فلسطينيوت (الغرف الأخرى: ثلاث قصص فلسطينية)، حررها وقدم لها عامي إلعاد بوسكيلا، ترجمها يتسحاق شنيبويم وجدون شيلا، دار نشر أور يهودا وهيد أرتسي، تل أبيب، ٢٠٠١م.
60 نعلايم للو عقيفيم: سيبوريم مودرنييم شيل يوتسروت عرفيوت (حذاء بلا كعب: قصص حديثة لمبدعات عربيات)، إعداد إلعاد بوسكيلا، ترجمة حنيتا برند وآخرون، دار نشر سفريات معاريف، تل أبيب، ٢٠٠٤م.
61 مقوم عل بناي هاآداما: سيبوريم عرفييم بناي زمنينو (مكان على وجه البسيطة: قصص عبرية معاصرة)، دار نشر معهد فان لير، القدس، ١٩٨٨م.

62 حوخماتو شيل هشور: سيبوريم مهاهافاي هعرفي (حكمة الثور: قصص من الواقع العربي)، ترجمة موسى بن حاييم، دار نشر أقدمون، القدس، ١٩٩٦م.

63 سوميخ، ساسون، الأدب العبري والقارئ العبري، ص٥٧.

64 يس، السيد، التحليل الاجتماعي للأدب، ص١٥٠.

65 أدونيس، تحيليوت (بدايات)، ترجمة نعيم عرايدي، دار نشر م. أليعال، تل أبيب، ١٩٨٩م.

66 ساسون، سوميخ، وناهار، فرفر، مفحار ترجوميم مشيرات سوريا أولفانون هتسعيرا، دار نشر سفريات بوعاليم، مرحافيا، ١٩٧٣م.

67 قباني، نزار، بوئيموت: نزار قباني ومحمود درويش (قصائد: نزار قباني ومحمود درويش)، نقله عن العربية: شموئيل ريجولانت بالاشتراك مع عيتون ٧٧، تل أبيب، ١٩٥٥م.

68 مفحار هشيرا هعرفيت (مختارات من الشعر العربي)، ترجمة يوسيف نئمان، دار نشر كريات سيفير، القدس، ١٩٥٥م.

69 دكاليم أونخاليم: تسروت شيراي–عام عارفييم (نخل وتمر: مجموعات من الشعر الشعبي العربي)، ترجمها ترجمة حرة ناتان زاخ وراشد حسين، دار نشر دافير، تل أبيب، ١٩٦٧م.

70 مشيرات عاراف: تيرجوميم أورشيموت (من أشعار العرب: ترجمات ومقالات)، ترجمة أشير جورين، دار نشر كوميرشال برس، القدس، ١٩٧٠م.

71 هحازارا إيل هشيفيط: أنتولوجيا: شيرا عرفيت متورجيميت لعفريت (العودة إلى القبيلة: مختارات من الشعر العربي المترجم للعبرية)، حررها نزيا حير، اتحاد رابطة الأدباء في إسرائيل، الرابطة العربية، (د.م)، ١٩٩٦م.

72 شاعار لشيرا حداشا: سيفير هفستيفل بعريخات سهام داود (مدخل للشعر الحديث: كتاب المهرجان إعداد سهام داود)، دار نشر هليكون، تل أبيب، ٢٠٠٣م.

73 لحوليم بليل جاشوم: مفحار شيريم مهشيرا هعرفيت شهوفيعو بعيتون ٧٧ بشنات ٢٠٠٤ (للحالمين بليل مطير: مختارات شعرية من الشعر العربي الذي نشر في دورية «عيتون ٧٧» عام ٢٠٠٤م)، رابطة الأدباء والفنانين لدعم الأدب والثقافة، تل أبيب، ٢٠٠٤م.

74 سجيف، دافيد، سيفير هبتجاميم: عفري عرفي (كتاب الأمثال: عبري عربي)، دار نشر شوكان، القدس، ١٩٩٨م.

75 بن حاييم، موشيه، إيليف بتجام أوفتجام: بعرفيت مدوبيريت أوفتيرجوم عفري (ألف مثل ومثل، بالعامية العربية مصحوبة بترجمة عبرية)، دار نشر أقدمون، القدس، ٢٠٠٤م.

76 حاخام، موشيه، إيليف فإحاد بتجاميم عماميم شهايو شجوريم بفي يهوداي عيراق (ألف مثل شعبي وواحد كانت شائعة على ألسنة يهود العراق)، دار نشر ي.جولان، تل أبيب، ١٩٩٣م.

77 مئيري، يهوشواع، عل نهاروت بافيل: أوتسار هبتجاميم شيل يهوداي بافيل: بتجاميم، فولكلور، منهاجيم، أومانوت فسيبوراي عام يهدوات بافيل (على أنهار بابل: قاموس أمثال يهود العراق: الأمثال والتراث الشعبي، والعادات، والفنون والقصص الشعبية ليهود العراق)، دار نشر رؤفين ماس، القدس، ١٩٩٦م.

78 آفيشور، يتسحاق، هبتجام هعمامي شيل يهوداي عيراق (المثل الشعبي عند يهود العراق)، كلية الآداب، جامعة حيفا، ١٩٩٧م.

79 مراد، عزرا، شيراي عام بلاهاج هعيراقي متورجاميم بعفريت فعود (الأشعار الشعبية باللهجة العراقية مترجمة إلى العبرية وغيرها)، دار نشر كريات ملاخي، القدس، ٢٠٠٣م.

80 بن نسق عامي، يساسكر، إيليف بتجام أوفتجام ميبي يهوداي ماروكو (ألف مثل ومثل عند يهود المغرب)، دار نشر يوسيف لوجاسي، القدس، ١٩٩٧م.

81 بوحنيق، يوسيف، نيفيم أوفتجاميم ميبي يهوداي لوف فتونيسيا (تراكيب وأمثال شائعة بين يهود بيبيا وتونس)، دار نشر بئير، ريشون لتسيون، ٢٠٠٠م.

82 ناقات، قسام، شيرا بدوئيت مسيناي فهنيجيف (الشعر البدوي من سيناء والنقب)، دار نشر هكيبوتس همؤحاد، تل أبيب، ١٩٩٣م.

83 أوتسار همشاليم فهبتجاميم هتيمانيم (قاموس الأمثال والحكم اليمنية)، جمعها وترجمها وحررها: مردخاي يتسهري، رابطة حماية المجتمع والثقافة، التوثيق والبحث، نتانيا، ١٩٩٣م.

84 سالم، علي، كوميديات أديبوس: آتا هو شهرجتا إيت همفليتست (كوميديا أوديب: أنت اللي قتلت الوحش)، نقلها عن العربية حفرئيل روزنباوم، دار نشر جمير، تل أبيب، ١٩٨٨م.

85 الرملي، لينين، سعدون همشوجاع (سعدون المجنون)، ترجمها عن العربية أفراهام حكيم وجفريئيل ورزنباوم، دار نشر جمير، تل أبيب، ١٩٩٨م.

86 حزين، صلاح، ٥٠ عاما لم تشهد إلا خطبهم وقصائدهم الحماسية: الانتفاضة تكشف غياب المثقفين، أخبار الأدب، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

87 بلاص، شمعون، لطائر المهاجر والأديب، اتجاهات ثقافية، متاح في: www.alitijahalakhar.com، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٨/٢٢م.

88 حزين، صلاح، ٥٠ عاما لم تشهد إلا خطبهم وقصائدهم الحماسية: الانتفاضة تكشف غياب المثقفين، أخبار الأدب، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

89 www.andalus.co.il

مراجع البحث

أولا باللغة العربية

– أبو هاشم، عبد اللطيف زكي، الاستشراق اليهودي، متاح في: www.bahethcenter.org/arabic، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/٥م.

– أحمد، محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، (سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات العدد ٣)، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

– أصطيف، عبد النبي، المنهج الاجتماعي في الدراسة الأدبية، الموقف الأدبي، العدد ٢٦٨، أغسطس ١٩٩٣م.

– البحراوي، إبراهيم، الأدب الصهيوني بين حربي يونيو ١٩٦٧م وأكتوبر ١٩٧٣م، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٩م.

– بلاص، شمعون، الطائر المهاجر والأديب، اتجاهات ثقافية، متاح في: www.alitijahalakhar.com، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٨/٢٢م.

– جاسم، ناصر عبد الرزاق الملا، تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، مجلة رؤى، (٨-٩)، متاح في: www.adabihail.gov.sa، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/١٨م.

– الجراد، خلف محمد، الأبعاد الفكريّة والعلميّة –التقنيّة للصراع العربي الصهيوني، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

– حزين، صلاح، ٥٠ عاما لم تشهد إلا خطبهم وقصائدهم الحماسية: الانتفاضة تكشف غياب المثقفين، أخبار الأدب (صحيفة أسبوعية تصدرها دار أخبار اليوم بمصر)، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

– حسين، محمد أحمد صالح، الشخصية العربية في المسرحية العبرية بعد حرب أكتوبر: دراسة في مسرحية «نعيم» للكاتب أ.ب.يهوشوع، رسالة المشرق، المجلد ١١، الأعداد ١-٤، ٢٠٠٢م.

– حميدة، أحمد فوزي، حول ضرورة ترجمة القرآن الكريم للعبرية، متاح في: www.islamonline.net/Arabic، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/١٢ .

– الحوراني، محمد، مفاهيم ينبغي أن تصحح، الأسبوع الأدبي، العدد ٨٠٢، ٢٠٠٢/٤/٦م.

– درويش، علي، الترجمة العربية بين الاختلاق والحضارة الزائفة: إشكالية التوطين والمحاكيات الحضارية، متاح في: www.al-manac.com/kutta_almanac تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/١١/١١م.

– الرفاعي، جمال أحمد، دراسة في مشكلات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، كلية الألسن، القاهرة: ١٩٩٤م.

– الرفاعي، جمال أحمد، منهج يهود العصور الوسطى في ترجمة التراث العربي: دراسة في مشكلات ترجمة «ميزان العمل» إلى اللغة العبرية، رسالة المشرق (مجلة علمية ربع سنوية محكمة يصدرها مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة) العدد ١-٤، ٢٠٠١م.

– سعيد، كرم، الاهتمام الإسرائيلي بترجمة الأدب العربي: الدوافع والاهتمامات، مختارات إسرائيلية (نشرة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام)، العدد ٩٣، سبتمبر ٢٠٠٢م.

– سوميخ، ساسون، الأدب العبري والقارئ العبري، ترجمة محمود عباسي، مجلة المشرق، المجلد ١، العدد ٢، ١٩٧٢م.

– الشامي، رشاد، تطور وخصائص اللغة العبرية: القديمة والوسيطة والحديثة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م.

– شحلان، أحمد، ابن رشد والفكر العبري الوسيط: فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، مراكش، ١٩٩٩م.

- صميدة، محمود، استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، (سلسلة نحن وهم، العدد رقم ٢)، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ظاهر، ناجي، ما هو دور الترجمة: ماذا نترجم وكيف؟ متاح في: adabatfal.com/modules، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/١٤م.
- عامر، فتحي، خيانة النص مشكلة المترجم الذي يجهل السياق الثقافي للمؤلف، البيان (صحيفة يومية تصدرها مؤسسة دبي للإعلام)، ٢٠٠٠/١١/٢٦م.
- عبد الكريم، إبراهيم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل، عمان: ١٩٩٣م.
- عبد المعطي، عفاف، الترجمة عوائق ومحاولات للحلول، متاح في: www.arabworldbooks.com/Articlesتاريخ الدخول: ٢٠٠٤/١١/١٥م.
- عبد الواحد، سعيد إبراهيم، الترجمة إثراء للثقافات المختلفة، دنيا الوطن (صحيفة يومية تصدر في غزة)، ٢٢/٩/ ٢٠٠١م.
- عبده، حازم، الترجمة وتفاعل الثقافات ... خطوة ما نحو مشروع عربي موحد للترجمة، الموقف الأدبي، العدد ٤٠٠، أغسطس ٢٠٠٤م.
- عبود، عبده، الترجمة والحاجات الحضارية: دعوة إلى فتح ملف ثقافي عربي، الموقف الأدبي (مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق)، العدد ١٨٥، سبتمبر ١٩٨٦م.
- العمامي، محمد عقيلة، الإمكانات الأدبية العربية المهاجرة . . ومخاطبة الآخر، متاح في: www.almotamar.com ، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/٢١م.
- عياشي، منذر، الترجمة ضرورة حياتية، الموقف الأدبي، العدد ٣٣٤، فبراير ١٩٩٩م.
- غنايم، محمد حمزة، من يحكم إسرائيل الآن، بعد أفُول طبقة الزنابير؟ متاح في :www.almash-had.org، تاريخ الدخول: ٢٠٠٤/٩/١٩م.
- محمد، شوقي جلال، الترجمة في الوطن العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- المسيري، عبدالوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م .
- وهب الله، عبدالوهاب محمود، المسرح العبري في الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٥٦م، مع دراسة نقدية للشخصية العربية في مسرحياته، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.
- ويليك،ر. أرين، وستن، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
- يس، السيد، التحليل الاجتماعي للأدب، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

ثانيا باللغة العبرية

- آفيشور، يتسحاق، هبتجام هعممامي شيل يهوداي عيراق (المثل الشعبي عند يهود العراق)، كلية الآداب، جامعة حيفا، ١٩٩٧م.
- أدونيس، تحيليوت (بدايات)، ترجمة نعيم عرايدي، دار نشر م. أليعال، تل أبيب، ١٩٨٩م.
- أوتسار همشاليم فهبتجاميم هتيمانيم (قاموس الأمثال والحكم اليمنية)، جمعها وترجمها وحررها: مردخاي يتسهري، رابطة حماية المجتمع والثقافة، التوثيق والبحث، نتانيا، ١٩٩٣م.

- إلعاد بوسكيلا عامي، بايت لحوف هناهار: سيبوريم متسرييم مشنوت هشمونيم فهتشعيم (بيت على شاطئ النهر: قصص مصرية من الثمانينيات والتسعينيات)، ترجمها عن العربية رفيف أنين وأهود هوربيتس ويتسحاق شنيبويم، دار نشر يديعوت أحرونوت فسفراي حيميد، تل أبيب، ١٩٩٦م.
- الرملي، لينين، سعدون همشوجاع (سعدون المجنون)، ترجمها عن العربية أفراهام حكيم وجفريئيل ورزنباوم، دار نشر جمير، تل أبيب، ١٩٩٨م.
- بوحنيق، يوسيف، نيفيم أوفتجاميم ميي يهوداي لوف فتونيسيا (تراكيب وأمثال شائعة بين يهود بيبيا وتونس)، دار نشر بئير، ريشون لتسيون، ٢٠٠٠م.
- ين عيزير، إيهود، بورتسيم فنيتسوريم: عيونيم بسيفروت هيسرائيليت هتسعيرا (محاربون ومحاصرون: دراسات في الأدب الإسرائيلي المعاصر)، دورية قيشيت، السنة العاشرة، العدد ٤، القدس، ١٩٨٦م.
- بن حاييم، موشيه، إيليف بتجام أوفتجام: بعرفيت مدوبيريت أوفتيرجوم عفري (ألف مثل ومثل، بالعامية العربية مصحوبة بترجمة عبرية)، دار نشر أقدمون، القدس، ٢٠٠٤م.
- بن-عامي، يساسكر، إيليف بتجام أوفتجام ميي يهوداي ماروكو (ألف مثل ومثل عند يهود المغرب)، دار نشر يوسيف لوجاسي، القدس، ١٩٩٧م.
- دكاليم أونخاليم: تسروت شيراي-عام عارفييم (نخل وتمر: مجموعات من الشعر الشعبي العربي)، ترجمها ترجمة حرة ناتان زاخ وراشد حسين، دار نشر دافير، تل أبيب، ١٩٦٧م.
- هحاداريم هاآحاريم: شالوش نوفيلوت فلسطينيوت (الغرف الأخرى: ثلاث قصص فلسطينية)، حررها وقدم لها عامي إلعاد بوسكيلا، ترجمها يتسحاق شنيبويم وجدون شيلا، دار نشر أور يهودا وهيد أرتسي، تل أبيب، ٢٠٠١م.
- هحازارا إيل هشيفيط: أنتولوجيا: شيرا عرفيت متورجيميت لعفريت (العودة إلى القبيلة: مختارات من الشعر العربي المترجم للعبرية)، حررها نزيا حير، اتحاد رابطة الأدباء في إسرائيل، الرابطة العربية، (د.م)، ١٩٩٦م.
- القرآن، ترجمة أوري روبين، دار نشر جامعة تل أبيب، تل أبيب، ٢٠٠٥م.
- حاخام، موشيه، إيليف فإحاد بتجاميم عماميم شهايو شجوريم بفي يهوداي عيراق (ألف مثل شعبي وواحد كانت شائعة على ألسنة يهود العراق)، دار نشر ي.جولان، تل أبيب، ١٩٩٣م.
- حوخماتو شيل هشور: سيبوريم مهاهافاي هعرفي (حكمة الثور: قصص من الواقع العربي)، ترجمة موسى بن حاييم، دار نشر أقدمون، القدس، ١٩٩٦م.
- كفيفا متسريت: مفحار سيبوراي متسرايم (سلة مصرية: مختارات من القصص المصرية)، ترجمها وحررها يتسحاق شموش وباروخ موريه، دار نشر م.نويمان، تل أبيب، ١٩٤٥م.
- لحوليم بليل جاشوم: مفحار شيريم مهشيرا هعرفيت شهوفيعو بعيتون ٧٧ بشنات ٢٠٠٤ (للحالمين بليل مطير: مختارات شعرية من الشعر العربي الذي نشر في دورية «عيتون ٧٧» عام ٢٠٠٤م)، رابطة الأدباء والفنانين لدعم الأدب والثقافة، تل أبيب، ٢٠٠٤م.
- مئيري، يهوشواع، عل نهاروت بافيل: أوتسار هبتجاميم شيل يهوداي بافيل: بتجاميم، فولكلور، منهاجيم، أومانوت فسيبوراي عام يهدوات بافيل (على أنهار بابل: قاموس أمثال يهود العراق: الأمثال والتراث الشعبي، والعادات، والفنون والقصص الشعبية ليهود العراق)، دار نشر رؤفين ماس، القدس، ١٩٩٦م.
- مفحار هشيرا هعرفيت (مختارات من الشعر العربي)، ترجمة يوسيف نئمان، دار نشر كريات سيفير، القدس، ١٩٥٥م.

- مراد، عزرا، شيراي عام بلاهاج هعيراقي متورجاميم بعفريت فعود (الأشعار الشعبية باللهجة العراقية مترجمة إلى العبرية وغيرها)، دار نشر كريات ملاخي، القدس، ٢٠٠٣م.
- معيفير لأوفيق هكاروف: سيبوريم عرفييم بناي يمينو (في الأفق القريب: القصص العربية المعاصرة)، ترجمة عامي ألعاد وآخرين، دار نشر كيتير، القدس، ١٩٨٩م.
- مقوم عل بناي ها آداما: سيبوريم عرفييم بناي زمنينو (مكان على وجه البسيطة: قصص عبرية معاصرة)، دار نشر معهد فان لير، القدس، ١٩٨٨م.
- مشيرات عاراف: تبرجوميم أورشيموت (من أشعار العرب: ترجمات ومقالات)، ترجمة أشير جورين، دار نشر كوميرشال برس، القدس، ١٩٧٠م.
- ناقات، قسام، شيرا بدوئيت مسيناي فهنيجيف (الشعر البدوي من سيناء والنقب)، دار نشر هكيبوتس همؤحاد، تل أبيب، ١٩٩٣م.
- نعلايم للو عقيفيم: سيبوريم مودرنييم شيل يوتسروت عرفيوت (حذاء بلا كعب: قصص حديثة لمبدعات عربيات)، إعداد إلعاد بوسكيلا، ترجمة حنيتا برند وآخرون، دار نشر سفريات معاريف، تل أبيب، ٢٠٠٤م.
- سالم، علي، كوميديات أديبوس: آتا هو شهرجتا إيت همفليتست (كوميديا أوديب: أنت اللي قتلت الوحش)، نقلها عن العربية حفرئيل روزنباوم، دار نشر جمير، تل أبيب، ١٩٨٨م.
- سيبوريم فلستينييم (قصص فلسطينية)، نقلها عن العربية موشيه حاخام، دار نشر ي. جولان، تل أبيب، ١٩٩٧م.
- عبدالناصر، جمال، هفيلوسفيا شيل همهبيخا (فلسفة الثورة)، نقله عن العربية حاييم أرفيف وشلومو بو كاي، دار نشر بفري جديش، تل أبيب، ١٩٥٩م.
- عل هحوف شمنيجيد: مفحار سيبوريم متسريم مودرنييم (على الشاطئ المقابل: مختارات من القصص المصرية الحديثة)، إعداد وترجمة مناحيم ميلسون وشموئيل ريجولانت، دار نشر عيدانيم، القدس، ١٩٨٠م.
- قباني، نزار، بوئيموت: نزار قباني ومحمود درويش (قصائد: نزار قباني ومحمود درويش)، نقله عن العربية: شموئيل ريجولانت بالاشتراك مع عيتون ٧٧، تل أبيب، ١٩٥٥م.
- ريكندورف، ر، همقرا فهقورآن (التوراة والقرآن)، ليفتسيج، ١٨٥٧م.
- سجيف، دافيد، سيفير هبتجاميم: عفري عرفي (كتاب الأمثال: عبري عربي)، دار نشر شوكان، القدس، ١٩٩٨م.
- شاعار لشيرا حداشا: سيفير هفستيفل بعريخات سهام داود (مدخل للشعر الحديث: كتاب المهرجان إعداد سهام داود)، دار نشر هليكون، تل أبيب، ١٩٩٣م.
- ساسون، سوميخ، وناهار، فرفر، مفحار ترجوميم مشيرات سوريا أولفانون هتسعيرا، دار نشر سفريات بوعاليم، مرحافيا، ١٩٧٣م.

ثالثا: باللغة الإنجليزية

Amit-kochavi, hanna, Translation from Arabic into Hebrew in Israel - An overview, 1997, in: http:/ –
/`www.google.co.i...1-11-2005. 001883ar.pdf+Study+of+Arabic+in+Israel+&h1=en&ie=UTF-
- Baer, Gabriel, A History of landownership in Modern Egypt, 1900-1950, Oxford University Press, London, 1962.
- Encyclopedia Judica , Jeruslem.
- Harkabi,y, Basic Factors in the Arab Collapse during the Six-day war, orbis, 1967, (2) 3

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

الأسرة في الوطن العربي : آفاق التحول من الأبوية... إلى الشراكة

د. العياشي عنصر[*]

مقدمة

لا تزال الأسرة على الرغم من التحولات العميقة التي شهدتها المجتمعات في العالم المعاصر تشكل الوحدة الاجتماعية الأساسية في البناء الاجتماعي، وتقوم بأداء وظائف عديدة ومتنوعة في آن، منها ما يتعلق بتأسيس الروابط الاجتماعية والحفاظ عليها، ومن ثم الحفاظ على النوع البشري من الناحية البيولوجية والثقافية، ومنها ما يخص توفير السند العاطفي والاقتصادي الذي لا غنى عنه لنمو وتطور أفرادها ومشاركتهم في حياة المجتمع كأعضاء فاعلين[١].

كما تمثل من جهة ثانية الوعاء الحافظ للثقافة بكل مكوناتها المادية وغير المادية، وتقوم بنقلها من جيل إلى آخر عبر التاريخ؛ موفرة بذلك فرص التواصل الاجتماعي والثقافي بين الأجيال والمجتمعات.

وتواجه الأسرة اليوم، وبخاصة في مجتمعاتنا العربية، رياح التغيير التي تحمل معها تحديات عديدة يأتي في المقدمة منها التكيف مع التغييرات الكبرى في الأدوار والوظائف، وفي العلاقات التي تفرضها عملية التغيير الاجتماعي، فضلا عن توفير ظروف الحياة الكريمة لأعضائها. ويمكننا تلخيص هذه التحديات في النقاط التالية[٢]:

(*) أستاذ وباحث في علم الاجتماع بجامعة عنابة (الجزائر سابقا)، وجامعة قطر حاليا.

- تحقيق التماسك والاستقرار.
- النجاح في استيعاب التغيرات العميقة في الأدوار والعلاقات والوظائف.
- النجاح في أداء وظيفتها في التنشئة والرعاية والتوجيه.
- ضمان تعليم الأبناء وتوفير فرص اندماجهم في الحياة الاجتماعية كأعضاء فاعلين.
- ضمان حقوق الإنسان على مستوى الأسرة ثم في المجتمع.

لقد نمت درجة الوعي بهذه التحديات وتطورت على المستوى العالمي، كما يبدو في المواثيق والعهود الدولية التي ركزت منذ أكثر من نصف قرن من الزمن على إبراز المكانة الخاصة والأهمية الاستثنائية للأسرة في بناء المجتمع، والحفاظ على استقراره وتماسكه، وفي تحقيق أهدافه الإستراتيجية المتمثلة في التنمية البشرية المستديمة. فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨) أكد في المادة ١٦ منه أن «الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الطبيعية والأساسية للمجتمع»، كما نص الإعلان ذاته على حق الرجال والنساء البالغين في الزواج وتكوين أسرة بعيدا عن كل الضغوط والقيود، سواء تعلقت بالجنس أو العرق أو الدين.

وجاءت العهود والمواثيق الدولية اللاحقة لتجسد تلك المبادئ على أرض الواقع ومنها؛ العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩٦٦)، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية (١٩٦٦)، واتفاقية مناهضة التمييز ضد المرأة (١٩٧٩)، وإعلان القضاء على كل أنواع التمييز والتعصب الديني والعرقي (١٩٨١)، وكذلك إعلان السنة الدولية للأسرة (١٩٩٤). كل هذه العهود والمواثيق الدولية أكدت أهمية الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية أو العمود الفقري في بناء مجتمع عادل وخال من كل أشكال الظلم والقهر والتعسف والتمييز[٣].

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة السنة الدولية للأسرة في ١٩٩٤؛ لتحقيق عدد من الأهداف والغايات المرتبطة بدعم مركز ودور الأسرة في المجتمعات المعاصرة وبخاصة موقع ومكانة المرأة فيها. ومن تلك الأهداف:

١ - تشجيع المجتمع الدولي والمنظمات الدولية غير الحكومية على إبداء اهتمام أكبر بالأسرة ودعمها؛ كونها الوحدة الأولى في بناء المجتمع.

٢ - تنمية وعي الحكومات والتنظيمات الرسمية وغير الرسمية على المستوى الوطني بقضايا الأسرة ومشكلاتها.

٣ - مساهمة الهيئات الرسمية الحكومية وغير الحكومية (تنظيمات المجتمع المدني) في رسم السياسات والبرامج الأسرية ومتابعة تنفيذها وتقويمها.

٤ - تفعيل التعاون وتنسيق الجهود بين المنظمات غيرالحكومية NGO'S الوطنية والدولية في مجال ترقية وتنمية الأنشطة المتعلقة بالأسرة والأمومة والطفولة.

٥ - المشاركة بقوة في دراسة، وفهم قضايا ومشكلات الأسرة المعاصرة والمساهمة في معالجتها دعما لمركز وموقع الأسرة في المجتمع الحديث[٤].

لقد كان الهدف الرئيسي، ولا يزال، هو ترسيخ موقع الأسرة وتعزيز دورها في التربية على حقوق الإنسان ونشر الوعي بها وممارستها على مستوى الأسرة، حيث ينبغي أن تسود علاقات المساواة والتكافؤ، ورفض كل صيغ التمييز، وكل أشكال العنف (الرمزي والمادي)، وترسيخ المعاملة العادلة التي تحفظ لجميع أفراد الأسرة الاحترام والكرامة وفرص تنمية قدراتهم، فضلا عن ضمان الرعاية والغذاء والمأوى لكل أفرادها. وقد جاء هذا التركيز على الأسرة في نشر الوعي بحقوق الإنسان والديموقراطية كونها الممر الحتمي لبناء مجتمع تسوده قيم العدالة والمساواة، وتصان فيه كرامة الإنسان بصرف النظر عن الجنس والعمر، وتتوافر فيه الفرص المتكافئة لمشاركة الجميع من دون تمييز في بناء مجتمع إنساني متوازن.

في ضوء هذه الخلفية التاريخية تتناول الورقة الحالية موضوع الأسرة في البلاد العربية، محاولة طرح مجموع من التساؤلات الأساسية مثل: ماذا يعني مفهوم الأسرة لدى الباحثين العرب؟ وهل هناك حد أدنى من الاتفاق حول الترسانة المفهومية المستخدمة في بحوث ودراسات الأسرة في البلاد العربية؟ وما هي طبيعة المشكلات النظرية والمنهجية التي تواجهها تلك الدراسات؟ ثم كيف يمكن تحديد طبيعة سيرورة التحولات البنيوية التي تعرفها الأسرة في البلاد العربية؟ وما علاقة ذلك بالتحولات الحادثة في التشكيلات الاجتماعية كوحدات بنيوية كلية؟ ما طبيعة النظام الاجتماعي السائد في البلدان العربية وإواليات اشتغاله، وكيف يؤثر ذلك في التحولات التي تحدث في بنية الأسرة ووظائفها؟ وما العوامل التي تطبع حركية التغيير في مؤسسة الأسرة والمجتمع عموما؟ ثم ما هي التأثيرات التي تمارسها العولمة في الأسرة في البلاد العربية؟ ما هي إوالياتها وما المجالات التي تتجسد فيها تلك التأثيرات أكثر من غيرها؟ وهل تحدث تلك التأثيرات في اتجاه واحد؟ أم أنها متعددة ومتنوعة في مساراتها ونتائجها؟ تلك هي مجموعة التساؤلات التي تحاول هذه الورقة التصدي لها وتطمح إلى تسليط بعض الأضواء عليها.

وقد قسمت الورقة إلى عدة أقسام يخصص كل واحد منها لمجموعة محددة من القضايا. نحاول في **القسم الأول** التعرض إلى الإشكالية المفهومية والنظر في دلالة المفاهيم واستخداماتها في البحوث والدراسات، حيث نجد مفهوم الأسرة، والعائلة، والعائلة الممتدة أو الكبيرة...إلخ. كما نستعرض في القسم ذاته المقاربات النظرية التي يستلهمها الباحثون في دراساتهم حول الأسرة العربية. بينما نقوم في **القسم الثاني** بتحليل طبيعة النظام الاجتماعي السائد في المجتمعات العربية وإواليات عمل هذا النظام، مثل التقسيم الجنسي والسلطة الأبوية (أو الذكورية بالأحرى). أما **القسم الثالث** فيتعرض إلى بعض الإشكالات النظرية

والمنهجية التي تواجهها دراسات الأسرة في البلاد العربية، وكيف تعيق فهم وتفسير صيرورة التحولات الحادثة في هذا المجال البحثي والآثار الناتجة عنها. ويخصص **القسم الرابع** لتحليل تأثيرات العولمة في الأسرة في المجتمعات العربية، مبرزا المجالات الأساسية التي تتمظهر فيها تلك التأثيرات واتجاهاتها الرئيسية. وفي **القسم الخامس** والأخير، نحاول استشراف آفاق التحول في الأسرة العربية من خلال طرح مشكلاتها ضمن منظور مغاير، وإن كان مثيرا للجدل، هو منظور النوع الاجتماعي، والشراكة الأسرية...إلخ.

أولا: العائلة... أم الأسرة: إشكاليات المفهوم والمقاربة

تشير دراسات عديدة حول موضوع الأسرة في المجتمعات العربية إلى ضعف كبير في الاهتمام بالجانب المفهومي، فضلا عن الإشكالات النظرية والمنهجية المصاحبة لهذا الضعف[٥]، هذه الملاحظة لا تخص في واقع الأمر، موضوع الأسرة فحسب، بل موضوعات أخرى عديدة في حقل العلوم الاجتماعية، وبخاصة تلك التي استأثرت باهتمام الباحثين والملاحظين في العقدين الأخيرين، مثل موضوع الدولة، النظام السياسي، الدين، الديموقراطية والمجتمع المدني... وغيرها من الموضوعات، التي شكلت مجالات بحثية جديدة بحاجة إلى كثير من الدقة والصرامة المنهجية والنظرية في التعامل معها دراسة وبحثا.

إذا جئنا إلى أصل كلمة أسرة نجد زهير حطب يحددها على النحو التالي: «كلمة أسرة تحمل في معناها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، حينما كان الناس مرتبطين بالقبائل والعشائر والبطون (...)، ومن هنا فإن كلمة أسرة هي في نطاق معنى الفعل أسر، ولعلها صيغة أخرى للفعل أزر، بمعنى ناصر وقوّى وشدد بتبديل السين بالزاي، وهذا أمر معروف وكثير الحدوث في اللغة العربية (...). أما كلمة عائلة فمستحدثة مشتقة من الفعل «عال»، وتكشف لنا عن المعنى المراد بها، كونها مجموعة من الأفراد الذين يعيلهم معيل أو كاسب»[٦].

لعل أكثر ما يثير الانتباه في عدد كبير من الدراسات العربية حول الأسرة هو استعمالها غير التمييزي لمفهومي الأسرة والعائلة، كأنهما يغطيان الحقل الدلالي نفسه، ويستوعبان الحقائق الاجتماعية نفسها، فيما يميل البعض إلى استعمال أحد المفهومين بشكل حصري دون توضيح دلالة المفهوم[٧]. وبهذا الصدد، يفضل الطاهر لبيب استخدام كلمة «أسرة» بدل كلمة «عائلة» لدلالتها على أصغر وحدة اجتماعية في سلم النسب، وتخصيص كلمة «عائلة» للحديث عن الجماعة القرابية الكبيرة أو العائلة الممتدة، مثلما فعل هشام شرابي لدى دراسته للنظام الأبوي في المجتمعات العربية[٨]. والحقيقة أن زهير حطب كان قد سبقه إلى هذا التمييز[٩]. هذا من حيث المعنى المعجمي للفظي «الأسرة» و«العائلة»، أما من حيث دلالتهما كمفاهيم نظرية سوسيولوجية فإن الأسرة تشير إلى نظام من علاقات الارتباط والالتزامات التي تنشأ

بين مجموعة من الأفراد (تتشكل من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين) على أساس القرابة أو الزواج أو التبني. ويعتبر الزواج هو الشكل التعاقدي الرئيسي الذي تقوم على أساسه الأسرة كوحدة أولية في البناء الاجتماعي، كونه مجموعة من الروابط والقواعد المحددة لالتزامات الأطراف المختلفة تجاه بعضها البعض، وفي علاقتها بالمحيط الذي توجد فيه(١٠).

ومهما يكن فإن تحديد دلالة المفهوم لا تكون بمعزل عن الواقع الذي يتعامل معه، لذلك فإن الخط الفاصل بين مفهوم الأسرة والعائلة ليس دوما واضحا في أذهان الباحثين، وهذه حقيقة تعكس مدى تعقيد الواقع، وتعدد نماذج التنظيم الاجتماعي، وأنماط نظم القرابة، والالتزامات الاجتماعية الناشئة عنها والمرتبطة تاريخيا بالتحولات الجارية في البنى الاجتماعية وتمفصلها أو تقاطعها في التشكيلات الاجتماعية المختلفة، التي تجسد سيرورة التغير المجتمعي عبر التاريخ.

يتمظهر الوضع الملتبس والإشكالي لمفهوم الأسرة في الدراسات العربية في إشكالات منهجية ونظرية عدة تواجهها تلك الدراسات. وهي إشكالات تتعلق بالمفاهيم **أولا**، ثم بالمقاربات والأطر النظرية **ثانيا**، وبمستويات التحليل **ثالثا**. وكلها قضايا خلافية، رغم وجود محاولات حديثة عديدة لها الفضل في جرد وتوضيح بعض تلك الإشكالات والصعوبات(١١).

يختلف الباحثون منذ البداية حول تسمية الأطر النظرية الموجهة للدراسات، هل هي مقاربات، أم رؤى، أم مداخل؟ هذه الاختلافات حول الأسماء تحمل في طياتها خلافات حول تحديد عدد الرؤى والمقاربات، أو المداخل السائدة المؤطرة لحقل دراسات الأسرة في البلاد العربية. ومهما كانت التسميات المستعملة فإن البعض يتحفظ بشأنها؛ لأنها برأيه «لا تحيل بالضرورة إلى مدارس أو تيارات سوسيولوجية معروفة»(١٢). وسنتعامل مع نموذج من هذه الخلافات من خلال عرض مساهمتين حديثتين في هذا النقاش، تقومان بمراجعة نقدية للدراسات العربية حول الأسرة: الأولى يقدمها الطاهر لبيب، والثانية يعقوب قبانجي، وسنرى كيف يلتقيان تارة ويفترقان تارة أخرى. يميز لبيب مثلا بين ثلاث رؤى (أو تصورات عامة التعبير لي) تتضمن كل واحدة منها مجموعة من المقاربات.

١ - **الرؤية التماسكية**: يعتبرها لبيب «رؤية وظيفية أساسا» جوهرها تبرير مراتبية الأدوار من منطلق المصالح أو القيم، ويميز داخل هذه الرؤية بين مقاربتين هما: **المقاربة الدينية** التي ترتكز على العلاقات والقيم وأنماط السلوك المرتبطة بالإسلام. و**المقاربة التنشيئية** التي ترتكز على الوظائف التربوية والتأهيلية التي تقوم بها الأسرة. لكن، نعتقد من جهتنا أن المقاربتين ليستا منفصلتين بحيث تشكلان نموذجين مختلفين، بل مجرد تنويعات تنضوي تحت مظلة مقاربة واحدة هي المقاربة التنشيئية، سواء أخذت طابعا دينيا أو علمانيا.

٢ - **الرؤية البنيوية (الأبوية)**: وتجري الإحالة هنا بالأساس إلى مساهمة هشام شرابي حول «النظام الأبوي الجديد»، حيث يشير صاحبها إلى الطابع المزدوج لمفهوم «الأبوية»

كمقولة اجتماعية اقتصادية كلية (تحيلنا للمجتمع، الدولة، والاقتصاد) وجزئية (تحيلنا للعائلة والشخصية الفردية) من جهة، وكمقولة نظرية تحليلية أو نموذج مثالي من جهة أخرى. ويقول لبيب أنه على رغم من أهمية هذا الإسهام النظري فإنه يبقى نموذجا متصلبا يقوم على تأكيد الثابت (رغم الإشارة للمتحول)، وبالتالي استمرار القديم كمحدد بنيوي يقلل من شأن التحولات الاجتماعية وتأثيراتها[١٣]. هذه المقاربة نفسها يسميها قبانجي المقاربة البنيوية - الوظائفية، مقدما عمل هشام شرابي كنموذج لها[١٤]. ونرى من جهتنا أن توصيف هذه المقاربة بالبنيوية - الوظائفية غير ملائم؛ لأنه يضعها في مستوى التحليلات البنائية - الوظيفية التقليدية على النمط البارسوني (نسبة إلى تالكوت بارسونز)، ولعل ذلك ما قصده قبانجي، غير أننا نعتقد أنهما لا تشتركان سوى في التسمية، وهذا مصدر لبس يقع فيه القارئ بسهولة.

٣ - **الرؤية التطورية**: يقول عنها لبيب إنها تخترق معظم الدراسات العربية حول موضوع الأسرة، وتجد مرتكزها الأساسي «في رصد المراحل» التي مرت أو تمر بها الأسرة في صيرورة خطية للتحول بصورة تجعل تلك المراحل إطارا مرجعيا لا غنى عنه. (التطور من القبيلة إلى الأسرة مرورا بالعشيرة، أو من العائلة الممتدة إلى الأسرة النووية)[١٥]. وإذا كان هذا الباحث يعتبرها رؤية تتضمن عددا من التوجهات أو المقاربات أهمها المقاربة التاريخية - الاجتماعية والمقاربة السوسيولوجية مع وجود تنويعات عدة بينهما، فإن يعقوب قبانجي يتفق معه في التسمية، معتبرا إياها مقاربة قائمة بذاتها مقابل مقاربات أخرى مثل المقاربة البنيوية والمقاربة الفيبرية والمقاربة النسوية[١٦].

في محاولته النقدية حول «منظومة القيم العائلية في الوطن العربي» يستعرض قبانجي مجموعة من الدراسات؛ مستخلصا أهم مرتكزاتها النظرية على النحو التالي: المقاربة التطورية، المقاربة البنيوية - الوظائفية، المقاربة الفيبرية، والمقاربة النسوية. الجدير بالملاحظة هنا نقاط الالتقاء والاختلاف مع تصنيف الطاهر لبيب، مما يدل على أن مساحة التوافق حول تشخيص المرجعيات النظرية السائدة في الدراسات العربية للأسرة محدودة، حتى بين أولئك الباحثين المنتمين إلى جيل واحد، وربما مدرسة سوسيولوجية واحدة، فما بالك إذا تعددت الأجيال وتباينت المدارس. يبدو أن الاختلاف لا يقف عند حد التسميات، أو عدد المقاربات السائدة، بل يتجاوزه إلى الاختلاف حول المضمون والتوجهات. وهذا بالذات ما يشير إليه الطاهر لبيب في دراسته عندما يقارن مواقف الباحثين العرب بمواقف الباحثين الأوروبيين[١٧]. ومن المفارقة أنها الملاحظة ذاتها التي يشير إليها قبانجي عندما يستعرض نقاط التوافق والاختلاف بين الدراسات التي يقوم بمراجعتها. إذ يؤكد أنها على الرغم من اختلاف منطلقاتها النظرية فإنها تلتقي حول مجموعة من النقاط المشتركة أهمها:

١ - إجماع الباحثين على استخدام لفظ «العائلة» واعتبارها وحدة الدراسة، والعنصر الحاسم في عملية تشكيل القيم ونشرها على مستوى المجتمع.

٢ - القيم نتاج وظيفة التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها العائلة.

٣ - تهتم هذه الدراسات بشكل خاص بوضع المرأة والأطفال في البلاد العربية.

٤ - تتعامل مع التحولات العامة في البلاد العربية من حيث هي خلفية أو إطار لتحول القيم مرورا بما أسماه «مصفاة العائلة».

٥ - الإجماع على وجود أزمة (وحتى صراع مفتوح) داخل العائلة تجسيدا للأزمة القيمية السائدة (صراع الأجيال، صراع حول مكانة المرأة ودورها...).

٦ - اعتماد الدراسات لمقاربات سوسيوأنثروبولوجية لدى تناولها موضوع العائلة.

٧ - جميع هذه القواسم المشتركة بين الدراسات لا تلغي الاختلاف في ما هو أساسي، بمعنى تباين زوايا النظر، طرق المعالجة والمدى الذي تذهب إليه، والنتائج النظرية والعملية المترتبة عن كل مقاربة(١٨).

لكن سواء تعلق الأمر بالأسرة أو العائلة كمفاهيم محورية استخدم بشكل انتقائي وحصري أو بطريقة المزاوجة بينهما في مختلف هذه الدراسات، فإن المسألة الأساسية تبقى واحدة بنظرنا، وهي الطابع الأبوي المسيطر على هذه المؤسسة. فماذا يعني ذلك، وما هي جذور النظام الأبوي السائد في المجتمعات العربية؟ وما هي مميزاته وإواليات اشتغاله؟ ذلك ما سنحاول استكشافه في الجزء الثاني من هذه الورقة.

ثانيا: إشكالية النظام الأبوي

عرفت المجتمعات البشرية على اختلاف ثقافاتها وتجاربها وظروفها خلال العصور الماضية نمط العائلة الأبوية، حيث يحتل الأب الموقع المركزي في بناء العائلة، ويحتكر السلطة والنفوذ والتصرف في حياة جميع الأفراد ومستقبلهم. هذا الشكل لا يزال قائما، وإن كانت قد اعترته تغيرات عديدة سواء في بناء العائلة أو وظيفتها، بسبب عوامل عديدة منها خاصة التوسع العمراني والتطور الصناعي وانتشار التعليم ونمو الوعي. ذلك أن تقسيم العمل وتوزيع الأدوار على أساس الجنس الذي ظهر منذ استقرار المجتمعات البشرية الأولى بعد اكتشاف الزراعة وتدجين الحيوان لا يزال قائما إلى اليوم.

١ - الأسس... تقسيم العمل الجنسي

ظهر نمط تقسيم العمل القائم على الجنس منذ عصر ما قبل التاريخ. وحتى قبل ظهور المجتمعات الزراعية الأولى كانت المرأة تقوم بمهام قطف الثمار، ورعاية شؤون البيت، وبالأساس رعاية الأطفال، بينما كان الرجال يغادرون في رحلات صيد طويلة الأمد، ومنذ ذلك

الحين، ومع ظهور المجتمعات الزراعية المستقرة، ترسخ أسلوب تقسيم العمل الجنسي، وأصبح نمطا اجتماعيا مؤسسيا وسائدا يعاد إنتاجه من خلال منظومة المعايير والقيم والتقاليد المجتمعية التي يقوم عليها المجتمع الأبوي.

وهكذا فإن معظم المجتمعات البشرية، على الرغم من اختلافاتها النسبية، من حيث مستوى النمو والتعقيد، ودرجة التطور التقني والاقتصادي، قد حددت أدوارا معينة خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء. وقد حصل الذكور بفعل عمليات اجتماعية معقدة على مراكز متميزة في العائلة؛ ربما بسبب الدور الذي يقومون به في الإعالة والمخاطر التي يتحملونها جراء ذلك، وارتبط بهذا الدور نمط معين من توزيع القوة وممارسة السلطة داخل التنظيم العائلي، بحيث احتكر الرجال القدر الأوفر من سلطة اتخاذ القرار وإدارة شؤون العائلة، بينما تراجع دور المرأة ومركزها لدى استقرار المجتمعات بعد أن كانت مهيمنة ولها اليد الطولى. إذ تقلصت الحاجة إلى يد عاملة إضافية خارج البيت بفعل التطورات الحاصلة في مجال تقنيات العمل والإنتاج التي رفعت مردودية العمل لدى الرجال مما جعلهم يستغنون عن عمل النساء. وأدى ظهور الملكية الخاصة كنظام اجتماعي إلى تقويض أركان النظام الأموي الذي كان سائدا قبل ذلك، وظهر النظام العائلي الأبوي التوارثي الذي ما لبث أن تحول مع الزمن إلى نظام تعدد الزوجات. وهكذا قبعت المرأة في البيت لتشرف عليه وتنظمه وترعى الأبناء وتشرف على تربيتهم[١٩].

هذا النموذج الاجتماعي من تقسيم العمل المرتبط بالجنس ما لبث أن تحول بعد ذلك إلى نموذج مرتبط بالنوع الاجتماعي Social Gender (الذي يقصد به التحديد الاجتماعي للأدوار بفعل التنشئة الاجتماعية، وسنتعرض له في جزء لاحق من هذا العمل)[٢٠]، يتم تلقينه للأطفال منذ السنوات الأولى من حياتهم حيث يجري تدريبهم على المبادئ الأساسية لأدوارهم المقبلة. ويحدث ذلك إما بشكل رسمي ومنظم يأخذ طابعا مؤسسيا (عملية التعليم في الأسرة والمدرسة)، وإما بشكل غير رسمي (من خلال تقمص الأدوار وتقليد الكبار في جماعات اللعب). هكذا «يتعرف الأولاد والبنات على أدوار الجنسين المثبتة اجتماعيا، وهي على قدر من الوضوح في كل المجتمعات تقريبا»[٢١]. وحسب هذه القوالب الثابتة نسبيا يكون لزاما على المرأة أن تتزوج وتنجب أطفالا إذا كانت تطمح إلى تحقيق ذاتها كأنثى، لأن ذلك هو الدور الرئيسي المحدد لها اجتماعيا في مجمل الثقافات مع وجود اختلافات نسبية، وتنويعات محدودة في الشكل وليس في المضمون.

في ضوء نظام تقسيم العمل الجنسي تجد المرأة نفسها أمام دورين لا ثالث لهما إلا في ما ندر من الحالات، وهذه قاعدة لا تزال سارية رغم مرور الزمن، والتغيرات الهائلة التي تعرض لها النظام الأبوي. هذان الخياران (التعبير مجازي لأنهما في الواقع حتميتان اجتماعيتان) هما أن تصبح المرأة زوجة ثم أما. تلك هي هويتها المجتمعية، وعلة وجودها في ضوء النظام الأبوي.

يمثل الزواج طقسا انتقاليا مهما تتخلص بموجبه المرأة من سلطة الأب، لكن ليس من سلطة الرجل أو الذكر، لأنها سرعان ما تقع تحت سلطة الزوج الذي تعيش معه من جديد تجربة السلطة الأبوية(٢٢)، ومع ذلك يبقى الزواج وسيلة لتحقيق جانب أساسي من حياة المرأة؛ لأنه الطريق المشروع اجتماعيا نحو دورها الرئيسي، دور الأمومة التي تساعدها على تخفيف وطأة السلطة الأبوية التي يمارسها الزوج؛ لأنها تصبح بعد الإنجاب ربة البيت، مما يحسن موقعها التفاوضي سواء مع الرجل أو مع أهله، ويتحسن موقفها في العلاقات الأسرية؛ حيث تشارك في صياغة القرارات التي تهم رعاية البيت وتنشئة الأطفال(٢٣).

أما بالنسبة إلى المجتمعات العربية فيقدم عمل هشام شرابي، الذي يبقى رغم المآخذ العديدة(٢٤)، نموذجا للتحليل النظري العميق الذي يحاول كشف إواليات اشتغال هذا النظام، سواء على مستوى البنية الكلية للتشكيلة الاجتماعية، أو على مستوى المؤسسات الجزئية المكونة لها، وفي مقدمها النظام العائلي والأسرة، وإبداعه لمفهوم «النظام الأبوي الجديد» Neopatriarchy تعبيرا عن التحولات التي لحقت بهذا النظام في الحالة العربية.

يقول هشام شرابي إن النظام الأبوي الجديد كمفهوم يشير إلى البنية الاجتماعية والسياسية والنفسية التي يتميز بها المجتمع العربي المعاصر. يقول إنه مفهوم ذو ازدواجية نظرية مهمة؛ لأنه يعبر عن تشكيلة اجتماعية هجين، ناتجة عن الانتقال من نظام تقليدي إلى نظام حديث من دون استكمال عملية التحول أو الانتقال بصفة نهائية. وهو الأمر الذي جعل المجتمع العربي المعاصر يبدو في هذه الصيغة التي يجمع فيها بين التقليد والحداثة، من دون أن يكون أيا منهما. إنه نظام يعيش الماضي في الحاضر والحاضر في الماضي، إنه مزيج بين التراث والمعاصرة، «نظام غريب يختلف عن أي نظام» على حد تعبير شرابي(٢٥).

ويفسر شرابي نشأة هذا النظام بالصدمة التي تعرض لها المجتمع العربي عند التقائه بالحضارة الغربية منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لكن تلك الصدمة لم تؤد إلى تغيير القديم بل «أدت إلى تجديده دون تغييره جذريا». ويغطي مفهوم النظام الأبوي الجديد التشكيلة الاجتماعية بما هي كلية ذات أبعاد متعددة؛ اجتماعية وسياسية ونفسية في آن. يتجلى هذا النظام على المستوى الاجتماعي في البنى الاجتماعية المختلفة انطلاقا من العائلة إلى الدولة، وعلى المستوى السياسي في نظام الحكم الاستبدادي الجاثم على المجتمع، وعلى المستوى النفسي في طبيعة الذهنية أو العقلية السائدة، كما يتجلى في الخطاب المهيمن وفي الممارسات الفردية والاجتماعية(٢٦).

لعل أهم سمات النظام الأبوي عموما، وأنموذجه الجديد خصوصا هو قيامه على علاقة السيطرة والخضوع، أو الهيمنة والتبعية بين الرجل والمرأة، أي علاقة «استعباد المرأة»، هذه الظاهرة تشكل العمود الفقري للنظام ومن دونها يفقد جوهره

الفعلي. فالمجتمع الأبوي مجتمع ذكوري، ولا يستطيع تحديد ذاته وهويته إلا من منطلق كهذا. لذلك نجده مفعما بالعداء المتجذر للمرأة وكل ما يتصل بها، لدرجة أنه ينفي وجودها الاجتماعي ككائن له ذاته وخصوصيته[٢٧]، فالمجتمع الأبوي لا مكانة ولا دور فيه للمرأة سوى لتأكيد تفوق الذكور وهيمنتهم.

أما على المستوى الذهني أو الفكري، فالنظام الأبوي يتصف بالشمولية والاستبداد ورفض النقد والحوار، حتى أن إحدى مميزاته على هذا المستوى هي الادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة التي لا سبيل إلى رفضها، أو الشك فيها، أو مراجعتها ونقدها. هناك إذن حقيقة واحدة مطلقة يمتلكها الأب، إن في صورته البيولوجية أو الاجتماعية (على مستوى العائلة/ الأسرة)، أو الرجل عموما في مقابل المرأة، أو الأب في صورته السياسية ممثلا في شخص الحاكم. وفي كل الحالات، نحن في مجال تسود فيه حجة القوة على حساب قوة الحجة[٢٨].

٢ - القبيلة... العائلة والأسرة الحديثة

كما رأينا هناك اختلافات وخلافات عديدة بين الباحثين فيما يتعلق بأشكال التنظيم القرابي التي عرفتها وتطورت من خلالها التشكيلات الاجتماعية الأبوية في المجتمعات العربية، وهي اختلافات تعود في نظرنا إلى تنوع التجارب والمسارات في العمران والتنظيم من جهة، وتنوع اهتمامات الباحثين أنفسهم وتركيزهم على حالات محددة أو مراحل معينة دون غيرها. لكن الثابت هو أن هناك شبه إجماع أو اتفاق[٢٩] على أن الأشكال البنيوية الأساسية التي تطور من خلالها النظام القرابي كانت القبيلة و/أو العشيرة ثم العائلة الممتدة ثم الأسرة الأولية الحديثة، بصرف النظر عن التداخل بين الأشكال وتعايشها، لأن عمليات التغير والتحول تأخذ أحيانا شكل القطيعات، وأحيانا أخرى شكل التواصل، إضافة إلى تمفصل أشكال التنظيم العائلي في ظل تعايش أنماط الإنتاج الاجتماعي في المراحل المختلفة. الأهم من كل هذا هو أن هذه النماذج تجسد باستمرارها وتواصلها أو بقطيعاتها الجزئية نمطا متميزا هو التشكيلة الاجتماعية الأبوية.

وقد تميزت هذه التشكيلة في الفضاء الجغرافي - الثقافي العربي بثلاث خصائص رئيسية هي:

١ - قيامها على العصبية بالمعنى الخلدوني، أي روابط الدم أو لحمة النسب، وهذه النعرة على حسب تعبير ابن خلدون «نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا»[٣٠]. وظيفة العصبية أساسية في الحفاظ على الوجود الاجتماعي للعائلة أو القبيلة، ولبسط السلطة والنفوذ حيث يقول ابن خلدون إن بها «تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم ... وتعظم رهبة العدو لهم»[٣١].

٢ - المقاومة القوية التي أبدتها البنية العائلية التقليدية سواء في شكل القبيلة، أو العشيرة، أو العائلة الممتدة لعملية التغير الاجتماعي، حيث استمرت من عصر الجاهلية مرورا بالإسلام

وحتى الآن. إنها لا تزال مؤثرة وذات شأن قوي في حياة الأفراد والجماعات في معظم المناطق من البلاد العربية على تنوع أشكالها التنظيمية، ومع تباين في حدة حضورها وتأثيرها.

٣ - صياغة نظام عقائدي وقانوني معقد يجمع بين التقاليد، والأعراف القديمة، والمبادئ الدينية، وقد حدث ذلك منذ فترة مبكرة نسبيا من تكوين المجتمع العربي - الإسلامي، وكان له دور حاسم في ترسيخ أهمية صلة القرابة ودعم العلاقات الأبوية في التنظيم الاجتماعي للمجتمع في المراحل اللاحقة من تطوره، وفي مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية.

وقد استمر هذا النظام في مراحل لاحقة، وحتى اليوم، في الاعتماد على القبيلة/ العشيرة التي تؤكد صلة الدم والنسب، ليس في مجال تحديد النسب والملكية فحسب، بل في مجال الحكم والسلطة حيث يتم استبعاد الآخر، والتعامل معه بحذر وريبة، وفي ظل شروط وقيود تضعها القبيلة في ضوء علاقاتها بالقبائل الأخرى، بينما لا يكون للفرد دور مهم في هذه العلاقات، مما يعني تأكيد طابع المسؤولية الجماعية وذوبان شخصية الفرد ضمن القبيلة[٣٢]. إن الطبيعة السلطوية المميزة للنظام الأبوي الجديد تجعله يفضل نمط العائلة الممتدة أو الموسعة على الأسرة الحديثة في شكلها النووي. لأن **الأولى** تشكل امتدادا للقبيلة أو العشيرة، وهي النماذج المجسدة لاستمرار سلطة الأب ونفوذه، بينما تتميز **الثانية** بنزعتها الديموقراطية وتكافؤ العلاقات بين الأعضاء، حتى أن ظهورها وانتشارها يرتبط طردا مع تقلص السلطة الأبوية، ومن ثم فإن هناك من يعتبرها مصدر خطر وتهديد للأسس التي يقوم عليها للنظام الأبوي. إن تراجع سلطة الأب وتقليصها يرتبطان باكتساب الأعضاء الآخرين في الأسرة (الزوجة والأولاد) مزيدا من الحرية والاستقلالية، وظهورهم على مسرح الأحداث كشخصيات مستقلة نسبيا، لهم رغبات وحاجات وإرادة مستقلة عن شخصية الأب التي كانت قبل ذلك تهيمن وتطغى على ما سواها.

باختصار، تشهد المجتمعات العربية سيرورة تحاول فتح الطريق أمام تبلور الفردانية Individualism بما تحمل من استتباعات على تنظيم الأسرة، يجعلها مصدر تهديد للنظام الأبوي. ويمكننا أسوة بما قدمه هشام شرابي رصد ثلاثة اعتبارات أساسية تبرز طبيعة التهديد الذي تحمله الأسرة الحديثة للنظام الأبوي الجديد.

١ - تعبر الأسرة الحديثة عن دينامية التحول الاقتصادي، والآثار التي يحدثها هذا التحول. ذلك أن حصول الأبناء على قدر من التعليم واكتساب المهارات يسمح لهم بالتوظيف، ومن ثم تحقيق قدر معتبر من الاستقلالية الاقتصادية مهدت لخروجهم من علاقات التبعية المباشرة، والولاء الكامل للأب وسلطانه، بما هي وضعية فرضتها الضرورة الاقتصادية. في مثل هذه الحالة يكون الأب أمام وضع جديد يفرض عليه مراجعة موقفه والدخول في نمط جديد من

العلاقات مع أبنائه، ويجد نفسه مضطرا إلى التعامل مع كل واحد منهم على حدة، كشخصية مستقلة لها خصوصيتها، وهو أمر يفرضه تبلور الذات الفردية المتميزة بفضل سيرورة التحول الاجتماعي، سواء داخل الأسرة أو خارجها في مؤسسات المجتمع الأخرى التي يتعامل معها الأفراد (المدرسة، والعمل، وتنظيمات المجتمع المدني الآخذة في التبلور).

٢ - تجسد الأسرة الأولية نمطا جديدا من العلاقات، وإن في طور التكوين، هو نمط العلاقات الديموقراطية المفتوحة والمرنة، على عكس العائلة الممتدة المعبرة عن علاقات مغلقة تتسم بالسيطرة والخضوع والتبعية. وتمثل الاستقلالية الاقتصادية الإوالية الحقيقية التي تقف وراء ذلك التحول كما رأينا، يدعمها انتشار التعليم الحديث الذي رغم ارتباطه بالعمق الأيديولوجي للنظام الأبوي، فإنه ينفتح بالضرورة على أفكار حداثية تسمح ببزوغ فكر نقدي ووعي جديد. لذلك فإن خروج المرأة للعمل، إضافة إلى اندماج الأبناء في سوق العمل، يحدث ارتجاجا في القاعدة الموضوعية للسلطة الأبوية. وما من شك في أن انتشار التعليم الحديث ببرامجه ومؤسساته، واكتساب المهارات التي تساعد على دخول المرأة والأبناء، بخاصة البنات منهم، سوق العمل المأجور تعتبر ضربات الفأس الأولى والحاسمة في تفكيك النظام الأبوي الجديد؛ انطلاقا من مؤسسته الأساسية الممثلة في العائلة. وهنا تظهر أهمية التحولات الحاصلة في أسلوب التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة أولا، ثم في مؤسسات التعليم وباقي تنظيمات المجتمع المدني الناشئ ثانيا (سنتعرض لهذه القضية بشيء من التفصيل لاحقا).

٣ - تمثل الأسرة الحديثة تهديدا للنظام الأبوي بالنظر إلى التحولات التي تحدثها في مكانة المرأة ووضعها الاجتماعيين، حيث إن المستفيد الأول من وضعية التحول من نمط العائلة الممتدة والقبيلة إلى شكل الأسرة الحديثة هو المرأة. فهي على الأقل تصبح تحت سلطة زوجها فقط، بعد أن كانت تحت سلطة كل رجال العائلة/العشيرة أو القبيلة. إنها خطوة أساسية، رغم أنها غير كافية، في الاتجاه نحو تحرير المرأة من علاقات التبعية والخضوع التي تشرف أحيانا كثيرة على الاسترقاق. ثم تأتي الخطوات التالية المكملة، وهي حاسمة في تغيير طبيعة العلاقات الأسرية. الخطوة الأولى تتمثل في فتح مجال التعليم الحديث أمام المرأة، والثانية في خروجها للعمل، وهي خطوات تحقق للمرأة انتصارا في مجالين حاسمين: يحقق التعليم الحديث إلغاء احتكار الرجل للمعرفة، وبالتالي ادعائه التقليدي بامتلاك الحقيقة المطلقة أو الواحدة. بينما يحقق الاندماج في سوق العمل كسر قيد التبعية الاقتصادية المرتبط بحاجة المرأة التقليدية إلى معيل وكافل. وهكذا يتعزز الموقع التفاوضي للمرأة بشكل محسوس بإضعاف قبضة الرجل على موردين أساسيين من موارد القوة في المجتمع وهما: المعرفة والثروة اللذان يجسدان فرصا لتحقيق استقلال الفكر والفعل، أو الممارسة الاجتماعية بشقيها الرمزي والمادي[٣٣].

يكتسب هذا التحليل البنيوي لسيرورة التحول الاجتماعي، في المجتمعات العربية، قوة وتماسكا وعمقا نظريا قلما وجدناها مجتمعة في تحليلات المقاربات الأخرى التي طبعت دراسات الأسرة في البلدان العربية، لكن ذلك لم يمنعها من الوقوع في إشكالات نظرية ومنهجية عدة[٣٤]، ولم يعفها من النقد. ذلك ما سنتعرض له في الجزء اللاحق.

ثالثا: بعض الإشكالات النظرية والمنهجية

فضلا عن الإشكالات المتعلقة باستخدام مفاهيم القبيلة والعائلة والأسرة هناك إشكالات إضافية مرتبطة بهذه وتتغذى منها وتغذيها. إشكالات تخص مستوى التحليل والمعالجة، وكذلك اختلاف المداخل أو المقاربات النظرية، وما يؤدي إليه ذلك من تباين في الأهمية النسبية للقضايا المعالجة مثل مكانة ودور المرأة، وظيفة التنشئة، طبيعة السلطة وإوالية توزيعها داخل الأسرة، وطبيعة العوامل المؤثرة في عملية التحول الحاصلة في بنية الأسرة، ووظائفها وعلاقتها ببقية المؤسسات الاجتماعية؛ منظورا إليها من زاوية التشكيلة الاجتماعية والتحولات الحاصلة فيها. وسوف نتناول بعضا مما نعتقد أنه الأهم بين هذه الإشكالات بشيء من التفصيل فيما يلي:

١ - تباين مستويات التحليل

يشكل تباين مستويات التحليل واحدة من أهم مميزات الدراسات العربية حول الأسرة وأكثرها انتشارا، وهو ما يشير إليه قبانجي، الذي يرى أن جل الدراسات التي تناولها بالتحليل لجأت إلى استعمال مفهوم «العائلة الانتقالية»؛ لتجاوز اللبس الحاصل في سيرورة التحول الذي طال بنية ووظائف الأسرة ومنظومتها القيمية. ويعتقد أنها محاولة لتخطي صعوبات نظرية ومنهجية تواجهها تلك الأعمال بسبب عدم تمييزها بين مستويين بنيويين مختلفين للتحليل هما: نظام القرابة أو النسب كنظام سياسي وكإطار لإعادة توزيع الدخل، والعائلة كوحدة معاشية ضمن ذلك النظام Household Unit «إنتاجية أحيانا واستهلاكية في كل الأحيان»، بينما يشير مفهوم الأسرة بالأساس إلى وحدة استهلاكية[٣٥].

وبهذا الصدد ترصد معظم دراسات الأسرة في البلاد العربية جملة عوامل تسهم في سيرورة تحول بنيوي يؤدي إلى إضعاف العائلة/ الأسرة، وتراجع دورها في عملية إعادة الإنتاج الاجتماعي الموسع.

أ - تقلص الدور الإنتاجي للأسرة بشكل عام عدا في مناطق محدودة مثل الأرياف وضواحي المدن، بفعل التوسع السريع والهائل في نظام الإنتاج السلعي وهيمنة آليات السوق.

ب - تنازل الأسرة كليا أو جزئيا عن وظائفها لأجهزة ومؤسسات اجتماعية أخرى (منظومة التعليم، منظومة الصحة والرعاية، مؤسسات التنشئة والتوجيه والدعم، مؤسسات الترفيه...).

ج - التراجع النسبي لتقسيم العمل وتوزيع الأدوار على أساس الجنس بفعل تحسن مكانة المرأة وانخراطها في سوق العمل المأجور، وتنامي تأثير وسائل التثقيف الجماهيري، والدعاية لمصلحة نمط جديد من العلاقات الزوجية والأسرية نتيجة تأثيرات العولمة[٣٦].

هذا الوضع يجعل جل المهتمين بدراسة الأسرة في المجتمعات العربية، على اختلاف منطلقاتهم الفكرية، يجمعون على وجود حاجة ملحة لصياغة إطار نظري مرجعي يساعد على تحليل وفهم التحولات في نظام القرابة عامة، والأسرة بخاصة، من خلال وضعها ضمن إطار بنيوي وحركي أوسع يأخذ في الحسبان طبيعة التشكيلات الاجتماعية بما فيها من تماثل وتمايز، من دون أن يهمل الإطار الحاضن الأوسع المتمثل في العولمة بكل تأثيراتها[٣٧].

وينبغي لهذا التحليل أن يركز على نقاط التقاطع والالتقاء، وعلى أوجه التماثل والتعارض بين المستويات الجزئية والمستويات الكلية، وبين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية؛ منظورا إليها كشبكة عامة من العلاقات والتفاعلات الحركية. ذلك ما يساعد على فهم التحولات الجارية في الأنماط السلوكية، وفي العلاقات الاجتماعية، مثل تراجع قيم الجماعة لمصلحة الفردانية، وقيم الولاء والطاعة لمصلحة قيم المبادرة والإنجاز، وقيم التضحية لمصلحة قيم الارتقاء الفردي السريع، وقيم الإنتاج والتوفير لمصلحة قيم الاستهلاك التفاخري[٣٨].

٢ - إشكالية السلطة في النظام الأبوي:

تلتقي معظم الدراسات التي تناولت الأسرة في المجتمعات العربية، بخاصة تلك التي تتبنى إطارا نظريا بنيويا حول تأكيد الطابع الأبوي، وبالتالي الطبيعة السلطوية المميزة للعلاقات الأسرية وانفراد الرجل بالسلطة المطلقة داخل النظام القرابي عامة والأسرة بصفة خاصة[٣٩]. ذلك ما يؤكده الطاهر لبيب بقوله إن تلك الدراسات تعتبر «البطركية أهم ظاهرة تعيد إنتاجها الأسرة العربية عبر مراحل تطورها، وفي مختلف المجتمعات العربية، بمختلف تشكيلاتها وفي مدنها وأريافها، وفي ما يسود فيه (هكذا) من خطاب قيمي تربوي وتعليمي»[٤٠]. غير أن فكرة النظام الأبوي وأطروحاتها بشأن طبيعة وحجم السلطة الممارسة من قبل الرجال رغم قيمتها وأهميتها لاقت اعتراضات وتحفظات عديدة يدعو أصحابها إلى ضرورة مراجعة التقريرات والأحكام الصادرة بشأنها، ووضعها ضمن إطارها التاريخي والاجتماعي الكلي، وبالتالي التقليل من شأنها.

ذلك مثلا ما ذهب إليه خلدون النقيب، الذي يرى أن موضوع قوة وسلطة الأب لم يعالج بشكل كاف ودقيق، حيث أهملت الدراسات التنوع الموجود في الواقع الاجتماعي أين نجد ممارسات متباينة بحسب نظام التراتب الاجتماعي السائد (البنية الطبقية)، والتوزيع الجغرافي (الأرياف/المدن). ويخلص النقيب إلى رفض الافتراض القائل إن المجتمعات العربية لديها استعداد لتقبل السلطوية أكثر من غيرها، أو أن هذه الصفة متأصلة فيها

وتشكل إحدى خصائصها البنائية، معتبرا أن هذا الافتراض لا ينطبق على واقع المجتمعات العربية، ولا يستند على دلائل وحجج في التاريخ الاجتماعي لهذه المجتمعات. وبالتالي يرفض أن تكون هذه ظاهرة مميزة لتطور المجتمعات العربية دون غيرها، بل على العكس يراها سمة عامة تطبع كل المجتمعات «التقليدية» أين نجد أعراضا مثل الخضوع للقيادة بشكليها التقليدي والكاريزمي، والتعصب للجماعة. ويؤسس خلدون النقيب موقفه هذا على رفضه لتفسير إشكالية السلطة على أساس نموذجين سائدين في الدراسات العربية حول الأسرة، هما نموذج الاستبداد الشرقي (النموذج الآسيوي) الذي يجد جذوره في تحليلات ماركس لأنماط الإنتاج الاجتماعي خارج أوروبا، ونموذج التوزيع الانقسامي أو الانشطاري للسلطة الذي ابتدعه دوركايم وطوره عدد من الأنثروبولوجيين بعد ذلك في أبحاثهم بخاصة في بلاد المغرب[٤١].

يواجه الافتراض السابق رفض بعض الباحثين من منطلق ثقافي وزاوية طرح دينية بالأساس، إذ يعتبر أصحاب هذا الموقف الواقع أقل وضوحا وتبلورا مما ترسمه التحليلات البنيوية لظاهرة السلطة الأبوية. فالواقع يشير، حسبهم، إلى أن سلطة الأب تقوم على قيمتين متعارضتين هما الشدة والرأفة. فالأب شخصية تمثل القوة والشدة والصرامة، وفي الوقت ذاته العطف والحنان والشفقة. إن هذه النظرة والتوصيف يقعان في قلب التفسير الديني لشخصية الأب ومكانته وسلطته، كونه رب الأسرة وحاميها[٤٢].

بينما يعيد البعض الآخر السلطة الأبوية إلى الخصائص البنيوية للتشكيلات الاجتماعية، وبالتالي يرفض اعتبارها ظاهرة فردية تتعلق بالرجل وموقعه داخل الأسرة، بقدر ما هي ظاهرة اجتماعية بنيوية تخص الجماعات وبنيانها structuration، وبالتالي فهي لا تتخذ شكلا أو نمطا ثابتا، بل عرضة للتنوع والتعدد بحسب تنوع بنية التشكيلات الاجتماعية التاريخية. ويدعم أصحاب هذا الرأي مواقفهم بملاحظات من الواقع، حيث يشيرون إلى مناطق عدة في البلاد العربية تتمتع فيها المرأة بمكانة مرموقة وقوة تفاوضية معتبرة، تسمح لها بالمشاركة في اتخاذ القرارت الأسرية الحاسمة[٤٣]. وهو ما يعيدنا إلى منطق التحليل البنيوي الذي عرضناه سابقا.

لكن ملاحظة الواقع في عمومه تشير إلى أن هذه الملاحظات لا تخص المرأة بصفة عامة، بل فئات محددة من النساء، مثل الأم الكبيرة في العائلة الممتدة، أو النساء في أوضاع ثورية استثنائية أو بعض الشرائح الاجتماعية مثل الأرستقراطية الدينية في الزوايا (أو الطرقية) مثلا. ولذلك فإنها تبقى حالات خاصة لا تشكل تيارا عاما أو سمة شائعة تطبع بنية العلاقات الاجتماعية، سواء على مستوى الأسرة أو على مستوى الكيانات الاجتماعية الأخرى السابقة لها أو المتعايشة معها، مثل القبيلة والعشيرة.

٢ - ثنائية التقليد والحداثة

كثيرة هي الثنائيات التي تميز حقل الدراسات الأسرية في البلاد العربية مثل ثنائية العام/الخاص، وثنائية الداخل/الخارج، وثنائية التقليد/الحداثة(٤٤). وسوف نركز على هذه الأخيرة لما لها من أهمية خاصة بنظرنا في المجالين النظري والمنهجي. وتبرز هذه الثنائية من الناحية الشكلية على الأقل الاهتمام الواضح بعمليات التحول والتغير في بنية الأسرة والمجتمع على حد سواء. لكن نقطة الضعف فيها هي أنها لا تستطيع التحرر من نزعتها نحو إبراز ثقل التقاليد وتأثيرها المستمر، وبالتالي ترهن كل محاولة لتجاوز هذه الثنائية وتضمن فشلها الأكيد. ويعلل لبيب هذه النتيجة السلبية بالتصور السائد في هذه الدراسات التي تعتبر الأسرة «تكثيفا» للعلاقات الاجتماعية في أصغر «وحدة اجتماعية»، وبكونها الفضاء المنتخب لكل عمليات التنشئة أو التطبيع الاجتماعي التي تضمن إعادة الإنتاج الموسعة للتقاليد وترسخها(٤٥). بمعنى آخر تضفي على الأسرة قوة وتأثيرا كبيرين، يتجاوزان ما هو حاصل فعلا ويسقط بذلك دور وتأثير الكيانات والمؤسسات الأخرى في المجتمع.

من جهته، يرى يعقوب قبانجي، في محاولته النقدية التي تتناول مجموعة من الدراسات الحديثة حول «العائلة العربية»، أن جل تلك الدراسات تتبنى مفهوم المرحلة الانتقالية، حيث تتعايش العائلة الممتدة أو بقاياها جنبا إلى جنب مع الأسرة النووية، مما يعني أيضا ظهور أنماط وسيطة متعددة تجمع بين النمطين السائدين. هناك من يقول إن تعبير «الأشكال الانتقالية» يفترض مسبقا الشكل النووي للأسرة كحالة نهائية لصيرورة التطور، وهو ما يعرِّض أصحابه للنقد الشديد بدعوى سقوطهم في مصيدة التمركز الأوروبي(٤٦). لكن ذلك ليس أمرا ضروريا لما نشهده اليوم من تنوع كبير في الأنماط التي تتخذها الأسرة في المجتمعات العربية والأوروبية على حد سواء لأسباب مختلفة بالطبع(٤٧). أما بالنسبة إلى العوامل المساعدة على ظهور الأشكال الانتقالية في التنظيم الأسري فيجملها بعض الباحثين في نوعين من العوامل(٤٨):

أ - **عومل تقليدية**: مثل تراجع نظام الإنتاج الزراعي التقليدي وتزايد أهمية ودور قطاعات العمل الحديثة كالصناعة، والخدمات، فضلا عما أحدثه توسع نظام التعليم من حراك اجتماعي وجغرافي كبير في الأوساط الريفية وشبه الريفية.

ب - **عوامل غير تقليدية**: وهي ما يمكن أن نطلق عليه مصاحبات عملية التحول الاجتماعي مثل أزمة السكن، الأزمة الاقتصادية ونتائجها، مثل البطالة وتسريح العاملين وتأثيراتها السلبية في نظم التضامن الاجتماعي والأسري. فضلا عن حالات تفرضها تربية الأبناء وتنشئتهم (لجوء الأمهات العاملات للأهل في حالات كثيرة للمساعدة)، وهناك أيضا الالتزامات الاجتماعية المرتبطة بالموروث الديني والثقافي (مثل رعاية الوالدين المسنين أو العاجزين).

وهناك من يذهب أبعد من ذلك ليؤكد أهمية التحول من الأسرة/العائلة كوحدة للتفاعل الاجتماعي إلى الفردانية، مما يعني بروز الفرد كمحور للعمليات الاجتماعية أو كفاعل تاريخي على حد تعبير آلان توران Alain Touraine، والعوامل المساعدة على ذلك برأي أصحاب هذا الطرح متعددة منها؛ القوانين والتشريعات الحديثة، سواء في مجال الأحوال الشخصية أو مجال النشاط الاقتصادي والعمل أو النشاط السياسي...، وهي تشريعات تتوجه إلى الفرد مباشرة وتتعامل معه ككيان حقوقي مستقل[٤٩]. لكن هناك من يشكك في مدى صحة هذه الاستنتاجات ويتساءل عما إذا كانت الفردية فعلا «خيارا متاحا»، معتبرا تلك التحولات مجرد عمليات تجميل سطحية محدودة الأثر في الزمان والمكان، ومرتبطة ببعض التعديلات التشريعية في الوضع المدني والمهني، وبالتالي لا تشكل نزعة أو تيارا عاما مثل الذي عرفته البلدان الأوروبية خلال عصر الحداثة[٥٠].

إن هذا النقد، رغم أهميته، يوقع أصحابه، من حيث لا يدرون، في المحظور نفسه الذي انتقدوا الآخرين بسببه، وهو نزعة التمركز الأوروبي التي تجعل حركة الحداثة في أوروبا ومصاحباتها الفكرية والاقتصادية والسياسية معيارا لقياس مدى أهمية الأحداث ودلالتها. لكن أعتقد صراحة أن تهمة التمركز الأوروبي مردود عليها إذا ما أخذنا في الحسبان حقيقة العولمة وتأثيراتها؛ فالعولمة تطرح اليوم بالفعل النموذج الأوروبي كنمط مثالي وغاية نهائية لصيرورة التحول الاجتماعي في البلاد النامية، ومنها البلدان العربية (نقول هذا من دون نفي التباين والتعدد داخل البلدان الرأسمالية المتقدمة ومن دون نفي طبيعة التأثيرات المتناقضة لظاهرة العولمة، وبالتالي تباين واختلاف الاستتباعات).

أما الاعتراض على أهمية التشريعات والتقليل من شأن التعديلات التي قد تحدثها، فيمكن وصفه بأنه اعتراض غير منطقي ولا تاريخي؛ غير منطقي لأن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة، كما يقول المثل، مما يعني أن التشريعات مهما كانت تفتح ثغرات مهمة في أبنية العلاقات الاجتماعية السائدة وتتيح فرصا، ليست كافية بالتأكيد لكنها ضرورية وحاسمة، لإطلاق صيرورة التغيير في مجالات تعبئة وتنظيم طاقات وجهود المرأة، فضلا عما هو متاح لها في مجالات أخرى مثل التعليم والعمل. والتشريعات في نهاية المطاف تعبر عن موازين القوة وديناميتها المستمرة. وأما وصفه بأنه اعتراض لا تاريخي فلأن نموذج حركة الحداثة الأوروبية ذاته لم يتشكل دفعة واحدة بأبعاده المتعددة، فكريا وسياسيا واقتصاديا... فالليبرالية الاقتصادية وفكرة العقد الاجتماعي، وظهور الفرد ككيان حقوقي مستقل، والديموقراطية والمجتمع المدني لم تظهر بشكل متزامن أو دفعة واحدة، بل جاءت على شكل حلقات مترابطة، متداخلة ومتدرجة في صيرورة تاريخية شاملة، استغرقت قرونا من الزمن تخللتها ثورات واضطرابات عارمة، أزمات حادة وانتكاسات رهيبة، قفزات ووثبات هائلة[٥١]. يكفي أن نعرف أن بعض البلدان الأوروبية

العريقة لم يكن فيها حتى عهد قريب جدا للمرأة حق الانتخاب ولا الترشيح لمناصب المسؤولية. أما إذا أردنا موازنة التشريعات بالواقع الاجتماعي الفعلي فكلنا يعلم أن ما تتيحه التشريعات والقوانين لا يجد طريقه إلى الواقع بسهولة، أو من دون عراقيل وتعقيدات تتباين في حجمها من حالة إلى أخرى حتى داخل البلد الواحد(٥٢).

لذلك فإن مظاهر التغير الاجتماعي، سواء تلك التي تخص بنية الأسرة والعلاقات القرابية، أو تلك التي تحدث على مستوى البنية الكلية للمجتمع تبقى ذات أهمية. ولا شك أن العوامل المساهمة في هكذا عملية متعددة ومتنوعة منها: السياسات الاجتماعية والاقتصادية للدولة، التشريعات المدنية والمهنية، توسيع قاعدة التعليم، دخول المرأة سوق العمل المأجور، تأثيرات العولمة الثقافية، بخاصة دور وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري مثل الفضائيات والإنترنت، بما تحمله من أفكار جديدة عن الأسرة والعلاقات الزوجية، فضلا عن تأثير المؤسسات العاملة في مجال حقوق الإنسان وحقوق الأقليات والفئات الضعيفة مثل المرأة والطفولة، سواء كانت عالمية أو محلية، وسواء كانت حكومية أو غير حكومية، فقد أدخلت برامجها مفاهيم ومقولات وأفكارا جديدة مثل تمكين المرأة، ومنع التمييز ضدها، الديموقراطية والشراكة الأسرية.

هكذا نجد الأسرة في المجتمعات العربية اليوم تحمل آثار تلك التمفصلات والتقاطعات، وبالتالي يصعب الحديث عن المرور من العائلة الممتدة إلى الأسرة النووية، من دون الأخذ في الاعتبار لأشكال وسيطة وانتقالية يجري ضمنها إعادة توزيع الأدوار والوظائف بشكل مستمر، وضمن حركة تفاعل متجددة تحمل كثيرا من الصيغ والأشكال المعبرة عن الحاجة إلى التكيف المبدع مع الضغوط والإكراهات، سواء كان مصدرها داخليا أو خارجيا. وهكذا يمكننا القول إن الأسرة الأولية (النووية) تلعب اليوم دورا متعاظما في الحياة اليومية للأفراد، بينما تتراجع قوة العائلة الواسعة وتأثيراتها من دون أن تخرج من الحلبة تماما، لأنها تمثل الإطار الحاضن والسند القوي للاستقرار والأمن القادر على التدخل في الأوقات العصيبة وحالات الضرورة والطوارئ(٥٣).

يلتقي هذا التناول لإشكالية التحول في أنماط العلاقات الأسرية وبنيانها مع إسهامات من باحثين لهم حضور قوي في هذا المجال مثل بيار بورديو Pierre Bourdieu الذي ينظر إلى الأسرة باعتبارها حقلا من حقول الفضاء الاجتماعي الذي تناقش فيه استراتيجيات قوى متعددة ومتنوعة تحددها مصالح الفاعلين المتنافسين وبحثهم عن الهيمنة. وبصفتها تلك تتمتع الأسرة بقدر من «الاستقلال الذاتي» الذي يحدد علاقات الأفراد بداخلها ويوجهها ضمن إطار أوسع، من دون أن يسقط ارتباطها بعلاقة تجانس بنيوي مع بقية الحقول الأخرى، وبخاصة الحقل الاستراتيجي بامتياز، حقل الطبقات الاجتماعية(٥٤).

يساعدنا هذا التصور على النظر إلى الأسرة في البلاد العربية وفهم المفارقات التي أفرزتها عملية التحول المجتمعي من مثل: أن الأسرة المعاصرة في المجتمعات العربية نووية وديموقراطية في شكلها، لكنها ممتدة وأبوية في مضمونها، وهي الأوصاف ذاتها التي تنطبق على النظامين السياسي والاقتصادي. كما يساعدنا على تفسير حالات النكوص المعتبرة التي أصابت مكانة ودور المرأة خلال العقدين الماضيين، وبالضبط منذ بداية الثمانينات، وهي وضعية تزامنت مع صعود التيار الراديكالي ودخوله ساحة العمل السياسي بقوة، بخاصة عندما تحول نشاطه في حالات عديدة إلى حركة تمرد مسلحة ضد الأنظمة أولا، ثم استهدف المجتمع كله بعد ذلك[٥٥]. كما يسمح لنا ذلك التصور بفهم التأثير المتناقض لعوامل مثل تعليم المرأة ودخولها سوق العمل المأجور بقوة، وتقدير ما إذا أدت تلك العوامل إلى تحريرها فعلا وتحسين موقعها التفاوضي، أم أنها زادت من حدة معاناتها بسبب نوعية التعليم وطبيعة مضامينه الأيديولوجية المتخلفة، وبسبب تكريس موقعها الهامشي في نظام الإنتاج الاجتماعي[٥٦].

وهكذا فإن تجاوز التصورات القائمة على الثنائيات العقيمة مثل التقليد/ الحداثة مسألة ملحة وذات أهمية بالغة لفهم التحولات الحادثة في المجتمع عامة وفي حقل الأسرة بخاصة. لأن تلك الثنائيات كثيرا ما تنتهي بإفراغ أطروحات التغير الاجتماعي وصيرورة التحول من مضامينها. هذه المهمة تستدعي اعتماد مقاربات نظرية كبرى تتجاوز البنى الأسرية المعطاة في الواقع التجريبي، ووضعها ضمن نطاق واسع تمثله البنى الاجتماعية السائدة على تنوعها وتعددها وتمفصلها. يبدو هذا المطلب الملح ضمن أولويات العديد من الباحثين الذين تناولوا الموضوع في الآونة الأخيرة[٥٧].

ثالثا: الأسرة... في زمن العولمة

حظي موضوع العولمة وإوالياتها ومصاحباتها المتنوعة باهتمام لم يحظ به غيره من الموضوعات، رغم كونها «قضية خلافية». ولعل أول وأهم معاني العولمة هو عولمة العالم، أي «صيرورة العالم واحدا». لكن مأزق العولمة ومفارقتها الكبرى يتمثلان في أنهما لا يتحققان إلا من خلال تجزئة العالم إلى كتلتين: الأولى متقدمة والثانية متخلفة بكل ما يحمل هذا التقسيم من تبعات[٥٨]. وتبدو العولمة اليوم ظاهرة معقدة متعددة الأوجه والأبعاد، تتجلى اقتصاديا في عولمة آليات السوق وأنماط الإنتاج والاستهلاك وسيطرة الشركات العابرة للقارات والجنسيات Transnational Companies، وتتجسد ماليا في هيمنة المؤسسات المالية والمصرفية الدولية (صندوق النقد الدولي، البنك العالمي، منظمة التجارة العالمية...) وتدخلها بشكل مباشر في صياغة السياسات المالية والنقدية والتجارية وتأثيراتها العميقة في أوضاع البلاد النامية. كما تتمظهر العولمة ثقافيا

واجتماعيا من خلال عولمة القيم وأنماط السلوك وأشكال التعبير في الفن والثقافة بمختلف فروعها وعناصرها، وتلعب وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري والتكنولوجيات الحديثة للاتصال (الفضائيات والإنترنت) دورا بارزا في ذلك. كما تتجلى العولمة سياسيا في التدخل القوي لأطراف خارجية قد تكون دولا أو مؤسسات دولية رسمية وغير رسمية في التأثير في القرار السياسي للدول الأخرى. كما تظهر في تدخل الهيئات الدولية العاملة في مجال التنمية وحقوق الإنسان من خلال الاتفاقيات والمعاهدات والتشريعات وبرامج التدريب والتأهيل والمساعدة الفنية.

أدت العولمة بالمعنى المشار إليه سالفا إلى صيرورة متسمة بقوة الدفع نحو التماثل والتوحيد، لا تخلو من ردات الفعل الهادئة حينا والعنيفة أحيانا أخرى، وأشكال التمرد والمقاومة التي تبديها المجتمعات، الثقافات وحتى جماعات وتنظيمات محددة بهدف الحفاظ على مصالحها وطابعها المتميز، وصيانة هويتها أو تأكيد وجودها من خلال الحفاظ على قيم ومعايير أساسية محددة لأنماط الحياة والسلوك. ذلك ما يبدو جليا في حركة مناهضة العولمة، وقد اتخذت هي ذاتها طابعا عالميا مستفيدة مما تتيحه العولمة من موارد وإمكانات للاتصال والتنظيم والتعبئة، ولعل ذلك من أكبر ميزات العولمة باعتبارها صيرورة جدلية، وهو ما حدا بالبعض للحديث عن حالة «الفوضى واللامعيارية»، بينما يرى فيها البعض الآخر ظاهرة غير مكتملة النضج، ويصفها آخرون بـ «المرحلة الانتقالية»[٥٩].

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا بصدد معاينة عملية إعادة صياغة كاملة للمجالين العام والخاص. وفي كل الأحوال تتدخل عناصر العولمة بقوة، فالمجال العام الذي كان لزمن طويل حكرا على سيادة الدولة الوطنية يعاد تشكيله بطريقة جذرية اليوم، وبكل الوسائل، بما في ذلك القوة العارية. كما تتجسد هذه العملية على مستوى مراجعة دلالة ومعنى ونطاق كل مفاهيم عصر الحداثة، مثل مقولات الدولة الوطنية، السيادة، المواطنة، حقوق الإنسان بكل أشكالها، وحقوق الفئات الاجتماعية (النساء والأطفال بخاصة)، والأقليات العرقية والدينية، ونمط تنظيم المؤسسات الاجتماعية، بما في ذلك مؤسستا الأسرة والزواج اللتان تشكلان قاعدة البنية الاجتماعية للمجتمعات في كل مكان[٦٠]. بالنسبة إلى المجتمعات العربية، يحدث كل هذا ضمن عملية مراجعة واسعة تتضافر فيها العوامل والضغوط الخارجية والداخلية في خضم عاصفة التغيير التي هبت على العالم منذ نهاية الثمانينيات وتجسدت في البلاد العربية من خلال «حرب الخليج الأولى والثانية، احتلال العراق، مشروع الديموقراطية في الشرق الأوسط الكبير، ومشاريع الإصلاح الداخلية في عدد من البلاد العربية، سواء على المستوى السياسي «الانتخابات التعددية) أو الاقتصادي (الخصخصة وتراجع دور الدولة) أو الاجتماعي (مراجعة تشريعات العمل، قوانين الأحوال الشخصية والجنسية)»[٦١].

تتضافر تلك العوامل المتعددة والمتنوعة في إعادة بناء النظم الاجتماعية ومنها النظام القرابي والأسري ونظام الزواج، وبالتالي تعاد صياغة القواعد والأسس التي بموجبها يُحدَّد المجال الذي يُختَار ضمنه الأزواج وتُشكَّل الأحلاف، بحيث تتراجع بالتدريج تأثيرات عوامل القرابة والانتماء الإثني والديني، وبشكل واضح عامل الفضاء الجغرافي لمصلحة تنامي دور وتأثير عوامل أخرى تتجاوز تلك المحددات «التقليدية»، سواء تعلقت بالمكان أو الزمان أو المكانة والانتماء الاجتماعي. إنها عوامل ومحددات جديدة تندرج ضمن إعادة بناء العلاقات والروابط الاجتماعية، عوامل مثل التأهيل والمهارة والموقع في السوق والمصالح الحيوية الأخرى لمجتمع مفتوح، متعدد ومتنوع في بنيته وتشكيلته. باختصار، مجتمع على تماس قوي مع سيرورة العولمة في كل تجلياتها ومظاهرها. نحن إذن أمام ظاهرة إعادة تشكيل سوق الزواج، وهي سوق قد تتسع أو تضيق حسب الأوضاع والظروف بحيث تمتد من مكان العمل، والتعليم إلى فضاءات جديدة تماما. فضاءات لم تعد تخضع لحدود الزمان والمكان أصلا بفعل سهولة الاتصال والتواصل، من خلال التقنيات الحديثة التي كسرت تلك الحواجز أو أعادت صياغتها بشكل جذري. فالزواج، بفعل جميع هذه العوامل، صار مؤسسة عالمية تخضع لشروط وتأثيرات السوق المعولمة. فالصحف والمجلات تفرد أبوابا، وربما أقساما، لإعلانات الزواج، بل منها ما يتخصص في ذلك كنشاط اقتصادي، كما توجد وكالات ومكاتب متخصصة بهذا النشاط في كل مكان، بل لقد تطور الأمر أكثر مع انتشار الإنترنت وخدمات الاتصال المباشر والحي، وبالتالي أصبحت عولمة سوق الزواج حقيقة، بعد أن كانت لفترة مجرد واقع افتراضي.

لقد أحدثت هذه التحولات تغيرات عميقة في بنية المجتمع وفي نظمه الأساسية، وفي طبيعة العلاقات، بحيث هيمنت المصالح والاعتبارات المادية على البعد الوجداني والعاطفي وصار الزواج وبناء الأسرة بمنزلة صفقة تجارية تقوم على حسابات الكلفة والعائد، حسابات تخضع لاعتبارات النجاح والارتقاء الاجتماعي للفرد وليس لانشغالات الأهل[٦٢].

ومهما يكن الموقف تجاه العولمة ومصاحباتها وتفاعلاتها، فإن الشيء الأكيد هو أنها ليست لها صفة نموذجية محددة، ولا تأخذ شكلا نمطيا مكتمل التكوين في كل المواقع وفي تفاعلها مع الكيانات الاجتماعية والمنظومات الثقافية المحلية. وبالتالي، فإن نتائج تأثيراتها ليست معروفة أو محددة مسبقا، بل إنها متفاوتة، متباينة ومتنوعة تبعا لأوضاع المجتمعات ومتطلباتها، وكذلك درجة تماسكها وكفاءتها في استعمال مواردها المختلفة، المادية والرمزية، للتعامل مع الضغوط والإكراهات الخارجية من جهة، والتحديات الداخلية من جهة ثانية.

سوف ننظر بشكل مختصر لتأثيرات العولمة في الأسرة في المجتمعات العربية من خلال عدد من المحاور منها، التنشئة الاجتماعية، وتطور الجنسانية، وأشكال الزواج والطلاق باعتبارها كلها عمليات تؤشر إلى مدى التحولات التي حدثت في الأسرة؛ منظورا إليها

ككيان بنيوي جزئي وأحد الحقول الرئيسية ضمن نسيج بنيوي أوسع تشكله المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

١ - التنشئة الاجتماعية

لقد أدت التحولات الاجتماعية في ظل العولمة إلى تغيرات بنيوية في مكانة ووظائف الأب والأم، وفي علاقات السلطة بينهما من جهة، ومع الأبناء من جهة ثانية. فالضغوط الاقتصادية والمهنية والسعي وراء النجاح، سواء كان ماديا أو اجتماعيا، يؤديان إلى حالات التغيب المتكرر للأب عن الأسرة والحياة الزوجية. هذه الوضعية لم تعد مقصورة على الرجل بل طالت كثيرا من النساء العاملات (التزامات مهنية، اجتماعية بسبب المكانة، أو المنصب الوظيفي...). وهو ما أدى إلى فتور الروابط والعلاقات الأسرية وصولا إلى الفراق والطلاق. كما تراجع دور ومسؤولية الوالدين في عملية التنشئة لمصلحة جهات ومؤسسات أخرى تتراوح بين دور الحضانة والمدرسة وحتى الشارع إلى الخدم والمربيات (خاصة بلدان الخليج)، مرورا بوسائل الإعلام والاتصال (بخاصة التلفزيون والإنترنت)، وما نتج عن ذلك من آثار ومصاحبات سلبية على جميع الأصعدة، الفردية والأسرية والمجتمعية[٦٣].

تتخذ تأثيرات العولمة في مجال التنشئة الاجتماعية صيغا عديدة منها حدوث تحول في أهداف وظيفة الضبط التي تقوم بها الأسرة، بحيث تتحول من تحقيق الحفاظ على نفسها وتماسكها ككيان مستقل نسبيا، وبالتالي دورها كفاعل أساسي في إعادة إنتاج النظام الأبوي بكل مواصفاته، نحو تحقيق هدف جديد هو الحفاظ على البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي أنجزته جزئيا سيادة العولمة. ويتجلى ذلك في تحول هدف عمليات التنشئة الاجتماعية من الحفاظ على قيم جماعية تقليدية مثل التضامن والتعاون والتضحية... إلى الحفاظ على قيم جديدة أنتجتها المؤسسات الحديثة والبديلة للتنشئة الاجتماعية، وفي مقدمها منظومة التعليم والاتصال وعالم الشغل في ظل سيادة السوق المعولمة. وهذه القيم البديلة كثيرة منها الفردانية والتميز والتنافس والنجاح الفردي...، وهي قيم متعارضة في مجملها مع القيم السائدة في التربية التقليدية. أما دواعي هذا التحول في أهداف عملية التنشئة فيمكن إجمالها في عدة أسباب[٦٤]:

أ - سبب داخلي في الأسرة ذاتها يتمثل في حقيقة أن قيم الانتماء الجماعي والتضامن والشرف العائلي، التي تتمركز حولها التنشئة الاجتماعية التقليدية تعمل حسب إوالية تتسم بالتفاوت والهرمية (حسب عاملي الجنس والعمر)، وهي بذلك ليست غريبة عن إواليات التفاوت والتراتب داخل الأسرة ولا معارضة لها، بل على العكس تعتبر من أهم عوامل إنتاجها والحفاظ عليها. لذلك فإنها، والحال تلك، لا تبدو متعارضة مع القيم التي تنشرها منظومة التعليم مثلا (المدرسة بامتياز)، وهي قيم تستجيب لمتطلبات اللامساواة الاجتماعية والمراتبية التي تجسدها السوق المعولمة، ولا تدخل في صراع معها.

ب - سبب خارجي يتعلق باستجابة كل من الأسرة ومنظومة التعليم كمؤسسات اجتماعية تقع في مجال السوق لمتطلبات هذه الأخيرة. فالمدرسة مثلا يرتبط بقاؤها بمدى تكيفها مع تلبية احتياجات السوق لليد العاملة بمستويات متنوعة من المهارة والتأهيل وقواعد السلوك، وبالتالي فإنها تعمد منذ البداية إلى وضع قيم مثل الفردانية والمنافسة والتميز والكفاءة والفعالية ضمن أساسيات برامجها. أما الأسرة فتجد نفسها مضطرة إلى التكيف مع تلك القيم والاستجابة لمتطلباتها لضمان مستقبل أفرادها الذي يتحدد، أولا وقبل كل شيء، في إطار السوق وقيمها الأساسية، وبالتالي فهي مجبرة على استبطان مفردات المنظومة القيمية للسوق والعمل على ترسيخها ضمن عمليات التنشئة الاجتماعية.

ج - لاشك في أن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري، بخاصة المرئية منها مثل التلفزيون، تلعب دورا متعاظما في تجسير الفجوة بين السوق ومتطلباتها من جهة، والمؤسسات الأولية للتنشئة الاجتماعية (الأسرة والمدرسة) من جهة أخرى، بل إن تقنيات الاتصال الحديث ذاتها أصبحت جزءا لا يتجزأ من الأجهزة الأيديولوجية الأكثر كفاءة وفعالية في نشر قيم السوق ومتطلباتها الأساسية، والعمل على ترسيخها ضمن المنظومات القيمية لكل من الأسرة والمدرسة، وتتحقق بذلك تغيرات عميقة في وظيفة التنشئة الاجتماعية[٦٥].

لكن ينبغي التأكيد أن تلك التحولات والتأثيرات الممارسة من قبل النماذج الجديدة تتفاوت حسب تدخل متغيرات عديدة ومتنوعة منها مثلا الوسط الاجتماعي، المستوى الاقتصادي والتعليمي، وطبيعة التوجهات الفكرية والعقيدية ومنظومة القيم السائدة عموما. وبالتالي فالأمر يتراوح بين حالات يتم فيها استبطان وتبني تلك النماذج فعلا، كممارسة في الحياة الاجتماعية، وحالات تبقى فيها مجرد تمثلات ونماذج مستبطنة على مستوى المخيلة الفردية أو الجماعية، ذات تأثير في العلاقات، سواء بين الأزواج أو بين الوالدين والأبناء على مستوى التصور والمحمول الرمزي واللغوي الممارس من قبل الأفراد أكثر من كونها أنماطا بنيوية ناضجة أو مكتملة التكوين. وفي حالة بلدان الخليج، يقول عباس أحمد هناك ثلاثة أصناف من الأسر هي: الأسرة المرهقة ماديا، منتشرة بين الشرائح الاجتماعية ضعيفة الدخل، والأسرة المرفهة لدى الشرائح الاجتماعية العليا، وبينهما نجد الأسرة ذات القوقعة الفارغة لدى الشرائح الوسطى، حيث يعيش الأفراد معا في ظل غياب علاقات المودة والحب والاتصال. في كل الحالات نحن أمام تحولات عميقة في بنية ووظائف الأسرة[٦٦].

٢ - تطور أشكال الجنسانية

شاع استعمال مفهوم «الجنسانية» Sexuality في الدراسات العربية بدلا من مفهوم الجنس الذي لم يعد يفي بالغرض، لاقتصار دلالته على البعد البيولوجي للظاهرة، بينما يقوم مفهوم الجنسانية على أربعة أبعاد هي: اللذة، الإنجاب، المشاعر، والنوع الاجتماعي (علاقة السيطرة

بين الرجل والمرأة)[٦٧]. ولعل أهم ما يميز بناء الهويات الجنسانية في البلاد العربية (وهي ليست حالة حصرية) هو بنيتها التراتبية، فالرجل (الذكر) هو الفاعل الجنساني الوحيد، بينما تعتبر المرأة (الأنثى) المفعول به. ويعتبر عبد الصمد الديالمي هذه الثنائية بمنزلة قضية مركزية في التنظيم الجنساني في المجتمعات العربية، ثم يعود ليعترف بكونها ميزة للنظام الأبيسي في عموميته وليست حكرا على المجتمعات العربية[٦٨].

عرفت المجتمعات العربية في العقدين الأخيرين تطورات هائلة في الأطر الاجتماعية للجنسانية؛ إذ يوجد منها الشرعية وغير الشرعية، المقننة وغير المقننة، القديمة والحديثة... وتأتي الأسرة بمؤسسة الزواج الشرعي في مقدمة تلك الأطر إضافة إلى أطر أخرى بديلة أفرزتها عمليات التحول المجتمعي. ولعل أهم تلك الأطر البديلة الممارسات الجنسية قبل الزواجية غير التجارية، والبغاء، والأشكال البديلة عن الزواج التعاقدي الشرعي مثل الزواج العرفي وزواج المسيار وزواج المتعة[٦٩].

يعود تطور الجنسانية في البلاد العربية، بهذا الشكل، إلى مجموعة من العوامل منها: ارتفاع مستوى التعليم وتمديد فترته بخاصة لدى البنات، ودخول المرأة عالم الشغل مما نتج عنه تراجع سن الزواج، وبالتالي ظهور الحاجة الملحة إلى اشباع جنسي بديل، كذلك الاستعمال الكثيف لوسائل منع الحمل خارج إطار الزواج الشرعي، ومساهمة وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال الحديثة والسياحة في نشر أيديولوجيا الاستهلاك الجنسي وفرض هيمنتها، فضلا عن الظروف الاجتماعية الصعبة التي يعيش فيها قطاع كبير من المجتمع بخاصة فئات الشباب (أزمة البطالة والسكن وارتفاع المهور) التي عملت على تأجيل الزواج[٧٠].

١ - الجنسانية قبل الزواجية

بينت دراسات ميدانية عديدة أن هناك ما يشبه حالة انفجار في الجنسانية قبل الزواجية، بخاصة بين الإناث، إنهن يقدمن بأعداد متزايدة على ممارسة الجنس قبل الزواج رغم «عدم تخليهن عن فكرة المحافظة على البكارة». وقد لوحظ ميل واضح لدى شرائح اجتماعية معينة لتطبيع ممارسة الجنس قبل الزواج والتساهل معها على الرغم من استمرار حالة التجريم من قبل القوانين الوضعية والتحريم من قبل الدين[٧١]. وقد أظهر بحث ميداني أجري في المغرب نهاية السبعينيات أن ٩٪ فقط من الشبان يقبلون التحريم الديني للجنس قبل الزواج، وأن ٦٨٪ من الشباب يمارسون الجنس كهدف لذاته، مقابل ٤٥٪ من الفتيات (وهي نسبة معتبرة آخذين في الحسبان الطابع المحافظ لمجتمع عربي مسلم). وقد ارتفعت تلك النسبة خلال التسعينيات لتصل إلى ٦٥٪ من الفتيات اللواتي أكدن ممارستهن للجنس قبل الزواج على الأقل مرة واحدة[٧٢]. وفي تونس سجلت دراسات ميدانية عديدة انتشار الجنسانية قبل الزواجية بين الشبان العزاب؛ حيث أقر ٨٠٪ من عينة بحث ممارستهم الجنس مقابل ٢٪ من الفتيات. لكن

أغلبية الشبان العاملين مارسوا الجنس مع بغايا شرعيات أو سريات. أما بين طالبات الجامعات فقد وجدت دراسة أخرى أن هناك فارقا معتبرا بين التوقعات الاجتماعية الخاصة بجنسانية الفتيات ونشاطهن الجنسي الفعلي؛ حيث تجاوز هذا الأخير سقف التوقعات بكثير. وفي لبنان كشفت دراسة أخرى أن ٣٠٪ من تلاميذ التعليم الثانوي من الذكور كانت لهم تجربة جنسية مقابل ٢٪ من الفتيات، وأن ٢٤٪ من الطلاب الجدد بالجامعة الأمريكية دخلوا في علاقة جنسية(٧٣).

٢ - الجنسانية البغائية

عرفت المجتمعات العربية كغيرها ظاهرة البغاء منذ القديم، وانتشرت هذه الظاهرة (التي يعتبرها البعض أقدم مهنة على الأرض) بين الشباب من الجنسين بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية وزحف الفقر على قطاعات واسعة من المجتمع في البلدان العربية غير النفطية. غير أن العامل الاقتصادي لا يفسر وحده الانتشار الواسع لهذه الظاهرة، بل هناك عوامل أخرى مثل تنامي النزعة الاستهلاكية التي دفعت فئات أخرى من الطبقات المتوسطة لممارستها. تلك هي حال قطاع كبير من فتيات وفتيان الطبقة الوسطى الذين يطمحون إلى الاستفادة من ملذات الحياة العصرية فيلجأون إلى ممارسة البغاء لتغطية الكلفة العالية لنمط حياة يتجاوز بكثير مقدرتهم المالية (وقد لاحظنا من جهتنا انتشار الظاهرة بخاصة بين طالبات الثانويات والجامعات في المدن الكبيرة). ومن أهم الأسباب وراء انتشار الجنسانية البغائية فشل السياسات الاقتصادية في البلاد العربية غير النفطية (والنفطية كذلك مثل الجزائر التي لم تنج من الظاهرة)، فضلا عن عوامل أخرى مثل تبني سياسات التعديل الهيكلي للاقتصاد التي فرضتها الهيئات المالية الدولية على كل البلدان العربية التي لجأت إليها (مصر والمغرب وتونس والجزائر والأردن...) مؤدية إلى انسحاب الدولة من الاستثمار، خفض الإنفاق الحكومي على الخدمات الاجتماعية، وتوسيع الخصخصة، فكانت النتيجة زيادة التفاوت الاجتماعي بشكل غير مسبوق، وتوسيع مساحات الفقر والتهميش، ورفع معدلات البطالة التي لا تقل عن ٢٥٪ في معظم الحالات(٧٤). يضاف إلى العوامل السابقة ظهور السياحة الجنسية التي يمارسها العرب الخليجيون في عدد من البلدان غير النفطية خصوصا لبنان ومصر وتونس والمغرب. وقد أصبحت مصدر رزق أساسيا لقطاعات واسعة وموردا إضافيا لا يستهان به لعائدات تلك البلدان(٧٥).

٣ - الأشكال البديلة للزواج الشرعي

هناك شكلان رئيسيان من الزواج البديل، هما الزواج العرفي وزواج المسيار، وبدرجة أقل زواج المتعة. وهناك جدل كبير حول مكاسب ومخاطر هذه الأشكال بالنسبة إلى المجتمع عموما والأسرة خصوصا.

أ - **الزواج العرفي**: يعتبره البعض «حلا دينيا لحالات الصيام الجنسي» بسبب صعوبة الزواج وتحريم العلاقات الجنسية غير الزواجية. وعلى الرغم من سلامته من الناحية الشكلية فإنه يتميز بعدد من الخصائص التي تجعل تبعاته وآثاره سلبية على المرأة والأسرة بشكل خاص، من ذلك: قيامه على المتعة، وعدم الدوام، والتنكر لحقوق الزوجة، وغياب الرغبة في الإنجاب. وهناك ثلاث حالات كبرى يظهر فيها هذا النوع من الزواج:

- ينتشر بين الشباب، وبخاصة طلاب الجامعات تحت ضغط ثلاثة عوامل هي: الحاجة الجنسية الملحة، استحالة الزواج لصعوبات اقتصادية معروفة، والرغبة في تجنب الزنا والعلاقات غير الشرعية.

- دواع سياسية، حيث انتشر بين نشطاء الحركات الدينية السلفية الذين يعيشون في السرية، أو الذين هم في حالة مواجهة مسلحة مع الأنظمة، ومهما يكن فهو يعبر عن عدم الاعتراف بمشروعية الدولة وقوانينها ومؤسساتها، بل تكفيرها وتكفير الحكام وحتى المجتمع.

- ارتبط هذا الشكل أيضا بظاهرة السياحة الجنسية التي يقوم بها أهل الخليج نحو بعض البلدان العربية، ويقصد به إضفاء الشرعية على مرافقات السائحين. وفي هذه الحالة يقوم الزواج على عقد شفوي محدود المدة مقابل مهر أو صداق.

ب - **زواج المسيار**: ظهر هذا الشكل بالأساس في السعودية بسبب ارتفاع تكاليف الزواج. غير أن هناك من يرى أن وظيفته الأساسية هي «إنهاء حال الصيام الجنسي لدى الفتيات السعوديات» بسبب تأخر سن الزواج لدواعي الدراسة والخروج للعمل. ويتميز هو الآخر بمجموعة من الآثار السلبية على المرأة والأسرة والمجتمع منها: صفته السرية، وبقاء المرأة بين أهلها، وبالتالي فقدانها لأي حقوق والتزامات من قبل الزوج. لكن البعض يرى فيه إيجابيات مثل التغلب على العنوسة وصعوبة تعدد الزوجات ومنع الزنا[٧٦].

٤ - زواج الأجنبيات... العنوسة والطلاق

تتجلى المصاحبات السلبية للعولمة على الأسرة، فضلا عما أشرنا إليه سابقا، من خلال مجموعة مؤشرات أخرى ربما نجد صعوبة في ربطها مباشرة مع هذه الظاهرة، لكنها تبقى مع ذلك من ضمن الاستتباعات أو الإفرازات غير المباشرة لها مثل ارتفاع معدلات الطلاق، وتأخر سن الزواج والعنوسة وتنامي زواج الأجنبيات وتراجع واضح في معدلات الخصوبة أو الإنجاب[٧٧]. ففي الجزائر مثلا، بينت دراسات حديثة تطورا خطيرا في مجمل هذه المؤشرات؛ إذ قدرت نسبة العزوبة بين الشباب بحوالي ٦٠٪، بينما تراجع سن الزواج بشكل ملحوظ من ٢١ سنة عام ١٩٧٠ إلى ٢٩ سنة العام ٢٠٠٤ بين الفتيات، ومن ٣١ إلى ٣٥ سنة بين الذكور، وارتفع عدد العوانس ليتجاوز مليون فتاة معظمهن من العاملات (٧٠٠ ألف)، بينما تراجع عدد الزيجات سنويا من ٤٧٦ ألفا سنة ١٩٧٢ إلى ٢٠٠ ألف نهاية التسعينيات. أما نسبة الطلاق

فقد بلغت ٤٠٪ من عدد الزيجات المسجلة، وهي نسبة عالية جدا، فضلا عن ذلك سُجِّل تراجع واضح في معدلات الخصوبة والإنجاب قدر بثلاثة أضعاف في الفترة الممتدة بين منتصف السبعينيات وبداية الألفية الثالثة(٧٨). تقدم هذه المؤشرات نموذجا (محليا بالتأكيد لكن يمكن تعميمه بسهولة) عن مدى عمق وحجم التحولات التي تعرضت لها الأسرة العربية ولا تزال إلى اليوم، ولعل بعضها سوف يزداد حدة مع الوقت. وعلى الرغم من اعتقادنا بأن علاقة الارتباط بين العولمة ومجمل هذه الظواهر ليست علاقة مباشرة أو سببية، فإن ذلك لا ينفيها إطلاقا، بل يعني أن هناك عوامل وسيطة بينهما. من جملة تلك العوامل ما أشرنا إليه من تغيرات هيكلية على مستوى البنية الاجتماعية الكلية وعلى مستوى بنية الأسرة والنظام القرابي وعلاقتهما بباقي النظم والمؤسسات الاجتماعية(٧٩). لكن الحقيقة التي ينبغي الانتباه إليها هي أن استتباعات العولمة ليست متجانسة بل متناقضة ومتفاوتة في كثير من الأحيان، لذلك وجبت الإشارة إلى الوجه الآخر لقطعة العملة، أي المصاحبات الإيجابية، التي تمثل الفرص والحظوظ التي توفرها العولمة لتحقيق مزيد من التطور الإيجابي في العلاقات الاجتماعية، والأسرية بخاصة. من ذلك انتشار التعليم ووسائل التثقيف الجماهيري التي شملت أعدادا متزايدة من النساء والأطفال، وتساعد في تكوين الشخصية، ورفع المؤهلات والمهارات الفكرية والتطبيقية، مما يسمح بتمكين الفئات الاجتماعية «المستضعفة»، وتوسيع فرص المشاركة لديها كأطراف فاعلة في العملية الاجتماعية. فالنساء كما الأطفال يكتسبون مساحات إضافية للحركة وقدرا أكبر من حرية الرأي والتعبير والمبادرة في اتخاذ القرار. وهو ما يعكس تغيرات حاسمة في بنية الأسرة العربية الحديثة تطال مواقع الأفراد وأدوارهم وعلاقاتهم. إنها باختصار صيرورة تحول معقدة ومزدوجة تتضمن، من جهة أولى، إعادة صياغة العلاقات الأسرية على أسس جديدة تلعب فيها المفاوضة بين أعضائها دورا متعاظما باستمرار، ومن جهة ثانية، مراجعة للعلاقات البنيوية بين الأسرة وباقي المؤسسات الاجتماعية التي لها علاقة مباشرة بالأسرة (مثل منظومة التعليم والتدريب، مؤسسات الرعاية والترفيه والتثقيف، مؤسسات العمل، مؤسسات الضبط الاجتماعي...).

لعل من أهم التأثيرات الإيجابية للعولمة في الأسرة العربية ما تقوم به المنظمات العاملة في مجال التنمية وحقوق الإنسان، سواء كانت منظمات أهلية، أو حكومية، وسواء كانت عالمية أو محلية. وقد كان النشاط المتزايد لهذه التنظيمات أحد العوامل الحاسمة وراء تغيرات كبيرة في مجال التشريعات الاجتماعية، المدنية والمهنية (مجال الأحوال الشخصية، والجنسية، وحق الانتخاب، وحقوق المرأة المهنية ومنع التمييز ضدها، وحماية الأمومة والطفولة...). وقد تجسد هذا الانشغال في العدد المتزايد من الاتفاقيات الدولية المعنية بهذا الموضوع التي صادقت عليها الدول العربية رغم تحفظات البعض(٨٠).

رابعا: من النوع الاجتماعي... إلى الشراكة الأسرية

لقد أوصل النظام الأبوي الجديد المجتمعات العربية المعاصرة إلى وضعية مأزومة على جميع المستويات: بنية اجتماعية مشوهة وهجينة لا هي بالتقليدية ولا هي بالحديثة. نظام اقتصادي مشوه يتميز على المستوى الداخلي بالنقص الفادح في الفعالية والأداء، والتفاوت الصارخ الذي يفصل بين أقليات غارقة في الثراء والترف، وأغلبية غارقة في الفقر والأمية. أما على المستوى الخارجي فيتسم بالتبعية الكاملة لنظام عالمي مرتهن للشركات المتعددة الجنسية، والمؤسسات الاقتصادية العالمية. أما النظام السياسي فيتميز بالاستبدادية والقهر والتعسف وخنق الحريات؛ لدرجة أن الفراغ الذي يفصل الحكام عن المحكومين لم يبلغ قط مثل هذا المدى إذا ما وضعنا ذلك في سياق العصر وسماته ونزعته نحو الحرية والديموقراطية والحكم الراشد.

للخروج من هذه الوضعية لا بد من إحداث تغييرات جذرية، وعلى جميع الأصعدة في آن، ولن يتحقق ذلك بالاعتماد على القوة أو الثورات الفوقية التي وقع تجريبها عدة مرات وفي مناطق متعددة من البلاد العربية، كما لا ينبغي انتظار حدوث المعجزات. لعل الطريق إلى التغيير العميق المنشود يبدأ من إعادة بناء الذات الفردية والاجتماعية معا. لكن ذلك لن يحدث إلا من خلال الاعتماد على تصور أو رؤية جديدة. هذا التصور بدوره لا يمكن تحويله من مجرد رؤية إلى واقع أو ممارسة مجتمعية حقيقية إلا من خلال عمليات اجتماعية تستهدف إحداث تغييرات عميقة، وفي مقدمها عملية التنشئة الاجتماعية والتربية والتعليم، مما يعني أن المؤسسات القائمة بتلك العمليات هي التي ينبغي أن يطالها الإصلاح أو التغيير الجذري حسب الظروف والمعطيات الموضوعية والذاتية، وكذلك المحلية والعالمية. من هذا المنطلق سوف نعالج فكرة الشراكة الأسرية باعتبارها نمطا تنظيميا جديدا يقوم على إحداث تغيرات عميقة في الأدوار والمكانات، وهو ما يدفعنا أولا لطرح مفهوم النوع الاجتماعي الذي يقترح نظرة حديثة في التعامل مع العلاقات الأسرية.

١ - ٤ - النوع الاجتماعي

يشير مفهوم النوع الاجتماعي إلى توقعات مؤسسة ثقافيا حول أدوار وسلوك الذكور والإناث، ويميز هذا اللفظ بين الجوانب المصوغة اجتماعيا وتلك المحددة بيولوجيا أو جنسيا. خلافا للترتيب البيولوجي أو الجنسي، فإن الأدوار والأفعال القائمة على النوع يمكن أن تتغير مع الزمن، أحيانا بسرعة نسبية، حتى إن كانت بعض جوانب تلك الأدوار متجذرة في الاختلافات البيولوجية بين الجنسين. بالنظر إلى الاحترام الذي تتمتع به التقاليد الدينية والثقافية المحددة والمبررة للأدوار المتمايزة، والأفعال المتوقعة من الذكور والإناث، فإن التغير في منظومة النوع يلاقي أحيانا كثيرة معارضة، بل إن جل البلدان العربية عرفت محاولات

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

الجماعات الدينية الراديكالية الرامية إلى فرض تقسيمات بين الجنسين أكثر عمقا مما هو قائم حاليا. وفي المقابل، تحاول الحركات النسوية وبعض القوى السياسية الليبرالية تقليص تلك التقسيمات أو إزالتها نهائيا.

لقد طفا موضوع النوع الاجتماعي على سطح الاهتمام على المستوى العالمي كقضية تخص عمليات التنمية والتحديث في العالم عموما، وفي البلاد النامية على وجه الخصوص، كما تبرز ذلك مواثيق وعهود دولية مثل: أرضية عمل مؤتمر بكين حول المرأة (١٩٩٥)، تصريح الألفية للأمم المتحدة (٢٠٠٠)، الاتفاقية الدولية حول إزالة كل أنواع التمييز ضد النساء (٢٠٠١) [٨١].

يقوم الباحثون والهيئات والمنظمات الرسمية الدولية (مثلا برنامج الأمم المتحدة للتنمية، والبنك الدولي...) وكذلك التنظيمات غير الحكومية العاملة في حقل التنمية، وفي مجال حقوق الإنسان، بخاصة المهتمة بتحسين وضعية المرأة وإشراكها كعضو فعال في الحياة الاجتماعية، بدراسة وتقويم الأوضاع في مجال علاقات النوع من خلال إنجاز عمليات تقويم تشمل الوصف الدقيق لمجموعة من المحاور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[٨٢].

أما بالنسبة إلى المجتمعات العربية فإن مفهوم النوع الاجتماعي يعتبر جديدا تماما، سواء من حيث المبدأ أو الدلالة، ويواجه استعماله في البحوث الاجتماعية صعوبات كبيرة بسبب ضعف المعرفة بنمط المساواة بين الجنسين، فضلا عن النظرة السلبية إلى فكرة المساواة ذاتها، والرفض الذي تقابل به في قطاعات عريضة من المجتمع. ولعل من المفارقات أن يحدث هذا الرفض بين النساء أيضا، إما بسبب جهلهن بدلالته وأهدافه، وإما بسبب قناعتهن بأن وضعية التمييز والتفاوت ظواهر طبيعية مرتبطة بالجنس، وليست مصوغة اجتماعيا من خلال التنشئة والتطبيع الاجتماعيين. وقد دخل مصطلح «النوع الاجتماعي» بعض البلدان العربية منذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين بفضل جهود الباحثين ونشطاء حقوق الإنسان، وتنظيمات الحركة النسائية في إطار بعض الدراسات ومشاريع الأبحاث التي مولتها هيئات رسمية دولية مثل المنظمات المتخصصة في مجال التنمية والتعليم والصحة والعمل التابعة لهيئة الأمم المتحدة[٨٣].

٢ - ٤ - الشراكة الأسرية

مفهوم وثيق الصلة بالنوع الاجتماعي ويشير إلى توزيع الأعباء والالتزامات والمسؤوليات الأسرية بين الزوجين بطريقة متوازنة وعادلة تراعى فيها خصوصية كل واحد منهما وقدراته ومهاراته وظروفه. كما أنها أسلوب في التعامل بين الزوجين وفي علاقتهما بالأطفال وكيفية ممارستهما لدوريهما في عمليات التنشئة والرعاية والتوجيه[٨٤].

وتتأثر مسألة الشراكة الأسرية بالطبع بعديد من العوامل منها مستوى تعليم الزوجين، وممارسة المرأة لعمل ذي مردود اقتصادي، فضلا عن تأثير الوسط الاجتماعي والثقافي الذي تشكل الأسرة جزءا منه (بمعنى الانتماءات الاجتماعية والطبقية والثقافية والدينية...) وبهذا

الصدد، نجد عددا من الأسئلة التي تطرح نفسها بحدة مثل: هل يساهم تعليم المرأة والرجل في تغيير وتطوير الأدوار الأسرية؟ هل يساهم في تغيير العلاقات داخل الأسرة بين الزوجين، وبينهما وبين الأطفال؟ إلى أي مدى يؤثر تمكين المرأة اقتصاديا من إحداث مثل هذه التغييرات، وصولا إلى إقامة علاقة متوازنة بين الزوجين والأطفال؟ ثم ما هو دور وتأثير الوسط الاجتماعي في تغيير الأدوار؟ وبالتالي في تحقيق الشراكة الأسرية؟

يشكل مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الجنسين حجر الأساس في فكرة الشراكة الأسرية سواء في جانبها الإنتاجي/الاقتصادي، أو في جانبها الإنجابي/ الاجتماعي. ويأتي التركيز في الاتجاهات الحديثة في دراسات الأسرة، وكذلك في الدراسات المهتمة بقضايا التنمية على فكرة الشراكة بالمعنى الوارد أعلاه بسبب توافر قناعة اليوم لدى الباحثين في هذين الحقلين أن النظام الاجتماعي الداخلي يعمل عادة في أوضاع لا يتساوى فيها الأفراد من حيث القوة والسلطة، ولا في الثروة والمكانة، أو في المركز الاجتماعي. ومن البدهي أن اختلاف موازين القوة بين الأفراد والجماعات يفتح الباب أمام استخدام تلك السلطة والقوة في حل النزاعات وفض الخلافات التي قد تنشأ بسبب اختلاف المصالح، أو وجهات النظر، أو العقائد والقيم... إلخ.

تقوم الشراكة كنموذج جديد في العلاقات الأسرية على التعاون والحقوق المتساوية، وكذلك على تقاسم الأعباء والمسؤوليات المنزلية، والثقة والمشاركة في اتخاذ القرارات، والاعتماد على الحوار والتفاوض والاتصال الناجح كسبل لحل الخلافات في إطار الاحترام المتبادل بين أعضاء الأسرة. كما تقوم فكرة الشراكة الأسرية على إقامة علاقة اقتصادية عادلة بين الزوجين، تشمل الاعتراف باختلاف المهارات والقدرات، وتثمن مساهمة كل واحد بما في ذلك الاعتراف بقيمة العمل غير المأجور الذي تقوم به المرأة في البيت[٨٥].

لا بد من التأكيد أن فكرة الشراكة لا تلغي الفروق الموجودة في الأدوار التي يقوم بها الرجل والمرأة، وهي أدوار مرسومة ومحددة اجتماعيا حسب الجنس، كما رأينا في مفهوم النوع، سواء تعلق الأمر بالالتزامات الأسرية، أو المهام والمسؤوليات التي يضطلع بها الزوجان خارج البيت، بقدر ما تهدف إلى تأكيد قيمة وأهمية الأدوار على اختلافها وتباين مضامينها وعلى ضرورة توزيع المسؤوليات والالتزامات على قدم المساواة. كما أنها تؤكد ضرورة انتهاج أسلوب يعترف بضرورة توسيع نطاق الأدوار في ظل خروج المرأة للعمل وزيادة مشاركتها في الحياة الاجتماعية، مما يعني الأهمية المتنامية لمشاركة الرجل في الالتزامات الأسرية ومسؤولية البيت[٨٦].

إن عدم المساواة بين الجنسين ترتبط بالمواقف تجاه الأسس التي تقوم عليها عملية توزيع الأدوار بين الرجل والمرأة في المجتمع، وهذه العملية ذات أهمية في تحديد طبيعة العمل والمهام المنوطة بكل واحد من الزوجين وما يتبعها من امتيازات، مسؤوليات، حقوق وواجبات. وبدلا من

تقاسم الأعباء بشكل متوازن ومتكافئ حسب القدرات والمهارات دون مفاضلة بينهما، فضلا عن توزيع المكاسب والامتيازات مادية أو رمزية ليس بالنظر إلى طبيعة المهام بحد ذاتها، بل على أساس تثمين الجهد المقدم لأدائها عضليا كان أو فكريا. بدلا من ذلك، تبرز عوامل اللاتكافؤ منذ المراحل الأولى من دورة الحياة من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، حيث يتم التمييز بين الجنسين عند الإعداد للأدوار المحددة اجتماعيا وثقافيا. لذلك فإن مقاربة النوع الاجتماعي والشراكة الأسرية تهدف إلى إبراز آليات عمل الواقع كما يصيغه المجتمع ويشكله لكل من المرأة والرجل بغاية الوصول إلى تخفيف الأضرار الناجمة عن ذلك. ومع أنها أضرار تلحق المرأة في المقام الأول، إلا أنها تطال المجتمع ككل في نهاية الأمر بحرمانه من جزء كبير من موارده البشرية.

كما رأينا يقتضي تحقيق الشراكة الأسرية التوزيع العادل للأعباء وهذا يمثل الحد الأدنى وليس الأعلى، لأن المطلوب هو العمل ضمن هذه الشراكة على تعديل الأدوار وتنويعها وإثرائها بما يسمح لكل طرف من القيام بواجباته والتزاماته الأسرية بشكل أفضل ودون إلحاق الضرر بالطرف الآخر، أو التقصير في أداء المهام المنوطة به. وفي هذا السياق يطرح التوفيق بين الالتزامات الأسرية والمهنية مشاكل متزايدة وحادة يواجهها كل من الرجل والمرأة على حد سواء، وإن كانت المرأة تتعرض لضغوط إضافية وأكبر في هذا المجال حيث تعمل التقاليد والقيم الموروثة على تحميلها مسؤولية تقديم التنازلات أكثر مما يفعل الرجل[٨٧].

وإذا كان هدف الشراكة الأسرية ليس قلب الأدوار رأسا على عقب، مثلما قد يتصور البعض أو يوحى إليهم[٨٨]، فإنها مع ذلك تهدف إلى إعادة النظر في القوالب الجاهزة والتصورات النمطية التي عملت ثقافة المجتمع وظروفه التاريخية، في مراحل سابقة، على إرسائها كقواعد ثابتة، على الرغم من أنها لم تكن إلا إجابات ظرفية وتاريخية أملتها شروط وظروف مجتمعية محددة خلال مراحل تاريخية من تطور البشرية. وبالتالي فإنها لا تكتسي أي صفة إطلاقية تخرجها من سياقها الزماني والمكاني، وترفعها إلى مرتبة القواعد والمبادئ العامة المطلقة أو اللاتاريخية، فضلا عن تقديسها.

تعتمد الشراكة الأسرية على تعاقد حر وصريح بين الزوجين، وهذا هو الأصل في العلاقة الزوجية مهما كانت الصيغ والأسس العقائدية والشرائع (دينية أو وضعية). ولكنها ليست علاقة تعاقدية من نوع الصفقات التجارية أو المالية، بل أبعد ما تكون عن ذلك، لأنها تستند إلى قاعدة من العلاقات والروابط العاطفية، سواء قبل الزواج أو بعده، حيث تنمو وتتطور في ظله حسب أوضاع وظروف وثقافة كل مجتمع. وفي كل الحالات يرتبط بقيام تلك القاعدة العاطفية قيام علاقات اجتماعية واقتصادية من خلال الزواج في صيغة روابط اجتماعية واقتصادية بين الأقارب والأصهار، وهي روابط غالبا ما تجسد استراتيجيات إعادة الإنتاج

الاجتماعي الموسع، التي تلجأ إليها الأسر في مختلف الثقافات لتعزيز مواقعها في المجتمع[٨٩]. وبهذا الصدد يطرح التساؤل التالي نفسه بحدة: ما هو موقع الأسرة في البلدان العربية من هذه السيرورة نحو بناء شراكة؟

٣ - ٤ - الأسرة بين الأبوية... والشراكة

إذا كان هناك إجماع حول مكانة الأسرة كوحدة اجتماعية أساسية ومؤسسة رئيسية تلعب أدوارا حاسمة في استقرار المجتمع وبقائه من جهة، وفي إعداد الأفراد والجماعات ليكونوا أعضاء فاعلين في هذا المجتمع من جهة ثانية. وإذا كانت هذه المكانة وتلك الأدوار الحاسمة عادة ما تؤخذ كمسلمات لا تحتاج إلى برهان ولا تطرح إشكالات، فإن ما يطرح في المقابل إشكالات وتساؤلات عدة، هو الصيغ والأنماط التنظيمية التي تأخذها هذه المؤسسة المحورية، وطبيعة العلاقات التي تنسج بداخلها وحولها، وهو ما حاولنا معالجته في الأجزاء السابقة من الورقة. لقد رأينا أنه حتى عهد قريب كانت الأسرة في المجتمعات العربية توصف من قبل عدد من الباحثين بكونها تقليدية، ممتدة وأبوية[٩٠]. وهناك من يقول إنها قد تحولت تدريجيا من حيث حجمها وبنائها ووظائفها من أسرة ممتدة لتصبح أسرة نووية حديثة، على الأقل من ناحية الشكل إن لم يكن المضمون[٩١]. لكن إذا كان النظام الاجتماعي برمته «نظاما أبويا جديدا»، على حد تعبير هشام شرابي، فكيف يمكن للأسرة أن تكون غير ذلك، وهي القاعدة الأساسية لهذا النظام؟ وهل هناك فرص فعلية للتحول نحو نموذج جديد هو الشراكة؟

إن الاستنتاج المنطقي وملاحظة الواقع يؤكدان أن الأسرة في المجتمعات العربية اليوم، على الرغم من التغيرات التي تعرضت لها بفعل التصنيع، والتوسع العمراني، والاندماج بقوة في النظام الرأسمالي العالمي، بكل قيمه المادية والثقافية، لا تزال في عمقها أسرة أبوية يتمتع فيها الرجل بسلطات معتبرة تتيح له سيطرة ونفوذا على المرأة والأطفال. وهي سيطرة ذات طابع مؤسسي تسندها قيم دينية، ومعايير أخلاقية، وقواعد اجتماعية على مستوى مختلف مؤسسات المجتمع. بينما تحتل المرأة موقعا أدنى وتتمتع بسلطة محدودة جدا، بل وتحرم من كثير من حقوقها الطبيعية مثل الحق في التعليم والتنقل، والعمل والتعبير عن الرأي، وأكثر من ذلك تتعرض لمعاملة عنيفة وقاسية في كثير من الأحيان. بل إن هذه الممارسات ذاتها التي تشكل خروقا صارخة لأبسط حقوق الإنسان اكتسبت طابعا مؤسسيا (في الأعراف والتقاليد والتفسيرات الفقهية لأحكام الدين والقوانين الوضعية).

إن الطابع الأبوي للأسرة في المجتمعات العربية يعني أن مكانة الأفراد ومواقعهم، وحظوظهم في ممارسة السلطة، أو فرص التمتع بحقوق معينة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعوامل الجنس والسن. فالزوجة تابعة لزوجها، وموقعها لم يتجاوز على العموم البيت العائلي، حيث تقوم بدورها الرئيسي وربما الوحيد كربة بيت. وفي الاتجاه نفسه نجد الأطفال تابعين لكبار

عالم الفكر
العدد 3 المجلد 36 يناير - مارس 2008

السن وتحت نفوذهم، وهي وضعية كثيرا ما تتجاوز مرحلة الطفولة لتشمل مراحل المراهقة والبلوغ والنضج، بحيث تبقى الوصاية الأبوية قائمة حتى والأبناء متزوجون ولهم أطفال.

مع ذلك، يبدو أن هذه الوضعية في تراجع اليوم في كل المجتمعات العربية، وإن بدرجات متفاوتة طبعا(٩٢). ويقدم لنا التيار العام، الذي نشهده منذ العشريتين الأخيرتين، عدة مؤشرات على عملية التغير هذه، من ذلك تزايد نسبة التعليم بين الإناث والارتفاع المطرد في نسبة اللواتي يكملن تعليمهن لمراحل عليا. ومن المثير للانتباه اليوم أن نسبة إقبال الإناث على التعليم أعلى من مثيلتها لدى الذكور. بل أكثر من ذلك، أن نسبة التفوق بين الإناث أصبحت تماثل، إن لم تتجاوز، النسبة لدى الذكور. كما أن نسبة النساء في القوى العاملة قد ارتفعت مع مرور السنوات على الرغم من بقائها دون المستوى المطلوب في كل المجتمعات العربية، حيث تتراوح بين ١٠٪ و٢٠٪ من القوى العاملة(٩٣). كل هذه العوامل من شأنها أن تساعد على تغيير نمط العلاقات الأبوية، فضلا عن تأثير العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية التي تتعرض لها المجتمعات العربية في ظل توسع وتأكيد تيار العولمة.

وهناك مؤشرات أخرى على عملية التغير البطيء، لكن الأكيد، الذي تعرفه الأسرة اليوم مثل تراجع نسبة الزواج المبكر، سواء بين الذكور أو الإناث، ارتفاع معدلات الاستمرار في التعليم حتى المراحل العليا، ارتفاع معدلات الهجرة بين النساء، سواء داخل البلد أو خارجه، وكذلك ارتفاع نسبة النساء اللواتي يشغلن مناصب عليا في الإدارات والهيئات الحكومية، مثل مؤسسات التعليم والصحة وفي قطاع الأعمال. هذه التغيرات وغيرها تجعلنا نتوقع مزيدا من التحولات التي ترسخ نمط الأسرة النووية من جهة، وتحدث تغيرات نوعية في طبيعة العلاقات الأسرية من جهة ثانية. فهناك اليوم أعداد متزايدة من الأبناء ذكورا وإناثا، بخاصة من ذوي المؤهلات العلمية والمهارات، يطمحون إلى تحقيق حلمهم في بناء أسر مستقلة بعيدا عن تأثير العائلة الأبوية وعلاقاتها التقليدية. بل قد أصبح ذلك واقعا بالنسبة إلى عدد كبير منهم، في ظل انتشار عوامل ملائمة مثل توسع نطاق التصنيع والعمران وما أحدثاه من خلخلة في البنى والعلاقات الاجتماعية القديمة، أضف إلى ذلك تنامي تأثير الأنماط الثقافية، والمعايير الاجتماعية الحداثية التي ساعدت عوامل مثل التعليم والتكنولوجيات الحديثة للاتصال على نشرها. فضلا عن دور الدولة ومؤسساتها، التي تجد نفسها اليوم مدفوعة لتشجيع هذا التيار، من خلال سياساتها الاجتماعية والاقتصادية المعبرة بقوة عن توجهات العولمة المؤكدة لقيم الليبرالية والفردانية. نقول ذلك من دون أن ننفي بالطبع وجود قدر مهم من التناقض والصراع بين التوجهات المتعارضة والمتناقضة، وهي ميزة لكل عمليات التغير الاجتماعي في كل الأزمان والأوطان.

وهكذا، فإن مؤشرات التغير في المستقبل المنظور تؤكد زيادة فرص وحظوظ تطور الأسرة العربية نحو نموذج الشراكة بين الرجل والمرأة، وسيادة علاقات أكثر توازنا من ذي قبل، حيث

تخضع عملية توزيع الأدوار الاجتماعية لمراجعة مستمرة، وإن كانت بطيئة بفعل تأثير عوامل عدة، منها الذاتية ومنها الموضوعية (حاولنا تحليل بعضها في الأجزاء السابقة). وهو ما يجعل توزيع الأعباء أكثر توازنا ويخضع عملية اتخاذ القرار بشكل متزايد للحوار والتفاوض والاتفاق بين الزوجين وحتى الأبناء. لكن، ينبغي التأكيد على الطابع غير المنتظم لهذه التغيرات؛ لأنها متفاوتة وغير متماثلة سواء بين القطاعات (قطاع الصناعة، الخدمات، الزراعة) أو بين الفئات والطبقات الاجتماعية (نظام الملكية، الموقع في نظام الإنتاج، مستويات التعليم، درجات المهارة، مستويات الدخل، أنواع المهنة...)، أو المناطق العمرانية (المدن، الأرياف، البوادي...)[٩٤].

٤ - ٤ - التنشئة الاجتماعية: الخيارات الممكنة

يستند نموذج التنشئة السائد في البلاد العربية على أبنية الأسرة الأبوية السلطوية المستبدة، القائمة على تمجيد قيم الذكورة والرجولة في المجتمع العربي، ويعمل على ترسيخ صورة نمطية عن الرجولة وقيمها، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، تحمل في طياتها مخاطر كبرى على الحياة الأسرية، بما في ذلك العلاقة بين الزوجين وعلاقتهما بالأطفال. يقوم النموذج الأبوي السلطوي السائد في غالبية المجتمعات العربية اليوم على مجموعة صفات لعل أهمها:

- أن «الرجل الحقيقي» هو الذي يفعل وليس موضوعا للفعل، بمعنى أنه يفرض شروطه على الآخرين، ويكون عنيفا في التعبير عن رغباته وحاجاته، وفي السعي لتحقيق أهدافه.
- أن «الرجل الحقيقي» هو رب العائلة، هو المعيل لأهله ولبيته، وله كامل الحق في استعمال موارده حسب ما يراه لائقا وما يحلو له.
- أن «الرجل الحقيقي» قوي لا يعترف بسهولة بأخطائه وقد لا يعترف بها إطلاقا. لا يساوره الشك والتردد لأنها من صفات الإنسان الضعيف.
- كما أن التعبير عن العواطف وإظهار المشاعر نقطة ضعف ينبغي تفاديها، ولذلك «فالرجل الحقيقي» يعير اهتماما قليلا جدا لمشاعر وأحاسيس شريكته في الحياة.

إن هذه الصورة النمطية، بعناصرها المتعددة التي ترسمها القيم والمعايير المجتمعية للرجل، لا تتطابق في غالب الأحيان مع واقع الرجل في المجتمعات العربية. بل على العكس، هناك هوة عميقة أو شرخ كبير يفصل الصورة النمطية الوهمية عن الواقع الفعلي، واقع الرجل/ الذكر المقموع، وواقع المجتمع العربي الأبوي الحقيقي، وليس الخيالي الموجود في التصورات والمعتقدات التقليدية. إن الرجل الذي ينشأ على هذه الصورة ويفرضها على نفسه، بطريقة واعية أو غير واعية، محاولا تطبيقها في حياته، يكون قد كتب على نفسه الفشل والإخفاق في حياته الأسرية، ويكون قد قبل بوضع نفسه تحت ضغوط رهيبة لن يكون بمقدوره تحملها من دون آثار سلبية في صحته الجسمية والنفسية وفي علاقاته الاجتماعية.

في مجتمعات وثقافة تميزهما «الأبوية الجديدة» كنظام مجتمعي، ويقع قبولها كصيغة مثلى لبناء الحياة الأسرية، يجد الرجال والنساء أنفسهم أسيري نمط من العلاقات الاجتماعية، تتسم بالسيطرة والخضوع والتبعية؛ فالمرأة من دون زوج ليس لها مكانة اجتماعية، وتجد صعوبات كبيرة جدا في توفير سبل الحياة، ووسائل العيش، فضلا عن الطموح إلى حياة كريمة كإنسان لها مشاعر وأحاسيس وطموحات. والرجل أيضا ليس بمنأى عن الشرك الذي ينسجه لنفسه بتلك الصورة النمطية للرجولة، لأنه قد يجد نفسه في وضعية محرجة للغاية، فهو بلا زوجة للقيام بالمهام المنزلية (الطبخ، العناية بالبيت وتربية الأولاد) سوف يواجه مشاكل معقدة للغاية لأنه غير مؤهل لمواجهتها منذ البداية.

الأدهى من ذلك أن الرجال الذين لا يستطيعون تحقيق التوقعات التي تفرضها عليهم الصورة النمطية للرجولة، بمعنى أن يكونوا أقوياء وأكفاء، وهم كثيرون في مجتمعات تتميز بتفاوت صارخ في توزيع الثروة والقوة وموارد السلطة، سيضطرون إلى الانسحاب من الحلبة يجرون أذيال الخيبة والمرارة. وسيكون رد فعلهم سلبيا للغاية، بحيث يحاولون الخروج من هذه الوضعية المحبطة والمخيبة للآمال باللجوء إلى العنف، أو السقوط في عالم الجريمة والمخدرات والكحول، واعتماد العنف أسلوبا في التعامل مع الآخرين. وسوف يصبون جام غضبهم على من هم أضعف منهم وأقرب إليهم (الزوجة والأبناء في هذه الحالة). أو أنهم سيحاولون المخاطرة والمبالغة في إبراز سلوك رجولي في غير محله، يعرضهم هم ومن معهم لمخاطر حقيقية في محاولة يائسة وبائسة لإثبات الذات، نزولا عند ضغط الصورة النمطية التي رسختها عمليات التنشئة والتطبيع الاجتماعيين في العقول وفي النفوس.

في مقابل ذلك تستند التنشئة في الأسرة القائمة على فكرة الشراكة على مجموعة من المبادئ والأسس التي لها قيمة خاصة في تكوين الشخصية القوية والمستقلة للفرد. من تلك المبادئ الاعتماد على الذات والثقة بالنفس، تثمين الحرية والاستقلالية، الاحترام المتبادل، إضافة إلى صفات أخرى مثل الفكر النقدي، والتسامح، والحوار، وحرية التعبير عن الرأي والمواقف المختلفة بطرق سلمية، بعيدا عن كل أشكال الضغط والقسر التي عادة ما تولد ردود الفعل العنيفة، أو التصرفات غير السوية، وتصيب شخصية الأفراد باضطرابات وتوترات.

لذلك، فإن التعبير الحر عن المشاعر والعواطف، سواء كانت موجبة أو سالبة، أمر ضروري وغاية في الأهمية لتأمين تنشئة اجتماعية سليمة للأطفال. على هذا الأساس يمكنهم أن يتعلموا منذ البداية تقدير الجهد والمسؤولية، وتثمين الروابط الأسرية لما توفره من سند أساسي لا غنى عنه، بخاصة في المراحل الأولى من دورة الحياة الاجتماعية (الطفولة والمراهقة)، باعتبارها المراحل الأكثر حساسية والأهم في تكوين شخصية الفرد. كما تقدم الأسرة القائمة على الشراكة نموذجا حيا وعمليا يتجاوز التناقض بين الخطاب

والواقع، الذي يسم النموذج الأبوي التقليدي في التربية، الأمر الذي يسمح للأطفال بأن يتعلموا - بالممارسة - قيما أساسية مثل التعاون والتضامن والتنافس النزيه والتفاوض كسبل لحل النزاعات والخلافات، والمشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات التي تهم حياة الأسرة حاضرا ومستقبلا.

خلاصة

تقف العولمة وراء تحولات كبرى في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، ولعل أهم ما يميز تلك التحولات هو الانتقال من مظاهر وأنماط سلوك وممارسات وأساليب حياة ذات طابع محلي، خاضعة في اشتغالها لآليات محلية تحددها طبيعة الأنظمة والقوى الاجتماعية وأهدافها وخياراتها المرتبطة بعناصر ثقافتها وهويتها الإثنية والدينية، إلى عمليات تخضع لعقلانية كونية تتحكم فيها عوامل ومتغيرات جديدة تتجاوز تلك المحددات «التقليدية». هكذا، صارت المجتمعات، بتعبير أحد الملاحظين، «تعيش كتفا لكتف»، إشارة إلى كسر حواجز الزمان والمكان وإعادة صياغتها، وكذلك تجاوز الحواجز اللغوية والثقافية بفضل لغة وثقافة الصورة والإشارة. وقد أدى ذلك إلى تكثيف درجة التفاعل، والتبادل والتأثير فيما بين المجتمعات والثقافات لمستوى لم تبلغه من قبل، مما جعل الفضاءات الثقافية لكثير من المجتمعات تزخر بعناصر ومحددات ذات طبيعة كونية، بفعل عملية التنميط الثقافي والسلوكي واستبطان المنظومات القيمية الجديدة. كل ذلك ساعد على تشكيل ثقافات متماثلة، وإن لم تكن بالضرورة متجاورة في الزمان والمكان.

إن مصاحبات العولمة «يجري امتصاصها ويعاد إنتاجها» بشكل غير مباشر لا يخلو من كثير من التعديل والتحوير على عناصرها ومكوناتها الأساسية. وهو ما يطلق عليه البعض صراحة عبارة «توطين العولمة»، حيث تعمل المنظومة الثقافية المحلية على إعادة تشكيل نفسها في مواجهة التأثيرات الخارجية، وقد يأخذ ذلك صيغا متنوعة منها؛ إعادة ترتيب أو إعادة تركيب العناصر الثقافية، أو إعادة إنتاجها في صيغ جديدة، وغالبا ما يحدث ذلك في شكل دمج إبداعي بين عناصر ثقافية خارجية وعناصر ثقافية محلية، مما ينتج نموذجا توليفيا يحقق المتطلبات الداخلية للمنظومة الثقافية ويستوعب تأثيرات المفاعيل الخارجية.

وتبدو الأسرة في المجتمعات العربية اليوم في زمن العولمة والتحولات البنيوية الكبرى كأنها في مفترق الطرق، حيث تتزايد الضغوط والإكراهات الخارجية من جهة، والتحديات والرهانات الداخلية من جهة ثانية. ولعل أهم ما تخلص إليه هذه الورقة هو التنويه بمحاولات التحليل والتفكير النقدي الجارية اليوم حول هذا الموضوع الحيوي، وبضرورة المزيد من الدراسات والأبحاث العلمية حول سيرورة التحولات التي تعيشها المجتمعات العربية عموما، ومؤسسة الأسرة خصوصا. لعل ذلك يسمح لنا بفهم وتفسير الإواليات الأساسية وراء تلك

التحولات، وتوضيح مساراتها والعوامل المؤثرة فيها، ومن ثم تقدير المصاحبات والآثار التي رافقتها، وصولا إلى استشراف آفاقها المستقبلية.

من أجل تحقيق ذلك، سوف يكون من الضروري اعتماد تصور نظري بديل، تصور كلي وشمولي ينطلق من التحولات الجارية في الكلية الاجتماعية، ويرصد الارتباطات والتأثيرات الموجودة بين المستويات المختلفة، **المستوى الاقتصادي** (عولمة السوق وإواليات اشتغالها على المستوى العالمي والمحلي)، **والمستوى الاجتماعي** (الارتباطات بين الأجهزة الأيديولوجية مثل الأسرة، المدرسة، منظومات الاتصال، الدين، تنظيمات المجتمع المدني...). **والمستوى السياسي** (ديناميكية تشكيل القوى السياسية، فرص التفاوض على فتح الحقل السياسي للممارسة الديموقراطية، تكوين ثقافة سياسية تعددية، التداول السلمي للسلطة، وإرساء قواعد الشفافية والحكم الراشد).

وتبقى النقطة الحاسمة، باعتقادنا، هي الانتباه إلى الصفة المميزة للتشكيلات الاجتماعية العربية، كونها تشكيلات غير مكتملة وغير ناضجة، تتسم بتمفصل وتقاطع أو تعايش عدة أنماط ونماذج من العلاقات وأشكال التنظيم، تنتمي إلى تشكيلات تاريخية متفاوتة، قبل الرأسمالية القائمة على المتحدات الاجتماعية (القبيلة، العشيرة، العائلة الممتدة) ومنها الرأسمالية (القائمة على الطبقات الاجتماعية، التراتب المهني، تنظيمات المجتمع المدني، والأسرة الأولية)، والآن كيانات العولمة (الانتماء لتكتلات اجتماعية فوق وطنية مثل الشركات العابرة للأوطان وتشكيل طبقات عالمية من رجال الأعمال، وحتى المواطن العالمي من خلال تطبيق الشرعة الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، وحق التدخل باسمها كما يجري في عدة مواقع من العالم اليوم [٩٥].

في الواقع، لا يسعنا في النهاية سوى الاتفاق مع الطاهر لبيب، الذي يرى أن تجاوز أوجه القصور التي تعاني منها دراسات الأسرة في البلاد العربية يستدعي عددا من الخطوات المترابطة والمتكاملة: «أولا، تحديد البنية الأسرية والبنية الاجتماعية المدروستين. وثانيا، البحث في طبيعة العلاقة بينهما، مع عدم التسليم مسبقا بأنها علاقة تأثير سببي. وثالثا، النظر تحليليا وتفسيريا إلى البنيتين، وبالتالي إلى العلاقة بينهما على أنهما متغيران باستمرار» [٩٦]، ونضيف من جهتنا نقطة رابعة هي ضرورة وضع كل ذلك ضمن إطار أوسع يتجاوز ويستوعب كلا من البنية الاجتماعية والأسرة معا.

الهوامش

1 Jan Pahl, Money and Marriage. Macmillan, London 1989.

2 United Nations, Family: challenges for the future. UN. Publications, sales, No E99 IV p4.

3 UN, Family challenges. Ibid p5.

4 U.N, Families: agents and beneficiaries of socio-economic development. Occasional papers series, No16, 1995, Vienna.

5 انظر الطاهر لبيب: «الأسرة العربية: مقاربات نظرية» المستقبل العربي، السنة ٢٧، العدد ٣٠٨، ص ٧٩ - ١٠٢.

6 زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية... الجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦، ص ٤٣ .

7 انظر يعقوب قبانجي، «منظومة القيم العائلية في الوطن العربي: محاولة نقدية» المستقبل العربي، السنة ٢٧، العدد ٣٠٨، ص ١٠٣ - ١٢٨.

8 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ٧١ .

9 زهير حطب، مرجع سابق، ص ٤٣ .

10 انظر بهذا الخصوص: G. Duncan Mitchell, (ed), A Dictionary of Sociology, Routledge & Kegan Paul, London, 1977, pp. 76-77.

11 انظر ملف: «الأسرة العربية المعاصرة: رؤى ومقاربات» المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٣٠٨ .

12 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ٧٢ .

13 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ٨٤ و ٨٥ .

14 انظر يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١١٠ - ١١٤ . يلاحظ هنا الاختلاف بين مواقف كل من الطاهر لبيب، ويعقوب قبانجي وموقفنا الخاص.

15 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ٩٠ - ٩٤ .

16 يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١١٠ - ١١٤.

17 يقول إن هذه الصعوبات والاختلافات تتحول إلى موضوع نقاش بين المتخصصين في السوسيولوجيا الغربية، وهو نقاش منتج لأفكار وأطروحات جديدة، بينما يأخذ في الحالة العربية صيغة نقاش بين منتمين لمنظومات فكرية متباينة ومتباعدة، وأحيانا إلى أزمنة مختلفة، مما يزيد في توسيع الفجوة ولا يغني مجال البحث والدراسة بخلاصات نظرية أو نماذج تفكير تحظى بالاتفاق النسبي للمشتغلين في حقل البحث. الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ١٠٠ .

18 يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

19 هذا النظام الذي يقوم على ثلاثة أركان هي: السلطة الأبوية Patriarchal، والنسب الأبوي Patrilineal، والإقامة تحت سقف الأب Patrilocal، انظر حليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٠، ص ٣٥٥ .

20 سوف نتعرض بشيء من الإسهاب لمفهوم النوع الاجتماعي في الجزء التالي من الورقة.

21 J.A. Doyle, Sex and Gender: the human experience, Dubrique, W.C Brown, USA, 1985, p 96.

22 Jan pahI, Money and Marriage, op. cit pp.168-175.

23 يلاحظ أهمية الإنجاب في حياة المرأة المتزوجة من خلال تغير موازين القوة لمصلحتها، حيث ترتفع نسبة الطلاق بين النساء اللائي لا ينجبن، حتى في الحالات التي يثبت فيها عدم مسؤوليتهن عن ذلك.

24 انظر مثلا الانتقادات الموجهة لمساهمة هشام شرابي من قبل الطاهر لبيب، ويعقوب قبانجي، المستقبل العربي، مرجع سابق.

25 هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢ (الطبعة الإنجليزية صادرة في ١٩٨٨).

26 المرجع نفسه، ص ١٦ .

27 أفضل مثال على هذا الموقف أو الذهنية أن الرجل في المجتمع العربي لا يذكر زوجته باسمها عند الحديث عنها بل يستعمل ضمير الغائب «هي»، أو تعابير شتى مثل الحرمة، أو المخلوقة، أو العائلة...إلخ. وكلها تشترك في تغييبها للمرأة ككائن مستقل معروف؛ لأن وظيفة الاسم هي التعريف.

28 لقد شرحت في موقع آخر هذه الظاهرة من خلال ما أسميته بالدوائر الدغمائية الثلاث ممثلة في العائلة والدين والدولة، حيث نجد النزعة القوية والراسخة نحو احتكار الحقيقة والقوة. انظر عملي: سوسيولوجيا الديموقراطية والتمرد بالجزائر، دار الأمين للطباعة والنشر ومركز البحوث العربية، القاهرة ١٩٩٩، فصل بعنوان: «العنف... الديموقراطية والمثقف»، ص ٢٥ - ٣٩ .

29 منذ ابن خلدون، مرورا بالدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها لويس مورجان، إلى دراسات فردريك إنجلز حول أصل العائلة، والملكية الخاصة والدولة، إلى دراسات حليم بركات، هشام شرابي وزهير حطب وغيرهم من الباحثين العرب.

30 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون «المقدمة» دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٧١، ص ٣٥٤ .

31 ابن خلدون، المرجع نفسه، ص ٣٥٤ .

32 هشام شرابي، مرجع سابق، ص٤٦ .

33 الفكرة مستمدة من عمل هشام شرابي مع بعض الإضافات والتعديلات عليها فيما يخص تأثير عاملي الخروج العمل والتعليم ودور مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى التي لم تنل اهتماما يليق بها في فكرة شرابي. انظر هشام شرابي، مرجع سابق، ص ٥٠ .

34 انظر كل من ورقتي لبيب وقبانجي في المستقبل العربي، مرجع سابق.

35 يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١٢١ .

36 ذلك ما تذهب إليه جل الدراسات التي تناولت موضوع تطور الأسرة العربية على اختلاف منطلقاتها، انظر مثلا: ثريا التركي وهدى زريق: «تغير القيم في العائلة العربية» المستقبل العربي، السنة ١٨، العدد ٢٠٠، أكتوبر ١٩٩٥، ص ٧٦ - ١١٥ن، كذلك مي يماني: هويات متغيرة: تحدي الجيل الجديد في السعودية، بيروت، رياض الريس، ٢٠٠١، وسمية نعمان جسوس، بلا حشومة: الجنسانية النسوية في المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣، وباقر النجار: «العولمة ومستقبل الأسرة في الخليج العربي» المستقبل العربي، السنة ٢٧، العدد ٣٠٨، ص ١٢٩ - ١٤٢، وكذلك عبد الصمد الديالمي: «الجنسانية في المجتمع العربي المعاصر: ورقة عمل» المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٢٩٩، يناير ٢٠٠٤، ص ١٣٨ - ١٦٧ سوف نتناول تأثيرات العولمة بشيء من التفصيل في قسم لاحق من هذه الورقة.

37 انظر على سبيل المثل المساهمات في ملف «الأسرة العربية: رؤى ومقاربات» المستقبل العربي، مرجع سابق، ص ٧٩ - ١٤٢ . وكذلك ورقة العمل والحلقة النقاشية حول «الجنسانية في المجتمع العربي المعاصر»، المستقبل العربي، مرجع سابق، ص ١٣٧ - ٢٠٨ .

38 انظر بخاصة مساهمات الطاهر لبيب ويعقوب قبانجي في المستقبل العربي، مرجع سابق.

39 تعتبر أعمال هشام شرابي حجر الزاوية في هذا الاتجاه، انظر: البنية البطركية: بحث في إشكالية المجتمع العربي المعاصر، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٧، وكذلك، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣ .

40 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ٨٧ .

41 انظر خلدون حسن النقيب، في البدء كان الصراع: جدل الدين والإثنية، الأمة والطبقة عند العرب، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٧، ص ٢٣٢ و ٢٣٣ .

42 انظر دراسة أبوبكر باقادر« الأسرة والمجتمع والدولة: دراسات في الاجتماع والفقه الأنثربولوجيا» الاجتهاد، العددان ٣٩ و ٤٠، ١٩٩٨، ص١٣ . وارد في لبيب، مرجع سابق.

43 أمثلة كثيرة نسوقها من بلاد المغرب خصوصا في المناطق الجبلية بين الأهالي من «البربر أو الأمازيج»، سواء في الشمال أو بين التوارق في الجنوب، حيث تحظى المرأة بموقع قوي في بنية العائلة والنظام القرابي. انظر مثلا دراسات بورديو عن منطقة القبائل في الجزائر:

Bourdieu, P. Sociologie de l'Algérie. Editions,PUF, 1962.

وكذلك أعمال فرانز فانون حول مشاركة المرأة في الثورة الجزائرية ودور الثورة في تغيير الذهنيات والتقاليد والعادات في المجتمع الجزائري بالنسبة إلى المرأة:

Fanon, F. Sociologie d'une révolution, ou l'an cinq de la révolution algérienne. Francois Maspero,. Paris 1960

44 يتعرض الطاهر لبيب في عمله المذكور سابقا - بشيء من التفصيل - لهذه الثنائيات المميزة لدراسات الأسرة العربية. انظر الطاهر لبيب، مرجع سابق.

45 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ٩٦ .

46 هذا النقد وجهه قبانجي إلى كل من التركي وزريق. انظر قبانجي مرجع سابق، ص ١٠٧ . لكننا نعتقد أن التمركز الأوروبي أضحى حالة عالمية في ظل العولمة، وبالتالي ينتفي أساس هذا النقد. من جهة ثانية تشكل المرجعية الأوروبية حالة منتشرة بين الباحثين، ربما لهذا السبب بالذات (العولمة حتى قبل انتشار هذه التسمية) وقبانجي نفسه لا ينجو من هذا المأخذ إن كان كذلك.

47 انتشرت في عديد من البلدان العربية أشكال متنوعة للزواج، ومن ثم التنظيم الأسري، منها الزواج العرفي وزواج المسيار، كما توسعت الجنسانية قبل الزواجية غير البغائية بشكل مثير، فضلا عن ظهور أشكال من الأسرة أحادية الوالد (الأب وأطفاله، أو الأم مع أطفالها) وهي ظواهر مرتبطة بانتشار الطلاق وحالات أخرى من التفكك الأسري، فضلا عن انتشار ظاهرة الأمهات العازبات.

48 جاء ذلك في دراسة ثريا التركي وهدى زريق «تغير القيم في العائلة العربية» ص ٩٢، أوردها يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١٠٧ .

49 انظر دراسة التركي وزريق ص ١٠١ و ١٠٢ و١٠٤ وارد في يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١٠٨ .

50 يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١٠٩ .

51 انظر مثلا، العياشي عنصر: سوسيولوجيا الديموقراطية والتمرد بالجزائر، دار الأمين ومركز البحوث العربية، القاهرة، ١٩٩٩. وكذلك «المجتمع المدني بين المفهوم والواقع: حالة الجزائر»، مجلة رواق عربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، السنة ٦، العدد ٢٢، ٢٠٠١، ص ٤١ - ٦٨ من أجل مقارنة الشروط التاريخية لظهور الديموقراطية والمجتمع المدني في البلدان الأوروبية بحالة البلدان العربية.

52 تجدر الإشارة هنا إلى حالة «التململ» التي تعيشها المنطقة العربية بسبب المطلب الملح للتغيير والإصلاح، سواء جاء ذلك من قوى خارجية ومشاريعها الجيوستراتيجية لإعادة تنظيم منطقة الشرق الأوسط، أو كان مطلبا داخليا ترفعه القوى الاجتماعية والسياسية منذ فترة طويلة. هناك مشاريع عديدة تموج بها الساحة العربية، لكن حالة الاحتقان السياسي والاجتماعي وتوسع رقعة العنف المسلح يجعل مآل واتجاه هذه الحركة صعب التحديد في المستقبل المنظور. لكن تأثيراته في البنية الاجتماعية ومن ورائه البنية الأسرية مهمة جدا. موجة التململ هذه أدت - على المدى القصير - إلى عدد من التغيرات المهمة في انتظار البقية،من ذلك توسيع المجال الحيوي للديموقراطية في عدد من البلدان العربية (توسيع رقعة البلدان التي لجأت إلى انتخابات «حرة وتعددية»، إصدار تشريعات مدنية متطورة تخص المرأة والأحوال الشخصية عامة (المغرب، الجزائر، البحرين، الكويت، مصر...).

53 أمثلة عديدة يمكن أن نستشف فيها هذا التوجه الواعد في تحليل إشكاليات التحول الاجتماعي وتأثيراتها في البنية الأسرية، انظر مثلا: دراسة التركي وزريق: «تغير القيم في العائلة العربية» المستقبل العربي، مرجع سابق، وكذلك باقر النجار: «العولمة ومستقبل الأسرة في الخليج العربي»، مرجع سابق. أما بغير العربية فهناك أمثلة عديدة منها:

-Adel faouzi, " La crise du mariage en Algérie", Insaniyat, Revue Algérienne d'Anthropologie et des Sciences sociales, No. 4, 1998, pp. 52-62.

- Dib Marouf Ch. " Rapports sociaux, rapports matrimoniaux et conditions féminine en Algérie" Insaniyat, No. 4, 1998, pp12-21.

- Layachi Anser, "Matrimonial strategies, Social reproduction and Integration : a case study of Executives in Algeria" paper submitted to The UAEU 6th Annual Research Conference, 24-26 April 2005, forthcoming Publication in Current Sociology.

54 أعمال بورديو حول الموضوع كثيرة انظر مثلا: Bourdieu, P: "A propos de la famille comme catégorie réalisée" Actes de la Recherche en Sciences Sociales, No. 100, 1993, pp.32-36, See also; "Strategies de reproduction et mode de domination", Actes de la Recherche en Sciences Sociales, No. 104, 1994, pp.3-12, et La domination Masculine, Paris, éditions seuil, 1998.

55 راجع بصدد حالة الجزائر مثلا:

- العياشي عنصر، سوسيولوجيا الديموقراطية والتمرد بالجزائر، مرجع سابق

- لياس بوكراع: الجزائر: الرعب المقدس، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر ٢٠٠٣ (تعريب خليل أحمد خليل).

56 تشير الإحصائيات الرسمية إلى أن قوة العمل النسوية لا تتجاوز ١٥٪ من إجمالي القوة العاملة في أي بلد عربي، فضلا عن أن معظم النساء العاملات غير مؤهلات ويتمركزن في مناصب العمل المؤقتة أو الموسمية. أما المستقرات منهن فيتمركزن في قطاعات أصبح لها طابع نسوي واضح مثل التعليم، الصحة، الإدارة العمومية والصناعات الخفيفة لدى القطاع الخاص، مثل النسيج، الأغذية، مواد التجميل... يشكلن قوة عمل غير مصرح بها في حالات كثيرة تعمل في أسوأ الظروف. يضاف إلى ذلك أعداد متزايدة لكن يصعب تقديرها، تعمل في القطاع غير الرسمي أو الهامشي. انظر أعمالنا:

Layachi Anser : The Process of working Class Formation in Algeria, Unpublished PhD Thesis, Uni-

versity of Leicester, England, 1992.

See also my "Industrialization and Working class Formation in Algeria", The Arab Journal of Economic Research, No, 2, Cairo, fall 1993, pp 83-109.

57 ذلك ما عبر عنه كل من الطاهر لبيب، انظر المرجع السابق، ص ٩٧، وكذلك يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ص ١١٩، وباقر النجار: «العولمة ومستقبل الأسرة في الخليج العربي» مرجع سابق. وعبد الصمد الديالمي «الجنسانية في المجتمع العربي المعاصر»، مرجع سابق.

58 جورج طرابيشي: تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٦١ - ١٦٣ .

59 انظر مثلا باقر النجار، مرجع سابق، ١٣٠ .

60 أحسن مثال على ذلك الخلاف والجدل الذي ميز أعمال مؤتمر بكين حول الأسرة والمؤتمرات اللاحقة وآخرها مؤتمر نيويورك في شهر يناير الماضي، حيث يلاحظ الاختلاف الواضح في وجهات النظر والمواقف بين تنظيمات المجتمع المدني ذات التوجه العلماني الليبرالي، ومواقف الحكومات والتيارات الدينية المحافظة، ومنها البلدان العربية.

61 حدث ذلك في بلدان مثل الجزائر، المغرب، مصر، الأردن، البحرين،الكويت، وحتى السعودية بأشكال ومستويات مختلفة، لكنها تعبر كلها عن استجابة الأنظمة السياسية للضغوط الخارجية والداخلية المتزايدة، وإن كانت معظم التغيرات شكلية ومحدودة الأثر، بفعل تقييدها الفضاء السياسي والإعلامي وهشاشة القاعدة الاقتصادية، وضعف وتشرذم القوى الاجتماعية البديلة التي تحمل رايات التغيير.

62 انظر بهذا الخصوص أعمال بيار بورديو حول الأسرة واستراتيجيات الارتقاء الاجتماعي، مرجع سابق. كما يمكن مراجعة دراسة حديثة عن الجزائر

L. Anser, "Matrimonial Strategies, Social Reproduction and Integration: a case Study from Algeria" ، in Current Sociology (forthcoming).

63 هناك دراسات عديدة حول هذه الظواهر في بعض بلدان الخليج العربي التي أدت فيها الطفرة النفطية إلى تحولات عميقة في البناء الأسري. انظر مثلا: عائشة أحمد بشير، «التغير الاجتماعي وتأثيره على الأسرة في مجتمع الإمارات» في أعمال ندوة الأسرة في الإمارات، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، ١٩٩٩، ص ٩٩ - ١٣١ . كذلك، عبدالله لؤلؤ وآمنة خليفة، الأسرة الخليجية: معالم التغير وتوجهات المستقبل، مؤسسة الاتحاد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٦ . أيضا هند القاسمي، الثابت والمتغير في ثقافة المرأة في الإمارات: دراسة ميدانية، سلسلة الرسائل العلمية، جمعية الاجتماعيين، الشارقة ١٩٩٨ . وكذلك نورة علي الزعابي، بحث في شأن تأخر سن الزواج وآثاره الاجتماعية: دراسة تطبيقية على مجتمع الإمارات، جائزة العويس للدراسات والأفكار العلمية، الدورة السابعة، ندوة الثقافة والعلوم، ١٩٩٦ .

64 يشير يعقوب قبانجي الى سببين أحدهما داخلي يتعلق بالأسرة، والثاني خارجي يتعلق بدور المدرسة، ونرى من جهتنا ضرورة إضافة منظومة الإعلام والاتصال وما تقوم به من دور حاسم في الربط بين الأسرة ومتطلبات السوق المعولمة. انظر يعقوب قبانجي، مرجع سابق، ١٢٣ .

65 انظر عبد الرحمن عزي : «الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية»، المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٢٩٥، سبتمبر ٢٠٠٣، ص ١٥ - ٣٤، وكذلك نادية رضوان، دور الدراما التلفزيونية في تشكيل وعي المرأة: دراسة اجتماعية ميدانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ .

66 انظر عباس أحمد، «المشكلات الأسرية والتنشئة الاجتماعية في مجتمع الإمارات» في المشكلات الاجتماعية في الإمارات، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، ١٩٩٣، ص ١٠٣ و ١٠٤ .

67 عبد الصمد الديالمي، «الجنسانية في المجتمع العربي المعاصر» مرجع سابق، ص ١٦٩ .

68 المرجع نفسه.

69 عبد الصمد الديالمي، المرجع نفسه، ص ١٧٠ .

70 المرجع نفسه، انظر كذلك قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر، «المؤتمر الوطني الثالث لعلم الاجتماع»، الخبر الأسبوعي، العدد ٢٥٨، بتاريخ ٧ - ١٣ فبراير ٢٠٠٤، ص ١٠.

71 المرجع نفسه، ص ١٧٠ .

72 Soumaya Naamane-Guessous, Au delà de toute pudeur.

وتفيد الدراسة أن الفتيات يلجأن إلى ممارسات جنسية بديلة حفاظا على بكارتهن أورده عبد الصمد الديالمي، مرجع سابق، (ص ١٤٩ و ١٥٠).

73 المرجع نفسه.

74 من أجل صورة كاملة عن الوضع في البلاد العربية عموما والبلدان غير النفطية خصوصا، انظر، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ . القسم الأول وكذلك الفصل السابع، حيث نجد عرضا مفصلا عن الأوضاع في البلاد العربية.

75 وهو ما دفع حكومات تلك البلدان إلى غض الطرف عنها والتساهل مع ممارسيها، كونها تتحمل مسؤولية عدم توفير مناصب العمل وانتشار البطالة بين قطاعات واسعة من الشباب.

76 لمزيد من التفصيل حول هذه المسائل انظر ورقة عبد الصمد الديالمي، وكذلك الحلقة النقاشية حول «الجنسانية في المجتمع العربي المعاصر»، المستقبل العربي، مرجع سابق.

77 لقد أصبحت هذه الظواهر مشكلات تؤرق أصحاب القرار في كل البلدان العربية وبخاصة الخليجية منها، لما لها من تأثير في البنية السكانية ومصاحبات اجتماعية وثقافية مهمة، حتى أن بعض هذه البلدان سنت قوانين تمنع زواج الأجنبيات، وسياسات لدعم الزواج بين مواطنيها، انظر مثال صندوق الزواج في الإمارات العربية المتحدة.

78 المعطيات الإحصائية مأخوذة عن تقرير حول «أشغال المؤتمر الوطني الثالث لعلم الاجتماع»، الذي نظمه قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر في ٢٠ و٢١ يناير ٢٠٠٤ . انظر، الخبر الأسبوعي، العدد ٢٥٨، بتاريخ ٧ - ١٣ فبراير ٢٠٠٤، ص١٠.

79 انظر مثلا باقر النجار، «العولمة ومستقبل الأسرة في الخليج العربي»، مرجع سابق، حيث نجد إحصاءات عن تطور معدلات الطلاق في بعض بلدان الخليج، مثل الكويت والبحرين والسعودية، وتأثيرها في تراجع معدلات الإنجاب. وكذلك عبدالله لؤلؤ وآمنة خليفة، مرجع سابق، وعباس أحمد: مرجع سابق، ونورة الزعابي: مرجع سابق.، فيصل محمد خير الزراد وعطوف ياسين: دراسة تشخيصية لظاهرة الطلاق في دولة الإمارت العربية المتحدة، دار القلم، دبي ١٩٨٧. محمد عيسى السويدي وآخرون، المطلقات في دولة الإمارات: دراسة إحصائية اجتماعية، القراءة للجميع، دبي، ١٩٩٠ .

80 صادقت كل الدول العربية على الاتفاقيات والمواثيق والعهود الدولية الخاصة بالأسرة وحقوق المرأة ومنع التمييز ضدها، مثل وثيقة بكين ١٩٩٤، وبكين زائد خمسة وبكين زائد عشرة (مؤتمر نيويورك المنعقد في بداية سنة ٢٠٠٥)، واتفاقية حقوق الطفل فضلا عن النصوص الأساسية للشرعة الدولية لحقوق الإنسان

(الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والبروتوكولات الملحقة به). ونلاحظ الآن موجة الإصلاحات التي شملت جوانب عدة من المنظومة التشريعية في عدد من البلدان العربية.

81 United Nations, 1995, U.N, 2000, U.N 2001, cited in The World Bank, Integrating Gender into World Bank's Work: A Strategy for Action, Jan. 2002.

82 The World Bank, the World Bank Operational Manual: Gender and Development. march 2003.

تلك المحاور هي: **أولا**، الأدوار الاجتماعية والاقتصادية المختلفة لدى الإناث والذكور، بما في ذلك درجة اندماجهم في اقتصاديات السوق والمنزل على حد سواء. **ثانيا**، الفروق المجودة بين الإناث والذكور فيما يخص تمتعهم أو امتلاكهم واستخدامهم للقيم المنقولة والموارد الإنتاجية (ويأتي هنا مفهوم التمكين الاقتصادي للمرأة). **ثالثا**، الفروق الموجودة بين الإناث والذكور فيما يتعلق بمؤشرات التنمية البشرية (التعليم، الصحة ومتوسط العمر...) **ورابعا**، المشاركة النسبية للإناث والذكور في اتخاذ القرارات الخاصة بمضمون التنمية ووسائلها .وأخيرا، القوانين والأطر المؤسسية، أو المعايير والممارسات المجتمعية المؤدية (ضمنا أو صراحة) إلى التمييز أو اللامساواة القائمة على النوع.

83 اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا: سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، الشراكة في الأسرة العربية. الأمم المتحدة، نيويورك ٢٠٠١، ص ٢٧ .

84 U.N: Family: challenges for the future. Op. cit p. 10.

85 Ibid .

86 United Nations, Families and Education. Occasional papers series, No18, 1995, Vienna.

87 اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا: سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، مرجع سابق. ص٢٩ .

88 كان ذلك موقف الحركات النسائية الداعية لتحرير المرأة في الستينيات والسبعينيات، وقد وقع التراجع عن هذا الموقف حتى بين تلك التنظيمات لمصلحة احترام خصوصية الجنسين مع التأكيد على التوزيع العادل للالتزامات والمسؤوليات.

89 Pierre Bourdieu, " Stratégies de reproduction et modes de domination " Op. Cit.
See also, L. Anser, " Matrimonial Strategies... " Op. Cit.

90 انظر زهير حطب: تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة. بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦.

91 انظر باقر سليمان النجار: «الأسرة والتغير الاجتماعي في المرحلة الانتقالية لمجتمع الخليج العربي» في «دور الأسرة في مجتمع متغير»، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون الخليجي، ط ١، ١٩٩٤ . حيث يورد أمثلة عن دراسات حول التغيرات التي تتعرض لها الأسرة في مجتمعات الخليج باتجاه قيام الأسرة النووية على الأقل من حيث انفصال في المسكن وتراجع نمط الأسرة المقيمة مع الأب PATRILOCAL

92 انظر: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا: سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، مرجع سابق. ص٢٩.

انظر كذلك: باقر سليمان النجار: «الأسرة والتغير الاجتماعي في المرحلة الانتقالية لمجتمع الخليج العربي» في «دور الأسرة في مجتمع متغير»، مرجع سابق. دراسات عديدة مثل تلك التي راجعها يعقوب قبانجي في محاولته النقدية. انظر قبانجي مرجع سابق.

93 تراجع اهتمام الذكور بالتعليم مرتبط بعدة عوامل منها تدني مستوى التعليم نفسه إضافة إلى الانقلاب الجذري الحاصل في سلم القيم، حيث لم يعد التعليم والمؤهلات العلمية ذات قيمة كبيرة في الاندماج في الحياة بالنظر إلى سيادة قيم المحسوبية والزبونية والربح السريع من خلال المضاربة. أما بالنسبة إلى البنات، فالتعليم يبقى واحدا إن لم نقل المورد الرئيسي لتحسين وضعيتهن الاجتماعية وتحسين موقعهن التفاوضي في سبيل التخلص من قيد السلطة الأبوية، ممثلة في سلطة الأب والزوج. هذه ظواهر عامة لمسناها في كل البلاد العربية والمعطيات الموثقة، تؤكد هذا التيار العام. وتفاديا لإثقال الورقة بالإحصاءات يمكن الرجوع إلى الحوليات الإحصائية الصادرة في البلاد العربية أو عن الهيئات الإقليمية والدولية حول أوضاع السكان مثل:.United Nations, The State of the World Population. N.Y 2000

94 انظر: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا: سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، مرجع سابق. ص٢٩.

انظر كذلك: باقر سليمان النجار: «الأسرة والتغير الاجتماعي في المرحلة الانتقالية لمجتمع الخليج العربي» في، «دور الأسرة في مجتمع متغير»، مرجع سابق. انظر كذلك: عباس أحمد محمد؛ «المشكلات الأسرية والتنشئة الاجتماعية في مجتمع الإمارات» مرجع سابق.

95 يتحقق هذا الحق في التدخل باسم حقوق الإنسان على مستويات عدة، مثل محكمة العدل الدولية «المحكمة الدولية لجرائم الحرب»، بعثات تقصي الحقائق والتفتيش التي تنشئها الأمم المتحدة... وحتى تلك التي تنشئها تجمعات إقليمية مثل الاتحاد الأوروبي، أو دول كبرى مثل الولايات المتحدة، أو تنظيمات إنسانية غير حكومية مثل الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان FIDH، ومنظمة العفو الدولية Amnesty International وتنظيمات أخرى عديدة مماثلة.

96 الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص ١٠٠ .